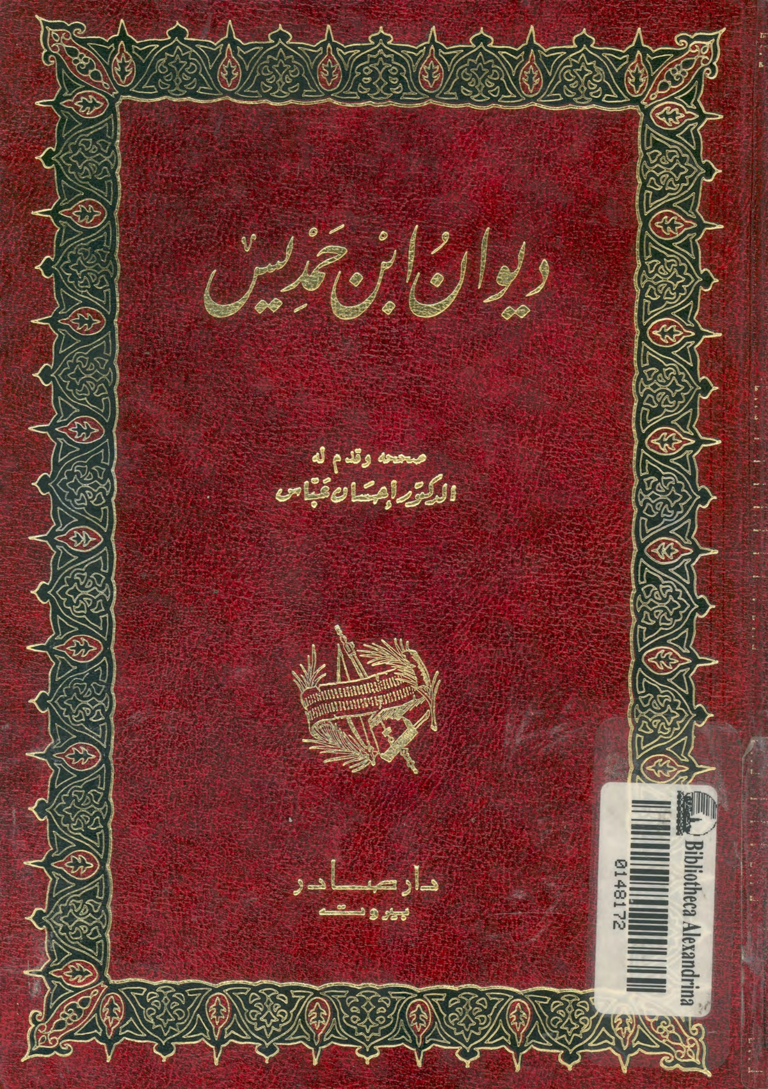


ديوان ابن حمديس
صححه وقدم له
الدكتور إحسان عباس
دار صادر
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0148172



ديوان ابن حمديس

ديوان ابن حمديس

٤٤٧ — ٥٢٧

صححه وقدّم له

الدكتور إحسان عباس

جامعة الخرطوم

دار صادر

بيروت

مقدمة

١ – تمهيد تاريخي

بدأ المسلمون فتح صقلية سنة ٢١١ هـ . على يد أسد بن الفرات أيام زيادة الله بن الأغلب والي إفريقية ، واستمرت أعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كلّ صقلية خضوعاً تاماً لحاكم عربي واحد إلا في أيام بني أبي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطميّة مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة . وقد بلغت بلرم Palermo في أيامهم مكانة حضارية عظمى وشأت شأو قرطبة وبغداد في خدمة العلوم والفنون . ثم هبّت ريح الفتنة على صقلية وتجدّد فيها صراع الجنسيات المختلفة من افريقية وصقلية أيام الأكحل من بني أبي الحسين وأخيه حسن الصمصام ،وأخرج الصمصام آخر الكلبيين من الجزيرة وتوزع الأمراء البلاد فيما بينهم مثل ابن النعمة وابن منكود وابن الحواس وابن الثمنة ، وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين من إيطاليا ليسلمهم الجزيرة على أثر ما قام بينه وبين ابن الحوّاس من حروب ، وجاء النورمان يفتحون الجزيرة فلم يجدوا فتحها سهلاً ولم يستطيعوا التغلّب عليها جميعاً إلاّ عام ٤٨٤ هـ . ومنذ أن ابتدأ الفتح النورماني إلى أن انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم إلى مصر والقيروان والأندلس ، وكانت سرقوسة من البلاد الّتي قاومت طويلاً كما أن قصريانة وجرجنت كانتا

آخر المدن استسلاماً للنورمان . وقد بقي كثير من المسلمين تحت الحكم النورماني أيام رجار وخلفائه ، وانتحل ملوك النورمان في صقلية نظم الحضارة العربيّة وطابعها العام ، وفي بلاط رجار Roger عاش الشعراء والعلماء العرب ينظمون ويؤلّفون . ولكن لا بدّ أن نتذكر أن تلك العهود هي فترة الحروب الصليبية ، وكان موقف المسلمين في الجزيرة حرجاً لأن صاحب صقلية حاميهم كان يتلقى الهجمات من سلطان المرابطين ومن أمير تونس ، وهم أنفسهم كانوا يخدمون في الأسطول الصقلّي الذي يهاجم إخوانهم في سواحل افريقية ، أو يعيشون شبه أرقّاء في أراضي السادة الجدد ، ولذلك أخذت الصبغة العربيّة في صقلية تتضاءل مع الزمن وضاقت حلقة التسامح حول أعناقهم مع الزمن أيضاً ، حتى مرّت بهم أوقات طوردوا فيها كما تطارد الوحوش البريّة ، واضطروا إلى الاعتصام بالجبال إلى أن واجهوا الفناء النهائي .

وقد شهدت صقلية أيام الحكم العربي والنورماني نشاطاً واسعاً في الآداب والعلوم واجتذبت إليها مهاجرين من علماء افريقية ومصر والأندلس وشعرائها ، وتتمثّل صورتها الأدبيّة في كتابين أحدهما « الدرة الخطيرة » لابن القطاع وفيه تراجم للشعراء الذين عاشوا أيام الحكم العربي . والثاني « المختار من النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشرون المهدوي ، وفيه تراجم للشعراء والأدباء الذين كانوا بصقلية أيام الحكم النورماني . ولم يصلنا من دواوين الصقليين إلا اثنان : ديوان ابن حمديس وديوان البلّنوبي ، وهو شاعر صقلي قضى أكثر أيامه بمصر والمشرق . ونحن نعلم أنّه كان لأبي العرب الصقلي الذي هاجر إلى الأندلس ديوان متداول إلاّ أنّه لم يصلنا . ولهذه المكانة الأدبيّة والعلمية يمكن أن نعتبر صقلية حلقة من حلقات الوصل بين الشرق والغرب ، ونجد فيها منفذاً من المنافذ التي تسرّبت منها المؤثّرات العربيّة إلى أوروبة وساعدت على يقظتها في عصر النهضة .

٢ – حياة ابن حمديس

في صقلية ٤٤٧ – ٤٧١

في مدينة سرقوسة الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية ولد عبد الجبار ابن حمديس سنة ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م من أصل عربي أزدي ، هكذا تنسبه المصادر إلا أنّه لا يفتخر في شعره بهذا النسب مثلما يفتخر بأنّه من « بني الثغر » أي يعتزّ بوطنه أكثر من اعتزازه بالقبيلة. وأبوه هو أبو بكر بن محمد،وقد عاش محمد – الجدّ – ثمانين عاماً ، أو حسبما يقول حفيده : « تنسك في بر ثمانين حجة » ومات في سرقوسة ، وابن حمديس موجود فيها ، وشيعه إلى قبره . وقد عاش والده أبو بكر إلى ما قبل سنة ٤٨٠ – على وجه التقدير – وربّما توفي في سرقوسة. وكان فيما يبدو رجلاً تقيّاً محبّاً للخير ، مضى حين مضى « سالكاً سبل آبائه » . وكانت لمحمد أخت – وهي عمة الشاعر – هاجرت هي وأبناؤها إلى سفاقس ، وكان ابنها أبو الحسن متطبّباً مثقفاً يصفه ابن حمديس بأن « بقراط دونه معرفة طبية وفكرة حسبية » (ق: ٧٨). وأبو الحسن هذا تزوّج أخت الشاعر ، ويبدو أنّه كان من لدات ابن حمديس ، وأن النشأة وثقت بينهما عقداً من الصداقة أقوى من رابطة القرابة ، وقد ظلت المراسلات تدور بينهما مدة طويلة ، بعد أن هاجر ابن حمديس من صقلية (ق : ٢١٥ ، ٢٨٢) .

وقد كان لهذه النشأة أثرها في نفس عبد الجبّار ،فهو من عائلة محافظة فيها وتر قويّ من التديّن،ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمية ، ونحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلميّة والأدبيّة بسرقوسة،ولكننا نتصور أن عبد الجبّار وجد فيها – من غير ريب – ثقافته الأدبيّة الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه ، وأن روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه شيء من الثقافة الحكمية الطبية ، جعله يتحدّث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء وعن تصارع العنصرين

ويكثر من ذكر الجوهر والعرض ، ولا ريب في أن هذه الثقافة زادت مع الأيام وشملت فروعاً أخرى من المعرفة ، فيها العَروض والنحو والتأريخ وطبائع الحيوان وزادتها التجربة عمقاً وصقلاً ، حتى وجهت اهتمام ابن حمديس في المستقبل إلى شيء من التأليف ، فكتب « تاريخ الجزيرة الخضراء »[1] .

إلا أن عبد الجبار في هذه المرحلة من حياته أخفت صوت التقوى، وتسلل من كهف التدين ، وسمح لنفسه بشيء من لهو الشباب . فارتاد الأديرة والحانات لشرب الخمر وعرف الحبّ والفتك ، ولعله شارك أيضاً في بعض الغزوات الحربية التي كانت تخرج فيها الجيوش إلى جنوب إيطاليا .

وفجأة نراه في افريقية يصحب العرب ويتنقل في الصحراء وقد أصبح السيف في ثني ساعده « معاوضة من جيد غيداء كاعب » . وأغلب الظنّ أنه كان قد انتوى الرحلة إلى الأندلس وآثر السفر البري على البحري كما آثره زميله الصقلي الشاعر أبو العرب الذي كتب إلى المعتمد حين استدعاه يقول :

البحر للروم لا تجري السفين به   إلا على غررٍ والبر للعرب

وكانت الأساطيل الروميّة قد استولت على السيادة البحرية في غرب البحر المتوسط ، وأصبح كل سفر بحري محفوفاً بالخطر ، فرأى ابن حمديس أن يتجه إلى الأندلس . لم اختار الأندلس ، وكثير من الصقليين ذهب إلى مصر ؟ لعلّ شيئاً من مكانة الأدب في بلاط المعتمد هو الذي اجتذبه ، أو لعلّ المعتمد كتب يشجّعه على القدوم إليه كما كتب لأبي العرب ، والفرض الثاني مستبعد لأن عبد الجبار لم يكن قد أحرز شهرة أدبيّة . ولم لمْ يذهب إلى القيروان ؟ لأن شعراء القيروان قبل سنوات كانوا قد تشتتوا في البلاد حين خرّب العرب الهلاليّة تلك المدينة وقضوا على سلطان المعز بن باديس ، فهاجر ابن رشيق إلى صقلية ، ولجأ

---

١ كشف الظنون ١ : ٢٩٠ وأماري ٢ : ٥٩٦

ابن شرف إلى بلاط المعتمد بالأندلس . وها هو الخطب يلم بصقلية نفسها ، فليس من المعقول أن يجد شاعر طموح مبتغاه في القيروان ، وقد تعطلت فيها سوق الأدب ، أو في مصر وهي معقل الفاطمية ؛ وللأندلس سحرها الخاص بها ، فلتكن قبلة لهذا الشاعر الشاب . ومرة ثالثة نتساءل : ولماذا هاجر ابن حمديس قبل أن تسقط سرقوسة ؟ بل هاجر والأمل قويّ في تلك الحركة القوية التي حمل لواءها قائد جديد يقاوم النورمان – قائد يسميه المؤرخ أماري « ابن عباد » ، ولا تذكره المصادر العربية ؛ هاجر ابن حمديس وابن عباد هذا يكسب نصراً إثر نصر . ويخيّل لمن يتطلع إلى الأحداث أن سرقوسة كانت تستطيع أن تتخذ موقف الهجوم لا موقف الدفاع فحسب . – لماذا ؟ أكبر الظنّ أن سقوط بلرم والأجزاء الأخرى من صقلية كان ناقوس الخطر الذي دقّ في نفس ابن حمديس ، وأنّه كان يحلم بالمجد الأدبي أكثر من تطلعه إلى الرفعة العسكرية . وربّما حرّضه أهله على الذهاب إلى افريقية مفضلين نجاته على أن يبقى وديعة موقّتة في يد الحياة القصيرة . وودّع الشاب أهله ، وبكى حين عانقه أبوه مودعاً ، ولعله لم يكن يتصوّر أن تلك هي آخر وقفة له على أرض الوطن . وأيّاً كان الدافع حينئذ فقد أحس من بعد إحساساً خفيّاً أنّه تخلى عن وطنه ، وظلّ هذا الإحساس شوكة في ضميره تخزه على مر الأيام وتمثّل لخاطره أنّه الفتى المذنب « كآدم الذي أهبط من جنته » .

وكان ابن حمديس يوم فارق سرقوسة في ريعان الشباب . وقد اختزنت ذاكرته ضروباً من الذكريات التي ظلّت زاداً لنفسه الحالمة بالعودة ، وظلّ يحنّ إلى ذكرياته في وطنه الجميل ذي المناظر الطبيعية الخلاّبة ، وظلّ ينزع إلى ليالي الحبّ والمغامرات والأديرة والحانات . ولما رأى النيلوفر مرة وهو مغترب هتف يقول :

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه   كلانا عن الأوطان أزعجه الدهر

وقد كان الشعور بالوطن من مآثر هذه المرحلة من حياته ، وظل هذا الشعور شيئاً فذّاً في إلهام ابن حمديس ، لأنّه بقي يحسّ حتى آخر يوم من حياته أنّه غريب ، فلا عجب إن قدّرت أن الغربة هي أقوى قوة حرّكت شاعريّته الصحيحة ، وأن أيّام صقلية هي التي كوّنت منه شاعراً ولكن بعد أن ضاعت وأسلمته إلى ضيـــاع .

في الأندلس — ٤٨٤

كانت إفريقية طريقاً إلى الأندلس في خطة ابن حمديس ، ولكنا لا ندري على وجه التحقيق كم أقام فيها أو متى وصل كعبة آماله . وهناك روايتان تتصلان بأول قدومه إلى إشبيلية : الأولى أنّه لما حل فيها أقام مدة مهمَلاً لا يلتفت إليه أحد حتى أدركه القنوط من لقاء صاحبها المعتمد بن عبّاد ، فهمّ أن ينكص على عقبيه ، وكان المعتمد قد سمع بقدومه ، وفيما كان ابن حمديس ضيق النفس لما لقيه من إهمال دخل عليه غلام معه شمعة ومركوب واستدعاه إلى مجلس المعتمد ، وهناك عقد له السلطان امتحاناً في الشعر فاجتاز الامتحان ونال الاستحسان . (ق : ٣٤٤) . والرواية الثانية أن المعتمد توجّه إلى قرطبة وكتب إلى عبد الجبّار بإشبيلية يأمره بالقدوم إليه ، فسافر ابن حمديس إلى قرطبة ووافق ذلك مجيء أبي بكر بن عمار أسيراً مقيداً ، فلم يطق ابن حمديس البقاء في قرطبة وعاد من توّه إلى إشبيلية ، والشكّ ما يزال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في إقامته ، فكتب إليه قصيدة يقول فيها : « فوقّع ممسكاً أو مسرحا » فوقّع له المعتمد : بل تمسك بمعروف ، ووصله بمائة دينار (ق : ٧١) . وإذا كانت هذه الرواية تشير إلى أول قدومه ، واتّفاق ذلك مع أسر ابن عمار ، فمعنى ذلك أنّه دخل الأندلس في تاريخ متأخر ، إذ ان ابن عمار أُسر سنة ٤٧٧ ، ومعنى ذلك أيضاً أنّه قضى مدة غير قصيرة وهو يتجول في افريقية . والأرجح أنّه قدم قبل حادثة

ابن عمار بسنوات ، وأنّه عاش في إشبيلية مدة من الزمن ، أما هذه الرواية فتلمح إلى شيء من التخوف اعتراه بعد حادثة ابن عمار ، وخشي أن يكون المعتمد قد برم بمقامه ، فكتب إليه ما كتب .

واطمأنّ ابن حمديس إلى أن صاحبه راغب في بقائه ، واستغرقته الحياة الأندلسية بعض استغراق ، وإن لم تنسه صقلية أبداً ، فكان يخرج في متنزهات اشبيلية ، وقد حدّثنا هو كيف شارك عبد الجليل بن وهبون في نزاهة صنعها لبعض أصحابه من الشعراء والمغنين في وادي اشبيلية ، وهناك قامت المساجلات الشعرية بينهم ، وكان من أقرب الشعراء إلى ابن حمديس الشاعر غالب بن رباح المشهور بالحجام،وكان الشاعران يتعاوران المعنى الواحد ويغير كل منهما على ما يجيء به الآخر من المعاني ، ولم يذكر ابن حمديس كثيراً عن علاقاته بالشعراء الآخرين الذين عرفهم في بلاط المعتمد — وهم كثر — سوى ابن وهبون والحجام وشاعر ثالث هو عبد الله بن مالك القرطبي،فقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حمديس أخبره أن هذا الشاعر عمل قصيدة يقول فيها :

أحييت إذ حييت حادي عيسهم فكأن عيسى من حداة العيس

فهجاه بعض الشعراء لأنّه كره هذا التجنيس ، ولعلّ ذلك يعبر عن كراهية ابن حمديس نفسه للمغالاة في الجناس ، ويدلّ على شيء من ذوقه الأدبي[1] .

وكان ابن حمديس في اشبيلية يرتاد مجالس الشراب على السواقي،وتدلّ القصيدة : ١١٩ على لون من هذا اللهو ، كما كان يشهد مجالس الرقص ، ولعلّه عرف هذا اللون من الرقص التمثيلي التعبيري بصقلية نفسها ، حيث تشير الراقصة بأنملها وهي تغني إلى كل عضو وما يحلّ به من تعذيب الهوى ، فإذا ذكرت دمعاً أشارت إلى العين ، وإن وصفت وجداً أشارت إلى القلب ، ومثلت

[1] معاهد التنصيص : ٤٥٨

تدلل المحبوب وتذلل المحبّ في حركاتها (ق : ٨٤) .

وأطال المدائح في المعتمد ، ولعل قصيدته (٨٦ — ٨٧) من أوائل مدائحه فيه ، وأشاد بجهاده ضد الروم وبشجاعته وانتصاراته وخاصة في معركة الزلاّقة ، وعرّج يسيراً على مدح المرابطين ، ولم يكن يعلم أن الأيام تخبىء له ولصاحبه خبيئاً على أيديهم ، ومدح الرشيد ابن المعتمد (ق : ٥٨) ولم يمدح في الأندلس إلاّ هذين الأميرين طوال السنوات التي أقامها هنالك . وارتاحت نفسه إلى ما حقّقه ، لأن صلته بالمعتمد حققت له المال والشهرة الأدبية[1] . ووجد الشاعر شخصاً عظيماً يستحقّ الجهد في الإبداع الفني كما وجد الحادثة الكبيرة التي تصل اسمه بالتاريخ المجيد ، هذا إلى أن بيئة الأندلس لا تقلّ في جمالها عن بيئة صقلية، وليست اشبيلية دون سرقوسة جمالاً وحضارة ، وفيها مورد عذب كثير الزحام، ومن لمع اسمه بين المتزاحمين فذلك دليل على جودة الشاعرية لديه .

وفي هذا الدور من حياته كان واسع الآمال يتسمّع إلى أخبار صقلية وتملأ صدره أخبار البطولات فيها بهجة وسروراً ، وهو ينظم القصائد في تشجيع أهل بلده وإثارة حماستهم ويفتخر ببطولتهم : (ق : ٧٥)

زبانية خُلقوا للحروب   يشبّون نيرانهـا بالوقود
مساعرهم مرهفات بنين   لهدّ الجماجم من عهد هود
هم المخرجون خبايا الجسوم   إذا ضربوا بخبايا الغمود

*

سقى الله منه الحمى عارضاً   يقهقه ضاحكه بالرعود
مكر الطراد وثغر الجهـاد   ومجرى الجياد ومأوى الطريد

---

[1] من الغريب أن مؤلف أخبار الملوك يسمي ابن حمديس « ذا الوزارتين » (انظر أماري ٢ : ٥٩٤ التعليقة : ٢) .

وفي (ق : ٢٧٠) نجده يحضّ أهل بلده على الجهاد ويأمرهم أن يتمسّكوا بالوطن ويموتوا فيه ولا يطمئنّوا إلى الغربة لأنها ذلّ — أينما كان المغترب — :

ولله أرض إن عَدِمتم هواءها فأهواؤكم في الأرض منثورة النظمِ
وعزكمُ يفضي إلى الذلّ والنوى من البين ترمي الشمل منكم بما ترمي
فإنّ بلاد الناس ليست بـلادكم ولا جارها والخلم كالجار والحلم
أخلّي الذي ودّي بودٍّ وصلتـه لديّ ، كما نيط الوليّ إلى الوسمي
تقيّدْ من القطر العزيز بموطنٍ ومتْ عند ربع من ربوعك أو رسم
وإيّاك يومـاً أن تجرّب غربة فلن يستجيز العقل تجربة السم

وأخف من هذا (ق : ٢٦٩) ففيها ما يشعر بأن المقاومة أخذت تضعف ، حتى إذا سقطت سرقوسة انتفض منتحباً ، وعرف أن ما قدر عليه هو الغربة المستمرة ، وأن الوطن قد غاب عن عينيه إلى الأبد : (ق : ١٥٧)

لقدّرت أرضي أن تعود لقومهـا فساءت ظنوني ثمّ أصبحت يائسا
صقليـة كاد الزمـان بلادها وكانت على أهل الزمان محارسا

وهو يستغرب كيف يمكن أن يتم ذلك . كيف ، وقومه لم يتوانوا عن ضرب المثل الأعلى في الجهاد ، ذهبت قصريني (قصريانة) وأصبحت سرقوسة دار منعة للأعداء ؟ ولكن لا عجب فإن الذئب لا يستطيع أن يقتحم الغيل إلا إن غاب الأسد ، وقد غاب كثير من الصقليين بالهجرة والموت ، فاستطاع الأعداء أن يحتلوا أرض الوطن .

وأخذت دورة التراجع تجرّ ابن حمديس إلى حضيض اليأس بحادثة إثر أخرى . سقطت مدن صقلية . غرق ابن عباد الصقلي في إحدى المعارك البحريّة وهو ينتقل من سفينة إلى أخرى . مات والد الشاعر وجاءه نعيه في دار الغربة ،

وقد ترك له وصية يحضه فيها على البر وعمل الخير . واستعاد عبد الجبار صورة ذلك الشيخ التقيّ وتمثّل يوم الفراق وجدّد البكاء (ق : ٣٣٠)

وما أنس لا أنس يوم الفراق وأسرار أعيننـا فاشيه
ومرت لتوديعنـا ساعة بلؤلؤ أدمعنـا حـاليه
ولي بالوقوف على جمرها وإنضاجهـا قدمٌ حافيه
ورحت إلى غربـة مرة وراح إلى غربة ساجيه
وقـد أودعتنيَ آراؤه نجومـاً طوالعها هاديـه
سمعتُ مقالة شيخي النصيح وأرضي عن داره نائيـه
كأن بأذني لها صرخـة أراد بهـا عمر ساريه

ومات أقرباؤه وأصدقاؤه في الحروب واحداً بعد آخر (ق : ١٠١)

وكم طوى الموت دوني من ذوي رحمي وما مقلت لبعدي عنهمُ أحـدا

أين يذهب ؟ كان من الحق أن يعود ليرى ما حلّ بالآخرين، ولكن أين ذهب هؤلاء أنفسهم وأي أرض احتوتهم ؟ وعجز عن أن يطوع نفسه للعودة ، وأخذ يعلّل نفسه بأنّه آثر صحبة رجل عظيم ورضي بحمص (اشبيلية) موطناً له، حتى إنّه لم يذهب ليلقي نظرة على قبر أبيه (ق : ١٠١)

ولم يسرنيَ من مثواك موت أبي وقد يقلقل موت الوالد الولـدا
وما سددتَ سبيلي عن لقائهم لكن جعلتَ صفادي عنهم الصفدا
وحسن بر إذا فاضت حلاوته على فؤاديَ من حرّ الأسى بردا

وجاء دور المعتمد نفسه في دورة التراجع ، إذ كانت قمة النصر في الزلاقة بدء انحدار لمجده وأفول لعزّه ، وقيّده ابن تاشفين — حسبما هو مشهور في

التاريخ – وسجنه في اغمات بافريقية ، وتلفت ابن حمديس حوله كأنّه لا يصدق ما حدث ، مرة أخرى تسقط صقلية الثانية ، ويضيع وطنه الجديد الذي ارتضاه . وكان ابن حمديس وفيّاً لصاحبه فأخذ يتردّد عليه في محبسه ، ورثاه وهو حيّ ، وتمثل «أشراط الساعة» قد أخذت تظهر . ولا تقلّ قصائده في نكبة ابن عباد (ق : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٣٣٥) من حيث الجودة عن قصائده في صقلية ، وهي تدلّنا على أن جانب المأساة العامل الأكبر في إثارة شعر ابن حمديس ، فهي التي فجرت الينبوع الأصيل في تلك النفس الشاعرة . وقد نقول إن المنافسة في الأندلس قد حملته على تجويد قصائده الخمريات والوصفيات ومدائحه في المعتمد والرشيد – وهي حقّاً مجودة في حوكها وبنائها – إلا أن حقيقة المأساة كانت أقوى في إثارة شاعريّته . ولم تستطع الأندلس ان تحببه بالموشحات فديوانه خالٍ منها خلوّاً تامّاً .

في افريقية ٤٨٤ – ٥٢٧

كادت الدائرة أن تكتمل : من صقلية إلى الأندلس ثم إلى افريقية ، وكان ابن حمديس يحاول دائماً أن يبقي طرفي تلك الدائرة متباعدين، ما دامت صقلية قد ذهبت بقطاع من تلك الدائرة . وكان أهله يلحون عليه بالعودة ، وقد أصبح بعضهم في سفاقس وبعضهم تحت حكم النورمان . وأطاع داعي الشوق مرة ونزل على إلحاحهم ، واستجمع قوّته وتغلّب على خوفه القديم من البحر ، وركب السفينة عائداً . إلى أين ؟ هل من الممكن أن يكون قد حاول العودة إلى صقلية ؟ لا ندري شيئاً عن ذلك ، ولكني لا أعتقد أنّه فعل ذلك . وكلّ ما نعرفه أن المركب الذي أقلّه انكسر ، وغرقت جاريته جوهرة (ق : ١٣١ ، ٢٠٦ ، ٣٢٥) وكان هو – لولا لطف الله – في الغرقى مشيراً براحته (ق : ٢٨٢) :

ألم أُركبِ النفسَ اشتياقاً إليكمُ غوارب مخضرّ الغوارب طامي

ألم أكُ في الغرقى مُشيراً براحتي فلم أنج إلا من لقاء حِمامي
ألم أفقد الشمس التي كان ضوءها يجلّي عن الأجفان كلّ ظلام
طمعت بهذا كلّه في لقائكم لتغرمَ نفسٌ أُتلفت بغرام

وأيأسته هذه الحادثة من أي محاولة أخرى بعد ذلك للقاء أهله . وبعد عشرين سنة من إقامة ابن حمديس بافريقية عاد ابن عمته أبو الحسن يسأله العودة وهو يماطل ويتذرع بالعجز ، وكان قد أصبح في الستّين من عمره ، يمشي بخطىً ضيّقة نحو السبعين (ق : ٢١٥) .

وأقام ابن حمديس في افريقية — هذه المرة — بعد أن غادر الأندلس ما يزيد على نصف عمره . وهذا دور فيه قسط كبير من الخمول وشكوى الكبر وانتحال الحكمة والاقتراب من دائرة الزهد،وفيه عاش ابن حمديس متنقّلاً بين اغمات وسلا والمهدية وبجاية وبونة وتاجنة وقابس وسفاقس وميورقة وسبتة ، يمدح ليعيش ، ويستشعر الاقلال وضيق الحال إذا امتنع عنه الرسم أو أبطأ عليه العطاء . لازم المعتمد أولاً حتى أدركته منيّته بأغمات،ثم اتّصل ببني علناس ورجال دولتهم وببني زيري وبني خراسان ، وأطال المدائح فيهم جميعاً ، ولا بدّ لكي نفهم هذا الدور من حياته ، من أن نلمّ ببعض الأحوال في شمال افريقية حينئــذ :

كان بنو زيري الصنهاجيون خلفاء للعبيديين في شمال افريقية في القرن الخامس ، إلى أن أبطل المعز بن باديس الدعاء لهم وتحوّل إلى العباسيّة وأظهر السواد (٤٤١ هـ) فحرض الفاطميونَ العرب من بني هلال وسليم على الجواز إلى افريقية ، وكان من ذلك خراب القيروان واضمحلال شأن العلم والأدب بعد أن بلغا الغاية في بلاط المعز ثم تدهور سلطان بني زيري ، ونافسهم بنو حماد أبناء عمومتهم ، واستعان كل فريق بالعرب الغزاة أنفسهم . ونجم الخلاف على

بني زيري في مواطن متعددة فحاول بعض الطامحين الاستقلال بقابس وغيرها ، وكانت هذه الفرقة ذات أثر في تهوين الدفاع عن افريقية وعن الجزر مثل جربة وميورقة (وصاحب ميورقة هو مبشر الفتى غلام مجاهد العامري) أمام هجمات الأسطول النورماني بقيادة جرجي بن ميخائيل الذي رباه تميم بن المعز وهرب من كنفه والتجأ إلى رجار . وانقطعت تونس عن ملك بني زيري وفاوض أهلها عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان وولوه أمرهم ، ثم تصالح معه تميم وأبقاه على ما بيده ، وخلفه أحمد بن عبد العزيز الذي ظلّ والياً على تونس حتى سنة ٥٢٢ حين أُخرج عنها وهاجر إلى الحجاز ، وتولى تونس بعده كرامة بن المنصور .

فلمّا هاجر ابن حمديس إلى افريقية لم يتصل بتميم بن المعز أقوى هؤلاء الحكام حينئذ ، وليس في ديوانه إلا قصيدة واحدة ذكر فيها أنّه يمدح تميماً والأرجح أنّه قالها عندما مرّ بافريقية عام ٤٧١ ، وهو يشير في إحدى قصائده إلى أنّه مدح تميماً ، إذ يقول للحسن بن علي بن يحيى بن تميم (ق : ٣٢٠)

ومدحتُ غلاماً جدّ أبيك وها أنا ذا شيخاً يفنى

كما أنّه لم يتّصل بالمرابطين ، إذ كانت صلته بالمعتمد تبعده عن التعرض لهم . ولكنّه اتصل بعد وفاة المعتمد ببني حماد ، ومدح منهم المنصور بن الناصر بن علناس (٤٨٣ – ٤٩٨) (انظر ق : ٢٨٤ ، ٣١٤ ، ٣٤٩) وكان المنصور هذا مغرماً بالمباني ، فصير بجاية دار ملكه ، وجدّد قصورها وبنى فيها وفي القلعة قصر الملك وقصر المنار واللؤلؤة ،وقد وصف ابن حمديس أحد تلك القصور في إحدى قصائده . وكان لبني علناس ببجاية والقلعة وزراء يُعرفون ببني حمدون توارثوا وزارتهم ،منهم ميمون بن حمدون ومطرف وعلي وكلهم ذكرهم ابن حمديس في ق : ١٠٣ التي رثى فيها علياً ، كما رثاه في ق : ٣٠١ وهي من آخر ما قاله ، وتدلّ على أنّه انتقل في أواخر عمره إلى بجاية ، وبها توفي .

وبعد وفاة تميم (٥٠١) أقبل ابن حمديس على ابنه يحيى (٥٠١ — ٥٠٩) ومدحه بقصائد كثيرة ، وكانت أيام يحيى هادئة نسبيّاً . وفي ق : ١٣٢ نرى ابن حمديس في سفاقس يبعث مديحه إلى يحيى بالمهدية . وتجدر الإشارة هنا إلى ق : ١٣٣ وفيها إشارة إلى النفر الثلاثة الذين أرادوا قتل يحيى ، وتتلخص القصة في أن ثلاثة أشخاص جاؤوا دسيسة من قبل أخٍ ليحيى ، وادعوا أنهم يعرفون الكيمياء ، وكان يحيى شغوفاً بها ، فطلب إليهم أن يروه شيئاً من صناعتهم فاشترطوا عليه ألا يحضر المجلس أحد إلا هو ووزيره ، فلم يحضر إلا يحيى والشريف أبو الحسن وقائد جيشه واسمه إبراهيم (لعله ابراهيم بن أحمد بن بريدة ق : ٢٥٧) فلمّا رأى الثلاثة المكان خالياً ثاروا بالموجودين فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين في عمامته ولم تحدث شيئاً ، وقيل بل جرح ومات متأثراً من جراحه ، وقتل الشريف الفهري أبو الحسن (ق : ٩٦ مرثية) وأخذ القائد إبراهيم السيف فقتلهم . وفي أيام يحيى هذا مدح ابن حمديس مبشراً صاحب ميورقة (ق : ٢١٣) .

وخلف يحيى ابنه علي (٥٠٩ — ٥١٥ هـ) فاهتم بالأسطول ليستطيع مقاومة الأساطيل الرومية . وحاصر جربة سنة ٥١٠ ، وقصائد ابن حمديس سجلّ لبعض الأحداث في زمانه ، من ذلك الحادثة التي تمت سنة ٥١١ وفيها تنبأ المنجمون بأن السلطان يموت إذا مضى عشر من رمضان (ق : ١٣٥) . وتبلغ مدائح ابن حمديس في علي أكثر من ضعفي مدائحه في يحيى . وربّما أحسّ الشاعر في موقفه ذاك تعويضاً عما فاته من الدفاع عن صقلية لأن علياً كان قد وقف بصلابة ضدّ حكام صقلية النورمانيين فتمثّل الشاعر أنّه في هذه الوقفة الباسلة يدافع عن وطنـــه .

وجاء حسن بن علي بعد أبيه وعمره اثنتا عشرة سنة ،وقد عاش ابن حمديس اثني عشرة سنة أخرى من حكمه ومدحه ببعض القصائد وتستوقف أنظارنا

(ق : ١٤٢) ففيها يتشفّع لأهل سفاقس :

وما سفاقس إلاّ بلدة بعثت إليك عنها لسان الصدق تعتذر
وأهلها أهل طوع لا ذنوب لهم إني لأقسم ما خانوا ومـا غدروا
وإنما دافعوا عن حتف أنفسهم إذ خذمتهم به الهنـدية البتر

وما ذلك إلا لأن روابطه بسفاقس كانت قوية ، وكان بعض أهله قـد استوطنها ، كما أنّه اتخذها أحياناً دار إقامة ، وهو يقول في قصيدة أخرى : (١٣٩)

فقل لأناس عرّسوا بسفاقس لطائر قلبي في معرّسكم وكـر
وفرخ صغير لا نهوض لمثله يراطن أشكالاً ملاقطهـا صفر
إذا ما رأى في الجوّ ظلّ محلّقٍ ترنّم واهتزت قوادمه العشر
يظنّ أباه واقعـاً فإذا أبى وقوعاً عليه شبّ في قلبه الجمر
يلذ بعيني أن ترى عينه وأن يلف بنحري في التّـلاقي له نحر

فهو يشير بهذا إلى ابنه ، وابتعاده عنه في بعض المدن الافريقية .

ويبدو أن اضطراب الأحوال من حول الحسن صرف ابن حمديس عنه إلى غيره فاتصل بأحمد بن خراسان وبكرامة المنصور ، ثم أخيراً ببني حمدون في بجاية ، وفيها ألقى عصا التسيار نهائياً .

وفقد ابن حمديس في هذا الدور الطويل من حياته أشياء كثيرة : فقد شبابه ، واتخذ العصا ليهشّ بها على الأعوام ، وكان شديد الإحساس بمر السنين ، ثم فقد بصره ، ولما دخل على كرامة بن المنصور بتونس (بعد سنة ٥٢٢) ذات مرة ، سأله كرامة : كيف حال الشيخ؟ فقال : كيف حال من كان صاحب عينين فصارتا غينين ؟ ! فاستحسن كرامة كلامه وقال له : خذ هذه العصا وتعكز

عليها ، فمدّ يده ، فوجده غلاماً باعه بعد ذلك بثلاثين ديناراً[1] ، كذلك فقد الخمر وأقلع عن شربها . وماتت زوجه أم ولديه أبي بكر وعمر (ق : ٢٩٧) فرثاها على لسان أحدهما ، وماتت ابنته (ق : ٢٤٥) وكان قد أرجف الناس أنه مات،وبلغ الخبر ابنته ، فأقامت مأتماً عليه وبكته « وكل على مقدار حسرته بكى ». ولكن شاءت الأقدار أن تموت هي، وهو حي ليرثيها ، ويستشعر الغربة لها ولنفسه بعد كلّ هذه الأعوام :

أراني غريبـــاً قد بكيت غريبة كلانا مشوق للمواطن والأهــلِ
بكتني وظنّت أنّني متّ قبلهــا فعشت ، وماتت وهي محزونة قبلي

وتناقصت لديه شعلتان : شعلة الشاعرية التي أصبح يحاول تقويتها بالحيل اللفظية ، وشعلة الحنين إلى صقلية ، فإنّه لم يرثها إلا مرة واحدة ، وكان قد بلغ الستين (أي حوالي ٥٠٧) وقال في ذلك قصيدة من أجمل ما عرف من شعره وذاع له وهي (ق : ١١٠) :

قضت في الصبا النفس أوطارها وأبلغهـــا الشيب مضمارهـــا

ولم ينس صقلية ، ولكن الحياة كانت قد أخذت منه أكثر مما أعطت ، ثم أخذ الموت كلّ ما تبقّى في رمضان عام ٥٢٧ = تموز ١١٣٣ . ودفن ابن حمديس ببجاية — في أصح القولين — لأن دفنه بميورقة أمر مستبعد ، وألحد الرجل الغريب في أرض غريبة .

....

١ معجم السلفي ٢ الورقة : ٢٨٢

٣ — شعر ابن حمديس[1]

لم تنجب مثله صقلية في الشعر ، ولم يقصر عن أجود ما وصلته الأندلس (باستثناء فن التوشيح) وربما لم ينشأ من شعراء المغرب من يضاهيه قوة وتنوعاً ، فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربيّة في أزهى عصور السيادة السياسيّة بالمغرب . وقد تأثر بالبيئات الثلاث وحكى أثرها في شعره بناءً وموضوعاً، فقصائده ترقّ حتى تشبه الطبيعة الصقلية والأندلسية الجميلة في رقّتها وعذوبتها وتستطيل حتى تحاكي مباني قرطبة والناصرية سموقاً وصناعة، ويسيل فيها ماء الطبع ، وتحتدم فيها حميّة الجهـاد .

وقد كان معاصروه ومن جاء بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه أو بناحية الدقّة الجزئيّة في شعره الوصفي عامة ، أما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره — حسب الجودة الفنية — في الترتيب التالي :

١ — قصائده الصقليات التي يصور فيها وطنه في صراعه مع الأعداء ثم ضياعه ، وذكريات الشاعر في ذلك الوطن ؛ ويلحق بهذه القصائد ما قاله في أفول شمس المعتمد ، ثم بعض الرسائل الشعرية التي تكشف أيضاً عن حنينه إلى وطنه ، ومراثيه في أقرب الناس إليه مثل والده وابنته وجوهرة جاريته ، وتشترك هذه المجموعة كلها في طبيعة الحزن وفي مقدار صالح من الصدق العاطفي وإن كانت تتفاوت فيما بينها في ذلك . وأعلاهـا درجة قصائده الصقليات التي تتجلّى فيها قوة الحنين والتفجّع على ضياع الوطن . وهذا هو أكبر موضوع شعري عالجه شعراء صقلية والقيروان والأندلس،ويتميّز عليهم ابن حمديس جميعاً بأن إحساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت ، وإن احتجبت صورته

---

[1] الدراسة التفصيلية لشعر ابن حمديس مما لا تفي به هذه المقدمة ، وإنما أرسم هنا الخطوط الكبرى لهـذه الدراسة .

بين الحين والحين فيما يعالجه الشاعر من شؤون الحياة . وليس بين شعراء الأندلس والقيروان من عاش على ذكرى وطنه كما عاش ابن حمديس لأن لوعة الفراق المباشر عند أولئك هي التي أذكت نار الشعر ثم خمدت النار وسارت الحياة بهم سيرها العاديّ ، أما ابن حمديس فظلّ غريباً حيث حلّ لا لنبوّ في طبعه وإنما لتجسّم في الوطن خلال مشاعره ، ولم يستطع أن يقول كما قال مواطنه أبو العرب الصقلي :

إذا كان أصلي من تراب فكلها بـلادي وكل العالمين أقاربي

ومن اللمحات الدالة أن نسمع ابن حمديس يقول في الغزل (ق : ٤٧)

رشأ أحنّ إلى هواه كأنّـــه وطن ولدت بأرضه ونشيت

وليس هذا من التلاعب بالمعنى أو عكسه وإنما هو ذلك التجسم الذي أشرت إليـــه .

٢ ــ القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الإنشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي مثل (ق : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ والخمريتين : ٥٦ ، ٥٧) وتشترك هذه المجموعة مع المجموعة الأولى في صدق البواعث وتباينها في عدم تحدد الموضوع ، فالشاعر فيها خاضع لانفعال مبهم ، فهو يمزج فيها عواطف الحب والميل إلى الخمر والشكوى من الزمان وغير ذلك ، ونموذجها (ق : ٢٣٨) التي يعارض فيها المعرّي :

أجُمْلٌ على بخل الغواني وإجمال تفاءلت باسم لا يصحّ به الفـــال

فقد مزج فيها الغزل وذكريات الطفولة وتغير الحال والتشوّق إلى الأوطان ، ولم تكن المعارضة للمعرّي إلا أمراً عارضاً لم يؤثر كثيراً في طبيعة الدوافع الداخلية .

٣ — شعر الوصف وأكثره مقطعات وقصائد قصيرة . وإذا كانت القاعدة في المجموعتين السابقتين هي قوة العاطفة فإن القاعدة هنا هي إتقان الصورة أو درجة الصنعة الفنية . والوصف موضوع كبير جداً في ديوان ابن حمديس، وللبيئة الصقلية أولاً والأندلسية ثانياً أثرهما في إبرازه على هذا النحو ، وهو يشمل عناصر كثيرة : فهنالك وصف الطبيعة من أنهار وغدران وسواق وأشجار وأزهار كالنيلوفر والشقائق وفواكه كالنارنج وسحاب وبرق ورعد وبحار ، ووصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن ، ووصف الحيوانات والحشرات : كالأسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب، ووصف مناظر الصيد ومجالس الشراب والخمر، ووصف الأدوات الحضارية كالقلم والشمعة وثريا الجامع . وأنموذج وصف الطبيعة (ق : ٧٧) :

نثر الجو على الأرض برد   أي در لنحور لو جمد

فكلها قائمة على عنصرين : إيجاد الصورة وعذوبة الموسيقى . وليس في هذه المقطعات تعاطف بين الشاعر والطبيعة ، ويحس القارىء فيها بجمود شديد إذا هو قارنها بشعر المجموعتين السابقتين . ومن أعذبها موسيقى وأحفلها بالحركة قصيدتاه (٥٦ ، ٥٧) . ويقع غزله في هذا القسم أيضاً فهو أحياناً بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة .

٤ — الشعر الحكمي والتعليمي وهو قسمان : شعر زهدي فيه قسط من الذاتية يلحقه أحياناً في آخر المجموعة الأولى ، وشعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا مثل كتمان السر (ق : ١٤٥) والقصد في التدبير (ق : ٩٧) والصحة والمرض (ق : ١٥٥ ، ١٧٦) .

ويتصل بهذا الاتجاه مظهر سلبي وهو فقدان موضوع شعريّ كامل لديه أعني « الهجاء » . والشاعر يحدثنا أنه اختار هذا المذهب عامداً ، وهو مذهب

مرتبط بمبدئه الخلقي وطبيعة نفسيته ، ففي نفسيّته شيء من الترفّع ، وفي خلقه تعفف عن هجر القول.وتدل (ق : ٦٠) على أن بعض الناس اتهمه بأنّه يعجز عن الهجاء ، فحاجّهم بأنّه يحسن المديح كأنّه يعيد قول العجاج الراجز : « وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ » غير أنّه عاد يربط الأمر بفلسفة خلقية ويقول :

عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقـال القبيح
وما لي وما لامرىء مسلم يروح بسيف لساني جريح

وافتخر في (ق : ٣٢٨) بأنّه قد آلى على نفسه ألا يهجو عفة لسان منه وعفواً عند المقدرة :

إني امرؤ لا ترى لساني منظماً ما حييت هجوا
كم شاتم لي عفوت عنـه مصمماً في اللسان نهوا

وتندرج نظرته إلى الحياة تحت قاعدة التسليم ، والإيمان بالحكمة الخفية وعجز العقل (ق : ٣٥٩)

ما أغفل الفيلسوف عن طرق ليست لأهل العقول منسلكه
مَن سلّم الأمر لله نجـا ومن عدا القصد واقع الهلكـه

وقد عاد إلى حظيرة التدين ومضى أيضاً « سالكاً سبل آبائه » كما مضى أبوه ، وارتفعت روح التدين عنده مع انحطاط العمر ، ووقفته ضدّ أطماع الفرنجة في الأندلس وشمالي افريقية ، وهو يرى أن الإنسان يجب أن يأخذ بالأشد من الشرع ولا يميل إلى الرخص . وفي بعض قصائده منهج خلقي نقدر أنّه لم يأخذ به في حياته وهو قوله (ق : ٣٣٨) :

مَن سالم الضعفاء راموا حربه   فالبس لكل الناس شكة محرب
كلٌّ لأشراك التحيّل ناصب   فاخلب بني دنياك إن لم تغلب
لا يكذب الإنسان رائد عقله   فامرر تمجّ وكن عذوباً تشرب

فمثل هذا المنهج لا يتفق وشخصية ابن حمديس العامة .

هذا هو شعره ونظرته الكونية ، أما أسلوبه الشعري فيتردّد بين البساطة البالغة التي تشبه « العفوية » في مثل قوله :

بالله يا سمرات الحيّ هل هجعت   في ظلّ أغصانك الغزلان عن سهري
وهل يراجع وكراً فيك مغترب   عزت جناحيه أشراك من القدر
ففيك قلبي ولو أسطيع من وله   طارت إليك بجسمي لمحة البصر

وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة ؛ وتتكرر لديه المعاني وبخاصة في المدح ، وتشغفه ألفاظ معينة فلا يسأم تردادها ، ومن شاء شاهداً على ذلك فليتتبع مثلاً لفظة « ذمر » في ديوانه . وهو يقرّ بأنّه كان يغير على بعض المعاني لغيره وكان يعارض بعض الشعراء ويختصر معاني شعراء آخرين .

ويبدو من بعض المساجلات الأدبيّة أنّه كان سريع البديهة ، يُقترح عليه الموضوع فيقول دون تباطؤ ؛ حدث أبو محمد عبد الله بن مروان بن الحجاج ابن علي القضاعي قال : اقترحت على أبي محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس وقد وقف ليودعني وكنت عازماً على سفر أن يصنع لي أبياتاً غزلية في الوداع فصنع في الحال وقال (ق : ١٨٧) :

ولما رأيت طير الفراق نواعباً   وقد همّ بالتوديع كلّ مودع[1]

---

١ بدائع البدائه : ١٧٠

٤ ــ ديوان ابن حمديس

يحدّثنا ابن ظافر الأزدي أن ابن حمديس صنع ديوانه لنفسه وأنّه كان في عهد ابن ظافر موجوداً في أيدي الناس[1] . ويبدو أن ابن حمديس عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأملاه على أحد الرواة ، فقد جاء في (ق : ١٧٠) : « أخبرني أبو محمد عبد الجبار وقد سألته عن التمثيل بالنسر . . .الخ » وورد في (ق : ٩٩) : « وأبو تمام كان يغير عليّ في المعاني . . . وسيأتي بيان ذلك في موضعه » ولم يأت شيء مما يشير إليه في هذه العبارة ، مما يدل على أن بعض توضيحات ابن حمديس قد سقطت من هذه المجموعة التي وصلتنا . وقد ذكر حاجي خليفة ديوان ابن حمديس في كشف الظنون فقال : « ديوان عبد الجبار ابن محمد الصقلي المتوفى بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ أكثره جيد »[2] ولم يزد على ذلك . وقد بقيت من ديوانه نسختان :

١ ــ نسخة الفاتيكان (رقم : ٤٤٧) وهي التي رمزت لها في الهوامش بالحرف (ف) وتحتوي ١١٨ ورقة بمقياس ٢٠٥ × ١٥٠ مم ومعدل الأسطار في الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً ، وبعض الأبيات مكتوبة على هامشها ، وخطّها مغربي واضح أنيق مشكول ، والشعر فيها مرتب على الحروف خلا بعض مقطوعات في الورقة الأخيرة . وعلى الهامش تعليقات قليلة القيمة بخط مختلف عن خط الأصل،والنسخة مليئة بالخطإ والتصحيف ، وتكتب الضاد فيها أحياناً ظاء . وقد جاء في آخرها : « تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وصلّى الله على محمد نبيه ، وكان الفراغ منه يوم الخميس ليومين بقيتا (كذا) من المحرم من سنة سبع وستمائة ، وكتب ابراهيم بن علي الشاطبي » . وعلى الصفحة الأولى منها بعض التملّكات .

---

١ بدائع البدائه : ٣٨

٢ كشف الظنون : ٧٩٩

٢ ــ نسخة المتحف الآسيوي ببطرسبرج (ليننغراد) رقم : ٢٩٤ ورمزها (ب) ، وتبدأ بالقصيدة رقم : ٥٦ والشعر فيها غير مرتّب على القوافي ، وبعضه مكتوب في هوامشها . وجاء في الصفحة الأخيرة منها : « نجز ما وجد من شعر عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الصقلي السرقوسي ، رحمه الله تعالى، يوم الجمعة قبل الظهر خامس عشر ذي القعدة سنة ست بعد الألف على يد الفقير الحقير زكرياء بن خضر بن علي بن طاهر البقاعي ثم اللبناني ثم الدمشقي ثم الشافعي غفر الله له ولوالديه . واعلم أيها الناظر أنّك إذا وجدت في هذه النسخة سقطاً أو نقصاً أو غلطاً فهو من أصل النسخة المنقول عنها هذه النسخة ، والله على ما أقول وكيل » . (وكاتب هذه النسخة قد ترجم له المحبي ٢ : ١٧٦) .

وبين هاتين النسختين مشاركة في بعض القصائد كما أن كلاً منهما تنفرد بعدد منها ، وعلى الجملة فإن نسخة « ف » أقدم من حيث التأريخ وأوفى من حيث عدد القصائد ، وتتميّز على « ب » بأنّها تحوي مدائح ابن حمديس في أمراء افريقية بينما تنفرد « ب » ببعض المقطعات وبأنها أصح نصّاً وأكثر ضبطاً . إذ يبدو أن الأصل الذي نقلت عنه صحيح في الجملة . وكلتاهما تحتوي القصائد والمقطعات التي قيلت في الأندلس ؛ ــ أو أكثرها ــ . فإذا أضفنا إلى هاتين النسختين القصائد التي وردت في كتاب الذخيرة لابن بسام اجتمع لنا ثلاث روايات من شعر ابن حمديس تتباعد أحياناً حتى ليستغرب المرء كيف حدث بينها مثل هذا القدر من الاختلاف . وبالمقارنة مع الذخيرة نجد ما يلي :

أ ــ أن بعض قصائد الذخيرة أوفى روايةً من قصائد الديوان .

ب ــ أن هناك قصائد في الذخيرة لم ترد في نسختي الديوان .

جـ ــ أن الرواية في الذخيرة تختلف عن بعض روايات الديوان في أكثر ألفاظ البيت الواحد .

د ــ أن مطلع إحدى القصائد في الذخيرة مطلع لقصيدة أخرى مختلفة عنها

في الديوان (انظر ق : ٣٣٩ و ق : ٣٥) .

ومن الممكن أن نفترض أن رواية الذخيرة هي ما أخذه ابن بسام من شعر ابن حمديس أثناء وجوده في الأندلس ، إما قبل أن يجمع لنفسه ديواناً معتمداً وإمّا من مجموعة لم تصلنا صنعها ابن حمديس في الأندلس أو بعيد فراقه لها . وتمثل « ب » الخطوة الثانية إذ ضمّنها شعره في صقلية والأندلس وبعض أشعاره في افريقية قبل أن يتصل بأمراء بني زيري . ثم كانت الخطوة الثالثة هي « ف » وهي تخلو من بعض المقطعات القديمة وتحوي ما جدّ من شعر ابن حمديس بعد الخطوة الثانية . والسبب في هذا التفاوت يتصل بالتنقيح أولاً وبالنسيان ثانياً ، إذ يبدو أن الشاعر كان يملي من حفظه فقد جاء عند نهاية (ق : ١٠٢) وهي مما انفردت به نسخة « ب »: « هذا ما تعلق بحفظ عبد الجبار من القصيدة » . وكلّ هذا لا يعارض كلام ابن ظافر الذي سبقت الإشارة إليه لأن ابن ظافر إما رأى إحدى هذه النسخ — فالقصيدة التي يشير إليها تنفرد بها نسخة (ب) — وإما أن هناك خطوة رابعة وهي اعتماد ديوان يجمع « أكثر ما تعلق بحفظ » ابن حمديس ، صنعه لنفسه قبل وفاته .

وكان الأستاذ ميشيل أماري قد نشر بعض قصائد ابن حمديس في المكتبة الصقلية اعتماداً على المخطوطة (ب) . وترجم شاك بعض هذه القصائد في الجزء الثاني من كتابه ... Poesi und Kunst ثم تولى الأستاذ جلستينو سكياباريللي ، تلميذ أماري،نشر الديوان عن هاتين النسختين (نسخة الفاتيكان وبطرسبرج) ، واتخذ نسخة الفاتيكان أصلاً لقدمها واستيفائها أكثر القصائد ، واتبع الترتيب الأبجدي المشرقي للحروف ، وزاد في كل حرف ما وجده في « ب » وعارض النسختين ، وأثبت الاختلافات في الهوامش وخرّج بعض الشعر في المصادر مثل نهاية الأرب والخريدة ومطالع البدور والنفح والوفيات والوافي ، وطبع الديوان في رومية سنة ١٨٩٧ . وكان عمله من حيث المنهج التحقيقي جيداً . إلا أن انفراد

نسخة « ف » بكثير من القصائد وامتلاءها بالخطإ ، جعل الديوان المطبوع مليئاً بالأخطاء حتى أصبحت قراءة شعر ابن حمديس وفهم بعض أبياته أمراً عسيراً ، وكان سكياباريللي أميناً على الاحتفاظ برسم الكلمات كما وجدها في « ف » ولم يحاول أن يقيم من ترابطها معنى ، أو حاول ولم يوفق ، كما أنّه لم يستفد في المتن من قراءات « ب » بحيث يقدم للقارىء نصّاً صحيحاً بل اكتفى بإثبات قراءات « ب » في الحواشي .

وحين كنت أعمل في دراسة عن الأدب في صقلية الاسلاميّة كنت أحسّ دائماً أن الديوان يحتاج نشراً جديداً ، أولاً لأنّه طبع منذ عهد بعيد، وثانياً لأنّه في حاجة ماسّة إلى تصحيح . وحين أتيح لي القيام بهذا العمل أبقيت التّرتيب الذي اختاره الأستاذ سكياباريللي ، وحصلت على مخطوطة الفاتيكان وعارضت بها المطبوعة « م »فوجدت « م » صورة أمينة من « ف »؛وكلفت أحد تلامذتي عند سفره إلى موسكو إحضار صورة من نسخة « ب » غير أن الظروف حالت دون وصولها إليّ حتى الآن.ولذلك أثبت من قراءات « ب » التي أوردها الأستاذ سكياباريللي ما يفيد القارىء ويهديه إلى صورة أخرى مقبولة من القراءة؛ وكان هدفي الأول أن أوجد من شعر ابن حمديس نصّاً صحيحاً ، فلم أتوفر على الشرح – إلا قليلاً – وأشرت إلى بعض التغييرات التي أجريتها في الهوامش ، وجمعت بعضها الآخر في جدول مستقل . وأضفت بعض القصائد التي عثرت عليها في مصادر لم يطلع عليها الناشر الأول ، وبذلت في هذا العمل من الجهد ما لا أمنّ باستكثاره حين أجده كثيراً . ولست أنكر أن التوفيق لم يحالفني دائماً في التصويب، وبقيت بعض العبارات والألفاظ لغزاً مبهماً أمام عيني لا أستطيع حلّه .

وحين وقفت من التصحيح عند الحدّ الذي أرتضيه قدّمت الديوان إلى صديقيّ الأستاذ أنطون صادر والأستاذ محمود صفيّ الدين فحملا عبئه بإخلاص فذّ ، وبذلا فيه جهداً منقطع النظير ، وتقبّلا بصدر رحب كلّ ما كنت أرتأيه

من تغييرات جديدة – حين كانت الملازم تروح وتغدو بين بيروت والخرطوم .

فأشكرهما على ما يبذلانه في خدمة الأدب العربي وأعترف بجميلهما وأعتزّ بصداقتهما ، وأتوجّه بالشكر الجزيل للمستشرق الكبير الأستاذ جبرايلي الذي أمدني – مدّ الله في عمره – بمخطوطة الفاتيكان ، وأقدم خالص الثناء والشكر لصديقي الأديب الأستاذ صلاح أحمد ابراهيم الذي قاسمني جزءاً كبيراً من العناء في إخراج هذا الديوان .

جامعة الخرطوم في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠

مراجع المقدمة والتخريجات

أ ـ ترجمة ابن حمديس :

١ – وفيات الأعيان لابن خلكان ط . ١٢٩٩

٢ – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (مخطوطة جامعة القاهرة) .

٣ – الخريدة (القسم الأندلسي) للعماد الأصفهاني (مخطوطة دار الكتب المصرية)

٤ – أخبار الملوك للملك الناصر (ضمن المكتبة الصقلية) .

٥ – مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة دار الكتب المصرية)

٦ – رايات المبرزين لابن سعيد (تحقيق الأستاذ غرسية غومس)

٧ – الفكر الأندلسي لبالنثيا (ترجمة الدكتور حسين مؤنس)

٨ – ترجمة ابن حمديس – للأستاذين مصطفى السقا والمنشاوي ، المطبعة الرحمانية ١٩٢٩

٩ – بدائع البدائه لابن ظافر ط . بولاق .

١٠ – معجم السفر للسلفي (مخطوطة دار الكتب المصرية)

١١ – الوافي بالوفيات للصفدي (مخطوطة أحمد الثالث)

١٢ – عنوان الأريب ج ١ للشيخ محمد النيفر ط . تونس ١٣٥١

١٣ – المكتبة الصقلية جمع ميشيل أماري .

١٤ – أماري : Storia dei Musulmani Di Sicilia. vol. II p p. 592 - 602

١٥ – شاك : Schack : Poesi und kunst der Araber in Spanien und Sicilien : vol. II, 17 - 30

١٦ – Nykl : Hispano - Arabic Poetry, p. 168

ب ـ مراجع عامة أخرى :

١٧ – أعمال الأعلام لابن الخطيب في Centenario di M . Amari

١٨ – تاريخ ابن الأثير ج ٩ ، ١٠

١٩ – تاريخ ابن عذاري – أخبار المغرب ج ١

٢٠ — مطالع البدور للغزولي .
٢١ — نهاية الأرب النويري .
٢٢ — طراز المجالس الخفاجي .
٢٣ — الغيث الذي انسجم للصفدي .
٢٤ — تاريخ ابن خلدون ج ٦
٢٥ — شرح المقامات للشريشي .
٢٦ — معاهد التنصيص للعباسي ط . بولاق .
٢٧ — روض الآداب لشهاب الدين الحجازي (مخطوطة دار الكتب المصرية)
٢٨ — نفح الطيب للمقري ط . بولاق .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وسلم

قال أبو محمد عبد الجبار بن حمديس عفا الله عنه

حرف الالف

١

قال

إلى متى منكمُ هَجْري وإقْصَائي ويلي وجدتُ أحِبّائي كأعْدائي

هُمْ أظمأوني إلى ماءِ[1] اللّمى ظمأً تَرَحّلَ الرّيّ بي منهُ عنِ الماء

وخالفونيَ فيما كنتُ آملُهُ منهمْ وربّ دواءٍ عادَ كالداء

أعيا عليّ ، وعذري لا خفاءَ به ، رياضةُ الصعب من أخلاقِ عذراء

١ في ب : برد .

يا هذه ، هذه عيني التي نظرتْ تبلّ بالدمْعِ إصباحي وإمسائي

من مقلتيك كساني[1] ناظري سَقَماً فما لجسميَ فيءٌ بيْنَ أفيَـاء

وكلّ جَدْبٍ له الأنوَاءُ ماحيةٌ وَجَدْبُ جسميَ لا تمحوهُ أنْوَائي

إني لجمرُ[2] وفاءٍ يُستضاءُ بهِ وأنْتِ بالغدرِ تختارينَ إطفائي

حاشاكِ مما اقتضاهُ الذمّ في مثلٍ قد عادَ بعد صَنَاعٍ نقضُ خرقاء

ما في عتابِكِ من عُتْبَى فأرقبها هل يُسْتَبْدَلّ على سلمٍ بهيْجاء

ولا لوعــدكِ إنجازٌ أفوزُ بهِ وكيف يُرْوِي غليلاً آلُ بيداء

مُؤنّبي في رصينِ الحلم حين هَفَا لم يَهْفُ حلميَ إلا عند[3] هيفاء

دعْ حيلةَ البُرْءِ في تبريح ذي سَقَمٍ[4] إن المشارَ إليه ريقُ لميــاء

مضنى يردّ سلامَ العائداتِ له مثلَ الغريق إذا صلّى بإيماء

كأنّه حينَ يستشفي[5] بغــانيةٍ غيرِ البخيلة يَرْمي الداءَ بالداء

ما في الكواكبِ من شمسِ الضحى عوَضٌ ولا لأسماءَ في أترابِ أسماء

---

١ في ب : من ناظريك سقاني .

٢ في ب : لنجم .

٣ في ب : لولا خصر .

٤ في ب : ذي شغف .

٥ في ب : يستسقي .

٢

وقال أيضاً يصف الشيب ويذكر تشوّقه إلى موطنه بصقلية :

لقـد أظلمَ الشيبُ لمّا أضـاءَ ... نَفَى همُّ شيبي سرورَ الشبابِ
لمّا تحوّلَ عنّي وفـاءَ ... قضيتُ لظلّ الصبا بالزوالِ
ومَن يجـدِ الداءَ يبغِ الدواء ... أتعرفُ لي عن شبابي سُلُوّاً
فأجعلَ للصبح ليلاً غطـاء ... أأكسو المشيبَ سوادَ الخضاب
إذا لم أجِدْ لشبابي وفاء ... وكيفَ أُرَجّي وفـاءَ الخضاب
أطّتْ بليلاً وهبّت رُخاء ... وريحٍ خفيفَةِ رَوْحِ النّسيمِ
على ميّت الأرض تُبكي السماء ... سرت وحياها شقيقُ الحياةِ
كما يسمعُ[١] الفحلُ شولاً رغاء ... فمن صَوْتِ رَعدٍ يسوق السحابَ
بريقَ السيوف تُهزّ انتضاء[٢] ... وتُشْعِلُ في جانبيها البروقُ
فيا غُرّةَ الصبح هاتي الضياء ... فبتّ من الليل في ظلمةٍ

---

١ في ب : كما أسمع .

٢ في ب : هززن انتضاء .

ويا ريحُ إمّا مَرَيْتِ الحيا ورَوّيْتِ منه الربوعَ الظماء
فسوقي إليّ جهامَ السحاب لأملأهنّ من الدمع ماء[1]
ويسقي بكائيَ ربع الصبا فما زالَ في المحل يسقى البكاء
ولا تُعْطِشي طللاً بالحمى تَدَانى على مُزْنَةٍ أو تناءى
وإن تَجْهَلِيهِ فَعِيدانُهُ لظى الشمس تلذَعُ منها الكباء
ولا تعجبي فمغاني الهوى يطيّب طيبُ ثراها الهواءَ
ولي بينها[2] مهجةٌ صَبّةٌ تزودتُ[3] في الجسم منها ذماء
ديارٌ تمشّتْ إليها الخطوبُ كما تتمشّى الذئابُ الضراء
صحبتُ بها في الغياض الأسودَ وزرتُ بها في الكناس الظباء
وراءَك يا بحرُ لي جَنّةٌ لبستُ النّعيم بها لا الشقاء
إذا أنا حاولت[4] منها صباحاً تعرضتَ من دونها لي مساء
فلو أنّني كنتُ أعطى المنى إذا مَنَعَ البحرُ منها اللّقاء
ركبتُ الهلالَ به زورقاً إلى أن أعانقَ فيها ذُكاء

---

١ في ب : جهام الغيوم لأملأها لك بالدمع ماء .
٢ في ب : ولي عندها .
٣ في ب : تذوب .
٤ في ب : طالعت .

٣

وقال في النيلوفر :

تخريجها : ١، ٢ في نهاية الارب ١١ : ٢٢٢
ومطالع البدور ١ : ١١٢ والمسالك .

اشرَبْ على بركة نَيلُوفَرٍ مُحْمرّةِ النوّارِ[1] خضراءِ
كأنما أزهارُهَا أخرجتْ ألسنةَ النارِ من الماءِ

---

[1] المسالك : مصفرة الأوراق . والنهاية والمطالع : محمرة الأوراق .

حرف الباء

٤

وقال يتغزل

زارتْ على الخوفِ من رقيبِ كظبيةٍ رُوِّعت بذيبِ
كافورةٌ في بياضِ لونٍ ومسكةٌ في ذكيِّ طيب
كادت[1] تروّي غليلَ صبٍّ فؤاده منه في لهيب
من ثَغَبٍ باردٍ حصاه منظم اللؤلؤ الشنيب[2]
حتى إذا ما طمعتُ منه بحَسْوة الطـــائر المُريب
ولّتْ فَقُلْ في طلوع شمس قد أخذت عنه في الغروب
كان زمان اللقاء منها أقصر من جلسة الخطيب

---

١ في ب : جاءت .
٢ في ب : الرطيب .

٥

وقال أيضاً

وَدُجُنّةٍ كالنِّقْس صُبّ على الثرى مزّقتُ منها بالسّرَى جلبـــابا
زرتُ الحبائبَ ، والأعادي دونَها كضراغمٍ تُذكي العيونَ ، غضابا
ووطئتُ دونَ الحيّ نارَ عداوةٍ لو كان واطئَها الحديدُ لذابا
بهوًى أشابَ مفـارقي ولو انّه يُلْقى على شرخ الشبابِ لَشابا
في متْنِ ناهبَةِ المـدى يجري بها عِرْقٌ تمكّنَ في النّجار وطــابا
بزَبرجـــديّاتٍ إذا علَتِ الصّفا وقَعَتْ بواطنُهـا عليه صلابا
ونكادُ نَشْرَبُ من تَسامي جيـــدها مــاءً تسوقُ بهِ الرّياحُ سَحَابا
ذعرتْ غرابَ الليلِ بي فكأنّني لأصيدَهُ منها ركبتُ عُقابا
ومُصـــاحبي عضبٌ كأنّ فِرنْــدَه نَمْلٌ مصاحبةٌ عليه ذبابا
فكأنّ شمساً في تألّقِ مائهِ مَجّتْ عليه مَعَ الشّعاعِ رُضَابا
والصّبح قَد دفَعَ النّجوم عُبَابه . أنّهُ سيلٌ يَسُوقُ حبابا

٦

وقال يصف البحر

أراكَ ركبتَ في الأهوال بحراً عظيماً ليس يُؤمن من خطوبهْ
تُسيِّرُ فلكهُ شرْقاً وغرْباً[1] وتُدْفَعُ من صَبَاهُ إلى جنوبه
وأصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي أُمُورٌ ألجأتكَ إلى ركوبه

٧

وقال يتغزّل

فارقتُكُمْ وفراقكُمْ صَعْبُ لا الجسمُ يحمله ولا القلبُ
قُتِلَ البعادُ فما أشيرَ به حتّى تَمزّقَ بَينَنا القرب
أمقيمةٌ والرّكبُ مُرْتَحِلٌ بالصّبرِ عنك تَرَحّلَ الركب
كم ذا يزورُ البحرَ بحرُ أسى في العين منك جُمانُهُ رطب
ما كان نأيي عن ذراك قِلىً فيموتَ بعْد حياتِه الحبّ
إني لأرجو السلمَ من زمنٍ قامتْ على ساقٍ له حرْب
والدهر إن يُسْعِدْ فربّتَما صَلُحَ الجموحُ وذلّل الصعب

[1] الطراز : غرباً وشرقاً .

٨

وقال أيضاً

مَن لي بطيبِ الوصلِ من غادة   وهي كَعابٌ عندها الشيبُ عابْ
تُسَوِّدُ الحنّاءَ في كَفِّهَا   عِشْقاً لمسودِّ عِذارِ الشّباب
كفٌّ من الكافور هذي التي   أرى من المسك عليها خضاب

٩

وقال أيضاً

وَجْدٌ عن الدمع فضّ الختم فانسكبا   بهِ أرَدْتُ خمودَ الجمْرِ فالتَهَبا
وما تَيَقّنْتُ أن الماءَ قبلهما   يكونُ للنــار ما بينَ الحَشَا حطبا

وقال أيضاً

صبٌّ يذوبُ إلى لقاءِ مُذيبِهِ   يَستعذِبُ الآلامَ مِنْ تَعْذيبِهِ

عمّى هواهُ عن الوشاةِ مُكتماً   فجرَتْ مدامعُهُ بِشَرْحِ غريبه

كم لائمٍ والسمعُ يدفعُ لَوْمَهُ   والقلبُ يَدْفعُ قَلْبَهُ بوجيبه

ملكَ القلوبَ هوى الحسان فقل لنا   كيفَ انْتفاعُ جسومنا بقلوبه

وبِمِ السلوّ إذا بدا ليَ مُثْمِراً   خُوطٌ يَميسُ على ارتجاجِ كثيبه

والشوقُ يَزْخَرُ بحرُهُ بِقَبولِهِ   ودبورِهِ وشمالِهِ وجنوبه

وبنفسيَ القمرُ الذي أحيا الهوى   وأماتَهُ بطلوعِهِ وغروبه

قرَنوا بورْدِ الخدّ عقربَ صُدْغه   وذَرَوْا ترابَ المسك فوق تريبه

والعين حَيْرَى من تألّقِ نُورِهِ   والنفسُ سكرَى من تضوّعِ طيبه

في طَرْفِهِ مرَضٌ، ملاحَتُه التي   ألْقَتْ عليّ أنينَهُ بكروبه

أعيا الطبيبَ علاجُهُ ، يا سِحرَهُ   ألَدَيْكَ صَرْفٌ عن علاجِ طبيبه

إني لأذكرُهُ إذا أنْسى الوغى   قلبَ المحبِّ المحضِ ذكرَ حبيبه

والسيفُ في ضرب السيوف بسلّةٍ   في ضحكه ، والموت في تقطيبه

وأقبَّ كاليعسوبِ تركبُ متْنَهُ ... فركوبُ مَتْنِ البحرِ دون ركوبه

مُتَقَمّصٍ لوْناً كأنّ سَوَادَهُ ... غُمِسَ الغرابُ الجَوْن في غِرْبيبه

يرْميكَ أوّلَ وَهْلَةٍ بِنشاطِهِ ... كالماءِ فُضّ الخَتْم عن أنبوبه

بقديم سَبْقٍ يستقلّ ببعضه ... وكريم عرْقٍ في المدى يجري به

وبأرْبعٍ جاءتكَ في ترْكيبها ... بالطّبْعِ مُفْرَغةً على تركيبه

فكأنّ حِدّةَ طَرْفِهِ وفؤادِهِ ... من أُذْنِهِ نُقلتْ إلى عرقوبه

ألْقى على الأرض العريضة أرضَه ... ثم اشتكى ضِيقاً لها بوثوبه

وجزَى ففاتَ البرْق سبقاً وانتهى ... من قبلِ خطفته إلى مطلوبه

فَلِشبهِ دُهمتِهِ بدُهمةِ ليله ... أمْسى يُفتّشهُ بفرْطِ لهيبه

ويرش سيفي بالنجيعِ مصارِعاً ... للأسْدِ يُسْكنها بذيل عسيبه

ومهنّدٍ مثلِ الخليجِ تصفّقَتْ ... طُرُقُ النسيمِ عليه من تَشْطِيبه

ربّتْهُ في النيرانِ كَفّا قَيْنِهِ ... فهو الزّنادُ لهنّ يوم حروبه

وكأنّما في مائِهِ وسعيرِهِ ... نَمْلٌ يسير بسبحه ودبيبه

وإذا أصابَ فذالَ ذِمْرٍ قدّهُ ... ومشَتْ يدي معه إلى مرْغوبه

وكأنّما اقتسم الكميَّ مع الردى ... ليكونَ منه نصيبهُ كنصيبه

١١

وقال أيضاً

طربتُ متى كنتُ غيرَ الطرُوبِ؟ فلم أعْرِ طِرْفَ الصّبامن ركوبِ
فيوْماً إلى سَبْيِ زقّ رَويٍّ ويوْماً إلى صَيْدِ ظبْيٍ ربيبِ
ومهما كبَا بي فمن نشوَةٍ يوافِقُها بين كأسٍ وكوبِ
ليالِيَ بينَ المَهَا غَيْرَةٌ عليّ تخوضُ بهـا في حرُوبِ
ولو أنّ قِدْحَ شبابي أُجِيلَ على الشمس لاختارَها في نصيب
وتَزْحَمُني كُلّ فتّانةٍ بتفّاحةٍ غَلّفَتْها[1] بِطِيبِ
ويُطْلِقُني من عقالِ العناقِ صَباحٌ يُنبّهُ عينَ الرّقيبِ
وفي كَبِدي جرْحُ لحظٍ عليلٍ وفي عَضُدي عضّ ثغرٍ شنيبِ
ورَيحانةٍ أمّها كرمة تَنَفّسُ في كفّ غصن رطيب
مُعتّقة في يَدَيْ راهبٍ على دنّها ختْمُهُ بالصّليب
إذا أمْرَضَتْكَ وخفتَ الصّبُوحَ فَمُمْرِضُها لك غَيْرُ الطبيب

....

[1] في م : علقتها ، واقرأ أيضاً : خلقتها .

تباكرُ من صَرفها شَرْبَة فتاةَ الوثوب عجوزَ الدبيب

كأنّ الحبابَ لهــا جُمّةٌ معممةٌ رأسَهـــا بالمشيب

إذا صُبَّ ماءٌ على صرفها رأيتَ لهُ غَوْصَةً في اللهيب

فتخرجُ من قعرها لؤلؤاً يُنَظّمُ للكأسِ فوقَ التريب

تناولتُها ونسيمُ الرّياضِ ذكيّ النسيمِ عليلُ الهبوب

وغيــدٍ لطائفُ ألحــانها تُنَغّمها لسرورِ الكئيب

فكلّ مُقَمّعَةٍ بالْعَقيقِ من الدرّ أغصانَ كفٍّ خضيب

تُنَبّهُ مُطْــرِقَةً في الحجور تُغْري الأكفّ بشقّ الجيوب

إذا أسْمَعَتْ حسناتِ الغناءِ شَرِبْنا عليها كؤوسَ الذنوب

وَسُودِ الــذوائبِ يسْحَبْنَهَا كَسَعْيِ الأساودِ فوْقَ الكثيب

تَوَافَقُ بالرقص أقــدامُهُنّ يطأنَ بها نَغَماتِ الذنوب

يُشِرْنَ إلى كلّ عضْوٍ بما يَحُلّ به في الهوى من كروب

بَسَطْنا لها ــ وهي مثل الغصونِ تميسُ بهَبّ الصّبا والجنوب ــ

على الأرضِ منا خدودَ الوجوه وبينَ الضّلوع خدودَ القلوب

١٢

وقال أيضاً

في الذخيرة منها الأبيات : ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ وجعل مطلعها قوله :

شفاؤك في نوى تنضي الركابا ونجحك عن سرى تطوي اليبابا

وزاد بعده بيتين وهما :

فلا تقنع من الدنيا بحظ إذا لم تحوه يدك اغتصابا

فشر ليوث [ ] ليث يشارك في فريسته الذئابا

وانفردت الذخيرة بالبيت رقم : ٣٤

ألا كمْ تُسْمِعُ الزمن العتابا تخاطبُهُ ولا يدري الخطابا

أتطمعُ أن يردّ عليك إلفاً وَيُبْقي ما حييتَ لك الشبابا

ألم ترَ صرفه يُبلي جديداً ويتركُ آهلَ الدّنْيا يبَابا

وإن كان الثواءُ عليك داءً فبرؤك في نوًى تُمطي الركابا

وهمّكَ همٌّ مرتقِبٍ أموراً تسيحُ على غرائبها اغترابا

وإن أخا الحزامةِ مَن كَراهُ كَتَحَسوِ مُرَوّعِ الطيرِ الثّغابا

فتىً يستطعمُ البيضَ المواضي ويستسقي اللهاذمَ لا السحابا

فصرِّفْ في العُلى الأفعالَ حزْماً وعزْماً إن نحوْتَ بها الصّوابا

وكن في جانبِ التحريض ناراً ... تزيدُ بنفحةِ الرّيحِ التهابا
فلم يُسمِهِ الحسامَ القينُ إلاّ ... ليصرفَ عند سلّته الرّقابا
ولا ترْغبْ بنفسك عن فلاةٍ ... تخالُ سَرَابَ قيْعتَها شَرابا
فكم مُلْكٍ يُنالُ بخوْضِ هُلْكٍ ... فلا يُبهِمْ عليك الخوْفُ بابا
وقفتُ من التناقضِ مُستريباً ... وقد يقفُ اللبيبُ إذا استرابا
كأنّ الدهرَ مُحْسنُهُ مُسيءٌ ... فما يَجْزي على عملٍ ثوابا
ولو أخذَ الزّمان بكفّ حرّ ... لكان بطبعِهِ أمْراً عُجابا
يَجرُّ عليّ شرْبُ الراحِ همّاً ... ويورثُ قلبيَ الشدوُ اكتئابا
وفي خُلُقِ الزّمان طباعُ خُلْفٍ ... تُمرِّرُ في فمي الشُّهْدَ العذابا
وقد بُدِّلتُ بعد سَرَاةِ قومي ... ذئاباً في الصّحابةِ لا صحابا
وألفيتُ الجليسَ على خلافي ... فلسْتُ مجالِساً إلاّ كِتابَا
وما العنقاءُ أعوزُ من صديقٍ ... إذا خَبُثَ الزمانُ عليك طابا
وما ضاقتْ عليَّ الأرضُ إلاّ ... دَحَوْتُ مكانها خُلُقاً رحابا
سأعتسِفُ القفارَ بِمُرْقِلاتٍ ... تجـــاوزني سباسِبَها انتْهابا
تخالُ حديث أيديها سراعاً ... حثيثَ أناملٍ لقطت حسابا
وتحسبُ خافقَ الهادي وجيفاً ... يظنّ زمامَ مخطمه حُبابا

وأسري تحتَ نجمٍ من سناني | إذا نجمٌ عن الأبْصار غابا
وإن المَبِيْتَ في سَفَرِ المعالي | كمن نالَ المُنى منها وآبا
ويُنجدني على الحدثان[1] عضبٌ | يُذلل[2] قرعه النوَبَ الصعابا
يمانٍ كلما[3] استمطرْتُ صوْباً | به من عارض المهَجات صابا
كأن عليه نارَ القينِ تُذكى | فلولا ماءُ رَوْنَقِـهِ لذابا
كأنّ شعاعَ عين الشمس فيه | وإن كان الفـِرِنْدُ به ضَبابا
كأنّ الدّهْرَ شَيّبَهُ قديماً | فما زالَ النجيعُ لهُ خضابا
كأنّ ذُبابَهُ شادي صَبوحٍ | يحرّكُ ، إن ضربتُ به رقابا
وكنّا في مواطِنِنا كِراماً | تعافُ الضيمَ أنفسُنا وتابى
[ونطلع في مطالعنا نجوماً | تعدّ لكلّ شيطان شهابا]
صبرنا للخطوب على صرُوفٍ[4] | إذا رُمِيَ الوَليدُ بهنّ شابا
ولم تَسْلَمْ لنا إلا نفوسٌ | وأحسابٌ نُكَرّمها[5] احتسابا
ولم تخْلُ الكواكبُ من سقوطٍ | ولكن لا يُبلّغُها الترابا

---

١ في الذخيرة : ويحدو بي على الحدباء .
٢ الذخيرة : يفلل .
٣ الذخيرة : يماني إذا .
٤ المسالك والذخيرة : ضروب .
٥ الذخيرة : تكرمنا .

١٣

وقال أيضاً

هل أقْصَرَ الدهرُ عن تعنيتِ ذي أدبِ ... أو قال حَسْبيَ من إخمالِ ذي حسبِ

لا يلحظُ الحرَّ إلاّ مثلما وَقَعَتْ ... على أخي سيئاتٍ عينُ ذي غضَبِ

وكيفَ يصفو لنا دَهْرٌ مَشَارِبُهُ ... يخوضُها كُلَّ حينٍ جحفلُ النُّوَبِ

إنّ الزمانَ ، بما قاسيتُ ، شيّبَني ... ولم أُشَيّبْهُ ، هذا والزّمانُ أبي

ولو خلا الدّهرُ ذو الأبناءِ من عَجَبٍ ... أكثَرْتُ منه ومن أبنائِهِ عجَبي

قرَأتُ وَحْدي على دهري غرائِبَهُ ... فما أعاشرُ قَوْماً غَيْرَ مغترب

أحلَلْتُ عَزْمي على همّي فقَطّعَهُ ... كأنّ عزميَ من صَمصَامتي الذّربِ

ما قرّ بي السّيرُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... إلاّ كما قرّ جاري الماء في صَبَبِ

ولم أضِقْ في السرَى ذَرْعاً بمعضلةٍ ... قد زاحمتنيَ حتى ضاقَ مُضْطَرَبي

ويرْتَقي حَرُّ أنْفاسي فَأبْعَثُهُ ... برْداً وإنْ كان مُستَبقًى من اللهب

وأحْرِ بالحرّ أنْ تَلْقاهُ ذا جَلَدٍ ... وإنْ تَبَطّنَ داءً قاتلَ الوَصَبِ

١٤

وقال أيضاً

أذبتَ فؤادي ، يا فديتُكَ ، بالعَتْبِ ولو بتَّ صباً ما عَنُفْتَ على صَبِّ

وقاتلتي بينَ الغواني كأنّهـا مصوَّرةٌ بالعينِ في حبّةِ القلب

حياةٌ ، ولكنْ طرْفُها ذو منيّةٍ أما يُتَّقى الموتُ من طرَفِ العضب

شكوْتُ إليها لوعةَ الحبِّ فانثنَتْ تقولُ لِتربيها : وما لوعةُ الحبّ ؟

فقيل : عذابٌ لو أحطتِ بعلمهِ لجدتِ على الصّادي بماءِ اللّمَى العذب

وقاكِ الهوى ، إذ لم تذوقيه ، ضُرَّهُ وهل تُحدِثُ الخمرُ الخُمارَ بلا شرْب

١٥

وقال يصف الخمر بعد مذقها

وجسمٍ له من غيرهِ روحُ لذةٍ سليلِ ضروعٍ أرْضِعتْ حلَبَ[1] السُّحبِ
إذا قبضَ الابريقُ منهُ سُلافةً تقسّمَها الشُّرَّابُ[2] حوليْه بالقعبِ
شربْنا وللإصباحِ في الليلِ غُرَّةٌ تزيدُ اندياحاً بينَ شرْقٍ إلى غرْبِ
على روْضةٍ تحيا بجيّةِ جدْوَلٍ يفيءُ عليهِ ظلّ أجنحة القضب
بأزهرَ يجلو اللهوُ فيه عرائساً كراسيّها[3] أيدي الكِرامِ من الشَّرب
كأنّ لها في الخمرِ حُمْرَ غلائلٍ مزَرَّرةَ الأطواقِ باللؤلؤ الرطب
وكم من كميتِ اللونِ تحسب كأسها لها شفةٌ لعساءُ ذاتُ لمىً عــذب
إذا مزِجتْ لانتْ لنا وتحوّلتْ بأخلاقِها عن قسْوَةِ الجامحِ الصعب
جرَى في عرُوقِ النارِ ماءٌ كأنّما رِضَى السلم منها يتّقي غضبَ الحرب
وإن نالَ منها ذو الكآبةِ شربةً تسرّبتِ الأرواح منها[4] إلى القلب

---

١ في ب : سيل .
٢ في ب : الندمان .
٣ في ف : كراسيه .
٤ في ب : تشربت الأفراح منها .

١٦

وقال أيضاً

أصبحتُ جذلانَ طيّبَ العَرَبَه[١] والكأسُ تهدي إلى الفتى طرَبَه

وذي دلالٍ كأنّ وَجْنَتَهُ من خَجَلٍ بالشّقيقِ مُنْتَقِبَه

في حِجرِهِ أجوفٌ له عُنُقٌ نِيطَتْ بظهرٍ تخالُهُ حَدَبَه

يمُدّ كفّاً إليهِ ضاربةً أعناقَ أحزانِنا إذا ضرَبَه

تحسبُ لفظاً بأختها نغَماً ويودعُ المِسْمعينِ ما حسبَه

قلتُ ألا فانظروا[٢] إلى عجبٍ جاءَ بِسِحرٍ فأنْطقَ الخشَبَه

وقهوَةٍ في الزّجاجِ تحسبُها شُعْلةَ برقٍ في الغيم[٣] ملتهبه

كأنّما الدهرُ من تَقادمِها[٤] أوْدَعَ في طول عمرها حِقبَه

ماءُ عقيقٍ إذا ارتدى زبداً حسبتَ[٥] دُرّاً مجوّفاً حَبَبَه

---

١ في ب : المذبه . والعربة : النفس .

٢ في ب : ألا فاسمعوا .

٣ في ب : في الغيب .

٤ في ف : تقادمه .

٥ في ب : تحسب .

يُسْكِرُ مَن شَمَّهُ بسَوْرَتِهِ[1] فكيف بالمنتشي إذا شربه
وذي حنينٍ تحنّ أنفسُنا إليه مُنقادةً ومنجذبه
يُفْشيهِ ذو حكمةٍ ، أناملُهُ منَغّماتٌ بِزَمْرِهِ ثُقَبَه
يرسلُ عن منخريه من فمِهِ ريحاً لها نغمةٌ من القصَبَه
كأنّ ألحانَهُ الفصيحةَ مِنْ صريرِ بابِ الجِنانِ مُكْتَسَبَه

١٧

وقال يصف ساقية كأس

يا حُسْنَ ساقيَةٍ تمُدّ أناملاً بِعرُوسِ راحٍ في عقودِ حباب
تسقيكَ شمسَ سلافةٍ عِنَبيّةٍ طَلَعَتْ على فلَكٍ من العُنّاب
ومُنبِّهٍ في حِجْرِ مَن شَدَواتُها تَثْني الهمومَ بها على الأعقاب
وكأنّما الأجسامُ من إحسانها مُلِئَتْ بأرواحٍ من الإطرابِ
وكأنّما يدُها فمٌ متكلمٌ بالسحرِ فيهِ مِقْوَلُ المضراب

---

[1] في ف : لسورته .

١٨

وقال أيضاً

لعمري لقد ظَنّوا الظنونَ وأيقَنوا ... ببعضِ إشاراتٍ تنِمّ على الصّبِّ

وقالوا اكشفوا بالبحثِ عن أصل وَجدِهِ ... فلا فَلَكٌ إلا يدور على قُطْبِ

سَلُوهُ وراعوا لفظةً من خِطابِهِ ... لتَعْلَمَ[١] من نجواه ناجيةُ الحبّ

أُناسٌ رأَوْا منّي مخادعةَ الهوَى ... أشدّ عليهم مِن مخادَعَةِ الحرْب

جعلتُ وُشاتي مثلَ صحبي مخافةً ... فلم يطّلِعْ سرّي وشاتي ولا صحبي

يَقَرّ قَرارُ السرّ عندي كأنّهُ ... غريبُ ديارٍ قال في وطنٍ : حسبي

ألا بأبي من جُمْلَةِ الغيدِ واحِدٌ ... فهل علموا ذاك الغزال من السرب

قُتِلتُ ، ولا واللهِ أذكرُ قاتلي ... لأخذِ قصاصٍ منه بينَ يدَيْ ربّي

إذا قيل لي : قلْ من هويت[٢] وما اسمه ... وما سببُ الشكوى وما علّةُ الكرب؟

ضربتُ لهم قوماً بقومٍ فصدّقوا ... ولفظُ لساني غيرُ معناهُ من قلبي

وهل يطمع الواشونَ في سرِّ كاتمٍ ... يريدُ السّهى إمّا أشارَ إلى التربْ

---

١ في ب : لفظة عن جوابه ليعلم .

٢ في ب : من قد هويت .

١٩

وقال أيضاً

عَذّبْتِ رِقّةَ قلبي ظلماً بقسْوَةِ قَلْبِكْ
وَسِمْتِ جسميَ سقماً وما شفيتِ بطبّك
أسخطْتُ كلّ عدُوٍّ رَضِيتِهِ لمُحِبّك
من لي بصبْرٍ جميلٍ على رياضة صعبك
فيا تَشَوّقَ بُعْدي إلى تَنَسّمِ قربك
أمَا ومُرْسَلِ وَحْفٍ يُغْري بتقبيلِ كعبك
وَوَجْنَةٍ غَمَسَتْها في الوَرْد صبغة ربك
لقَد جنحتُ لسلمي كما جنحتِ لحربك
فبالدّلالِ الذي زا دَ في ملاحةِ عُجْبكِ[1]
فُكّي من الأسرِ قلباً عليه طابَعُ حُبّك
ونَعّمِيني بعُتبى فقد[2] شقيتُ بِعَتْبِك

---

١ رواية ب : فبالكمال الذي لا أراه في خلق تربك .
٢ في ب : كما .

٢٠

وقال في باقة يهجوها

وباقةٍ مُستَحسَنٍ نَوْرُهَا　　وقد خلتْ في الشمّ من كل طيبْ

كمعشرٍ راقتْكَ أثْوَابُهُمْ　　وليسَ في جُملتهم من أديب

٢١

وقال في شمع

تخريجها : ١ – ٤ في الذخيرة والمسالك .

قناةٌ من الشّمْعِ مَرْكوزَةٌ　　لها حَرْبَةٌ طُبِعتْ من لهب[1]

تُحرِّقُ بالنّارِ أحشاءَهَا　　فتدمعُ مقلتها بالذهب[2]

تَمَشّى لنا نُورُها في الدّجى　　كما يتمشّى الرّضى في الغضَب

عجبتُ لآكلةٍ جِسْمَهَا　　بروحٍ تشاركها في العطب

---

١ في ب : ذهب .

٢ في ب : باللهب .

٢٢

وقال في نهر

تخريجها : البيتان ٤ ، ٥ في الوافي والخامس
في معاهد التنصيص : ٢٢٣

ولابسٍ نُقَبَ الأعراض ، جوهره   لهُ انسيابُ حُبابٍ رَقْشُهُ الحَبَبُ
إذا الصَّبا زلقت فيه سنابكُها   حسبته مُنْصُلاً في متنه شُطَب
وردتُهُ ونجوم الليل[1] ماثلةٌ   كما تدَحرَجَ دُرٌّ ما له ثُقَب
ومغربٍ طعنتـــه غيرَ نابيةٍ[2] أسنَّةٌ   هي إن حققتها شهب
ومشرقٍ كيمياءُ الشمسِ في يدهِ   ففضةُ الماءِ من[3] إلقائها ذهب

٢٣

وقال يصف رحى

وآخـــذةٍ في دورةٍ فلكيّة   ترى القطبَ منها ثابتاً وهي تضْطرِبْ
إذا أُطْعِمتْ حَبّاً من البُرّ أطْعمَتْ   وقامتْ بأمرِ البِرِّ فهو كما يجبْ
وتحسبها تُلْقي لنا رَمْلَ فِضّةٍ   إذا أدمن الالقاء فيها حصى ذهب

١ هذه هي رواية ب وفي م : الجو .
٢ في الوافي : ثابتة .   ٣ في ب : في .

٢٤

وقال أيضاً

لم يَدْرِ ما ألقى من الحبّ لاحٍ خليّ العينِ والقلْبِ
شوقي وكربي ما درى بهما فإليه يا شوقي ولا كربي
حتى تُقلّبَ قلبَهُ حُرَقٌ ويفرّ من جنبٍ إلى جنبِ

٢٥

وقال أيضاً

كم غريبٍ حنّتْ إليه غريبَهْ وكئيبٍ شجاه شَجْوُ كئيبَهْ
سُلّطتْ كرْبةُ التنائي علينا فعسى فرْحةُ التداني قريبهْ
فمتى نلتقي فتصبحَ منّا كلّ نفسٍ لكلّ نفس طبيبه

٢٦

وقال مجاوباً عن بيتي شعر كتبهما إليه بعض شعراء المغرب ، وكان الرجل المذكور سافر إلى مصر ثم عاد إلى وطنه

كتابك راق الوشيُ من خطّ كاتبهِ ❊ أم الرّوْض فيه راضياً عن سحائبه

أم الفلك الأعلى وفيه دليلُه ❊ نقلتَ إلى الأسطارِ[١] زُهرَ كواكبه

فانّي كَحَلْتُ العين منه بفرقد ❊ توَقّدَ نوراً وهو جار لصاحبه[٢]

ظلعتَ على مصر ونورك ساطع ❊ فقالوا : هلال طالع من مغاربه

وفي المغرب البحر المحيط وقد علا ❊ على نيلِ مصرٍ منه مدّ غواربه

ولمّا انثنى بالجزرِ[٣] أبقى لديهمُ ❊ أحاديثَ تُرْوَى من صنوفِ[٤] عجائبه

فيا فارس الشعر الذي ماتَ قِرْنُه ❊ بموتِ زهيرٍ في ارتجالِ غرائبه

لأصبحتَ مثل البحر يزخر وَحده ❊ وإن كثُرَ الأنهار من عن جوانبه

---

١ في ب : نقلت إلينا منه .

٢ أي أن صاحبه هو الفرقد الثاني فهو والكتاب « فرقدان » .

٣ في ب : بالخير .

٤ في ب : ضروب .

وقال في المغرب [ومدح بها تميماً أمير المهدية ، وتفجع على دخول الروم صقلية]

تخريجها : منها في المسالك البيت : ٣٨ ، ٣٩ وفي الخريدة : ٤٦ والطراز ١٥ ، ١٦ والذخيرة : ١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ والمطالع ٢ : ٢٠١ البيتان : ١٧ ، ١٨

تدرّعْتُ صبري جُنّةً للنوائبِ　　فإن لم تُسالمْ يا زمان[1] فحاربِ

عجمتَ حصاةً لا تلين لعاجمٍ　　ورُضْتَ شَمُوساً لا يذلّ لراكب

كأنّكَ لم تقنع[2] لنفسي بغربةٍ　　إذا لم أُنقّب في بلاد المَغارب

[بلاد جرى فوق البُلادة[3] ماؤها　　فأصبح منه ناهلاً كلُّ شارب]*

فُطِمْتُ بها عن كلّ كأسٍ ولذّةٍ　　وأنفقتُ كنزَ العمر[4] في غير واجب

....

١ في ب : يا زماني .

٢ في ب : تسمع .

٣ البلادة : الحصاة التي يتصافنون بها الماء حين تكون من ذهب أو نحوه .

* هذا البيت زيادة من الذخيرة وكذلك كل ما ورد بين معقفين .

٤ في ب : الصبر . وفي الذخيرة : جل العمر .

يبيت رئاسُ العضب[1] في ثِنْي ساعدي مُعاوَضَةً من جيد غيداءَ كاعب

وما ضاجعَ الهنديُّ إلا مثلّماً مضاربه يوم الوغى في الضّرائب

[إذا كان لي في السيف أنس ألفته فلا وحشة عندي لفقد الحبائب]

فكنت ، وقدّي في الصبا مثل قدّه ، عهدت إليه أن منه[2] مكاسبي

فإن تك لي[3] في المشرفيّ مآربٌ فكم في عصا موسى له من مآرب

أتحسبني أنسَى ، وما زلت ذاكراً[4] ، خيانةَ دهري أو خيانة صاحبي

تَغَذّى بأخلاقي صغيراً[5] ولم تكنْ ضرائبُه إلاّ خِلافَ ضرائبي

ويا ربّ نَبْتٍ تعتريهِ مرارَةٌ وقد كان يُسقى عذبَ ماء[6] السحائب

علمتُ بتجريبي أموراً جهلتها[7] وقد تُجهَل الأشياء قبل التجارب

ومَنْ ظَنّ أمْواه الخضارم[8] عَذْبةً قضى بخلاف الظنّ عند المشارب

ركبتُ النّوَى في رَحْلِ كلّ نجيبةٍ تُوَاصِلُ أسبابي بقطع السباسب

---

١ الذخيرة : السيف .

٢ في ب : أنه من

٣ الذخيرة : فإن كان لي .

٤ في ب : أيحسبني أنسى وقد كنت ذاكراً . وفي الذخيرة : بعيشك أي الفجعتين استربتها .

٥ الذخيرة : قديماً .

٦ في ب : ماء عذب . وفي الذخيرة : حلو ماء .

٧ الذخيرة : جهلت فجربت الذي أنا عالم .

٨ في ب : الزواخر .

قلاصٌ حناهنّ الهزال كأنها حنيّات نَبْعٍ في أكفٍّ جواذب

إذا وَرَدَتْ من زرقة الماء أعيناً وقفْنَ على أرجائها كالحواجب

بصادقِ عزْمٍ في الأماني يُحلّني[1] على أمَلٍ من همّةِ النفس كاذب

ولا سَكَنٌ إلا مناجاة فكرةٍ كأني بها مستحضرٌ كلّ غائب

ولما رأيْت الناس يُرْهَب شرهم تجنّبتُهم ، واخترْت وَحْدَةَ راهب

أحتّى خيال كنت أحظى بزَوْرِهِ[2] له في الكرى عن مضجعي صدّ عاتب

فهل حال من شكلي عليه فلم يزرْ قضافةُ جسمي وابيضاضُ ذوائبي

إذا عَدّ من غاب الشهورَ لِغُرْبةٍ عددتُ لها الأحقابَ فوق الحقائب

[وكم عزمات كالسيوف صوادق تجرّدها أيدي الأماني الكواذب]

ولي في سماء الشرق مطلع كوكب جلا من طلوعي بين زهر الكواكب

[ألفتُ اغترابي عنه حتى تكاثرت له عُقَدُ الأيام في كفِّ حاسِب]

متى تسمع الجوزاء في الجو منطقي تصخْ في مقالي لارتجال الغرائب

وكم لي به من صنو وُدٍّ محافظٍ لذي العيب من أعدائهِ غير غائب

أخي ثقة نادَمْتُهُ[3] الراحَ ، والصبا له من يدِ الأيام غير سوالب

---

١ في ب : في البلاد يحيلني .

٢ في ب : بوصله .

٣ في ب : أخي صبوة . وكلمة « نادمته » غير واضحة في « م » .

معتّقةٌ دعْ ذكر أحقاب عمرها فقد ملئتْ منها أنامل حاسب

إذا خاض منها الماءُ في مُضْمَر الحشا بدا الدرّ منها بين طافٍ وراسب

[ليالِيَّ بالمهديَّتين كأنها اللآلىء مِنْ دُنْياك فوق ترائب]

ليـــالي لم يذهبن إلاّ لآلئـاً نظمنَ عُقوداً للسّنين الذواهب

[إذا شئتُ أنْ أرْمي الهِلالَ بلحظةٍ لمحتُ (تميماً) في سماءِ المناقب]

ولو أنّ أرْضي حُرّةٌ لأتيْتُها[1] بِعزْمٍ يعُدّ السيرَ ضربةَ لازب

ولكنّ أرضي كيف لي بفكاكها من الأسْر[2] في أيدي العلوج الغواصب

[لئن ظفرت تلك الكلاب بأكلها فبعد سكون للعروق الضوارب]

أحينَ تفانى أهلها طوْعَ فتنةٍ يضرّم فيها نارَه كلُّ حاطب

[وأضحت بها أهواؤهم وكأنما مذاهبهم فيها اختلاف المذاهب]

ولم يرحم الأرحامَ منهم أقاربٌ تروّي سيوفاً من نجيع[3] أقارب

وكان لهم جَذْبُ الأصابع لم يكن رواجبُ منها حانياتِ رواجب

حُماةٌ إذا أبْصَرْتَهُمْ في كريهةٍ وضيتَ من الآساد عن كلّ غاضب

إذا ضاربوا في مأزق الضرب[4] جرّدوا صواعقَ من أيديهمُ في سحائب

---

١ الذخيرة : لاتبعتها .
٢ الذخيرة : لا عدمت فكاكها من الأسر .
٣ في ب : من دماء .
٤ في ب : إذا جالدوا في مأزق الحرب .

لهم يومَ طَعْنِ السُّمْرِ أيدٍ مبيحةٌ   كُلَى الأُسْدِ في كرّاتهم للثعالب

تخبّ بهمْ قبٌّ يُطيلُ صهيلُها   بأرْض أعاديهم نياحَ النّوادب

مُؤلَّلَةُ الآذان تحْتَ إلاهمْ   كما حُرّفَتْ بالبري أقلامُ كاتب

إذا ما أدارتْها على الهام خلتَها   تدور لسمع الذكر[1] فوق الكواكب

إذا سكتوا في غمرةِ الموْتِ أنْطقوا   على البيض بيضَ المرهفات القواضب

ترَى شعل النيران في خلج الظبـا   تذيق المنايا من أكفّ المواهب

أولئك قومٌ لا يُخاف انحرافُهُمْ   عن الموت إن خامَتْ أسودُ الكتائب

إذا ضلّ قومٌ عن سبيل الهدى اهتدوا   وأيّ ضَـلالٍ للنّجوم الثواقب

وكم منهمُ من صادق البأس مُفْكِرٍ   إذا كرّ في الاقدام لا في العواقب

له حملةٌ عن فتكتين انفراجُها   كفتكِك[2] من وجهين شاهَ الملاعب

إذا ما غزَوْا في الرّوم ِ كان دخولُهُمْ   بطونَ الخلايا في مُتون[3] السّلاهب

يموتونَ موتَ العزّ في حَوْمةِ الوَغى   إذا ماتَ أهلُ الجبنِ بين الكواعب[4]

حَشَوْا من عجاجاتِ الجهادِ وسائداً   تُعَدّ[5] لهم في الدّفن تحت المناكب

---

١ في ب : تدور على الهامات .

٢ في ب : لها حملة بالسيف والرمح فتكها : كفتكك ، والخريدة : كضربك .

٣ في ب : بطون .

٤ في ف : موت الكواعب .

٥ في ب : أعدت .

فغاروا[1] أفولَ الشهب في حُفَرِ البلى وأبْقَوْا على الدنْيا سوادَ الغياهب

ألا في ضمانِ[2] الله دار بِنُوطَسٍ وَدَرّتْ عليها مُعْصِراتُ الهواضب

أمَثّلُها في خاطري كلّ ساعةٍ وأمْري لها قَطْرَ الدّموع السواكب

أحنّ حنين النيبِ للموطنِ الّذي مغَاني غوانيه إليهِ جواذبي

ومن سار عن أرْضٍ ثَوَى قلبُهُ بها[3] تَمَنّى له بالجسم أوبةَ آيب

1 في ب : فعادوا .

2 في ب : أمان .

3 هذه هي رواية ب وفي الأصل : ومن يك أبقى قلبه رسم منزل .

٢٨

وقال يرثي عمته نضر الله وجهها ، وقد توفيت بسفاقس ، وكتب بها
إلى ابن عمته أبي الحسن علي بن حسين بن أبي الدار الصقلي

خطاب الرزايا [إنّه] جلل الخَطْبِ وَسَلْمُ المَنايا كالخديعةِ في الحربِ
تريد من الأيّام كفّ صُروفها أمنتقلٌ طَبْعُ الأفاعي عن النّسب
وتلقى المنايا وهي في عَرَض المنى وكم أجَلٍ للطير في مَلْقَطِ الحَبّ
تناوَمَ كلّ الناس عمّا يصيبهم وهمْ من رزايا دهرهم سَلَمُ العَضْبِ
بكأسِ أبينا آدمٍ شُرْبُنا الّذي تضَمَّنَ سُكْرَ الموْت يا لك من شرْب!
إذا ورث المولودُ عِلّةَ والدٍ فعدٍّ بهِ عَنْ حيلةِ البرءِ والطبّ
حُتوفٌ على سَرْحِ النّفوسِ مغيرةٌ فقلْ كيف تغدو وهي آمنة السّرْب
يَسُنّ عليه الذِّمْرُ عذراءَ نثرةً تخال بها التأنيث في الذكر العضب
على الجسم منها الذوب إن فاض سرْدها كفيضِ أتِيِّ والجمود على الكعب
ويُصميهِ سهمٌ مُصْرَدٌ ليس يُتّقَى له في الحشا رامٍ تَستّرَ بالحلب
وليس بمعصومٍ من الموْتِ مُخْدَرٌ له غَضَبٌ يبدو بحملاقة الغَضْبِ
كأنّ سكاكيناً حداداً رؤوسها مغرّزة في فيهِ في جانِبَيْ وقْب

فكيفَ نَردّ الموْت عَنْ مُهجاتنا | إذا غلبت منه ضراغمة الغلب
وقاطعةٌ طولَ السُّكاكِ وعرضَه | تُحلّق من بُعْدِ السماءِ على قربِ
إذا برق الإصباح هزّ انتفاضها | من الظلّ أشباهُ العوامل والقضب
مباكرة صَيْدَ الطيور فما ترَى | طريدتَها إلا مخضخضَةَ القعب
وعصمٌ إذا استعصمن في شاهق رَقَتْ | إليها بناتُ الدّهْرِ في المرْتَقَى الصّعب
على أنها تنقضّ من رأس نيقها | على كلّ رَوْقٍ عند قوْع الصفا صلب
سينسف أمْرُ اللهِ شمَّ جبـالها | كما تَنْسِفِ الأرْواحُ مُنْهالةَ الكثب
لكلٍّ حياةٌ ثمّ موتٌ ومبعثٌ | إذا ما التقى الخصمان بين يَدَيْ ربّي
وتُستوقَف الأفلاك عن حركاتها | ويسقُط دريّ النجوم عن القطب
ألم تأتِ أهلَ الشرقِ صرخةُ نائحٍ | يُفيض غروبَ الدمع من بلد الغرب
سقى الله قبراً ثاثراً بسفاقسٍ | سواجمَ يَرْضى الترب فيها عن السحب
فقد عَمّهُ الإعْظامُ منْ قَبْرِ عَمّةٍ | أنوحُ عليها بالنحيب إلى النّحْب
بدمع يمدّ البحرُ في السِّيفِ نحوه | إذا الحزن منه واصل السكبَ بالسكب
ولو آمنُ الإغراقَ أضْعَفْتُ سَحّهُ | ولكنّ قلبي الرطبَ رَقّ على قلبي
برغمي نَعَتْها ألْسُنُ الركب للعلى | فكيف أرُدّ النّعْيَ في ألسن الركب
غريبةُ قبرٍ عن قبور بأرضها | مجاورةٌ في خطّة الطعْنِ والضّرب

كريمةُ تقوى في صلاة تقيمها ... وصوم يَحُطّ الجسمُ منه على الجدب

زكتْ في فروع المكرمات فروعُها ... وأنجبت الدنيا بآبائها النُّجب

ولما عدمنا من بهاليل قومها ... مآتم تبكيها بكينا مع الشهب

حمدنا بكاءَ الزُّهْرِ بنتَ محمّد ... وهل ندبت إلاّ ابنةَ السيد الندب

مضَتْ ولها ذِكْرٌ من الدين والتّقى ... تفسّرُهُ للعُجم ألسنةُ العُرب

أيصبحُ قلبي بالأسى غيرَ ذائبٍ ... وقلبُ الثرَى قاسٍ على قلبها الرّطب

وكنتُ إذا ما ضاق صدري بحادثٍ ... فزعتُ بنجواه إلى صدرها الرحب

وتُذْهِبُ عنّي همّ نفسي كأنّها ... شَفَتْ غُلّةَ الظمآن بالبارد العذب

أهاتفةً باسمي علِيّ تَعَطّفاً ... حنينَ عطوفٍ شقّ سامِعَيّ سَقْب

أبوكِ الذي من غرسه طالت العلى ... وأسْنَدَ عامُ المحْل فيه إلى الخصب

تنَسّكَ في بِرٍّ ثمانينَ حِجّةً ... فيا طولَ عُمْرٍ فيهِ فرّ إلى الرّبِّ

ضَمَمْتُ إلى صَدري بكفّيّ جسمَهُ ... وأسندتُ مُخضرّ الجَنابِ إلى الجنب

تبرّكَتِ الأيدي بتسوية الثرَى ... على جَبَلٍ راسي الأناةِ على هَضْبِ

أغارَ لهم ماءُ الجموم بعبرة ... أم انبَتّ في أيديهمُ كَرَبُ الغَرْبِ ؟

فيا ليتني شاهدتُ نَعشكِ إذ مَشى ... حواليه : لا أهلي حفاةً ولا صحبي

ودَفْنَكِ بالأيدي الغريبةِ والْتَقَتْ ... مع الموت في إخفاء شخصك في حدب

فأبسطَ خدّي فوق لحدك رحمةً وتُسْفي عليه التربَ عينايَ بالهدب

أرى جسمك المرموسَ من روحه عفا وأصبحَ معموراً به جَدَثُ الترب

فلو أن روحي كان كسبي وهبتُهُ لجسمك، لكن ليس روحيَ من كسبي

ولَوْ تُنظم الأحساب يوْماً قلائداً لقلد منها جَوْهَرُ الحسبِ اللّبّ

أبا الحسن الأيامُ تَصْرَعُ بالغِنى[1] وتُعْقِبُ بالبلوى وتخدَع بالحبّ

مصابك فيها من مصابي وجدته وحزنك من حزني وكربك من كربي

فَصَبْراً فلَيْسَ الأجرُ إلاّ لصابرٍ على الدهر إن الدهر لم يخلُ من خطب

ألم ترَ أنّا في نوًى مستمرّةٍ نروح ونغدو كالمصرّ على الذّنْب

فلا وصلَ إلاّ بين أسمائنا الّتي تسافرُ منّا في مُعَنْوَنَةِ الكتب

فدائمة السقيا سماءُ مدامعي لخدي ، وأرض الخدّ دائمة الشرب

---

١ لعلها : بالمنى .

٢٩

وقال أيضاً

فؤادي نجيبٌ والجلالُ نجيبُ فأبْعدُ مطْلوبٍ عليّ قريبُ

وإنْ أجدبَتْ عند الفتاةِ إقامتي فمُرْتَحَلي عند الفلاة خصيب

إذا كانَ عزْمي مثلَ ما في حمائلي فإنّي امروٌ بالصّارِمَيْنِ ضَرُوب

خُذِ العزْم من بَرْدِ السّلُوّ فإنّما هوَى الغيد عندي للهوان نسيب

وبادرْ ولا تهمل سُرَى العيس إنّها لنا خببٌ في النُّجْح ليسَ يخيب

فشهبُ الدّراري وهي علويّةٌ لها طلوعٌ على آفاقها وغروب

ولو لم يكن في العزم إلاّ تَقَلّبٌ ترَى النفسُ فيه سعيها فتطيب

وإن ضاقَ بالحرِّ المجالُ ببلدةٍ فكمْ بلدَةٍ فيها المجالُ رحيب

إذا أنْتَ لبّبتَ العزيمة واضعاً لها الرجلَ في غرزٍ فأنْتَ لبيب

ومنكرةٍ مني زماعاً عرفتُه عدوّكِ يا هذي إليّ حبيب

جرَى دمْعُها والكحلُ فيه كأنّه جمانٌ بماءِ اللاّزورد مشوب

وقالت غرابيبٌ دَرَجْنَ ببَينه[1] سيستدرجُ الأعوامَ وهو غريب

---

[1] قالت إن الغربان قد أنذرت بأنه مفارق .

فما كان إلا ما قضى بالُها به فهل كان عنها الغيبُ ليس يغيب

لقد خمّسَ التأويبَ والعزمَ والسرى وعَودَ الفلا عُودٌ عليه صليب[1]

رمى فأصابَ الهمَّ بالهمِّ إذ رمى هي الكفّ ترْمي أختها فتصيب

وأجرى سفينَ البرّ في لُجّ زئبقٍ من الآل هَزّتْ جانبَيْه جَنُوب

ومستعطفاتٍ بالحداء على السرى إذا رجّعَ الألحانَ فيه طروب

إذا جُلِدَتْ ظلماً ببعض جلُودها تَبَوّع منها في النّجاء ضروب

فللهِ أشْطانُ الغروب التي حَكَتْ مقاودَ عيس مِلْوُهنّ لغوب

ومشحونةٍ بالخوف لا أمنَ عندها كأنّك فيها حيثُ سِرْتَ مُريبُ

كأنّك في ذنبٍ عظيم بقطعها فأنْتَ إلى الرحمن منه تتوب

إذا الشمسُ أحمتْ فيحَها خلت رملها رمـاداً ، وقودُ النّار فيه قريب

ترى رامحَ الرّمضاءِ فيـه كأنّه مُواقِعُ نارٍ واقعته ذنـوب

كأنّ ارتفـاع الصوت منه تَضَرّعٌ إذا لذع الأحشاءَ منه لهيـب

وتحسب أنّ القفرَ حُمّ فماؤه من العرق الجاري عليه صبيب

وما كان إلاّ خير ذخر تعدّه قطاةٌ ، لأرْمَاقِ النفوس ، وذيب

وراعٍ سوامُ الشمسِ لم يَشْوِ وجهه ولا لاح للتلويح منه شحوب[2]

---

١ أي هو العود الصليب الذي أصبح خامساً للأربعة السابقة : التأويب والعزم والسرى والجمل .

٢ من هنا حتى نهاية القصيدة يصف الحرباء .

له لَوْلَبٌ في العينِ ليس يديره لذي ظمإٍ حيث المياه تلوب

رقيبٌ على شمس النّهار بفعله ، أحَيٌّ على شمْسِ النّهار رقيب ؟

إذا نزل الركبانُ طابَ لنفسه على الجمر من حرِّ الهجير ركوب

تَكَوّنُ وسط النّار منه سبيكةٌ من التبر ليست بالوقاد تذوب

خَرُوجٌ من الأديانِ تحسبُ أنّه على كلّ عُودٍ بالفلاة صليب

٣٠

وقال في معنى الزهد

وُعِظْتَ بلمّتك الشائبهْ وفقد شبيبتك الذاهبَهْ

وسبعينَ عاماً ترى شمسَها بعينك طـــالعةً غاربه

فويحك هل عَبَرَتْ ساعةٌ ونفسُك عن زلّةٍ راغبه

فرغت لصنعك ما لا يقيك كأنّك عـــاملة ناصبه

وغـرّتك دنياك إذ فوّضت إليك أمانيّهـا الكاذبه

أصاحبةً خلتها ؟ إنها باحداثها بئست الصّاحبه

أما سلبتْ منك بُرْدَ الشباب؟ فهل يُسْتَبَرَدّ من السالبه

وإنّ دقائقَ ساعاتِهـا لِعُمْرِكَ آكلةٌ شاربه

وإنّ المنية من نحوها عليك بأظفارهـا واثبه

ألمْ تَرَها بحصاةِ الردى لِكلّ حميم لهـا حاصبه

كأنّ لنفسك مغنيطساً غَدَتْ للذنوب به جاذبه

فيا حاضراً أبداً ذنبُـهُ وتوبتُهُ أبـداً غائبه

أذِبْ منك قلباً تُجاري به سوابقَ عبرتك الساكبه

على كلّ ذنبٍ مضى في الصبا وأتعبَ إثباتُه كاتبـه

عسى الله يدرأ عنك العقابَ وإلاّ فقد ذُمّت العاقبه

٣١

وقال يصف عقرباً

تخريجها : الابيات ١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ وردت في نهاية الارب ١٠ : ١٥٠

ومشرعةٍ بالموتِ للطّعْن صَعْدةً فلا قِرْنَ إنْ نادَتْهُ يوْماً يُجيبها

مُداخِلةٌ في بعْضها خلْقَ بَعضها كجوْشن عظم ثَلّمتْهُ حروبها

تذيقُ خفيّ السم[١] من وَخْزِ إبرةٍ إذا لَسَبَتْ ماذا يلاقي لسيبها

وتمهل[٢] بالرّاحاتِ مَن لم يَمُتْ بها إلى حين خاضت في حشاه كروبها

إذا لم يكنْ لونُ البهارةِ لوْنَها فمن يرقانٍ دبّ فيه شحوبها

لها سَوْرَةٌ خُصّتْ بصورةِ ردّةٍ[٣] ترَى العين منها[٤] كل شيء يريبها

وقد نصلت للطعن مَحْنيّ صَعْدَةٍ بشوكةِ عُنّابٍ قتيلٍ زبيبها

ولم ترَ عيْنٌ قبلَها سَمْهريّةً منظمةً نَظْمَ الفرند كعوبها

---

١ النهاية : تذيقك حر السم وفي ب : تذيق الذعاف السم في وخز .

٢ في ب : وتمطل .

٣ النهاية : بمنكر صورة .

٤ النهاية : فيها .

لها طعنةٌ لا تستَبينُ لناظرٍ[1] ولا يُرْسِلُ المسبارَ فيها طبيبهـا
نسيتُ بها قيساً وذكرى طعينهِ وقد دقّ معناها وجلّت خطوبها[2]
يحمل منها مائع السمّ بغتةً نجيعَ قلوب في الضلوع دبيبها
لهـا سقطةٌ في الليل مؤذيةٌ بها إذا وَجَبَتْ راع[3] القلوبَ وجيبهـا
ونَقْرٌ خفيّ في الشخوص كأنّه بكلّ مكان[4] ينتحيه رقيبهـا
ومن كلّ قطر يتّقي شرّها كما تذاءب في جنح الدجنة ذيبها
تجيء كأمّ الشبل° غضبى تَوَقّدَتْ وقد تَوّجَ اليافوخَ منهـا عسيبها
بعينٍ ترى فيها بعينك[6] زرقةً وإن قلّ منها في العيون نصيبها
حكى سرَطاناً خَلْقُهَا إذ تَقَدّمت[7] وقدّمَ قرنيهـا إليه دبيبها
وتالٍ من القرآن « قلْ لنْ يصيبنا » وقد حانَ من زُهْرِ النجوم غروبها
يقولُ وسقفُ البيت يحذفُهُ بها حصاةُ الرّدى يا ويح نفسٍ تصيبها

---

١ في ب : لا يستبين لها دم .

٢ النهاية : وجل ندوبها؛ وقيس يعني قيس بن الخطيم في قوله « طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ».

٣ في ب : مؤذنة بها، إذا وجبت أضنى .

٤ في ب : زمان .

٥ في ب : بأمر السيل .

٦ في ب : فيها النواظر .

٧ في ب : إذ تحركت .

فصَبّ عليهـــا نعلَهُ فتَكَسّرَت من اليبس تكسيرَ الزّجاج جنوبها[1]

عدوّ من الانْسان يَعْمُرُ بيتَهُ فكيف يوالي رقدة يستطيبهـــا[2]

ولولا دفاعُ الله عنّـــا بلطفهِ لَصُبّتْ من الدنْيا علينا[3] خطوبها

٣٢

وقال في معنى القناعة والثقة بالله

كُنْ واثقـــاً بالله سبحانه فهو الذي يصرفُ عنك الخطوبْ

واصرفْ إليه الوَجْه عن مَعْشرٍ قد صرّفوا عنك وُجوهَ القلوب

---

١ في ب : جيوبها .

٢ في ب : فكيف وأنى فكرة يستطيبها .

٣ في ب : علي .

٣٣

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز[١]

أشهابٌ في دجى الليل ثَقَبْ أم سراجٌ نارُهُ ماءُ العِنَبْ

أم عروسٌ فوق كرسيٍّ يدي يجتليها اللهوُ في عقدِ الحبب

يا شقيقَ النفس ، أنفاس الصَّبا بَرَدَت،والصبح لا شكَّ اقترب

قمْ أمتِّعك[٢] بعيشٍ لمْ تَقَعْ في صفاءٍ منْهُ أقذاءُ النّوب

فلقد حانَ لضوءِ الفجر[٣] أنْ يضربَ السرحانُ فيه بذنب

فأدِرْها تحْتَ ليْلٍ سَقْفُهُ ظلمةٌ فيها من النور ثُقَبْ[٤]

أو على برقٍ سماءٍ[٥] ضاحكٍ غيمُهُ بالدّمْع منه منسكِب

سَكِرَ الرّوضُ وغنّى طيرُهُ أفلا ترقصُ قاماتُ القُضُب

هات دُرّاً فيه ياقوتٌ وَنحُذْ جسمَ ماءٍ حاملاً روحَ لهب

قهْوَةً لو سُقِيَتْها صخرةٌ أورقتْ باللّهو منها والطّرب

---

١ في نسخة ب : وقال يمدح السلطان أبا الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية .

٢ في ب : قم بنا ننعم .

٣ في ب : الصبح .

٤ في ب : نقب .

٥ في ب : سناه .

يجذبُ الرّوحَ إليه روحُها ألطف الشيئين عندي ما انجذب

وُلِدَتْ بالشّيبِ في عنقودها وهيَ اليومَ عجوزٌ لم تشب

كلّما مَوّجَهَا المزنُ أرَتْ حَبَبَ الفضّةِ في ماءِ الذهب

ما درى خمّارُها عاصِرَها فحديثُ الصدق فيها كالكذب

خندريسٌ عُتّقَتْ في أجوَفٍ من دم العُنقودِ مملوءٍ نُخَبْ

واضعٌ كفّيه في أخصارهِ وقيامٌ في قعودٍ قد وجب

دفنوا اللذّةَ فيها حيّةً وأتى الدّهرُ عليها . . وذهب

ظَنّهُ كنزاً فلمّا انْتَسَبَتْ منهُ للأنْفِ دَرَى ذاك النسبْ[1]

قلتُ إذ أبرَزَها في قعبه : أهْيَ بنت الكرم أم أمّ الحقب

قتلتني وهي بي مقتولةٌ صولةُ الميت على الحيّ عجب

كيفَ لا تصرعُني صَوّالةٌ وهي منّي في عروقٍ وعصب

ومليح الدلّ إنْ عَلّ بهـا قلتَ نجمٌ في فمِ البدر غرب

شعشعَ القهوةَ في صوب الحيا وسقاني فضلةً مما شرب

فتلاقى في فمي من كأسِهِ ماءُ كَرْمٍ وغمامٌ وَشَنَبْ

وشدا من مدح يحيى نَغَماً هزّ منه الملكُ عِطفيه طَرَب

---

١ في ب : ذاك السبب .

مِنْ مُعِزِّ الدّين في الفخر له خيرُ جَدٍّ ، وتميمٌ خيرُ أب

مَنْ له وَجْهُ سَماحٍ سافراً[1] أبداً للمجتدي لا ينْتقب

مَلِكٌ عن ثُغْرَةِ الدّين اتّقى ورمى الأعداءَ بالجيش اللجب

في سرير الملك منه قمرٌ يُجْتَلى يوْم العطايا بالسحب

طاهرُ الأخلاق مألوفُ العلى طيّبُ الأعراق مصقول[2] الحسب

عادلٌ تعكف بالحمد على ذكره أفواهُ عُجمٍ وعرب

سالبٌ منه الندى ما سَلَبَتْ من أعاديه عواليه السُّلُب

في نصابٍ لم يزل من حِمْيَر مُعْرِقاً في كلّ قوْمٍ مُنْتَخَب

بُهَمٌ إنْ ذُكِرَ الجيشُ بِهِم هالَ منه الرعبُ واشتدّ الرّهَب

والحديدُ الصلبُ لولا بأسُهُ لم يخَفْ في الطعنِ من لين القصب[3]

أثبت[4] الإقدامُ في أنفسِهم أنّ مُرّ الضّرْبِ حُلْوٌ كالضَّرَب

يتّقي فيضَ النّدى مَنْ كَفّهُ عيل منه لدغ دهر ينتهِب

وإذا ما ضحكت سنّ الرضى منه لم يُخْشَ عبوس[5] في الغضب

---

١ في ب : سافر .
٢ في ب : مرفوع
٣ في ب : العصب .
٤ في ب : أنبت .
٥ في ب : عبوساً .

كلّ قطر منه يلقى مشرباً من جسداه ولقد كان سرب
يحسب الطودَ حصاةً حِلْمُهُ وتظنّ البحرَ نعماهُ تُغتَب
نالَ أهلُ الفضل منه فضلَهُمْ ومن الشمس سنا نور الشّهب
تتّقي الأعداءُ منه سطوةً وهو في ظلّ عـلاه مُحتجب
والهصورُ الوردُ يُخْشى وثبُهُ وهو في الغيلِ مقيمٌ لم يثب
كم فمٍ طابَ لنا من ذكره فهو كالمسكِ ، وكم ثغر عَذُب
وكأنّ[1] الرّوضَ في أوْصافِهِ تُغْمَسُ الأشْعار فيه والخطب
ثابتٌ كالطود في معترَكٍ جائلِ الأبطال خفّاقِ العذَبْ
ورؤوسٌ بالمواضي تُختَلَى ونفوسٌ بالعوالي تُنتهب
كم شجاعٍ خاض في مهجته بسنانٍ في الحيازيم رسب
قلمٌ يمشقُ في الطّعْنِ فَقُلْ أمَحَا العيشَ أم الموتَ كتب
أيها الواصلُ من إحسانِهِ سبباً من كلّ منبتِّ السبب
ربّ رأيٍ لك جَهّزْتَ به جحفلاً ذاقَ العدى منه الشجب
كنتَ يوم الحرب عنه غائباً وَظُبَى نَصْرِكَ فيه لم تَغِبْ
كالّذي يَلْعَبُ في شطرنجه رأيُهُ عنه تَخَطّى في اللّعب

---

[1] في ب : فكأن .

أنا مَنْ صاحَ به يومَ النوى عن مغانيه غرابٌ فاغترب

طفتُ في الآفاق حتى اكتهلَتْ غُرْبَتي واحتنكت[1] سنّ الأدب

ثمّ أقبلتُ إلى المَلْكِ الّذي مَدّ بالطَّوْلِ على الدنيا طُنُب

مَنَح العلياء كَفّيْ ناقِـدٍ فانتقى الدرّ وأبقى[2] المخشلب

فلَعَلّي ببقـايا عُمُري منه أقضي البعضَ من حقٍّ وَجبْ

1 في ب : وَاكتهلت .
2 في ب : وأنفى .

٣٤

وقال يمدح [يحيى بن تميم بن المعز]

لها العَتْبُ ، هذا دأبها وَلِيَ العُتْبَى سلمتُ من التعذيب لو لم أكن صَبّا

رأى عاذلي جسمي حديثاً فرابه ولم يَدْرِ أني قد رعيت به الحُبّا

وكيف ونفسي توثِرُ الغصنَ والنقا وتهوى الشقيقَ الغضّ والعنبَمَ الرطبا

وذاتِ دلالٍ أعْجَبَ الحسنَ خَلْقُها فهزّ اختيالُ التّيه أعطافَها عُجبا

يكادُ وليدُ الذرِّ يجرحُ جسمَهَا إذا صافحتْ منها أنامله الإتبا[1]

فتاةٌ إذا أحسنتُ في الحبِّ أذنبَتْ فمن أين لولا الجورُ تُلْزِمُني الذنبا

وإني لصعبٌ والهوى راضني لها وغيرُ عجيبٍ أن يروضَ الهوى الصعبا

سريعةُ غدرٍ سيفها في جفونها وهل لك سلمٌ عند من خُلِقَتْ حربا

وروضة حسنٍ غَرّدَتْ فوقَ نحرها عصافيرُ حَلْيٍ تلقطُ الدرّ لا الحَبّا

وألحقها بالسرب جيدٌ ومقلةٌ وإن لم يناسِب دُرُّ مبسمها السربا

لها من فتونِ السحر عينٌ مريضةٌ تحلّبُ من أجفانها الدمع والكربا

شربتُ بلحظي سكرةً من لحاظها فلاقيت منها سَوْرَةً تشربُ اللبّا

---

١ الاتب : قميص بلا كمين تلبسه المرأة .

وإني لصـادٍ والزلالُ مبرَّدٌ لديَّ ، وإن أكثرت من صفوه شربا
فمن لي بودقٍ مُطفىءٍ حرّ غُلّتي أباكرُ طلاً من أقاحيّه عذبا
وقالوا أما يسليكَ عن شغَفِ الهوَى ومن ذا من السلوان يَسْلُكُ بي شِعْبا
وأنفاسها أذكى إذا انصرف الدجى وريقتُها أشهى ومقلتها أسبى
وحمراءَ تُلْقَى الماء في قيد سكرِه ويطلق من قيد الأسى شربُها القلبا
تَوَلَّدَ في ما بين ماءٍ ونارِها مُجَوَّفُ دُرٍّ لا تطيقُ له ثقبـا
قستْ ما قستْ ثم اقتضى المزجُ لينَها فكم شرَرٍ في الكأسِ رشّتْ به الشربا
وذي قتلةٍ بالراح أحييتُ سمعه بأجوفَ أحيته مُميتَتُهُ ضَرْبا
فهَبَّ نزيفـاً والنّسيم معطّرٌ فما خلتُهُ إلاّ النّسيمَ الّذي هبّا
شربنا على إيماضِ برقٍ كأنّهُ سنا قبسٍ في فحمةِ الليل قد شبّا
سرَى رامحاً دُهْمَ الدياجي كأبلَقٍ له وثبةٌ في الشرق يأتي به الغرْبا
كأنّ سياطَ التبر منه تطايرتْ لها قِطَعٌ مما يسوق بها السُّحْبا
إذ العيْش يجري في الحياة نعيمُهُ وذيلُ الشبابِ الغضّ أركضهُ سَحْبا
ليالِيَ يندّى بالمنى لي أمانُها كأيّام يحيى لا تخاف لها خَطْبا
سليلُ تميم بن المعزّ الذي له مطالعُ فخرٍ في العلى تُطلعُ الشّهبا
هو الملك الحامي الهـدى بقواضبٍ قلوبُ العدى منها مقلَّبةٌ رعبا

إذا ما الحيا روّى ليسكب صَوْبَهُ رأيتَ ندى يمناه يبتدرُ السكبا
بنى من منار الجود ما جَدُّهُ بنى وذبّ عن الإسلام بالسيف ما ذبّا
وجَهّزَ للأعــداءِ كلّ عرَمرَمٍ يغادرُ بالأرماح أرواحهم نهبا
كتائبُ يعلوهـــا مُثَارُ قتامها كما نَشَرَتْ أيدٍ مرسّلة كتبا
وتفشي سريراتِ النفوسِ حماتها بجهدِ ضرابٍ يصرعُ الأسُدَ الغلبا
إذا ما بديعُ المدحِ ضاقَ مجاله على مَادحٍ ألفاهُ في وصفه رَحْبا
ثناءٌ تخال الشمسَ ناراً له وما على الأرضِ من نَبتٍ له منزلاً رطبا
سميعُ سؤالِ المُجتْدي غيرَ سامعٍ على بَذْلِ مالٍ من مُعاتِبه عتبا
ومن ذا يرُدّ البحرَ عن فَيْضِ مَدّهِ إذا عَبّ منـــه بالجنائب ما عَبّا
إذا ما أديرتْ بالسيول من الظُّبى رحى الحرب في الهيجاء كان لها قطبا
شجاعٌ له في القِرْن نجـــلاءُ ثرّةٌ يُجَرّرُ منْها وهو كالشّمِلِ القُضْبا
يُطيرُ فراشَ الرأس مَضْرِبُ سيفه وعاملُهُ في القلب يحترشُ الضبّا[1]
يخوضُ دمَ الأبطال بالجرد في الوغى فيصدِرها وَرْداً إذا وردت شهبا
عليمٌ بأسرار الزّمان فراسةً كأنّ لها عيناً تريه بها العُقبى
قريبٌ إذا ساماه ذو رفعةٍ نأى بعيدٌ إذا ناداه مستنصرٌ لبّى

١ أي ان رمحه يخرج الحقد من مكمنه في القلب .

يُشرّد من آلائهِ الفقرَ بالغِنى ويقصدُ من آرائه بالهِنَا النُّقْبا[1]

يطوّقُ ذا الجُرْم المخالفِ مِنّةً ولولا مكانُ الحلم طَوّقَهُ العضبا

يَعُدّ من الآباءِ كلّ متوَّجٍ نديمَ المعالي مُلّكَ المال والتّربا

لهمْ كلّ مرتاعٍ به الروعُ مُعْلَمٌ إذا الحربُ بالأرماح ناجزتِ الحربا

مضرّمٍ هيجا ، في طويّةِ غمده من الفتك ما يرضي منيّتها الغضبى

إذا حاولوا قَضْبَ الجماجم جرّدوا لها وَرَقاً ينبتن في النار أو قُضبا

وإن رُفعت فوق المفارق صَيّرَتْ دبيبَ المنايا من مضاربها وثبا

لقد أصبحتْ ساحاتُ يحيى كأنّما إليه نفوسُ الخلق منقادةٌ جذْبا

ربوعٌ بعثتُ الطرفَ فيهنّ خاشعاً وإن كان بُعْد العزّ يمتنح القربا

فلا همّةٌ إلا رأيتُ لها علًى ولا أمّة إلا لقيت لها ركبا

---

١ في م : بالمنى النعبا ؛ وقد غيرته استئناساً بقولهم في المثل : يضع الهناء مواضع النقب .

وقال يمدح أبا يحيى الحسن بن علي بن يحيى المتقدم ذكره

بسلمى ، جرّ أذيالَ الصبّا وتصابى وأوجفَ خيلاً في الهوى وركابا
وهزّ قناةً تحت برديْه لدنةً تلينُ وتنــدى نضرةً وشبابا
وجاولَهُ قِدْحُ الهوى إذ أجالَهُ من الرّبربِ الساجي العيونِ وثابا
قطعتُ زماني بالشّمول مُسِنّةً ، وبالرّوضِ كهلاً ، والفتاةِ كَعابا
وكنتُ أعيبُ اللهوَ فيهــا ولا أرى عليّ هواها في التعفف عابا
وأركبُ عزّاً صهوتي وهي مهرةٌ أساور منها بالشّباب شبابا
وغيْداءَ رُؤْدٍ قادني نحوها هوًى تنسّمتُ منــهُ في الهواء مَلابا
مضيّعَةٍ للطّيبِ تحسبُ أنّهــا تُطيّبُ من مسك التّريب ترابا
وما صابني إلا مريجٌ بضربةٍ[1] تكون سؤالاً للرّضى وجوابا
فبتّ كسرٍّ في حشا الليل داخلٍ على حبّة القلب المَصون حجابــا
كأنّ الدّجى من طوله كان جامــداً فلمّا تنازعنــا التحية ذابا
فقلْ في ظلامٍ طالَ ثم بدا له فقد أبْصَرَتْ منْهُ العيونُ عُجابا

---

١ المريج : الغصن ، الضربة : المطرة الخفيفة .

كأنّي بشطرٍ منــه ثوّرتُ باركاً كسيراً ، وشطراً قد أطرتُ غرابا

رعيتُ الصِّبا حتى ذوى ورَقُ الصِّبا ولم يُبْقِ في عمري المشيبُ شبابــا

وحتّى اغتدَى زَنْدي شَحاحاً بقادحٍ وأضحى جنَاحي في النّهوض ذُبابا

وقاطعِ أجوازِ الفيافي مُرَوَّعٍ بدهرٍ رمــاه بالخطوب ورابا

يناجي بها في الليل سِيداً [عملّساً] ويصحب هيْقا بالنّهـــار وجابا

بريحٍ جنوحِ الرحل يُمْسي هبوبها نجاءً لها ملءَ الدجى وهَبابا

أبنتَ الجديل القاطعِ البيد جدّلي سباسبَ من غَوْلِ الفـــلا وظِرابا

إذا ما النّوَى ألقتْ عصايَ محبّةً تجنّبَ لي صرفُ الزمان جنابا

وسُرْبِلْتُ إحساناً من الحَسَنِ الذي هَمَى الجودُ من كلتا يديه وطـــابا

هو الملكُ الحامي الهُدى من ضلالةٍ ففلّ لها ظفراً وهتّمَ نابــــا

غـــدا كعبُهُ في كفّة الملك عـــالياً وَمُلّكَ من أهل الزّمـــان رقابا

وأضحى لقومٍ مذعنينَ بعَدْلِهِ نعيماً ، وقومٍ مجرمين عـــذابا

إذا عُدّتِ الأحْسابُ عُـــدّ نجارُهُ له حسباً بين الملوك لبـــابا

توَقّدَ إقـــداماً وفاضَ سماحةً وهُذّبَ أخـــلاقاً وطاب نصابا

من السادة الغُرّ الأولى ملكوا الورى وأعطاهم الدّهرُ الأبيُّ جنَـــابا

غطـــارفةٌ مِثْلُ الجبال[1] حُلومُهُمْ تكونُ لهم شمُّ الجبال هضابا

---

[1] في م : صيل الجبال ، وفي الأصل الخطي : صيد جبال ، وهذه الثانية مقبولة .

إذا غضبوا لله أرضاك فتكُهُم وأفتك ما تلقى الأسود غضابا

وإن جزموا الاعمار في الحرب صيروا عواملَهم في الـدّارعين حرابا

وتحسبهم تحت السوابغ والقنـا ضراغمَ شقّتْ في العرين سرابا

مفيدٌ مبيدٌ في سبيليه جاعلٌ مذاقة شهدٍ لـلأنام وصابا

كأنّ زمـانـاً تائباً مِنْ ذنوبه رأى عَدْلَهُ أو خافَ منه فتابا

إذا منعَ الأملاكُ نائِلَهُمْ سخا وإنْ أخطأوا وَجْهَ الصّوابِ أصابا

كثيرُ وفودِ القَصْدِ لم تكفِ دجلةٌ بساحتـه لـلآكلين شرابـا

تُفيضُ العطايا بالأماني يمينُهُ فتحسبُ فيهنّ البحورَ ثغـابا[1]

وجيشٍ تخالُ الشدْوَ في جَنَباته إذا صاهلتْ فيه العِرابُ عرابا

إذا أسفرتْ من نقعه الشهب في دجىً رأيت لوجه الشمس منه نقابا

تحطّمُ مُرّانَ الرّماحِ كماتُهُ طعاناً وأوراقَ الصفاح ضرابا

وتحسبُ أنهاءً[2] مُلْثِنَ عليهمُ حبائكَ من نسج الصَّبا وحبـابا

أرونيَ منكم راجياً رَدّ قاصـداً إلى قصده وَجْهَ الرّجاءِ فخابا

ولا تعتبوهُ في الشفاعة والنّدى فلن تجعلوا نقلَ الطباعِ عتابا

---

١ الثغاب : بقايا المياه في الوادي .

٢ الأنهاء : جمع نهي وهو الغدير شبه الدروع بها .

ولو خضبَ الأيدي نداهُ رأيتمُ — لكلّ يدٍ بالتبرِ منْه خضـابا

يَردّ لسانُ العضب عند سكوته — إلى هـامةِ المقدام عنه خطـابا

فيا ابن عليّ أنت شبلٌ حَمَى الهدى — وأنبَتَ حوليه الذوابلَ غـابا

جعلت نيوبَ الثّغْرِ زُرْقَ أسنّةٍ — فلم تجنِ زُرْقُ الرّوم منه رضابا

ولو نظم الديماسُ منثورَ هامهم — لقلّدَ جيدَ القصرِ منه سخابا

فللدين عيدانٌ من النبع جُرّبَتْ — بِعَجْمٍ فألفاها الصليبُ صِلابا

طلعتَ لنا بدراً شموسَ طلاقةٍ — تلفّ عليهـا راحتاه سحابا

فحالفكَ النّصرُ العزيزُ الّذي بهِ — تغادرُ آسادَ الحروب ذئابـا

ولا زلتَ عيداً للورى غيرَ ذاهبٍ — إذا العيدُ ولّى بالزمانِ ذهابا

٣٦

وقال يمدح

تخريجها : في الخريدة منها ٢٢ — ٢٧ ، ٣٠ — ٣٣ ، ٣٥ — ٤٤ ، ٤٦ — ٥٢،
وبين ٣٩ — ٤٠ بيت زائد وهو :
لما تفوز ونيله فوق المنى
من حسن وجهك عينها بنصيب

من كان يَعْذُبُ عنـدها تعذيبي — أنّى ترقّ لعبرتي ونحيبي

من أين يعلم من ينـام مُسلَّماً — حُمَةً تؤرِّق مقلة الملسوب

أتدبّ في جفنيه طائفة الكرى — وعقاربُ الأصـداغ ذاتُ دبيب

وتنـام في ورد الخـدود ولدغها — متسرّب من أعينٍ لقلوب

وكأنّما سَمٌّ مُذيبٌ مِسْكُها — أيذيبني والمسكُ غير مُذيب

كيف السّبيل إلى لقـاء غريرة — تلقى ابتسام الشّيب بالتقطيب

من أين أرجو أن أفوز بسلمهـا — والحرب بين شبابها ومشيبي

ما حبّ شمس عنك تغرب في القلا — من أنجم طلعت بغير غـروب

قالت لمنشدها نسيبي : ما له — ليس . النّسيب لمثله بنسيب

فإلام يُنشدني تغزّلَ شاعر — ما كان أولاه بوعظِ خطيب

يا هذه أصَدَّى دَعَوْت مُرَدَّداً ليجيبَ منك فكان غير مجيب

ليتَ التفاتي في القريض أعرتِهِ حُسْنَ التفـــاتك رحمةً لكئيب

وذكرتِ من ضَرْبِ المرقّل صيغةً بمرقّل من ذلكَ المسحوب

وعسى وعيدُك لا يضيرُ فلم أجِدْ في البحر ضرباً مؤلمَ المضروب

إنّ الزمانَ أصابني بزمـــانةٍ أبلت بتجديد الحياة قشيبي

ففنيتُ إلاّ ما تطالعُ فكرتي بالحذق من حِكَمي ومن تجريبي

ووجدتُ علم الشعر أخفى من هوًى لم تُفْشِهِ عينٌ لعين رقيب

ومدائحُ الحسنِ المبخَّرَةُ التي فَغَمَتْ بطيبِ الفخر أنفَ الطيب

ذو همّةٍ بَذَلَ الندى وحمى الهدى بمهنّدٍ ذَرِبٍ بكفّ ضَروب

حامي الحقيقةِ عادلٌ لا تتّقي في أرضه شاةٌ عداوةَ ذيب

ملكٌ غدا للعيد عيداً مُبْهجاً هُمُعُ العلى حوليه ذات ضروب

وَرَدَ المصلّى في جلالٍ مُعَظَّمٍ ووقارِ مختشع وسمتٍ[1] منيب

بعرمرم ركبت لإرجال العدى عقبانُ جوٍّ فيه أُسْدَ حروب

عُقِدَ اللواءُ به على ذي هيبةٍ حالي المناسبِ بالكرامِ حسيب

والبُزْلُ تجنحُ بالقبابِ تهادياً عَوْمَ السفينِ بشمألٍ وجنوبِ

---

١ في م : وسبت ، وقد آثرت رواية الخريدة .

مِن كلِّ رَهْوٍ في القيادة مَشْيُهُ ... نَقَلَ الخطى منه على ترتيب
وكأنّما تعلو غواربها رُبى ... روضٍ بثجّاج الحيا مَهْضوب
ونجائبٍ مثلِ القسيِّ ضوامرٍ ... وصلت بقطع[1] سباسب وسهوب
من كلِّ مختصرِ الفلاةِ بِمُعْجلٍ ... فكأنها إيجازُ لفظِ أديب
يرعى الفلا بفمٍ وترعى نحضَهُ ... من مِنسَمٍ للمَرْوِ ذي تشذيب
ومطلة في الخافقين خوافقٍ ... كقلوب أعداء ذواتِ وجيب[2]
من كلِّ منشورٍ على أفق الوَغى ... مسطورُهُ كالمُهْرَقِ المكتوب
جاءت تُتَرِّبُهُ العتاقُ بِنَقْعِها[3] ... والريح تنفضه من التتريب
أو كلِّ ثعبانٍ يُناطُ بِقَسْوَرٍ ... بين البنودِ كَمُحْنَقٍ وغَضُوب
صُوَر خُلِعْنَ على الموات فخيلت ... فيها الحياةَ بسورةٍ ووثوب
وفغرْنَ أفواهاً رحاباً عُطِّلَتْ ... أشداقُها من ألْسُنٍ ونيوب
من كلِّ شخصٍ يحتسي[4] من ريحه ... روحاً يحرِّك جسمَهُ بهبوب
وترى بها العنقاءَ تنفضُ سِقْطَهَا ... في نَفْنَفٍ للحائمات رحيب
وصلتْ ذُرى المهديّتين وهاجرتْ ... وكراً لها بالهند غيرَ قريب

---

١ الخريدة : صوارم خلقت لقطع .

٢ في هذا البيت والأبيات التالية حتى البيت ٣٩ يصف الشاعر الرايات وما عليها من تصاوير .

٣ الخريدة : بركضها .

٤ الخريدة : جسم يحتشي .

وصواهلٍ مثلِ العواسل عَدْوُهَا أبداً لحربِ عدوِّك المحروب

مِنْ كلّ وَرْدٍ ما يشاكلُ[1] لونَهُ إلاّ توردُ وَجْنَةِ المحبوب

وكأنّما كَنَزَتْ ذخيرةُ عِتْقه منه عبابَ البحر في يعبوب

أو أدهمٍ داجي[2] الإهابِ كأنّما صَبَغَ الغرابَ بلونه الغربيب

أرساغُهُ دُرَرٌ على فيروزجٍ لان الصفا من وَقْعِهِ لصليب

يعدو ولا ظـلٌ[5] له فكأنّهُ برق فيا للبرق من مركوب

أو أشهبٍ مثلِ الشهاب ورجْمِهِ شخصَ المَريدِ بِمُحرقٍ مشبوب[3]

لا فرقَ ما بينَ الصباح وبينه إلاّ بعَدْوٍ منه أو تقريب

أو أصفرٍ مثل البهار مغيّرٌ[4] بسواد عَرْفٍ عن سواد عسيب

أو أشْعَلٍ للونٌ فيه شُعْلَةٌ تُذْكى بريحٍ منه ذات هبوب

وكأنّهُ مِرْداةُ صخرٍ حطّهُ من عَلْوَ سيلٌ ماجَ في تصويب

وكأنّما سَكِرَ الكميتُ بلونه فلَهُ بمشيته اختيالُ طروب

وكأنّ حـدةَ طرفه وفؤاده من خَلْقِهِ في الأذن والعرقوب

---

١ الخريدة : يشابه .

٢ الخريدة : أحوى .

٣ الخريدة : ورحمه صافي الضلوع أقب كاليعسوب .

٤ الخريدة : النهار مغبر .

٥ الخريدة : للنار .

وَجَلَتْ سُرُوجُ الحَلْيِ فوق متونها سُرُجاً تألّقُ ، وهي ذاتُ لهيب
صَدَرَتْ من الذهب الثقيل خفافُها ونشاطهـا متخثّرٌ بلغـوب
وكأنّما من كلّ شمسٍ حلية صيغتْ لكلّ مُسَوَّمٍ مَجْنوب
صلّيتَ ثم قفوتَ مِلّةَ أحْمَـدٍ في نَحْرِ كلّ نجيبةٍ ونجيب[1]
من كلّ مرتفع السنام تحمّلتْ فيه المُدَى بالفرْيِ والترغيب
حيثُ الندى بعفاته متبرحٌ تُسْديه كفّ متوّج محجوب
يا من قوافينا مخافةَ نَقْدِهِ خَلُصَتْ من التنقيح والتهذيب
لم يبق في الدنيا مكان غير ذا يُجْري المديحَ به ذوو التأويب
خذها عروسَ محافل لا تجتلى إلا بحلي علاك فوق تريب
لم يخرج الدرُّ الذي زينت به إلاّ بغوصٍ في البحور قريب
أمـا بناتي المفردات فإنهـا في الحسن أشهر من بنات حبيب[2]
لا ينكحُ العذراءَ إلا ماجدٌ تبقى بعصمته بقاءَ عسيب[3]
وأنا أبو الحسناءِ والغرّاءِ إنْ أغْرِبْ فما الإغرابُ لي بغريب
يدعو لك الحجّاجُ عند عجيجهم وصِياحِهِمْ بالبيتِ في ترجيب[4]

---

١ يذكر نحره الإبل في عيد النحر اتباعاً لسنة الرسول .
٢ حبيب : هو أبو تمام .
٣ عسيب : الذي ورد ذكره في قول امرىء القيس « وإني مقيم ما أقام عسيب » .
٤ ترجيب : تعظيم .

من كلّ أشعثَ مُحْرِمٍ بلغ المُنَى   بِمِنًى وأدركَ غايةَ المطلوب

يبكي بمكّة [والحج]ونِ مُرَدِّداً   وبيثربٍ يدعو بــلا تثريب

فبقيتَ في العليا لتدميرِ العِدَى   وغنى الفقير وفرجةِ المكروب

٣٧

وقال يمدح القائد مهيب بن عبد الحكم الصقلّي

غَيَّرَتْهُ غِيَرُ الدّهرِ فشابْ   ورمته كلُّ خود باجتنابْ

فغــدا عند الغواني ساقطاً   كسقوط الصِّفْرِ من عدّ الحسابْ[١]

وتولى عنه شيطانُ الصبا   إذ رماه الشيبُ رجماً بشهاب

وكأنّ الشَّعرَ منــه سَعَفٌ   يلتظي فيه شواظٌ ذو التهاب

أيها المُغْرى بتأنيبِ شجٍ   سُلِّطَ الوجدُ عليه ، هل أناب؟

هامَ ، لا همتَ ، من الغيد بمن   حُبُّها عَذْبٌ ، وإن كان عذاب

لمتَ ، لا لمتَ ، عميداً قَلْبُهُ   عن سماعِ اللوم فيها ذو انقلاب

والهوى باقٍ مع المرءِ إذا   كان من عَصْرِ الصِّبا عنه ذهاب

بأبي من أقبلتْ في صورةٍ   ليس للتّائب عنها مِنْ متاب

١ في م : العجاب ، والقراءة المثبتة من اقتراح سكيا باريللي .

كُلُّ حُسْنٍ كاملٍ في خَلقها ليتهـا تنجو من العين بعاب[1]
فالقوامُ الغُصْنُ ، والرِّدف النَّقا ، والأقاحُ الثَّغْرُ ، والطَّلُّ الرُّضاب
ظبيةٌ في العقد إمّا التفتَتْ ومهاة حين ترنو في النقاب
ضاع قلبي فالتمسْهُ عندها تُلْفِهِ في النحر وُسْطَى بِسِخاب
روضةٌ تعبقُ نشراً مـا لها غُمِسَتْ في ماءِ وردٍ وَمَلاب
عنّفَتْ رُسْلي ، وَرَدّتْ تُحفَي وأتَتْ تقرعُ سمعي بالعتاب
ومحتْ أسْطُرَ شوقٍ كُتِبَتْ بدموع ، نِقْسُها قلبٌ مذاب
ثمّ غطّتْ بنقابٍ خَدّهـا مَنْ رأى الشمس توارت بالحجاب
بكـلامٍ يستبي أهلَ النّهى ويحُطّ العُصْمَ من شُمّ الهضاب
حيثُ أخـلاقي رواضٍ خَضَعَتْ في الهوَى منها لأخلاقٍ صعاب
كيفَ لا أبكي بهذا كلّه وأنا الفاقـدُ ريعانَ الشباب
صدّت البيضُ عن البيضِ أما كان ما بين الشبيهين انجذاب[2]
أفـلا أبكي شباباً فقْـدُهُ قلْبَ الماءَ لظمآنٍ سَرَاب
أخطأ الشيبُ ظباءً ، والصِّبا لو رماها خَذَفات[3] لأصـاب
خُذْ برأيٍ في زماعٍ واصلٍ طَرَفَيْـهِ : بسفينٍ وركـاب

١ أي ليت فيها عيباً لتنجو به من الحسد .
٢ أي صدت البيض عن الشعرات البيض .
٣ في م: خزوات ؛ أما خذفات فهي من الخذف ، وهو أن تأخذ حصاة أو نواة بين السبابة والابهام فتلقيها ؛ ولعل أن يكون ما قدرته ، على هذا الوجه ، صواباً .

واغترِبْ وارجُ المنى كم من فتًى مُعْدِمٍ نالَ المنى بعد اغتراب

إنّ أتراحَ النوى يعقُبُهـا بجزيلِ الحظّ أفراحُ الإياب

وإذا نابكَ خطبٌ فاقْرِهِ بمهيبٍ فهو للإسلام ناب

إنّ للقائد عزّاً ، جارُهُ في جوار النجم محميّ الجناب

أسَدُ الرّوع الذي حِمْلاقُهُ يُرْسِلُ اللحظةَ موتاً فيُهاب

صارمٌ يُبْكي دُمَى الرومِ دَماً إن تغنّى منه في الهامِ ذُباب

في جهادٍ قرَنَ الله به عنده الزّلفى إلى حُسْنِ المآب

كم بأرْضِ الشرك من معمورةٍ أصبحت في غزْوِهِ وهي يبَاب

في أساطيلَ ترى أحشاءَها لبناتِ الرّومِ فيهنّ انتحاب

ككناسٍ بتَغمّتْ غزلانُهُ من زئيرٍ راعها مِنْ أُسْدِ غاب

كلّ مُسْوَدّ قَرَاهُ خلقةً لابساً من ذلك الليلِ إهاب

إنّ ثعبانَ سراه يقتدي في نعيب منه بالبرّ غراب[1]

شَجَرَاتٌ[2] حَمَلْتُها البيضُ إذا نَوّرَتْ بالمشرفياتِ العضاب

أثمرتْ بالعينِ في الماءِ وإن ثَوّرَتْ منه عَجاجات العُبَاب

---

١ يصف المركب الذي سماه في البيت السابق « مسود القرا » فشبه حركته في الماء بحركة الثعبان ، وصوت مخره بالنعيب ، ويجيبه الغراب في البر بالنعيب أي ينذر الأعداء بالموت .

٢ أي تلك السفن شجرات ، ولعلها « سمرات » .

تقرأ الأعــلاجُ منها للرّدَى فوْقَ طِرْسِ الماءِ أسطارَ كتاب

مَنْ صناديدهمُ إنْ ساوروا أسُدَ البيد وحيّاتِ الشعاب ؟

لستُ أدري أقلوبٌ منهمُ أمْ صخورٌ في الحيازيم صِلاب

بُهَمٌ إنْ ثوّبَتْ حَرْبٌ بِهِمْ أوجفوا البُزْلَ إليها والعِراب

أيهـا العزمُ الذي منه زكا في المعـالي عُنْصُرُ المجدِ وطاب

هاكها بنتَ ضميرٍ أعْرَبَتْ عن معاليك بألفاظٍ عِـذاب

يا لهـا من حكمةٍ بالغـةٍ خاطبَ الفضلَ بها فَصْلُ الكتاب

وَصِلِ الغزوَ بتدميرِ العدى واحْيَ في العزِّ لتسهيلِ الصعاب

٣٨

وقال أيضاً

الصبح شرٌّ بغيضٍ والليلُ خير حبيبِ

فما أحَدّثُ إلاّ عن ممرضي وطبيبي

فالصبح أبْعَدَ مني قُرْبَ الغزال الربيب

فلو قضيتَ لقلبي لما شكا من وجيب

أمتَّ عينَ صُبــاحي يوماً وعينَ رقيبي

٣٩

وقال أيضاً

وكنتُ إذا مرضتُ رجوتُ عيشاً ليالِيَ كنتُ في شرخ الشبابِ

فصرتُ إذا مرضت خشيت موتاً وقلتُ: قد انقضى عَدَدُ الحساب

فنفسُ الشيخ تضعف كلّ حينٍ وقوّتُهُ على طَرَفِ الذّهــاب

ولستُ مُصَدّقاً خُــدَعَ الأماني وهل تُوكى المَزَادُ على السّراب[1]

٤٠

وقال أيضاً في المعنى

نعوذ من الشيطــانِ بالله إنّهُ يوسوسُ بالعصيان في أُذُنِ القلبِ

عَــدُوّ أبينا قبْلنا والذي له جنودٌ مع الأيام دائمةُ الحــرب

ولو لمْ يكنْ أمرُ الشياطينِ يُتّقَى لما احتُرِسَتْ منها الملائكُ بالشهب

---

١ المزاد : جمع مزادة وهي القربة . توكى : تربط ، والمعنى أن المزاد لا توكى إلا على ماء ينتفع به ، فكيف احتقب الأماني وأصدق خدعها ؟

٤١

وقال أيضاً

رُوَيْدَكِ يا معذِّبَةَ القلوبِ أما تَخْشينَ من كسْبِ الذنوبِ

متى يُجْري طلوعُكِ في جفوني[١] سنا شمسٍ مواصلةِ الغروب

وكم تُبْلي الكروبُ عليكِ جسمي ألا فَرَجٌ لديك من الكروب

وأنْتِ قدحتِ في أعشارِ قلبي بسهميك : المعلّى والرّقيب

ولم أسمع بأنّ عيونَ عِينٍ تُفيضُ سهامَهُنّ على القلوب

٤٢

وقال أيضاً

أسِهـامٌ مُفَوَّقاتٌ لرمْيِي أم قِداحٌ مفوّقات لضربي

صائباتٌ جميعُهنَّا فاتراتٌ وَيْحَ قلبي ماذا يُعِدّ لقلبي

تلكمُ الأعينُ التي خذلتني في التصابي بها خواذلُ سرب

رَبّةَ البُرْقُعِ التي فيه تحمي وردةَ الخدّ عقربٌ ذاتُ لسب

[قد]مزَجْتِ العَذابَ لي فهو عذبٌ بزلالٍ من ماء ثغركِ عَذْبِ

---

١ في م : متى تحوي ضلوعك من جنوبي ، ولا معنى له .

حرف التاء

٤٣

وقال أيضاً [في النارنج][1]

باكر صبوحك من سلاف القهوةِ وامزج بسمعك صِرْفَهَا بالنغمةِ

وانظر إلى النارنج في الطبق الذي أبدى[2] تدانيَ وجنةٍ من وجنة

ومن العجائب أن تضرّم[3] بيننا جمراتُ نار تُجْتَنَى من جنة

---

١ ما بين معقفين زيادة من ب .
٢ في ب : يحكي .
٣ في ب : تلهب .

٤٤

وقال أيضاً

ولقد سريتُ بفتيةٍ قطعوا الفلا بعزائمٍ مثلِ الصوارم سُلّتِ

وكأنّ ليلة عزمهم زَنْجِيّةٌ زِينَتْ بِحلْيٍ نجومها فتحلّت

غمستهمُ في غمرةٍ من هولها صَبَرُوا لها بِسُرَاهمُ فتجلّتِ

وكأنّما عُقَدُ الحنادس[1] بُوكِرَتْ بيدٍ من الصبح المنير فحلّت

وكأنّ أنجمها على أعجازهـا دَرَقٌ على أكفال دُهْمٍ وَلّتِ

٤٥

وقال أيضاً

يا ليلَةً فُزْتُ إذْ ظَفرتُ بهَا لأنْتِ صَفْوُ الحَيـاةِ لو دُمْتِ

هزَمتُ فيك الهمـومَ فانْهَزَمتْ بكرِّ شُقْرِ الكؤوس والكُمْتِ

وكادَ لَيلي يكون من قِصَرٍ غَيرَ زَمَانٍ مجدّدٍ[2] الوقت

---

١ الحنادس : الظلمات .

٢ اقرأ أيضاً : محدد .

٤٦

وقال أيضاً

[وذي أربع] كخوافي العُقَاب يطيرُ بها السبق عن حلبَتِه
كأنّ الصَّبَا قُيّدَتْ خلْفَهُ مُقَصِّرَةً عَن مدى وثبته
ترى اللّيلَ يُغْمَسُ في وَجْهه ويبتَسمُ الصبحُ من غُرّته
يقدّمُهُ للوغى محرَبٌ كأنّ الغضنفرَ في نَثْلَته[١]
كأنّ المَدى منهُ في قبضَةٍ فإيّاكَ إيّاكَ من قبضته
بأزْرَقَ في أسمرٍ لم يزَلْ دمُ الذِّمْرِ[٢] كالكحلِ في زرقته
وعضبٍ لأنفُس أسْدِ الكِفاح معاطبُ ، تكمنُ في سلته[٣]
ترى خضرَةَ الماء مشبوبَةً بها حمرةُ النّار في صفحته
وتحسبه وادياً مُفْعَماً سراباً تموّج في قفرته
ينَالُ به فُسْحَةً في العلى من ازدحمَ الهمُّ في هِمّته

---

١ المحرب : الشجاع ؛ النثلة : الدرع الواسعة .
٢ الذمر : البطل الشجاع المحارب .
٣ في م : في لا خلير بحته ، وهو شديد التصحيف ، وما أثبته مناسب للمعنى .

٤٧

وقال أيضاً

الدّمعُ ينطقُ واللّسانُ صَمُوتُ فانظرْ إلى الحركاتِ كيف تموتُ

ما زالَ يَظهرُ كلّ يومٍ بي ضَنىً فلذاك عن عَيْنِ الحِمامِ خفيت

صبٌّ يطالِبُ في صبابَةِ نَفسِهِ جسداً بمديةِ سقمه منحوت

وأنا نذيرك إنْ تُلاحظ صبوةً فاللّحظُ منكَ لنارها كبريت

قد كنتُ في عهدِ النصيح كآدمٍ لكن ذكرتُ هوى الدّمَى فنسيت

كيف التخلّصُ من فواترِ أعينٍ يُلْقي حبائلَ سحرها هاروت

ومعذبي مَنْ يَستَلذّ تعذّبي لا باتَ من بلوايَ كيفَ أبيت

رشأٌ أحنّ إلى هواه كأنّه وَطَنٌ ، وُلدتُ بأرضه ونشيت

في ليلِ لمته ضللتُ عن الهوى وبنورِ غُرّتِهِ إليه هديت

ومنعّمٌ جَرَحَ الشّبابُ بخدّه لحظي فسالَ على المها[1] الياقوت

وأنا الذي ذاقت حلاوةَ حُسْنِهِ عيني فساغَ لطرفها وشجيت

قال الكواعبُ : قد سعدتَ بوصلنا فأجبتها : وبهجركنّ شقيت

---

[1] المها : الثغر النقي إذا ابيض وكثر ماؤه .

كنتُ المُحَبَّ كرامَةً لشَبيبَتي   حتى إذا وَخَطَ المَشيبُ قُلِيت

من أستَعين به على فرط الأسَى   فأنا الذي بجنايَتي عوديت

كنتُ امرأً لم ألقَ فيه رزيّـةً   حتى سُلِبْتُ شبيبَتي فَرُزِيت

تَهدي ليَ المرآةُ سُخْطَ جنايَتي   فاللهُ يَعلمُ كيف عنه رضيت

همّي كسِقطِ القَبَسِ[1] لكنْ طُعمُهُ   عُمْرٌ إذا أفنْـاهُ فيّ فنيت

وإذا المشيبُ بَدا به كافُورُهُ   كَفَرَتْ به فكأنّه الطّاغوت

ولربّ مُنْتَهِبِ المدى يجري به   عرقٌ عريقٌ في الجيادِ وَليتُ[2]

لَيلٌ حَباهُ الصبحُ درهمَ غُرّةٍ   وحجولَ أربَعَةٍ بهنّ القوت[3]

متفنّنٌ في الجري يتّبعُ اسمَـهُ   منه نعوتٌ بعدهنّ نعوت

أطلَقتُهُ فعقلتُ كلّ طريدة   تبغي بلحظِكَ صيدها فتفوت

لقطتْ قوائمه الأوابدَ شُرّداً   قد كانَ منـهُ لجمعها تشتيت

فكأنّمَا جَمّدَ الصُّوارُ لِدَوْمِهِ[4]   تحتي فلي من صيدها ما شيتُ

---

١ في م : العيش ؛ والقبس : مصدر من قبس ، والسقط : الشرارة ، يقول : إن همه صغير كالسقط ولكن طعمه – أي ما يأكله – شيء كبير هو عمره ، فإذا أتى على عمره كله فني صاحبه .

٢ الليت : العنق أو صفحته .

٣ كذا هي في « م » ، ويمكن تأولها ؛ ولعلها : « يفوت » أو « يخوت » بمعنى ينقض كالعقاب.

٤ دومه : طيرانه وتحليقه .

٤٨

وقال أيضاً

سارعْ إلى الحقّ وعوّلْ على قولِ حكيمٍ بارع الحِكمةِ
إنْ شئتَ أنْ تَحيا فكنْ صادقاً فإنّما الكذّابُ كالميّتِ

حرف الجيم

٤٩

وقال أيضاً يذكر سرية خرجت من بلاد المسلمين إلى بلاد الروم فضربت مغيرة [على العدو] فكسرته وأخذت الغنائم وانصرفت إلى أرض المسلمين ، وكان خروجها في عقب غيث من زمن الشتاء والقر والأرض مجلودة

ومسبلةٍ دَمعاً يَسوغُ عـذوبَةً ... على أن دمع[١] المقلَتين أجـاجُ

مرَتْها[٢] صَباها حين درّتفأرضعت[٣] ... بسائطُ ، من أخلاقها ، وفجاج

تَخَرّقَ فيها لمعُ برْقٍ كأنّمـا ... يَشُبّ ويَخْبُو من سَنَاهُ سراج

علت خيلُنا منها جليداً فلم يُتَحْ[٤] ... بنا للعدى من عدوهن عجـاج

وكم حافرٍ في الرسغ منـه زبرجدٌ ... كسير به ممّا[٥] عـلاه زجاج

١ في ب : ماء .

٢ مرتها : مسحت عليها لتدرّ .

٣ في ب : فرويت .

٤ في م : يبح ، والمثبت هو رواية ب .

٥ في ب : يسير به إما .

بأسدٍ وغَنّى كم قيل عوجوا، نُصرتمُ   على الموت من حرب العداة[1]، فعاجوا

فلا غُنمَ[2] إلاّ كلّ رأسٍ كأنّهُ   على الرمح من ضَرْبِ المهند تاج

وخُمْصَانَةٍ[3] منقادَةٍ بذوائبٍ   لسائقِها خَلْفَ الجَوادِ لجاج

كأنّ وراءَ الخَيْلِ منها جآذراً   تُرَوَّعُ أخصَارٌ لهنّ دماج[4]

فكانَ لنا في الرّومِ قتلٌ معجَّلٌ   وفينا لهم من الوشيج شجاج[5]

---

١ في ب : من حرب العلوج .

٢ هذه هي رواية ب وفي م : ولا عم .

٣ خمصانة : ضامرة الحشا ، ويعني بها السبية من الروم .

٤ في ب : دجاج ، وفي م « زجاج » .

٥ الوشيج : الرماح ؛ شجاج : جراح .

٥٠

وقال أيضاً يصف ثريا الجامع

ومشبهةٍ في الجوّ أنوارَ أختها		يضيءُ سناها كلَّ أسحمَ داج
كأنّ صلالاً وسطها[1] في مكامنٍ		تحركُ فيها ألسناً بلجاج
وتحسبها تجلو على كلّ ناظرٍ		كواكبَ نارٍ في بروجِ زجاج

٥١

وقال في سيف

قد أرانا مكافحُ الأسْدِ سيْفاً		حدُّهُ في طلا عِداهُ ولُوجُ
فرأينا في دَسْتِهِ بحرَ بأسٍ		مُدّ منهُ إلى الضرابِ خليجُ
وحسبنا الفرِنْدَ أرْجُلَ نَملٍ		عبرتْ منهُ جَدْوَلاً لا يَمُوجُ

---

١ في ب : صلالا عندها .

حرف الحاء

٥٢

وقال أيضاً

وما روضةٌ حيّ ثرى أقحوانِها ، يضاحكُها في الغيم سِنّ من الضّحّ[١]
كأنّ صَبَاهَا للعرانين فتّقَتْ نداها بندٍّ فهي طيّبةُ النفح
بأطيبَ من ريّا لماها[٢] لراشفٍ إذا انتبهتْ في الشرْقِ ناظرةُ الصبح

---

١ الضح : الضوء أو ما تطلع عليه الشمس .
٢ في ب : بأطيب ريا من لماها .

٥٣

وقال أيضاً

يا لَيلَ هَجرِ الحَبيبِ طُلْتَ عَلى صبٍّ من الشوق[1] دائمِ البَرْحِ

بِحُمْرَةٍ في الجُفُونِ تحسبها نَدَرْتُهَا في الفُؤادِ عَن جرح

هل جَمدَ البحرُ من دجاكَ فما ينتقلُ الحوت فيه بالسَّبْح

أم حدثَت حَيْرَةٌ مواصلة في الجوّ بَينَ البُطَيْنِ والنّطح[2]

لو كنت ليل الشبابِ بتّ إلى الـ صّبحِ من الشيب طائرَ الجُنْح

لو كنت ليلَ الشبابِ فُتّ ولم تَدّرِكِ النّاظِرِينَ باللّمح

متى أرى كلكلاً بركت به يَطْعَنُ فيهِ السِّماكُ بالرّمح

وللثّرَيا جناحُ قاطِعَةٍ بالخفق منه مسافةَ الجنح

وأشهبُ الصبح في إغارته يستاقُ مَا للنّجومِ من سرح

فاطوِ رواقَ الظّلامِ عن أفُقٍ تُنْشَرُ فيه[3] مُلاءَةَ الصبح

---

١ في ب : متيم فيك .

٢ البطين : منزل القمر بين الشرطين والثريا ؛ النطح : الشرطان وهما قرنا الحمل من منازل القمر .

٣ في ب : تنشر منه .

٥٤

وقال أيضاً[١]

يا ربَّ مجلس لذّةٍ شاهَدتُها كَرْهاً ، وجُنْحُ الليلِ مدّ جناحَا

جَمَعَ الشبابُ به بنيهِ ، وبينهم شيخٌ غَدا شيبٌ عليه وراحا

وكأنّه في كلّ داجي شعرةٍ في الرأسِ منهُ مُوقِدٌ مصباحا

أمسَيتُ مَفطوماً عن الكأسِ التي يتراضعُ الندمَاءُ منها راحا

إلاّ شميماً كانَ همّاً سُكرُهُ وغناؤهُ في مسمعيّ نياحا

جُرْنَا على[٢] زمن الصبا الزاهي الذي عَزَلَ الهمومَ وملّكَ الأفراحا

أبناءُ عصرٍ فتّقُوا من بَينهم مِسْكَ الشّبيبةِ بالمدامِ ففاحا

جعلوا حُداءَهُمُ السماعَ وأوجفوا بَدَلَ القَلائِصِ بينهم أقداحا

وكأنّما نَبَضَتْ لهم أفواههم بالشرب من أجسامِها أرواحا

حتّى إذا اصطبحوا فررتُ فلم يجد للشيب بينهم الصباحُ صباحا

ما لي أكافحُ قِرْنَ كأسٍ جالَ في ميدان نشوته وجال كفاحا

ومجدّلٌ شاكي السّلاحِ من الصّبا من لم يُبقِ له المشيبُ سِلاحا

---

١ يصف فيها حضوره مجلس الندامى بعد إقلاعه عن الشرب وقد أصبح لا يذوق المدام إلا شميماً . وهي في « م » كثيرة التصحيف .

٢ اقرأ أيضاً : حزناً على .

٥٥

وقال إذ شيّبه الاغتراب ولم يكن فارقه الشباب

تقول وقد لاحت لها في مفارقي ‏ ‏ كواكبُ، يتخفى غيرها، وهي لائحه

أراكَ مُحِبّاً لا مُحَبّاً فعَدِّ عن ‏ ‏ مكابدةٍ تشقى بها لا مسامحه

تروحُ وتغدو جانحاً عن محبّةٍ ‏ ‏ إليّ، ونفسي عن وصالك جانحه

إذا ما شبابي نالَ شيبُكَ عطفَهُ ‏ ‏ فخاسرةٌ نَفسي ، ونفسك رابحَه

ولو علمتْ سنّي[1] لما كان لومُها ‏ ‏ عليّ سناناً جارحاً كلَّ جارحه

لشيّبني[2] في عنفوان شبيبتي ‏ ‏ لقائي من الأيّام دهياءَ فادِحه[3]

وقطعيَ غولَ القفر في متن سابحٍ ‏ ‏ وخوضيَ هَوْلَ البحر في بطن سابحه

وما ضرّها كافورُ شيبي وتحته[4] ‏ ‏ لمسك شبابي كلُّ فعلٍ ورائحه

---

١ في ب : لومي .
٢ في ب : يشيبني .
٣ في ب : دهماء قادحه .
٤ في ب : وعندها .

٥٦

وقال أيضاً

تخريجها : في الخريدة منها ١ – ١٦ ، ١٩ – ٢٣ ، ٢٥ – ٣٤ ومنها في المسالك ٤ ، ٦ وفي الوافي ٢١ – ٢٣ ؛ وفي معاهد التنصيص منها البيت : ١٨ ، ١٩، ٢٠، ٢١ ، ٢٢ وفي الوفيات ١ : ٣٨٠ البيتان : ٤ ، ٦ .

طَرَقَتْ واللّيلُ مَمدودُ الجناحْ   مَرْحَبَاً بالشّمسِ في غيرِ[1] صباحْ

سلّمَ الايماءُ عنها خجلاً   أوَمَا كانَ لها النّطقُ مُباح

غادَةٌ تَحملُ في أجفانِها   سقماً[2] فيه منيّاتُ الصحاح

بتُّ منها مُستَعيداً قُبَلاً   كانَ[3] لي منها على الدّهرِ اقتراح

[ألثم اا] لدّرَّ حصّى ينبع لي   بزلالٍ ناقعاً فيه التياح[4]

وأُروّي غُلَلَ الشّوْقِ بما   لم يكُنْ في قُدْرَةِ الماءِ القراح

باعتناقٍ ، ما اعتَنَقناهُ خَنًى ،   والتزامٍ ، ما التزمناهُ سفاح

---

١ في ب : من غير .
٢ الخريدة : مرضاً .
٣ ب : كن .
٤ الالتياح : شدة الظما .

ما على من صادَ في النّوم لَــهُ شَرَكُ الحلمِ مهاةً ، من جُنَاح
همتُ بالغيدِ فلو كنت الصِّبــا لم يكُنْ منّيَ عنهنّ بَــرَاح
ورددتُ الشيبَ عنها معرضـاً[1] بكلامِ السِّلمِ أو كلْمِ الكفاح
علِّلِ النّفسَ بريحـانٍ وراحْ وأطِـعْ ساقيتَها واعصِ اللّوَاح
وأدِرْ حمراءَ يسري لُطْفُـاً سُكْرُها مِنْ شمّها في كلّ صَاح
لا يغرّنّكَ منهـا خَجَـلٌ إنّها[2] تُبديه في[3] خدٍّ وَقَاح
واعلُهَا بالماءِ تَعْلَمْ منهما أنّ بينَ الماءِ والنّارِ اصطــلاح
وإذا الخَمْرُ حَمَـاها صِرْفُهَا تَرَكَ المزْجُ حمـاها مُسْتَبَاح
خلّني أفْنِ شَبَابِي مَرَحــاً لا يُرَدّ المهرُ عن طَبْعِ المراح
إنّما يَنْعَمُ في الدّنْيــا فَتىً يَدْفَعُ الجِدّ إليها في المــزاح
فاسقني عن إذْنِ سلطانِ الهَوى ليس يَشفي الرّوحَ إلاّ كأسُ راح
وانتَظِرْ للحلمِ بعدي[4] كَــرّةً كم فسادٍ كانَ عُقْبَــاهُ صلاح
فالقَضيبُ اهتزّ ، والبَدرُ بدا ، والكثيبُ ارتجّ ، والعنبرُ فاح

---

١ الخريدة : جاهداً .
٢ ب : إنما .
٣ الخريدة : عن .
٤ الخريدة : مني .

والثريّا رَجّــحَ الجــوُّ بها كابنِ ماءٍ ضمّ للوكرِ جنـــاح

وكأنّ الغربَ منها ناشِــقٌ باقةً من ياسمينٍ أو أقاح

وكأنّ الصبحَ ذا الأنوار[1] من ظُلَمِ الليلِ على الظلماءِ صاح

فاشرَبِ الراحَ ولا تُخْلِ يــداً من يدِ اللهــوِ غُــدُوّاً ورواح

ثِقّــلِ الرّاحةَ مِنْ كاساتِها برَداحٍ من يَدِ الخودِ الرّداح[2]

في حديقٍ غرّسَ الغيثُ بــهِ عَبَقَ[3] الأرواح موْشيّ البطاح

تعقلُ[4] الطّرْفَ أزاهــير بــه ثمّ تعطيه أزاهيرَ صراح

أرْضَعَ الغيمُ لبــاناً بانَــهُ[5] فتربّتْ فيه قاماتُ المــلاح

كلّ غصنٍ[6] تعتري أعطافَهُ رِعْدَةُ النشوان من كأس اصطباح

يكتسي[7] صبغةَ وَرْسٍ كُلّمــا ودّعت في طرف اليوم[8] براح

فكأنّ الترب مِسْكٌ أذفــرٌ وكأنّ الطلّ كافورُ ربــاح[9]

---

١ ب : بالأنوار .

٢ الرداح : الثقيلة ، والمرأة ذات العجز الضخم .

٣ الخريدة : غدق .

٤ الخريدة : تعقد .

٥ ب : لنا باناته .

٦ ب : كل خوط .

٧ الخريدة : لابس .

٨ الخريدة : النوم .

٩ يقال كافور رباحي نسبة إلى رباح ، قيل هو البلد الذي يجلب منه .

وكأنّ الرّوْضَ رَشّتْ زَهْرَهُ   بمياهِ الوردِ أفواهُ الرّياح
أفلا تَغنَمُ عَيشاً يقتَضي   سَيْرُهُ عنكَ غدُوّاً ورواح
وإذا فارَقتَ ريعانَ الصِّبا   فاللّيالي بأمانيكَ شِحاح

٥٧

وقال أيضاً

تخريجها : في المسالك منها البيتان : ٢٤ ، ٢٥
وفي الذخيرة : ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٠،
٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥

أيّ نَعيمٍ في الصِّبَا والمُقْتَرَحْ   وشغلُ كفّيّ بكوبٍ وقَدَحْ[1]
فلا تلمني إنّني مُغْتَنِمٌ   من السُّرُورِ في زَمَاني ما مَنَح[2]
فإنّهُ مُسْتَرْجِعٌ هِبَاتِهِ   وباخلٌ من الصِّبا بما سَمَح[3]
وَسَقّني من قَهوَةٍ كاساتُها   تُسرِجُ في الأيدي مصابيحَ الصّبح[4]

---

١ روايته في ب : كل نديم ناعم بما اقترح   فسقني بكل كوب وقدح
٢ روايته في ب : فلا تلمني إنني في زمن   مغتنم من السرور ما منح
٣ روايته في ب : كم رد من أيدي الهوى هباته   وضن بالأعلاق بعدما سمح
٤ روايته في ب : فسقني محمرة إن مزجت   حسبتها معنى غريباً قد شرح

لو شمّها صاحٍ عسيرٌ سُكْرُهُ   تحتَ لثامٍ في فدامٍ[1] لَطَفَحْ

ولا تسوّفني[2] إلى ترويقها   لا يَشْتَوي اللّيثُ إذا اللّيثُ ذَبَحْ

حتى أقولَ زاحفاً من نَشوتي   يَحْسُنُ بالتزحيفِ بيتُ المنسرحِ

ومالىءٍ زقّاً وكاهُ مردياً   سَمَّ الأسَى مِنهُ بدُرْياقِ الفَرَحِ

وجاثمٍ بَيْنَ النّدامَى تَرْتَوي   أشباحُهُمْ منه بما يَرْوَى شَبَحْ

كأنّما رَدّتْ عليـه روحَهُ   سُلافَةُ الرّاحِ فإن مُسَّ رمحْ

غضَّ الصّبا كأنّما حديثُهُ   يمازجُ النّفسَ بأنفاسِ الملحْ[3]

حلَّ وكاءً شدّهُ عن مُدْمَجٍ[4]   طَلَّ دمَ العنقودِ منه وسفحْ

حتى إذا ما صبَّ منـه رَيّقاً[5]   سدَّ على ذَوْبِ العقيقِ ما فتحْ[6]

ترَى نجيعَ الزقّ[7] منهُ راشحاً   كأنّهُ من وَدَجِ اللّيلِ رَشَحْ

مُدامَةٌ للرّوحِ أُختٌ بَرّةٌ   يَنْأى بها سرورُنا عن التّرَحْ[8]

---

١ في ف : تحت فدام في لثام .

٢ في ب : ولا تشوقني .

٣ روايته في ب : يحنو عليه شادن حـديثه   يجري مع الأنفاس أنفاس الملح
وفي الذخيرة : جاء به ملآن من صافيـة   معمورة منها أقاليم الفـرح

٤ الذخيرة : مذبح ؛ والوكاء : رباط عنق القربة ؛ والمدمج : الزق المحكم .

٥ الذخيرة : ريناً ، وفي ب: عليه ماء .

٦ الذخيرة : سد على التبر الذي كان فتح .

٧ الذخيرة : البرق .

٨ الذخيرة : آخذة ثاراتها من الترح .

قد عَلِمَتْ مزاجَهُ فَشُرْبُها يَجْرَحُهُ ثُمتَ يأسو ما جرح[1]
وتجعلُ القارَ الذي باشَرَها في الدنّ مسكاً للعرانين نفح
يحجب جسمُ الكاسِ من سعيرها نفحاً عن الكاسِ ولولاه نفح[2]
والشمسُ منها في نقابِ غَيْمِها مخافَةً من نورها أن تُفتَضَح
يومٌ كأنّ القَطْرَ فيهِ لؤلؤٌ يَنْظِمُ للرّوْضِ عقُوداً وَوُشَح
يَقدحُ ناراً من زِنادِ بَرْقِهِ ويطفىءُ الغيثُ[3] سريعاً ما قَدَحَ
لمّا جرَتْ فيهِ الصَّبا[4] عَليلَةً رقّ الهواءُ فيه للنّفسِ وصحّ
كأنّما الكافورُ نَثْرُ ثَلْجِنا[5] أو نَدَفَ البُرْسَ لنا قوسُ قزح
حتى علا الجوَّ دُجىً لم يَغْتَبِق[6] فيه الثّرَى من الحيا كما اصطبَحَ[7]
غرابُ ليلٍ فوقنا مُحلّقٌ يَقْبِضُ عنّا ظلَّهُ إذا جنح[8]
وقد محا صبغَ الدّياجي قَمَرٌ دينارُهُ[9] في كَفَّةِ الغَرْبِ رَجَح

---

١ الذخيرة : قد علمت مزاجها فصرفها يجبر ما هاض ويأسو ما جرح
٢ في ب : أو فاوحت مسكاً يفض خاتم عنه لقلنا نفحت وما نفح
٣ الذخيرة : الماء .
٤ في ب : ريح الصبا .
٥ في ب : ثلجه .
٦ في ب : حتى ملا الأفق دجى لم يغتبق .
٧ في الذخيرة والمسالك : حتى أتى الليل بصحو لم يكن يغتبق الغيث به كما اصطبح
٨ في الذخيرة والمسالك : كأنما حلق منه قشعم يندى علينا ريشه إذا جنح
٩ هكذا في ب والذخيرة ، وفي م : ديباجه .

[حتى إذا رَدّ حُدا عَدوّهـِمْ   من كان في وادي الرّقادِ قد سرَح][1]

[نَبّهَ ذا هَذا وكلٌّ طَرْفُـهُ   يلمَحُ طرْفَ الشكرِ من حيثُ لمح]

[يسألُ في تَقويمِ جيدٍ مائلٍ   لو لم يسامحْ في الحميّا لسَمَح]

أضاربٌ كفّيه يَشدو سَحَراً   أم نافضٌ سقطيه فيه قد صَدَح

نَبّهَ للقَهوَةِ كلّ طافح   في مَصْرَعِ السكر قتيلاً مُطَرَح

من كلّ جذلان[2] كأنّ رُوحَهُ   عن جسمه من شدّة[3] السكرِ نَزَح

إنّ الذي شَحّ على إيقاظِهِ   سامَحَ في الشُّهْبِ نداماه فشَح

وجاءنا[4] السّاقي بصَحنٍ[5] مُفْعَمٍ   لو شاءَ أنْ يَسْبَحَ فيه لسَبَح

يا لائمي[6] في الراح كم سيئةٍ   تجاوَزَ الغفّارُ[7] عنها وصَفَح

ماذا تُريدُ من سَبُوقٍ[8] كُلّما   رُمْتَ وقُوفاً منه باللّومِ جَمَح

أغشُّ خلقِ اللهِ عند ذي هوى[9]   من عَرَضَ الرشدَ عليه ونصح

حتى إذا فكّرَ عَنْ بَصيرَةٍ   ذمّ مِنَ الأفعالِ ما كان مَدح

١ ما بين معقفين من الذخيرة .
٢ في ب : نشوان
٣ في ب : من خدر .
٤ في ب والذخيرة : وجاءه .
٥ في الذخيرة : بكوب .
٦ في الذخيرة : يا عاذلي .
٧ في الذخيرة : الرحمن .
٨ في ب : ماذا تريد من مجار .
٩ في ب : عندي ذو هوى .

٥٨

وقال يمدح الرشيد عبيد الله بن المعتمد

تخريجها : منها في الذخيرة البيتان : ٥ ، ٦ وفي الخريدة ١ ، ٢ ، ٦ والوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ والمسالك : ٥ ، ٦ والمطالع : ١ ، ٦ والبيتان ٥ ، ٦ في معاهد التنصيص : ٢٥١ منسوبين لابن رشيق والبيتان ٥ ، ٦ في الحلة : ٢٤٠ .

قُمْ هاتِها[1] من كفّ ذاتِ الوِشاحْ فقَدْ نَعَى اللّيلَ بشيرُ الصّباح

واحللْ عُرَى نَوْمكَ عن مُقلَةٍ تَمْقُلُ أحداقاً مِراضاً صحاح

خلِّ الكرَى عنكَ وَخُذْ قَهْوَةً تُهدي إلى الرّوحِ نسيمَ ارتياح

هـذا صَبُوحٌ وَصَبَاحٌ فما عُذْرُكَ في تَرْكِ صَبُوح الصّباح

باكِرْ إلى اللّذّاتِ[2] وَارْكَبْ لها سَوابقَ اللّهوِ ذوات المراح

من قبل أن تَرْشُفَ شمسُ الضّحى ريقَ الغوادي من ثُغُورِ الأقاح

أو يطويَ الظلُّ بساطاً إذا ما بَرِحَ الطلّ له عَنْ بَرَاح

---

١ كذلك هي في جميع المصادر ونسخة ب ، وفي م : هاكها .

٢ المسالك والوافي : اللذة .

يا حبّذا ما تُبْصِرُ العَيْنُ مِنْ أنْجُمِ راحٍ فوقَ أفلاكِ راح
في روضةٍ غنّاءَ غنّتْ بها في قُضُبِ الأوْراقِ وُرْقٌ فِصَاح
لا يعرفُ النّاظرُ أغصانَها إذا تثنتْ من قدودِ المِلاح
كأنَّ مفتوتَ عَبيرٍ بها مُطَيَّبٌ منه هُبُوبُ الرّياح
من كلِّ مقصورٍ على رَنّةٍ لو دَمَعتْ عَينٌ له قلتَ: ناح
أو ساجعٍ تحسبُ ألحانَهُ من كلِّ نَدْمانٍ عليه اقتراح
إنْ قيل بَدِّلْ بُدِّلَتْ نَغْمَةٌ منه كأنَّ الجِدَّ منها مُزاح
يا صاحِ لا تصحُ فكمْ لذَّةٍ في السكرِ لم يَدْرِ بها عيشُ صاح
واركبْ زماناً لا جماحَ لَهُ من قَبْلِ أنْ يحدثَ فيه الجماح
قلتُ لحادينا وكأسُ السرى دائرةٌ من كَفِّ عزْمٍ صُراح
والعيسُ في شِرّةٍ[1] إرقالها تلطِمُ بالأيدي خدودَ البطاح
لا تُطْمِعِ الأنضاءَ في راحةٍ وإن وصلنا بغدوٍّ رواح
من كلِّ مثل الغَرْبِ[2] مَمْلُوءَةٍ أيناً فما تَنْشَطُ عندَ امتِياح
فهي سخيّاتٌ وإنْ خلتها بما[3] أنالتْ من ذميلٍ شحاح

١ في ب : شدة .
٢ الغرب : الدلو العظيمة .
٣ هكذا في ب ، وفي م « فما » .

تمتحُ[1] بالأرسانِ أرْمَاقَهَا إلى الرشيدِ[2] الملك المستماح

إنّ عُبيدَ الله منه انتَضَت يمانيَ البأسِ يمينُ السّماح

مَلْكٌ به تُختَتَمُ أهْلُ العُلَى إذا بَدا فَبأبيهِ افتِتاح

وعمّ منهُ الذلُّ أهلَ الخنى وعَمّ مِنهُ العزُّ أهلَ الصّلاح

مستَهدِفُ المعروفِ سمحٌ ، لهُ عِرْضٌ مَصُونٌ ، وثناءٌ[3] مباح

يخفضُ في المُلْكِ جَناحَ العُلى لم يرْفَعِ القَدْرَ كخفضِ الجَناح

تمهرُ أرواحَ العدى بِيْضُهُ إذا أرادتْ من حروبٍ نكاح

فكلّما غَنّتْهُ في هامهم أبْقَتْ على إثْرِ الغناءِ النّياح[4]

كَمْ لَيْلَةٍ أشرقَ في جُنحِها بخضرمِ الجَيشِ إلالُ[5] الصّباح

تسري بها عقبانُ راياتِهِ مهتَدياتٍ بنُجومِ الرّماح

حوائِماً تحسبُ في أفْقِهِ مَجَرّةَ الخَضراءِ ماءً قراح

كأنّها والرّيحُ تَهفُو بهَا قلوبُ أعدائِكَ يومَ الكِفاح

كَمْ مأزِقٍ أصدرتْ عن أُسْدِهِ حُمْراً خَياشيمَ القنا والصفاح

---

١ في م : تميح وما أثبته هو رواية ب .

٢ في ب : إلى نوال .

٣ في ب : ونوال .

٤ في ب : أبقت على الآثار منها نياح .

٥ في ب : جنح لها ؛ وإلال الصباح : بريقه ولمعانه .

يفتحُ في سَوْسَانِ لَبّاتِهِم بنفسجُ الزّرْقِ شقيقَ الجراح

كأنَّ أطرافَ الظُّبَى بَيْنَهُمْ تغلقُ فوقَ الهامِ بيضَ الأداح

أقبلتَهُمْ كلَّ وجيهيّةٍ[1] تضيقُ العُمْرَ خطاها الفساح

كأنّما ترشَحُ أبصارُها بما اغتذَتْهُ من ضَريبِ[2] اللّقاح

لولاك يا ابنَ العزّ من يَعْرُبٍ لم تَلِجِ الآمالُ بابَ النّجاح

ولا تَلَقّى الفَوزَ إذ سوهموا بنو القوافي من مُعَلّى القداح

فانْعَمْ بعيدٍ قد أتَى ناظماً[3] كلُّ لسانٍ لك فيه امتداح

فقد أرتنا[4] في ابتِذالِ اللّهَى كفُّكَ[5] أفعالَ المُدَى في الأضاح

....

١ وجيهية : فرس منسوبة إلى الفحل « وجيه » .

٢ في ب : غريب .

٣ في ب : ناطقاً .

٤ في ب : أرانا .

٥ في ب : جودك .

٥٩

وقال أيضاً

أشارَتْ وسُحبُ الدمع دائمةُ السَّفْحِ   بأنَّ غرابَ البَيْنِ يَنعَبُ في الصّبحِ
فقلتُ أقيمي من عِقاصِكِ صبغَـةً   على اللّيْلِ تَهْدي منه جنحاً إلى جنح
عسَى طوله يَثْني عن البَيْنِ عَزْمَهُ   وتُفضي به حَرْبُ الفراقِ إلى الصّلح
وبَيْنَ خَلالِ الدُّرّ من ظبيةِ اللّوَى   رضابٌ قراحٌ لا يُداوى به قَرْحي
مُنَعَّمَةٌ في الحَيّ نيطَتْ لصونِهـا   جهاراً بحد السَّيْفِ عاليةُ الرّمحِ
فقِفْ بحياةِ النّفسِ عن مصرع الرّدى   فمن لا يدانِ النّارَ يَنجُ من اللّفح
فكمْ مُهجَةٍ قد غرّها الحبّ بالمُنى   فأسلفها الخسرانَ في طَلَبِ الرّبح

٦٠

وقال أيضاً

يقولونَ لي : لا تجيدُ الهجاءَ فقلتُ : وما لي أجيدُ المديحْ ؟
فقالوا : لأنكَ ترْجو الثوابَ وهذا القياسُ لعمري صحيح
فقلتُ : صفاتي . فقالوا : حسانٌ . فقلتُ : نسيبي . فقالوا : مليح
فقلت : إليكم . فلي حُجّةٌ وللحقَ فيها مجالٌ فسيح
عفافُ اللسانِ مقالُ الجميل وفِسْقُ اللسانِ مقالُ القبيح
وما لي وما لامرىءٍ مسلمٍ يَرُوحُ بسَيْفِ لساني جريح

٦١

وقال يصف سيفاً

ومهنّدٍ عَجَنَ الحَديد لقينه في الطّبع ، نيرانٌ مُلِئْنَ رياحَا
رُوحٌ إذا أخرَجْتَهُ من جسمه دخَلَ الجسُومَ فأخرجَ الأرواحا
وكأنّهُ قَفْرٌ لعينكَ موحشٌ أبَداً تَمرُّ ببابه ضحضاحا
وكأنّما جنٌّ تُريكَ تخيّلاً فيه الحسانَ من الوجوه قباحا
وكأنّ كلّ ذبابةٍ غرقَتْ به رَفعَتْ مكانَ الأثرِ منهُ جنَاحا

٦٢

قال يمدح يحيى بن تميم بن المعز

لِيَ سَمْعٌ صدّ عن قَوْلِ اللّواحْ وفؤادٌ هامَ بالغيدِ الملاحْ

أحْدَقَ الوَجْدُ بهِ مِنْ حَدَقٍ كَحَلَتْ بالحسنِ مرضاها الصّحاح

وَيح قلبٍ ضاقَ من أسهمها عن جراحٍ وقعها فوق جراح

ما أرَى دمعيَ إلاّ دَمَها ربّما احمرّ على خدّي وساح

كم أسيرٍ من أسارى قيده في وَثَاقِ الحبّ لا يرجو سَرَاح

وعليلٍ لا يداوى قَرْحُهُ من جَنِيّ الرشفِ بالعذبِ القراح

والغواني لا غنىً عن وَصلها أبِغَيرِ الماء يَرْوَى ذو التياح

صَفِرَتْ كفَّايَ من صِفْرِ الوشاح وهَفا حلمي بهيفاء رداح

طَفْلَةٌ تسرَحُ[1] ، في أعطافِها للأظانين وللدلَ مراح

لَوْ هَفَا من أذْنِها القُرْطُ على حبلِها من بُعْدِ مَهْوَاهُ لطاح[2]

تُورِدُ المِسْواكَ عذباً خَصِراً كمُجاجِ النّحلِ قد شيبَ براح

وَإذا ما لاثِمٌ قَبّلَها شقّ باللّثمِ شقيقاً عن أقاح

١ اقرأ أيضاً : تمرح .
٢ حبلها : يعني حبل عاتقها ، أي هي بعيدة مهوى القرط ، طويلة العنق .

طارَ قَلبي نحوَها ، لمّا مَشَى حسنُها نحويَ للقلبِ ، جناح

ما رأتْ عَينٌ قطاةً قبلها تتَهادى في قلوبٍ لا بطاح

[لا و] لا شمساً بَدَتْ في غُصُنٍ وهو في حقف يُنَدّى ويَراح[1]

وكأنّ الحُسْنَ منها قائلٌ : ما على من عَبَدَ الحُسْنَ جُنَاح

[في] اقتراب الدّار أشكو بُعدها واقترابُ الدّار بالهجر انتزاح

وكأني لعبةٌ في يَدها ما لها تُتلفُ جِدّي بالمزاح

أوَهذا كلّه من لِمّةٍ أبْصَرَتْ فيها بياضَ الشيبِ لاح

ما تريدُ الخود من شيخ غدا في مدى السّبْعينَ بالعُمْر وراح

كان مِسْكُ اللّيلِ في مفرقه فانجلى عنه بكافور الصّباح

يا بني الأمجادِ هذا زَمَنٌ رَفعَ الآدابَ من بعدِ اطّراح

فسحابُ الجودِ وكَافُ الحيا ومَراد العيش مُخْضَرّ النّواح

ويمينُ ابنِ تميمٍ علّمَتْ صنعةَ المعروفِ أيْمَانَ الشّحاح

ملكٌ في البهو منه أسَدٌ يضعُ التّاجَ على البدر اللّياح[2]

حالفَ النّصرَ من اللهِ فإن لقيَ الأعداءَ لاقاهُ النّجاح

كلّما هَمّ بأمْرٍ جلَلٍ أتعبَ الأيّامَ فيه ، واستراح

---

١ يراح : يجد رائحة طيبة .

٢ اللياح : الأبيض .

يهبُ الآلافَ ، هــذي هِمّةٌ ضاقَ عنهــا دهرُهُ وهي فياح[1]
لستُ أدري نشوَةٌ في عطفــه للقاءِ الوفد أم هزّ ارتياح
لو غدت جَدْوَى يديه قهوةً ما مشى من سكرها في الأرض صاح
من ملوكٍ شُنِّفَتْ آذانُهُــمْ بأغاريــدَ من المــدح فِصَاح
تكحلُ الأبصارُ منهم بسنــا أوجهٍ مثلِ الدّنانير صِباح
قرّ طبعُ الجود في شيمتـــه ما لطبع المرءِ عنه من براح
بعضُ ما يسديه من إحســـانه جلّ عن كلّ تمَنٍّ واقتراح
مِحْرَبٌ يخرج من أغمـــاده خُلُجاً توقدُ نيرانَ الكفاح
يتحفُ الحربَ جناحيْ جَحْفَلٍ يقذفُ الأعداءَ بالموتِ الذّباح
كُسِيَتْ قُمْصَ الأفاعي أُسُدٌ تُوِّجَتْ فيه ببيضات الأدَاح[2]
تحسبُ الورد نثيراً حَــوْلَهُ وهو مُحْمَرّ مُجاجَاتِ الرّماح
بَطَــلٌ تَشْهَقُ مِنْ هذمه في جباهِ الرّوْعِ أفــواهُ الجراح
جاعِلٌ للقِرْنِ إنْ عــانَقَهُ سَيْفَهُ طوقاً وكفّيْهِ وِشاح
يا وَهُوبَ العيدِ في بَعضِ النّدى والغنى والجودِ والكُومِ اللّقاح[3]

[1] فياح : واسعة .
[2] أي الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .
[3] الكوم : جمع كوماء وهي الناقة ذات السنام الضخم .

إن بحريْك على عظمهمـــا حَسَدا كفَّيك في فيض السّماح

فإذا مُوِّجَ هذا ، وطَمـــا برياحٍ ، جاشَ هـذا برياح

حكيا جُودكَ جَهْلاً فهمـــا لا يزيدانِ به إلاّ افتضـــاح

كَثُرَ الخُلْفُ ومن دانَ بـه وعلى فضلِكَ للنّاسِ اصطلاح

وإذا الفخرُ تسمّى أهلُـــهُ كنتَ منهم في فمِ الفخر افتتاح

٦٣

تخريجها : في الخريدة منها البيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

وقال يمدح الأمير عليّ بن يحيى المذكور

من شاءَ أنْ تَسْكَرَ راحٌ بِرَاحْ فليَسْقِها خَمْرَ العيون الملاحْ

فإنّهـــا بالسّحرِ ممزوجَـــةٌ أمَا تَرَاهَا أسكَرَتْ كلّ صاح

فما ترى من شربها في الصّبا في رِبْقَةِ السكرِ فهل من سَرَاح

يا من لموصول الشجا بالشجـا فليسَ للتّبريح عنـه بَـرَاح

تُشْرِقُ حوليه الوجـوهُ الّتي للبدرْ والشمس بهن افتضـاح

وارحمتا للصبّ من لَـوعةٍ بكلّ ريّا الحقف صِفرِ الوشـاح

يمشي اختيالُ التيه في مشيها فعدٌّ عن مَشْيِ قطاةِ البطاح

أَلْقَى الهوَى العذريُّ في حجره حرب الغواني والعدى واللّواح[1]

لو حملت منه قلوبُ العدى جراحَ قلبٍ ما حَمَلْنَ الجراح

وجدي غريبٌ ما أرى شرْحَهُ يُوجَدُ في العَينِ ولا في الصّحاح[2]

وإنّما يُحْسِنُ تفسيرَهُ دَمْعٌ حِمَى السرّ به مُسْتَبَاح

إنْ مسّني الضرُّ بِقَرْحِ الهوى فبرءُ دائي في الشرابِ القراح

من ظَبيةٍ تنفرُ من ظِلّها وإن غدا الظلّ عليها وراح

ففي ثناياها جنَى ريقةٍ يا هل ترشّفْتَ النّدى من أقاح

كم من يدٍ قد أطْلَعَتْ في يدي نجمَ اغتباقٍ بعد نجمِ اصطباح

من قهوةٍ في الكأسِ لمّاعةٍ كالبرقِ شُقّ الغيمُ عنه فلاح

سخيّة بالسكر مرّتْ على دنانها بالختم أيْدٍ شحاح

وهي جَمُوحٌ كلّما ألْجِمَتْ بالماءِ كَفّتْ من غلوّ الجماح

كأنّما الكأسُ طلا مُغْزِلٍ مرْوِيَةٍ بالدَّرّ منه التياح[3]

كأنّما الإبريقُ في جسمها يَنفُخُ للندمانِ رُوحَ ارتياح

---

١ اللواحي : اللائمات .

٢ العين والصحاح معجمان ، ذكرهما لذكره « الغريب » في أول البيت .

٣ شبه الكأس بابن الظبية وأنها تقطع ظمأه بلبنها .

في روضةٍ نَفْحَتُها مِسْكَةٌ تُهْدى إلينا في جيوب الرّياح

تميسُ سُكْراً فكأنّ الحيا باتَ يُحَيّيها بكاساتِ راح

كأنّما أشجارُهـا مَنْدَلٌ إن لَذَعَتْهُ جَمْرَةُ الشمس فاح

كأنّما القَطْرُ به لؤلؤٌ لم يجرِ منه ثُقَبٌ في نِصَاح[1]

كأنّ خُرْسَ الطيرِ قد لُقّنَتْ مَدْحَ عليٍّ فتغنّتْ فِصَاح

أرْوَعُ وَضّاحُ المحيّا كما قابَلَتَ في الإشراقِ بشرَ الصّباح

مُعَظّمُ الملك مُقِـرٌّ لـه بالملك حتى كلّ حيٍّ لَقَاح[2]

مجتمعُ الطعمينِ ، في طبعه تَوَقُّدُ البأسِ وفَيْضُ السّماح

يُضْحِكُ في الغرب[3] ثغورَ الظّبا وهنّ يُبْكِينَ عُيُونَ الجراح

مَهّدَ في المهديتين العلى وعمّ منه العدلُ كلّ النّواح

والمُلْكُ إن قامَ بـه حازِمٌ أضحى حِمىً ، والجدّ غيرُ المزاح

في سرجه اللّيثُ الذي لا يُرَى مفترساً إلاّ ليوثَ الكِفَاح

كأنّما سَلّ على قِرْنِهِ من غمده سيفَ القضاءِ المُتَاح

ذو هِمّةٍ شَطّتْ عُلاه فما تُدْرَكُ بالأبصارِ إلاّ التماح

---

١ النصاح : الخيط .

٢ حي لقاح : أي لا يدينون للملوك .

٣ في الخريدة : في الحرب .

من حِمْيَرِ الأمْلاكِ في منصبٍ   ذو حسبٍ زاكٍ ومجدٍ صراح
أعاظِمٌ لم يمحُ آثارَهُـم   دهرٌ لما خطّتـه يمناهُ مـاح
هم اليعاسيبُ لَدَى طَعْنِهِمْ   إنْ شَوَّكوا أيمانَهُمْ بالرّماح
كم لهمُ في الأُسْدِ من ضربَةٍ   كما سجاياهُ قريع اللّقـاح
إن ابنَ يحيَى قد بَنَى للعُـلى   بيتاً فأمسى وهو جارُ الضراح[1]
وصـالَ بالجِـدّ منوطاً به   جَدٌّ له الفوزُ بضربِ القداح
والصارمُ الهنديّ يسقي الردى   فكيفَ إن سُقّيَ مَوتاً ذباح
آراؤه في الرّوع أعْدى على   أعدائـهِ من مُرْهَفَاتِ السّلاح
وبطشُهُ ما زالَ عن قُدْرَةٍ   يُغمِدُ في الصّفح شِفَارَ الصّفاح
لا تصدرُ الأنفسُ عن حُبّـهِ   فإنّهُ للسيّئاتِ اجتراح
كم طامحِ الألحاظِ نَحْوَ العُلَى   إذا رآهُ غَضّ لحظَ الطّماح
وربّ ذئبٍ ذي مراحٍ فإن   عنّ له الضرغامُ خلّى المراح
يا طالِبَ المعروفِ ألْـمِمْ به   تَخْلَعْ على المطلوبِ منك النجاح
نداهُ يُغني لا نَدَى غيرِهِ   من للذُّنَابَى بِغَنَاءِ الجناح
فخلِّ مَنْ شَـحّ على وفره   لا تُقْدَحُ النّارُ بزندٍ شحاح
فالربعُ رحبٌ، والندى ساكبٌ،   والعيشُ رغدٌ، والأماني قماح[2]

١ الضراح : بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض .
٢ قماح : مرتوية قد نقعت ظمأها .

٦٤

وقال يمدحه ويهنئه بالعيد

ما للوشاةِ غَدَوْا عليّ وراحوا أعليّ في حُبِّ الحسانِ جُنَاحُ

وبمهجتي عُرُبٌ كأنّ قدودها قُضُبٌ تقومُ بميلهنّ رياح

مهتزّةٌ بقواتلِ الثّمَرِ التي أسماؤها الرُّمّانُ والتُّفّاح

غيدٌ زَرَيْنَ على القطا في مشيها فلهنّ ساحاتُ القلوب بطاح

من كلّ مُصْبِيَةٍ بِضِدّيْ حسنها: فالفَرْعُ ليلٌ، والجبينُ صباح

تفترّ عن بَرَدٍ، فراشفُ دُرِّهِ يَحلو له شَهْدٌ وتُسْكِرُ راح

لا تقتبسْ من نور وجنتها سناً إنّ الفراشةَ حتفها المصباح

نُجْلُ العيونِ جراحها نُجْلٌ أما تصفُ الأسنّةَ في الطعين جراح[1]

يا وَيْحَ قتلى العاشقين وإنْ هُمُ شهدوا حروباً ما لهنّ جراح

أوَما علمتَ بأنّ فُتّاكَ الهوى حُورٌ تكافحُ بالعيون مِلاح

من كلّ خودٍ كالغزالةِ، قِرْنُها أسَدٌ أُذِلَ، وإنّها لَرَداح

فالرّمْحُ قدٌّ، والخداعُ تَدَلّلٌ، والسيفُ لحظ، والنجادُ وشاح

---

١ أي ان سعة الجرح في المطعون دالة على السنان وكذلك العيون النجل فإن الطعنة منها تكون نجلاء .

ودماءُ أهل العشق في وَجَنَاتِها فكأنّ قتلاهم عليها طاحوا
وسبيئةٍ بصوارمٍ من عسجدٍ قد صَافَحَتْ منها العلوجَ صفاح
حمراءَ يُسْلِي شربُها ، وبشربها تُنْسَى الهموم وَتُذْكَرُ الأفراح
رَجَحَتْ يدي منها بحَمْلِ زجاجةٍ خفّتْ بها خودٌ إليّ رَجَاح
وكأنّ للياقوتِ ماءَ مزبداً فالدرُّ فيه بكأسها سَبّاح
ومجوّفٍ[1] لم تُحْنَ أضلُعُهُ على قلبٍ ، وقلبُك نحوه مرْتاح
نَبَضَتْ دقاقُ عروقِهِ فكأنّها في النّقْرِ أَلْسِنَةٌ عليه فصاح
مَسّتْهُ للإصلاحِ أنملُ قَيْنَةٍ فقضى بإفسادٍ له إصلاح
وَفَدَ السرورُ على النفوس بشَدْوِها وتمايلتْ طَرَباً بنا الأقداح
وكأنّما ذِكْرُ ابن يحيى بيننا مِسْكٌ تَضَوّعَ عَرْفُهُ النفّاح
مَلِكٌ رَعَى الدنْيا رعايةَ حازمٍ وأظلّ دينَ الله منه جَنَاح
متأصّلٌ في الملك ذو فخر ، له حَسَبٌ زكا في الأكرمين صراح
وَسِعَ البسيطةَ عَدْلُهُ وتضاعفَتْ عن طوله الآمال وهي فساح
ذو همّةٍ عُلْوِيّةٍ عَلَوِيّةٍ فلها على همم الملوك طماح
وإشارة باللحظ يخدم أمْرَهَا زمنٌ له سلم به وكفاح

---

[1] المجوف : كناية عن العود .

يَقِظٌ إذا التبستْ أمورُ زمانــه فلرأيه في لَبْسها إيضاح

فكأنّما يبدو له متبرّجــاً ما يحجب الإمساءُ والإصباح

راضَ الزمانَ فلم يزلْ منه أخا ذُلٍّ ، وقدماً كان فيه جماح

ورمى العدى بضراغمٍ أظفارُهَا ونيوبُها الأسيافُ والأرماح

نصحتْ لـه الدنيا فلا غشٌّ لها وَسَخَتْ به الأيامُ وهي شحاح

فتراه يورق في إرادته الصّفَـا صلداً ، ويوري الزّنْد وهو شحاح

من ذا يجاودُ منه كفّاً كفُّهُ والبحر في معروفه ضحضاح

زهد الغناةُ من الغنى في جوده ولـراحتيه ببـذله إلحـاح

كم قيل برّحَ في العطاءِ بماله فأجَبْتُ : هل للطبع عنه بَرَاح

ذِمْرٌ تروحُ شموسُهُ وبدورُهُ وبروجُها من معتفيه الراح[1]

وإذا بنو الآمال أخسرَ وُسْعُهُمْ أضحى لهمْ في القصد منه جناح

ولئن محـا الاعدامَ صَوْبُ يمينه فالجدبُ يمحوه الحيـا السيّاح

شَهْمٌ إذا ما الحرب أضحت حائلاً[2] أمسى لها بذكوره إلقـاح

تطوى على سُودِ الحتوفِ بعزْمه ملمومةٌ ملء الفضاء رداح[3]

أفلا تَبيدُ من العدى أرواحهُمْ ولها غُدُوٌّ نحوَهُمْ ورواح

---

١ الراح : جمع راحة وهي الكف .

٢ حائلا : لا تحمل .

٣ ملمومة : وصف للكتيبة . والرداح : الكتيبة الضخمة البطيئة في سيرها .

متناوِلٌ قُمُحَ الكماة[1] بأسمرٍ لدم الأسود سنانه سَفّـــاح

وكأنّ طعنته وجَـــارٌ واسِـعٌ فلثعلبِ الخطّيِّ فيه ضُبَـــاح

وكأنّما حَبّ القلوب لرمحه جِزْعٌ يُنَظَّمُ فيه وهو نِصَاح

في مأزقٍ ضنكٍ سماءُ عجاجه تعلو ، وأرضُ حِمامِهِ تَنْداح

أنتم من الأملاكِ أرواحُ العُلى شَرَفاً ، وغيركمُ لها أشباح

هـــذا عليٌّ وهو بَدْرُ مهـــابةٍ كَلِفٌ به بصرُ العُلى اللمّاح

هذا الذي نَصَرَ الهدى بسيوفه ورماحِهِ ، فَحِماهُ ليسَ يباح

هذا الذي فازتْ بما فوْق المنى من جوده للمعتفين قِداح

مَنْ حبُّهُ النهجُ القويمُ إلى الهدى فصلاحُ مبغِضِهِ الشقيِّ صـــلاح

من صَوْنُهُ قُفُلٌ لكلّ مدينة فإذا عَصَتْهُ فسيفُه المفتاح

يا صارمَ الدِّين الذي في حَدِّهِ مَوْتٌ يُبيد به عِداه ذُباح

طوّقْتَني مِنَناً فَرُحْتُ كأنّني بالمَدْحِ قُمْرِيٌّ لـــه إفصاح

وسَقَيتَني من صَوْبِ مزنك فوْق ما يَرْوَى به قلبُ الثرى الملتـــاح

ففداك مَنْ للمالِ أسْرٌ عنـــده إذْ لم يزَلْ للمال منـــك سراح

وبقيتَ للأعيـــاد عيداً مبهجاً ما لاحَ في الليل البهيم صَبَـــاح

---

[1] أي الفرسان المتكبرين .

٦٥

وقال

وأشقرَ من خيل الدنان ركبتُهُ   فأصبحَ بي في غايةِ السكر يجْمَحُ

فألجمتُهُ بالمزج حتى وَجَدْتُهُ   بما شحّ من حسن الرياضة يسمح

فيا عجبًا من روض نارٍ مكللٍ[١]   بنوّار ماءٍ في الزجاجة يسبح

فحرّ لظاها يلذعُ الفم[٢] في الحشا   وطيب[٣] شذاها للعرانين يَنْفَحُ

١ في ب : فواعجباً من بعض نار تكللت .

٢ في ب : تلفح النار .

٣ في ب : ورريا .

٦٦

وقال

تخريجها : البيت السادس في معاهد التنصيص : ٢٢٧

خَلَّ شيبي فلستُ أدْمِلُ جُرْحاً بخضابٍ منه فيَنْتَغِرَ جُرْحي[١]

وإذا ما خسرتَ يوْماً من العمـ ـر فهيهاتَ أنْ يُرَدّ بربح

عَيبُ شَيْبٍ يجلوه عَيْبُ خِضَابٍ إن هذا كنكءِ قَرْحٍ بِقَرْحْ

صبغةُ الله لستُ أستر منها بيدي في القذال قُبحاً بقبح

كم مُعنًّى منه وكم من غريبٍ بالليالي ما بين قَوْلٍ وشرح

وكأنّ الخضابَ دُهْمَةُ ليلٍ تحتها للمشيبِ غُرّةُ صبح

٦٧

وقال في الزهد

أبيعُ من الأيام عمري وأشتري ذنوباً كأني حين أخْسَرُ أربحُ

فهلاّ أذبتُ القلبَ من حُرَقِ الأسى وصيّرْتُهُ دمعاً من العين يُسفح

وأنّى وفي عُقْبَى الشبابِ عقوبةٌ أُسَرّ بها –بئس السرورُ– وأفرح

١ نغر الجرح : تفجر بالدم .

٦٨

وقال وقد مشط لحيته بمشط عاج

مَشَطْتُ بالصبح صُبْحا   فزدتُ في الشرح شرحا
وقـد خسرتُ حياةً   غَدَتْ من الربح ربحـا

٦٩

وقال أيضاً

لحظَك بالعُلى بالفوزِ قِدْحُ   وذكرك في غريب المجد شَرْحُ
رأيتُ محمداً والناسَ طرّاً   شكا وشكوا ، فلما صحّ صحّوا
مُحِبّكَ في التقى بهداكَ يُهْدى   وينحو في العُلى ما أنْت تنحو
فَبَلَغْتَ المُنى فيـه ومَرّتْ   به تلك الليالي وهي صُلْح
ونلتَ سعادةً ، ما اسودّ ليلٌ   وعينَ كرامةٍ ، ما ابيضّ صبح
فَرَفْعُ النجمِ في علياك خَفْضٌ   وَفَيْضُ البحر في نعماك رشح

٧٠

وقال أيضاً

رقيقةُ ماءِ الحسن يَجْري بِخَدّها كجَرْيِ الندى في غَضّ وَرْدٍ مُفَتّحِ

تثنّتْ بعطفيها عن العطف وانثنتْ كنشوانَ في بَرْدِ الصّبا مُتَرَنّح

فتحسبُ منها الرَّجْلَ جاذب أخمصاً فليس بمعقولٍ ولا بمسرّح[1]

فقلتُ لها : يا أملح العينِ مشيةً أمزنةُ جَوٍّ أنتِ أمْ سَيْلُ أبطح

لقد أشقت الأضدادُ منك ملاحةً فتى ، روحهُ في الحبِّ غيرُ مُرَوّح

سخاءٌ بهجرٍ من سمينٍ مُدَمْلَجٍ وشُحٌّ بوصلٍ مِنْ هَزِيلٍ مُوَشَّح

---

١ الرجل : أي شعرها المسترسل ، جاذب أخمص قدمها من طوله .

٧١

وكتب المعتمد يأمر عبد الجبار بالقدوم إليه من إشبيلية إلى قرطبة ،
فوافق ذلك مجيء أبي بكر بن عمار من سفره أسيراً مقيداً ،
فنزل به المعتمد في الوادي إلى إشبيلية وكان منهما ما كان ،
فرجع عبد الجبار إلى إشبيلية وكتب إلى المعتمد بهذه القطعة

تخريجها : « جميع أبياتها في الذخيرة ما عدا الثالث »

أيا مُوْليَ الصّنع الجميلِ إذا انتشى ... ويا مُبْتَدِيَ[1] النَّيْلِ الجميلِ إذا صحا

وفي كلّ أرضٍ من نداه حديقةٌ ... تَضَوّعَ مسكاً نَورُهَا وتفتّحا

عطاؤك يَعْفو المحلَ صوباً فَعَيْنُهُ ... تخطّ على آثاره كلّ ما محا

[أأفرد بالحرمانِ من كلّ عاطلٍ ... تَطَوّقَ من نعماك ثم توشّحا][2]

أتَنْبي على بُعْد النوى منكَ دَعْوَةٌ ... قطعتُ لها بالعزم نَجْداً وصحصحا[3]

ويحتال من أهل القريض مُصَرِّفٌ[4] ... يُهَادي القوافي[5] في امتداحك قُرّحا

....

١ الذخيرة : ويا مسدي .
٢ زيادة من الذخيرة .
٣ الذخيرة : أثارت بنات السير حولا ولقحا .
٤ الذخيرة : فجاءك من أهل البديع مصرف .
٥ الذخيرة : مهار القوافي .

وكان عليه الحقّ[1] ليلاً يجوبُهُ إليكَ فلما لاحَ وَجْهُكَ أصبحا

رفعتُ وأصحابي إلى ما يُجِدّهُ[2] علاك، فوَقِّعْ مُمسكاً أو مُسَرِّحا[3]

فوقّع له – رحمه الله – بل تُمْسَكُ بمعروفٍ ، ووصله بمائة دينار .

٧٢

وقال أيضاً

سلا أيَّ سلواني أرَى مَصْرَعَ ابْنِهِ وطالَ لفقد المـالِ طولُ نيـاحهِ

كذاك حَمَامُ البرْجِ يُذْبَحُ فَرْخُهُ فيسلو ويأسَى عندَ قصِّ جناحه

---

١ الذخيرة : الخلق .

٢ الذخيرة : رفعت بأطماعي إلى ما تحده .

٣ في «م» : مصرحا ، وما أثبته هو رواية الذخيرة .

حرف الخاء

٧٣

وقال أيضاً يصف رواقص

ومن راقصاتٍ ساحباتٍ ذيولَها شوادٍ ، بمسكٍ في العبير تَضَمّخُ
كما جرّرَتْ أذيالَها في هديلها حمائمُ أيْكٍ أو طَواويسُ تَبذَخُ

حرف الدال

٧٤

وقال أيضاً

يا جنّةَ الوَصْلِ التي حفَّتْ بها نارُ الصّدودِ
مَن لي بريّاكِ التي فُتِقَتْ بريحانِ الخلود
ومُجاجةٍ شَهْديّةٍ تُجْنى من البَرَدِ البَرُود
وارحمتا . وأنا العُبَيْدُ ، من الهوى لِشَجٍ عميد
يَرْمي ولكن لا يَفي برمايةِ الغَرَضِ البعيد
من للمقيمِ على الصّعيد إلى الغزالةِ بالصعود

٧٥

وقال أيضاً

هفا القلبُ عن وَصلِ هيفِ القدودِ   وماءُ الصِّبا مُورِقٌ منه عُودي

فُطِمْتُ ولي وَلَـعٌ بالعُـلى   أجاري الصِّبا في مداها المديـد

وما زلْتُ وطأً فُوَيْقَ السِّماك   إلى قُطْبِها ناظراً في صعود

وما يُورِدُ الشيخَ إلاّ الذي   تلوحُ شمائـلُهُ في الوليـد

حفظتُ الدُّمَى لهوى دُمْيَـةٍ   ويُحْفَظُ للبيتِ كلّ القصيد

ولكنْ رأيتُ العـلى ضَرّةً   تُنَافِرُ كلّ فتاةٍ خـرود

فثرتُ وثارتْ معيْ هِمّـةٌ   قيامي لهَا فارعٌ مِنْ قعـود

وما نَوّمَتْ عَزْمَتي بلـدةٌ   تُنَبّهُ في الغمر عَجْزَ البليد

ولا طَفْلَةُ العيش وهنانَـةٌ   أروجٌ بنفحةِ مِسْكٍ وعود[1]

تُوَدِّعُ للبينِ كَفّاً بكَفٍّ   ونحراً بنَحرٍ وجيداً بجيـد

ومَنْ يطلبِ المجدَ ينزلْ إلى   قَرَا النّهد عن نَهدِ عذراء رود[2]

١ الطفلة : المرأة الرخصة الناعمة ؛ الوهنانة : الكسلى عن العمل .

٢ القرا : الظهر . والنهد : الفرس الجسيم المشرف .

ويَرْمِ على الخوفِ عَزْماً بعَزْمٍ   وليلاً بليلٍ وبيداً ببيد

* * *

ولله أرْضي التي لم تَـزَلْ   كناسَ الظّباءِ وغيلَ الأسود

فمن شادنٍ بابليّ الجفـون   نفورِ الوصالِ أنيسِ الصدود

يديرُ الهوى منه طرفٌ كليلٌ   يفُلّ ذلاقةَ طَرْفي الحديد

ومن قَسْوَرٍ شائكِ البُرْثُنَيْنِ   له لِبْدَةٌ سُرِدَتْ من حديد

يصولُ بمثلِ لسانِ الشُّوَاظِ   فيولِغُـهُ في نجيـع الوريد

زبانيَةٌ خُلِقوا للحروبِ   يَشُبّونَ نيرانَهـا بالوقود

مساعيرُهُمْ مُرْهَفَـاتٌ بُنِينَ   لهدّ الجماجِم من عهد هود

همُ المخرجونَ خبايا الجسومِ   إذا ضَرَبُوا بخبايا الغمـود[1]

هم الماثلون على الحـاقدين   صدورَ رماحهم بالحقـود

نجومٌ مطالعهـا في القَنَـا   ولكنْ مغاربُها في الكبـود

تخطّ الحوافرُ من جُرْدِهِـمْ   محاريبَ مبثوثَةً في الصعيـد

تخرّ رؤوسُ العـدى في الوغَى   لها سُجّداً ، يا له من سجود

* * *

وبَرْقٍ تألّقَ إيمـاضُـهُ   كَتَخَفُقِ جناحِ فؤادٍ عميد

---

١ خبايا الغمود : السيوف .

يريكَ التواءَ قسيّ الرمـاة إذا ما جُذِبْنَ بنزْع شديد

سقَى الله منه الحمى عارضاً يُقَهْقِهُ ضاحكُهُ بالرعــود

مُكَرَّ الطرادِ، وثَغْرَ الجهادِ، ومُجْرَى الجيادِ، ومأوَى الطريد

بحيثُ تقابلُ شوساً بشوسٍ وغرّاً بغرّ وصيداً بصيد

وأجسامُ أحيائهمْ في النّعيمِ وأرواحُ أمواتِهِمْ في الخلود

٧٦

وقال أيضاً

حسّنْ غذاءَكَ واعتمدْ منه على وقتٍ وحَدْ

فالنّفسُ تهزل بالمــآ كلِ كلّما سَمِنَ الجسدْ

٧٧

وقال أيضاً

[ونقل المعنى من الماء إلى السماء ومن البرودة إلى البرد]*

تخريجها : البيت ١ : في بدائع البدائه : ٣٨ . والأبيات ١ ، ٢ ، ٢١ ، ٢٢ في معاهد التنصيص : ٢٢٢ والتفح .

نَشَرَ الجوُّ على الأَرْضِ[1] بَرَدْ . أيّ دُرٍّ لنحورٍ لو جَمَدْ

لؤلؤٌ أصْدافُهُ السُّحْبُ التي أنْجَزَ البارِقُ منها ما وَعَدْ

منحتْـهُ[2] عارياً من نَـكَدٍ واكتساب[3] الدُّرّ بالغوص نكد

ولقد كادَتْ تَعاطَى لَقْطَهُ رغبةً فيه كريماتُ الخُرُد

وتحلّي منـهُ أجيـاداً إذا عَطِلَتْ راقَتْكَ في حَلْي الغَيَد

ذَوَّبَتْهُ من سمـاءٍ أدْمُعٌ فَوْقَ أرْضٍ تتلقّاه[4] بِخَد

فَجَرَتْ منـهُ سيولٌ حولَنا[5] كثعابين عجـالٍ تَطّرِد

* زيادة من ب .

١ في بدائع البدائه : ٣٨ ومعاهد التنصيص : ٢٢٢ ، والتفح : الترب .

٢ ب : لقطته .

٣ ب : واقتناء .

٤ ب : تتلقاها .

٥ ب : فتجارت حولنا أرساله .

وترى كلَّ غـديرٍ مُتأقٍ سبَحَتْ فيهِ قواريرُ الزّبَدْ[1]

من يعاليلَ كبيضٍ وُضِعَتْ في اشتباكِ الماءِ[2] من فوق زرد

أرَقّ[3] الأجفـانَ رعدٌ صوتُهُ كهديرِ القَرْمِ في الشّوْلِ حَفَدْ[4]

باتَ يجتابُ بأبكارِ الحيـا بلداً يُرْويهِ مِنْ بَعْدِ بَلَدْ

فهو كالحادي روايا[5] إن وَنَتْ في السُّرَى صاحَ عليها وجلَـد

وكأنّ البرقَ فيهـا حاذفٌ بضرامٍ كلّما شَبّ خَمَـد

تارةً يخفـو[6] ويخفى تـارةً كحسامٍ كلّما سُـلّ غُمِـد

يَذْعَرُ الأبْصارَ محمرّاً كما قَلّبَ الحملاقَ في اللّيلِ الأسَد

وعليلِ النّبْتِ ظمآنِ الثرى عرّج الرّائدُ عنـه فزهـد

خَلَعَ الخصبُ عليه حُلَـلاً لبديع الرقمِ فيهنّ جُدُدُ[7]

وسَقاهُ الريَّ من وكّافَـةٍ[8] فتَحَ البرقُ بها اللّيلَ وسَد

---

١ رواية ب : فيرى كل عزيز متقى قد تردى بقوارير الزبـد
والمتأق : الملآن .
٢ ب : رصعت في انسيال . واليعاليل : الحباب .
٣ ب : أزرق .
٤ ب : الفحل في السوق جعد . وفي ف : حقد ؛ وحفد البعير : أسرع في السير . والقرم : فحل الإبل . الشول : القطيع .
٥ الروايا : الإبل التي تحمل الماء .
٦ في ب : يبدو . ويخفو البرق : يلمع .
٧ جدد : طرائق وخطوط .
٨ وكافة : سحابة ماطرة .

ذاتِ قطرٍ داخلٍ جَوْفَ الثرى كحياةِ[1] الروح في موت الجسد

فتثنّى الغصنُ سكراً بالنّدى[2] وتغنّى ساجعُ الطيرِ غـرد[3]

وكأنّ الصبحَ كَفٌّ حَلّلَتْ من ظلامِ الليلِ بالنور عُقَد

وكأنّ الشمسَ تجري ذهباً طائراً في صيده[4] من كلّ يـد

٧٨

وقال يرثي [ابن أخته]

خَطْبٌ يهزّ شواهقَ الأطوادِ صَدَعَ الزّمانُ به حصاةَ فؤادي[5]

ومصيبةٌ حَرُّ المصائب عندها بَرْدٌ بِحُرْقَتِها على الأكبـاد

وكأنّما الأحشاءُ من حَسَراتِها يَنْجذبْنَ بينَ براثنِ الآساد

كُبَرُ الدّواهي رَحَلَتْ بحلولها قَرْماً . لقد قَرَعَتْ قريعَ أعادي

سكنتْ شقاشِقُهُ وكان هديرُهُ يستكّ منه مسامعُ الحسّـاد

وكأنّما في التُرب غَيّضَ غيضها لَحْداهُ وَرْداً[6] عن وُرودِ صَوَاد

١ في ب : بحياة .
٢ في ب : بالحيا .
٣ في ب : الفرد .
٤ في المعاهد : من جيده .
٥ حصاة الفؤاد : تماسكه وقدرته على الصبر .
٦ الورد : الأسد .

نُحِرَتْ شؤوني بالبكاءِ عليه أمْ   عُصِرَتْ مدامعها من الفِرْصاد[1]

لم أنْتَفِــع بالنفسِ عند عزائها   فكَأنّهــا عينٌ بغير سواد

هذا الزمان على خــلائقه التي   طَوَتِ الخــلائقَ من ثمودَ وعاد

لم يبق منهم من يَشُبّ لِقَرْيِهِ   بيديه سِقْطاً من قداح زناد

يَفْنى ويُفْني دهرُنا وصروفــه   من طــارقٍ أو رائحٍ أو غاد

فكأنّ عينك منه واقعــةٌ على   بَطَلٍ مُبِيدٍ في الحروب مُبَاد

والناسُ كالأحلام عند نواظر   ترنو إليهمْ ، وهي دارُ سهاد

سَهَرٌ كرى مُقَلٍ تخافُ منالرّدى   للخوْفِ هَجْرُ الطيرِ مــاءَ ثماد

والعمرُ يُحْفَزُ بين يومٍ سابقٍ   لا يستقِرّ ، وبين يومٍ حــاد

دنيا إلى أخرى تُنَقِّلُ أهلَهــا   هل تُشْرَكُ الأرواح في الأجساد

وكأنّهنّ صوارمٌ ، ما فعلها   إلا من الأجسام في أغماد

حتى إذا فُجِعَتْ بها أشْبَاحُهــا   بقيتْ لفقد حياتها كجماد

والموتُ يُدْرِكُ والفرار مُعقِّلٌ   من فرّ عنــه على سَرَاة جــواد

وينَالُ ما صَدَعَ الهواءَ بخافقٍ   موتٌ ، ومن قَطَعَ الفَلا بسهاد

ويسومُ ضيماً كلَّ أعصمَ[2] شاهقٍ   ريبُ المنون ، وكلَّ حيةِ واد

---

١ الفرصاد : التوت الأحمر .

٢ الأعصم : الوعل المتأبد .

وهزبرَ غابٍ يحتمي بمخالبٍ يُرْهَفْنَ من غير الحديد ، حداد

يسري إلى وجه الصباح .. وإنّما مصباحُهُ من طَرْفِهِ الوقّاد

أو لا ولم يُبْلِ الحِمامُ بشبلــه وعنادُهُ باللدّ غيرُ عناد

وأخو الهداية راحلٌ جَعَلَ التقى زاداً لـه فَتُقَاهُ أفضلُ زاد

أنا يا ابن أختي لا أزالُ أخا أسىً حتى أُوَسَّدَ في الضّريح وسادي

إني امرؤ مما طُرقت مُهَيَّدٌ[1] بفراقِ أهْلي وانْتزاحِ بلادي

أودى الغريبُ بعلّةٍ تعتاده بالكرب ، وهي غريبة العوّاد

أمَلٌ وعدت به ، وأوعدني الرّدى فَبِهِ يُنجَزَ الـوعدُ بالإيعـاد

حيٌّ وميْتٌ بالخطوب تباعَـــدا شتّانَ بين بعـاده وبعـادي

نعيٌ دُهيتُ به فمتّ وإنْ أعِشْ خلفَ المنون فلم أعش بمرادي

ما ثُلّمَ السيفُ الذي جَسَدُ الثرى أمْسَى له جفناً بغير نجاد

عَضْبٌ يكون عتادَ فارسِهِ إذا ما سلّهُ . والعضبُ غير عتاد

قد كان في يُمْنَى أبيه مصمّماً يعتدّهُ يومَ الوغى لجـــلاد

أعززْ عليّ برونقٍ يبكي دماً بتواترِ الأزمـــان والآبـــاد

وأقول بَدْرٌ دبّ فيه مُحاقُهُ إنّ الكمال إليه غير مُعَاد

[1] مهيد : مروع مفزع .

إن غابَ في جَدَثٍ أنارَ بنوره فَبِفَقْدِ ذاك النورِ أظْلَمَ نادي
واستعذبته المعضـلاتُ لأنهـا مستهدفاتُ مقاتِلِ الأمجـاد
لو أخرَتْهُ منيَّةٌ لتقدَّمَتْ في الجود همَّتُهُ علـى الأجواد
ولكان في دَرْسِ العلومِ وحفظها بين الأفاضلِ مبدأ الأعداد
إنّ المفاخر والمحامـد ، سِرّهـا لذوي البصـائر في المخايل باد
زَيْنُ الحضور ذوي الفضائل غائبٌ يا طولَ غيبةِ مُعْرِضٍ مُتَمَادِ
هلاَّ حَمَتْهُ عنـاصرُ المجد التي طابتْ من الآباء والأجداد
ومكارمٌ بُذِلَتْ لصون نفوسهم معدودةٌ بالفضل في الأعداد
ونجابةٌ وَقْفٌ عليهم فضلُها منقولةٌ منهم إلى الأولاد
مِنْ مُعرِقِ الطرفين ، مركزُ فَخرِهِ بيتٌ ، سماءُ عُلاهُ ذاتُ عماد
المنفقون بأرضهم أعمـارَهُمْ ما بين غزوٍ في العدى وجهاد
أذْمارُ حربٍ في سماءِ قتامِهِم شُهُبٌ طوالع في القَنَا المَيّاد
وبوارقٌ تنسلّ مِنْ أجفَانها ورق لزرعِ الهامِ ذاتُ حصاد
فزعَ الصريخُ إليهمُ مستنجداً فبهم ومنهم شوكة الأنْجَاد
أُسْدٌ لَبُوسُهُمُ جلودُ أراقمٍ بُهِتَتْ لرؤيتها عيونُ جرَاد

* * *

يا عابدَ الرحمن حسبك رحمـةً وفّى لها بالعهد صوب عِهاد

بحلاوة اسمك للمنون مرارةٌ طُرِحَتْ بِعَذْبِ الوِرْدِ للورّاد

إني أنادي منكَ غيرَ مُجَاوِبٍ ميتاً ، وعن شوقٍ إليك أنادي

في جوف قبر مفرد من زائر : قبرُ الغريب يُخَصّ بالإفراد

ما [بينَ] مَوْتى في صباح عرّسُوا لإعادةٍ بالبعث يومَ مَعَاد

بين الألوف عفيّةً أرسامهم ولرسمه قبر من الآحاد

أوَلم يكن بقراطُ دونَ أبيكَ في داءٍ يُعَادُ لَهُ المريضُ عِداد[1]

وأدقّ منه فكرةً حسيّةً حكميّةَ الإصدارِ والايراد

هلاّ شَفَى سَقَماً فوقّفَ بروُهُ موتاً تمشّى منك في الأبْراد

هيهاتِ كان مماتُ نفسك مثبتاً بيدِ القضاء عليك في الميلاد

قصّرتكَ كالممدود قَصْرَ ضرورةٍ وَعَدَتْكَ عن مدّ الحياةِ عوَاد

وشربتَ كأساً نحن في إيراقها إذ أنْت منها في طويل رقاد

وتركتَ عِرْسَكَ،وهي منك جنازةٌ ولباسَ عرسك، وهو ثوبُ حداد

أهْدَى إلَيك مكانَها حوريّةً مُهْدٍ ، وذاك الفضل فَضْلُ الهادي

عندي عليك من البكاء بِحَسْرَةٍ ماءٌ لنار الحزن ذو إيقاد

ونياحُ ذي كَمَدٍ يذوبُ به إذا رفع الرثاءُ عقيرةَ الإنشاد

---

١ الداء العداد : هو الذي يدع صاحبه زماناً ثم يعاوده .

وتخيّلٌ يحييك في فكري ، فذا   مَسْعاكَ في برّي ومحض ودادي
قد كان عيدك ، والحياة على شفا   من قطع عمرك ، آخرَ الأعياد
أرثيك عن طبع تَجدّوَلَ بَحْرُهُ   بَعْدَ الغيَاب وكثرة الأولاد
أنا في الثمانين التي فتَلَتْ بها   قَيْدي الزمانةُ ، عند ذلَّ قيادي
أمشي دبيباً كالكسير وأتّقي   وثباً عليّ من الحِمام العادي
ذبلت من الآداب روضتيَ التي   جُليت نَضَارتها على الرواد
لو كنتَ بعدي لافتديت بأنْفُسٍ   وبما حوت من طارف وتلاد
فاصبر أبا الحسين احتسابَ مُسَلِّمٍ   لله أمرَ خواتم ومَبَادي
فلقد عهدتُك ، والحوادثُ جَمّةٌ   وشدادُهُنّ عليك غيرُ شداد
أوَليس إبراهيم ، نجلُ محمدٍ ،   بالدفن صار إلى بلى ونفاد
ردّ النبيُّ عليه تربةَ لحده   بيد النبوّة ، وهي ذات أيادي
فتأسَّ في ابنك بابنه، وَخِلالِه،   تَسْلُكْ بأسْوَتِه سبيلَ رشاد

٧٩

وقال أيضاً

نحنُ في جنّةٍ نُباكرُ منها ساحِليّ جَدْوَلٍ كسيفٍ مُجرَّدْ
صَقَلَتْ متْنَهُ مداوسُ شمسٍ[1] من خلال الغصون صقلاً مجدّد
ومدامٍ تطيرُ في الصحن سُكراً فتُحلّ العقُودُ منها وتعقد
جسمها بالبقاءِ في الدنّ يبلى وقُواها مع الليالي تجدّد
وإذا الماءُ غاصَ في النّارِ منها أخرجَ الدُّرَّ من حباب منضد
يا لها من عصيرِ أوّلِ كَرمٍ سكر الدّنُّ منه قدماً وعربد
جنّةٌ مجّتِ الحيا إذ سقاها مُصْلحٌ من غمَامهِ غيرُ مفسد
قد لبسنا غلائلَ الظلّ فيها مُعْلَماتٍ من الشعاع بعسجد
ورأينا نارنجها في غصون هزّتِ الرّيحُ خُضْرَها فهي مُيّد
ككراتٍ مُحمَّرَةٍ من عقيق تدّريها صوالجٌ من زبرجد
وكأنّ الأنوارَ فيها ذُبَالٌ بسليطٍ من النّدى تتوقّد
وكأنّ النّسيمَ بالفرج[2] يُفْشي بين روضاتها سرائرَ خُرّد

---

١ المداوس : جمع مدوس وهو أداة الصقل .
٢ فرج الوادي : بطنه .

حيثُ نُسْقَى من السرورِ كؤوساً ونُغَنّى من الطيور ونُنْشَد

ذو صفيرٍ مرجّع أو هديلٌ أسَمِعْتُمْ عن الغ... ومَعْبَد

شادياتٍ تمسي الغصونُ وتضحي رُكّعاً للصَّبَا بهنّ وسجّـد

كان ذا والزمانُ سَمْحُ السجايا ببوادٍ من الأمـاني وعُـوّد

والصِّبا في معاطفي ، وكأنّي غُصُنٌ في يدِ الصَّبا يتأوّد

٨٠

وقال أيضاً

ومضمَّنٍ راحاً يشفّ زجاجُهُ عن ماءِ ياقوتٍ بدُرٍّ يُزْبِدُ

جامٌ يجمِّـعُ شربُهُ لذّاتِنـا وعقولُنا بالسكر منه تُبَـدَّدُ

ويخفّ ملآناً ويثقُلُ فـارغاً كالجسم تُعدَمُ روحُهُ أو تُوجَدُ

٨١

وقال أيضاً في الصيد

لمّا رأيتُ الصّبحَ قد تبـــدّى

كأنّه في الشّرْقِ سيلٌ مَدّا

وحاجبُ الجَوْنَةِ قد تَصَدّى

شهباً فأطبقن عيوناً رمـدا

أركبتُ نفسي شوذقاً مُعَدّا[1]

يهـدّ أركانَ الطيـورِ هدّا

بمخلبٍ تبصرُهُ مســـودّا

كأنّه من خِنْجَرٍ قَدْ قُدّا

حرصاً على الصّيْدِ بنا في الرمدا

في لَعِبٍ منك يريكَ الجِدّا

وفتيـــةٍ يكتسبونَ المجـدا

ويركبونَ السّابحاتِ الجُرْدا

ويلبسونَ مِنْ حديدٍ سَرْدَا

ويُشرعون الذّابلاتِ المُلْدا

[1] في ب : شوذقاً مفدى ، والشوذق : الصقر ، يصاد به .

ويصرعونَ في الحروبِ الأُسدا

ويقنصونَ حُمُراً ورُبْداً[1]

. . . .

صادوا وصادوا ما يجوز العَدّا

فمن فتى يَقْدَحُ منه زَنْدا

وحاطبٍ طلحاً لـه ورَنْدا

ومشتوٍ يوسعُ ناراً وَقْدا

وفاتحٍ عن لذّةٍ ما سَدّا

عن ذاتِ عَرْفٍ أعرفته[2] النّدّا

ياقوتَةً تلبس دُرّاً عِقْدا

مطيةً من السّرور تُحْدَى

بمسمعٍ شدواً يثيرُ الوجدا[3]

وقد[4] أعير من فتاة نَهدا

ومن قضيبٍ في كثيبٍ قَدّا

فعلُ الهوى من طَرفه مُعَدّى[5]

. . ....

١ الربد : النعام ، أو ما لونه أربد من الطيور .

٢ في ب : عرفتنا .

٣ في ب : من كف ذي شدو .

٤ في ب : ريم .

٥ في ب : من فعله تعدى . ومعدى أي جعل متعدياً بعد لزومه .

والوردُ في وجنته منسدّى
يصونُ منه في لمـاه شَهْدا
عيشٌ قطعتُ[1] العيشَ فيه رغدا
مواصلاً منـه شباباً صَـدّا
كانَ مُعاراً ثوبُهُ فَرُدّا

٨٢

وقال يمدح أحمد بن عبد العزيز بن خراسان

هلْ أنتِ فاديةٌ فؤادَ عميـدِ　　من لوعةٍ في الصّدْرِ ذاتِ وَقُودِ
أم أنتِ في الفتّاكاتِ لا تخشينَ في　　قتلِ العبادِ عقوبةَ المعبود
إن كان لا تنبو سيوفُكِ عن حشا　　صبٍّ فليس حدادُها بحـديد
قلْ كيف تعطفُ بالوصال لعاشق　　من لا تجودُ له بِعَطْفَةِ جيد
لو بتّ مغتبقاً مدامةَ ريقهـا　　لخشيتُ صارمَ جفنها العربيد
إن شئتَ أن تَطْوي على ظمإٍ فَرِدْ　　ماءَ المحاسن فَوْقَ وَجْنَةِ رُود
غيداءُ يُسقِمُ بالمـلاحةِ دَلُّهَا　　جسمَ العميد ، كذاك دلّ الغيـد
كَتَبَتْ لها وصلاً إشارةُ ناظري　　فمحاهُ ناظرُ طرفهـا بصدود

---
١ في ب : عمر لبست .

ولقد يهيجُ ليَ البكاءَ صبابةً شادٍ مطوَّقُ آلةِ التّغريد

باتت سواري الطلّ تضرب ريشَهُ بجواهرٍ لم تدْرِ سِلْكَ فريد

غنّى على عودٍ يميسُ به كما غنّى التقابُلَ مَعْبَدٌ في العُود

والليل قوّضَ رافعاً من شبهه بيضَ القبابِ على نجائبَ سود

والصبحُ يلقط من جُمّانِ نجومه ما كانَ في الآفاقِ ذا تبديد

زُهْرٌ خَبَتْ أنوارُهَا فكأنّها سُرُجُ المَشاكي عوجلت بخمود[1]

كأزاهر النوّار تقطفها مهاً من كلّ مخضرّ البقاع مَجُود[2]

كأسنّةٍ طَعَنَتْ بها فرسانُها ثم امتسكن عن القنا بكبود

كعيون عُشّاقٍ أباحَ لها الكرى مَنْ كان عَذّبَهُنّ بالتّسهيد

والصبحُ يبرقُ كرّةً في كرّةٍ مثلَ استلالِ الصارمِ المغمود

وتفرّقت تلك الغياهبُ عن سنا فلقٍ يُفَلّقُ هامَها بِعَمُود

* * *

إني خبرتُ الدهر خُبْرَ مُجَرِّبٍ وكلمْتُ غاربَهُ بِحَمْلِ قتود

فالحظّ فيه طَوْعُ كَفّيْ مُظْلِمٍ بالجهلِ ، من نورِ العلوم بليد

والحمدُ في الأقوام غير مُسَلَّمٍ إلاّ لأحمدَ ذي العلى والجود

---

١ المشاكي : جمع مشكاة وهي الكوة التي يكون فيها السراج .

٢ مجود : ممطور .

من لا يجودُ على العفاةِ بطارفٍ حتى يجودَ عليهمُ بتليد

خرّقَ العوائدَ منه خرقٌ سيْبُهُ ثرُّ الغمائم مورقُ الجلمود

يأوي إلى شرفٍ تقادمَ بيتُهُ أزمانَ عادٍ في العلى وثمود

متردّدٌ في ساميات مراتبٍ والبدرُ في الأبراج ذو تغريد

كالشمس يبْعُدُ في السماء محلّها وشعاعُها في الأرض غيرُ بعيد

يلقى وجوهَ المعتفين بغُرّةٍ بسّامةٍ ويدٍ تسحُّ بجود

ما زال يشردُ عرْضُهُ عن ذمّةٍ وعطاؤه بالمطل غيرُ شريد

في ربعه روضٌ مرُودٌ خصْبُهُ أبداً مُصَاقبُ منْهلٍ مورود

وكأنّما للنّيْلِ فيه مدارجٌ عند التقاء وفودهِ بوفود

سبقَ الكرامَ وأقبلوا في إثره كسنان مُطّردِ الكعُوبِ مديد

متصرّفُ الكفّيْن في شُغُل العلى لم يخلُ من بذلٍ ومن تشييد

والمجدُ لا تُعْلي يداك بناءهُ إلاّ بمالٍ بالندى مهدود

يا ابن السيادةِ والرّياسةِ والعُلى وعظيم آباءٍ ، عظيمِ جدود

خُذْهَا كمنتظم الجمان غرائباً تُرْوَى قصيدتها بكلّ قصيد

نيطَتْ عليك عقودُهَا ولطالما نُظِمَتْ لأجيادِ الملوك عقودي

٨٣

وقال أيضاً

ولما تلاقينا وأثبتَ عندها نحولي وتبريحي من الحبِّ ما عندي

خلعنا على الأجياد أطواقَ أذرعٍ كأنّ لنا روحين في جَسَدٍ فَرْد

كأنّ عناقَ الوصل لاحَمَ بينَنَا بريحٍ ونارٍ من زفيري ومن وجدي

ولما أتاني الصبحُ ذُبْتُ ولم تَذُبْ فيا لك من شوقٍ خُصِصْتُ به وحدي

٨٤

وقال أيضاً ، وقد سأله رجل أديب من الأندلس أن يصف له راقصة على مذهبهم في رقص قيناتهم ، وذلك أن الراقصة منهم تشير بأنملها ، وهي تغني ، إلى كل عضو ، وما يحلّ به من تعذيب الهوى ، فإن ذكرت دمعاً أشارت إلى العين ، وإن وصفت وجداً أشارت إلى القلب، وهي مع ذلك تعبر عن تدلل المحبوب وتذلل المحب بما يليق بهما من الاشارات الحسنة والحركات المنبهة على ما أرادت :

وراقصةٍ بالسحر فى حركاتها تقيمُ به وَزْنَ الغناءِ على حَدّ

مُنَغَّمَةٌ ألفاظهـــا بترنمٍ كسا معبداً من عزّهِ ذلّةَ العبد

تدوسُ قلوبَ السامعينَ برَخْصَةٍ بها لَقَطَتْ ما لِلُّحون من العَدّ

بِقدٍّ يموتُ الغُصْنُ من حَرَكاته سكوناً ، وأين الغُصْنُ مِن بَرَهِ القد[1]

وتحسبها عمّـــا تشيرُ بأنملٍ إلى ما يلاقي كلّ عضوٍ من الوجد

بنا لا بها ما تشتكي من جوَى الهوى وأدمع أشواقٍ مُخَدِّدَةِ الخـد

[1] البره : الترارة أو البضاضة والامتلاء . وفي « م » نزهة القد .

٨٥

وقال يصف الذباب الذي يقع على الإبل

تخريجها : ١- ٣ في الوافي

ومودع في المطـايا لَسْعَةً حمة فيزعج[١] الروحَ تعذيباً من الجسد

يُغْشي السوامَ مناقيراً فتحسبها مباضعاً مدميـاتٍ كلَّ مفتصد

يحكّ من دمها القـاني يداً بيدٍ حكّ الظريف بحنّاءٍ بنانَ يد[٢]

٨٦

وقال أيضاً يمدح المعتمد

تَنَهّدَ لما عنّ سِرْبُ النواهدِ على بُعْدِ عَهْدٍ بالصّبا والمعاهدِ

وَعَطْفُ قلوبٍ من دُمَاها بمنطقٍ كفيلٌ بتأنيسِ الظبـاءِ الشوارد

ذكرتُ الصبا والحانياتِ على الصبا وهنّ لأجساد الصّبَا كالمجاسد[٣]

فبرّحَ بي شوقٌ إليها مُعَـاوِدٌ وناهيك من تبريحِ شوقٍ معاود

....

١ في ب : فينزع .

٢ في ب : كما تحك بحناء يد بيد ، والوافي : كما تحك محياها يد بيد .

٣ في ب : ونظم الزمان الشمل نظم الفرائد .

على حين لم أركبْ عتاقَ صبابتي ولا ذُعِرَتْ في سِربِهنّ طرائدي

متى تصدرُ الأحلامُ من غير فتنة ومن غَرَضِ الأحداق[1] بيضِ الخرائد

لقد رادني روضاً من الحسن ناظري فلي محْلُ جسمٍ جَرّهُ خِصْبُ رائدي[2]

وأصبحتُ من مسك الذوائب ذائباً أما يَقْتُلُ الآسادَ سَمُّ الأساود[3]

وإني لذو قلب أبيٍّ حملته ليحمل عني مثقلاتِ الشدائد

فلا غرو إن لانت لظبيٍ عريكتي أنا صائدُ الضرغامِ والظبي صائدي

أيا هذه استبقي على الجسم، إنّني كثيرٌ سقامي حيث[4] قلّت عوائدي

مُسَاءٌ ببينٍ فرّقتنا[5] صروفه عباديد إلاّ في علوّ المقاصد

ظلمنا المطايا ظلم أيامنا لنا لكلّ على الساري به صدر حاقد

تكلفنا الهمّات[6] نيل مرادها ومن للمطايا باتصال الفراقد[7]

مقاودها تفني قواها كأنّها مكاحل يفنى كحلها بالمراود

---

١ في ب : ومن عرض الأيام .

٢ رواية ب : سفرت عن الروض المنوع زهره فأجدب جسمي حين أخصب رائدي

٣ رواية ب : أذبت بترجيل الذوائب لوعة وقد يقتل الإنسان سم الأساود

٤ في ب : حين .

٥ في ب : قذفتنا ببين حرقتنا .

٦ في ب : تكلفها الأيام .

٧ في ب : في السرى بالفراقد .

وليلة أعطينا الحشاشات[1] فضلة   من النوْم صَرْعَى بين غُبْر الفدافد

وقد وردت ماءَ الصباح بأعينٍ   نوائمَ في رأي العيون ، سواهد[2]

فقلت لأصحابي ارفعوا من صدورها   فقد رفع الإصباحُ رايةَ عــاقد

إذا نظمت شمل المنى بمحمد   نثرنا على علياه درّ المحامــد

وأضحت لديه معتقاتٍ ومتعت   بخضر المراعي بين زرق الموارد

همامٌ يهزّ الملكُ عطفيه كلما   علا الناسَ منه كعبُ أروعَ ماجد[3]

وأكبرُ يأوي من ذؤابةِ يعربٍ   إلى ذروة البيت الرّفيع القواعد

تلاقَى الملوكُ الغرّ[4] حول سريره   فمن راكعٍ مُغضيْ[5] الجفون وساجد

يكفّون أبصاراً لهمْ عن سميدع[6]   تديمُ إليه الشمس نظرة حــاسد

إذا اقتادَ جيشاً ساطعَ النقع أنذرتْ   طلائعهُ جيشَ العدو المكابــد

ومن يكُ بالنصرِ العزيزِ مؤيَّداً   مِنَ الله لا ينصبْ حبالَ المكايد

---

١ في ب : أعطتنا الحشاشة .

٢ في ب : كرائم في ظن العيون شواهد .

٣ في ب : علا البأس منه .

٤ في ب : الملوك الصيد .

٥ في ب : يغضي

٦ في ب : عن ملك .

٨٧

ومنها في صفة فرس أدهم كان يؤثر ركوبه* على غيره

ومنغمسٍ في صبغة الليل يَمْتَطي إلى آجل الآساد قَيْدَ الأوابد
يختُم يمناه قبيعةُ صارمٍ[1] لما قد طغى من سُنْبُلِ الهام حاصد
يكرّ فكم جسمٍ على الأرض ساقطٍ صريعٍ وكم روحٍ إلى الجوّ صاعد
وأُسْدٍ تصيرُ الأُسْدُ كالبَهْمِ عندها إذا ما الظُّبى خَطَّتْ ربوعَ القلائد
أطَلْتَ ، وقد حانَ الجلادُ ، سكونها بقولك للأبطال : هل من مجالد ؟
وردتَ فكم حظٍّ من الفضلِ باهرٍ لديك وكم خفضٍ من العيش بارد
ثناؤك في الآفاق أركبني المُنَى وَغَرّبَني عَنْ موْطني المتباعد
وقد قِسْتُ أعوامي التي سلفت فما وَفَيْنَ بيومٍ من لقائك واحد

* يبدو أن الضمير في « يؤثر » يعود إلى المعتمد لا إلى الشاعر .
١ قبيعة السيف : ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد .

٨٨

وقال أيضاً يمدح المعتمد

أنْكَرَتْ سُقْمَ مُذابِ الجَسَدِ وهو من جنس عيونِ الخُرُدِ[١]

وبكتْ فالدمْعُ في وجنتهـا كجمان الطلِّ في الورد الندي

ما الذي يُبْكي بحزنٍ ظبيةً فتكَتْ مقلتهـا بالأسد

والظباء الحور ، إمّا قتلَتْ لحظاتُ العين منها ، لا تَدِي

غـادةٌ إن نيط منها موعـدٌ بِغَدٍ فرَّ إلى بعـد غد

هكذا عنديَ يجري مَطْلُهَا بخـلافٍ[٢] عندهـا مُطّرد

وهي من عُجْبٍ ومن تيه لهـا[٣] كبدٌ تُرحمُ[٤] منها كبدي

ذات عينٍ بالهـوى نابعةٌ ضلّ في الحبِّ[٥] بها من يهـتدي

وهي نجلاءُ حكاهـا سعةً جرحها في كلّ قلبٍ مكمد

لا يذوق الميلُ فيهـا إثْمِداً ما لأحـداق المهـا والإثمد

---

١ أي جسده سقيم ، كما أن عيون الملاح سقيمة .

٢ ب : بقياس .

٣ ب : وهي من كبر ومن عجب بها .

٤ ب : أرحم .

٥ ب : ضل والله .

قذفتْ حبَّةَ قلبي[1] في الهوى   هل رأيتَ الجمرَ في المفتأد[2]

سحرها وحيٌ بنجوى ناظرٍ   ذو نُفاثٍ للنهى في عقد[3]

ما لآسٍ في محبٍّ عَمَلٌ   غيرُ داءِ الروح داءُ الجسد[4]

خفيَ البرءُ على ألطـــافه   وهو في بعض ثنايا العوّد

إن في ظَلْمِ ظَلُومٍ لجنى   شُهُدٍ ، واهاً لذاك الشُّهد

ذاب لي بالراحِ منها بَرَدٌ   هل يكونُ الراحُ ذَوْبَ البرد

* * *

هاتِها صفراءَ ما اخترتُ لها   أُفُقَ الشمسِ على أُفْقِ يدي

خارجٌ في راحتي مُقْتَنِصٌ   كلَّ همٍّ كامنٍ في خَلَدي[5]

جرّدَ المزجُ عليها صارمــاً   فاتّقتْهُ بدموع[6] الــزَّبَد

عُتِّقَتْ ما عتقت في خزَفٍ   برداءِ القارِ فيـــه ترتدي

حيث أبلى جسمَهــا لا روحَها   مرُّ أيامِ الــزَّمانِ الجُـــدُد

ما أطاقَ الدهرُ أنْ يسلبَها   أَرَجَ المسكِ ولونَ العسجـد

---

١ في ب : قلبي عتواً .

٢ المفتأد : الموقد .

٣ في ب : للمنى في العقد .

٤ استأنف في الشطر الثاني فقال إن داء الجسد مخالف داء الروح ؛ ولذلك لا ينفع في الحب عمل الطبيب. لأنه داء الروح .

٥ في ب : جسدي .

٦ في ب : بدروع .

فاقْضِ أوطــارَ اللذاذاتِ[1] عــلى نَقَـْرِ أوتارِ الغزال الغرِد
فلحونُ العودِ والكاسُ لنــا والنــدى والبــأس للمعتمــد

* * *

مَلِكٌ إن بدأ الحمدُ به خَتَمَ الفخرُ به ما يبتدي
معرقٌ في الملك موصولاً به شرفُ المجـد ومحضُ السؤدد
من غدا في كلِّ فضلٍ أوحداً ذلك الأوحدُ كلَّ العَــدَد
من حمى الإسلام من طاغيةٍ كان منه في المقيم المقعــد
وكستْ أسيــافُه عــاريةً ذلَّ أهْلِ السبتِ أهلَ الأحد
ذو يدٍ حمراءَ من قتلهمُ وهي عند الله بيضاءُ اليــد
تقتدي الأمــلاكُ في العدل به[2] وهــو فيــه بأبيه يقتدي
كيفَ لا يُمْلي على الناس العُــلى مُسْتَمِدٌ من عُلى المعتضــد
عارضٌ ينهلّ بالوبل إذا كان للعــارضِ كفّ الجلمد
وهصورٌ يفرسُ القِرْنَ إذا جَرَّدَ المرهفَ فوق الأجــرد
قَوَّمَتْ عزمتهُ عن نيّــةٍ من منار الدين[3] مَيْلَ العمــد

[1] في ب : أوطاري ولذاتي .
[2] في ب : بالعدل .
[3] في ب : من منار الدهر .

لا تلمْهُ في عطاياه التي[1] إن تَرُمْ منهنّ نقصاً تزدد

فنداهُ البحرُ ، والبحر متى تعصفِ الرّيحُ عليه[2] يُزْبِد

ومحالٌ نَقْلُكَ الطبعَ الذي كان منه في كريم المولد

كم لُهامٍ جرّ في أوّلِهِ رمحه فهو له كالمقود

وليوث صال فيهم فانثنَوْا وضواريهم له كالنَّقَد[3]

بحسام مطفىءٍ[4] أرواحهمْ بشواظ البارق المتقد

ليغِرارَيْهِ على هاماتهم من شرار القدح ما في الزند

كم تغنّى بالمنايا في الطلا ظبتاه ، عن أغاني معبد

وسنان مشرعٌ في صَعْدةٍ كلسانٍ في فم الأيم الصدي

في سماء النقع منه كوكب طالعٌ في يزنيٍّ أملد

أبداً يدعو إلى مأدبةٍ حُوّمُ الوحش عليها تغتدي

يا بني البأس: مَنِ الذِّمْرُ الذي جاءَ في كاهلِ عزْمٍ أيّد؟

شيّبَ الحرب اقتحاماً بعدما رَبِيَتْ في حجره كالولد

يرعفُ اللهذمُ في راحته كلما شمّ قلوبَ الأُسُد

---

١ في ب : من عطايا راحة .

٢ في ب : تصل الريح إليه .

٣ في ب : وضواريهم كمثل النقد ، والنقد : صغار الغنم .

٤ في ب : يصطفي .

سمهريّ أحرقتْ شُعْلَتُـــهُ كلّ روحٍ في غدير الزّرَد

أنت ذاك الأسَدُ الوَرْدُ فهـل كانَ في رمحك سَمّ الأسْوَدِ

أعِنـاقُ البُهَمِ استحسنتـه وهو بَرْدٌ أم عِتـاقُ الجُــرُد

دمتَ في الملك لمعنى مادحٍ ينظم الفخر ، وجــدوى مجتد

وبنات من فصيح[1] مُفْلِـــقٍ يَشْهَدُ الفضْلُ له في المشهد

فهو بالاحسانِ في ألفــاظهـا محسنٌ صَيْدَ المعاني الشّرّد

في بيوتٍ أذنت فيها العــلى لك بالتقريظ في كلّ نــد

قد تناهى في عَرُوضٍ فهي لا يعرضُ الهَدْمُ لها في المُسْنَد

فإذا أثْنَتْ عليــكم فتقت لكمُ مِسْكَ الثّنـــاءِ الأبدي

وإذا استَحْيَتْ من المجدِ أتى مُعْرِباً عنهـــا لسانُ المنشد

---

[1] في ب : وبنيات فصيح .

٨٩

وله في خسوف القمر

[صَدّتْ وبدرُ التّمّ مكسوفٌ به فحسبت أنّ كسوفَهُ مِنْ صَدّها[١]]

والبدرُ قد ذهبَ الخسوفُ بنوره في ليلةٍ حَسَرَتْ أواخر مسدّها

فكأنّهُ مرآةُ قَيْنٍ أُحْمِيَتْ فمشى احمرارُ النّارِ في مُسْوَدّها

٩٠

وقال في الشيب من قصيدة

قَدَحَ المشيبُ بمفرقيه زنادا لا يستطيعُ لنـاره إخمـادا

وثنت مليحاتُ التلفّتِ سَلْوَةَ عن شخصه الألحاظَ والأجيادا

ولربّما فَرَشَتْ لزائر لحظِـهِ وردَ الخدودِ مَحَبّةً ووِدادا

إن صادقَتْهُ زمانَ صادَقَهُ الصّبا فهي التي عادَتْهُ لمّا عادى

---

١ زيادة من المسالك والذخيرة وفيهما معه البيت الثالث .

أترى بياض الشيبِ مـــاءً غاسلاً ... في العارضين وللشباب ســوادا

خانَتْ سعادُ ،وقد وَفَى لك لونُها ، ... لو خانَ ما وَفَى ملكتَ سعادا[1]

أكثرتَ من ذكر الفِتاءِ وقلّما ... تُعْطي لذي الذّكرِ الفتاةُ قيادا[2]

٩١

وقال يصف فرساً

تخريجها : في الخريدة منها البيتان الثاني والثالث

ومنقطعٍ بالسّبْقِ من كلّ حلبةٍ ... فتحسبه يجري إلى الرهنِ مُفْرَدا

كأنّ له في أذْنِهِ مُقْلَةً يَرَى[3] ... بها اليوم أشخاصاً[4] تمرّ به غدا

تُقَيِّدُ بالسبقِ الأوابدُ فَوْقَهُ ... ولو مرّ في آثارهنّ مُقَيَّدا

---

١ لونها أي البياض ، وفى لك ، وجاء ولم يخلف موعده ، يعني الشيب ، ولو أن هذا الوفي خان ، لملكت سعاد .

٢ أي قلما تسمح الفتاة لمن يعيش على الذكريات ، أي الذي أصبح شيخاً .

٣ الخريدة : في الأذن عيناً بصيرة .

٤ الخريدة : أشباهاً و ب : أشباحاً .

٩٢

وقال يمدح الأمير أبا الحسن عليّ بن يحيى

تُفْشي يداكَ سرائرَ الأغْمادِ ... لقِطافِ هامٍ واختلاءِ هوادِ[1]

إلاّ على غزوٍ يبيدُ به العدى ... للهِ من غزوٍ له وجهادِ

وعزائمٍ ترميهمُ بضراغمٍ ... تستأصلُ الآلافَ بالآحادِ

من كلّ ذمرٍ في الكريهةِ مُقْدِمٍ ... صالٍ لحرّ سعيرها الوقّادِ

كسنادِ مَسمُرَةٍ[2] وقَسوَرِ غَيضَةٍ ... وعُقابِ مَرْقَبَةٍ، وحيّةِ وادِ

وكأنّهم في السّابغاتِ صوارمٌ ... والسّابغاتُ لهم من الأغمادِ*

أُسْدٌ عليهم من جلودِ أراقمٍ ... قُمُصٌ أزرّتُها عيونُ جرادِ

ما صَوْنُ دينِ محمدٍ من ضَيْمهِ ... إلاّ بسيفكَ يومَ كلّ جلادِ

وطلوعِ راياتٍ، وقودِ جحافلٍ ... وقراعِ أبطالٍ، وكرّ جيادِ

ولديكَ هذا كلّهُ عن رائحٍ ... من نَصْرِ ربّكَ في الحروبِ، وغادِ

إن اهتمامَكَ بالهدى عن همّةٍ ... علويّةِ الاصدارِ والايرادِ

---

[1] اختلاء: قطع؛ الهوادي: الأعناق.

[2] السناد: الناقة الصلبة. والمسمرة: الأرض التي يكثر فيها شجر السمر وترعاه الإبل وتسمى التي ترعاه السمرية.

* ورد هذا البيت في الخريدة.

وإقامَةُ الأسطولِ تؤذنُ بَغْتَةً بقيــامةِ الأعــداءِ والحسّاد

والحربُ في حربيّةٍ نيرانُهـــا تطأُ الميــاهَ بشدّةِ الإبعـــاد

تَرْمي بنفط كيف يُبْقي لَفْحُهُ والشمّ منــهُ مُحَرّقُ الأكباد

وكأنّما فيهـــا دخانُ صواعقٍ مُلِئتْ من الإبراقِ والإرعاد

لا تسكنُ الحركاتُ عندكَ إنّها لخواتم الأعمـــالِ خيرُ مَبَادي

وأشدّ مَنْ قَهَرَ الأعادي مـحْرَبٌ في سلمه للحربِ ذو استعـــداد

سيثيرُ منكَ العزمُ بأساً مهلكاً والنّارُ تنبعُ عن قِداحِ زناد

وغرارُ سيفكَ ساهرٌ لم تكتحلْ عينُ الردى في جفْنه برقاد

وزمانُكَ العاصي لغيركَ ، طائعٌ لك ، طاعةَ المنقـادِ للمقتـــاد

ونرى يمينكَ ، والمنى في لثمها ، في كلّ أفْقٍ بالجنودِ تُنــادي

من كان عن سَنَن الشجاعة والنّدى بئسَ المضلّ فأنتَ نعم الهادي

هل تذكرُ الأعلاجُ سَبْيَ بناتِهـا بظُباً جُعِلْنَ قلائدَ الأجياد

من كلّ بيضاءِ الترائبِ غادةٍ تمشي كَغُصْنِ البانَةِ الميّاد

مجذوبةٍ بذوائبٍ كأســاودٍ عَبَثَتْ بهنّ براثنُ الآساد

من كلّ ذي زَبَدٍ علتــه سُفْنُهُ يَخْرُجْنَ من جَسَدٍ بغير فؤاد

ثعبانُ بَحْرٍ ، عَضُّهُ بنواجذٍ خُلِعَتْ عليه من الحديد، حِداد

يُبدي غرابٌ منه سقطَ حمـــامةٍ ببياضه في البحر جَرْيُ ســـواد

وكأنّما الريحُ الّتي تَجْري به روحٌ يحرّكُ منه جسمَ جماد

يا أيها المضي قـــواهُ وحزمــَهُ ومحالفَ التّأويبِ والإســآد[1]

هذا ابنُ يحيَى ذو السماح جنـابُهُ مُسْتَهْدَفٌ بعزائم القصّـاد

فرِّغْ من السَّيْرِ الرذيّةَ عنده تملأْ يديكَ بطارفٍ وتـلاد[2]

مَلِكٌ مَفَاخِرُهُ تُعَدّ مفاخراً لمآثرِ الآبـــاءِ والأجـــداد

ومراتعُ الروّادِ بينَ رُبُـــوعِهِ محفوفـةٌ بمنـــاهِلِ الوُرّاد

ثبتتْ قواعدُ مُلْكِهِ فكأنّما أرساهُ ربّ العرشِ بالأطواد

وطريدُهُ، من حيثُ راحَ أو اغتدى في قبضةٍ منـهُ بغير طـراد

والأرضُ في يُمناهُ حَلْقَةُ خاتم والبحرُ في جدواهُ رَشْحُ ثِمـاد

لا تسألَنْ عمّا يصيبُ برأيه وطعانِـهِ بمقـوّمٍ ميّـاد

يضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقَبِ الذي يضعُ السّنانَ مواضعَ الأحقـاد[3]

---

١ التأويب : سير النهار ؛ والاسآد : سير الليل .

٢ فرغ الرذية : أي أرح الناقة الّتي هزلت من شدة المشي . والفريغ : الواسع المشي . والمعنى أن الناقة استفرغت مجهودها ، والطباق في فرغ . . . تملأ .

٣ الهناء : القطران، والنقب – بفتح القاف وسكونها – قطع متفرقة من الجرب ؛ وهو من قول دريد بن الصمة :

متبذلا تبـــدو محـــاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وهو كناية عن سداد الرأي واليد وحسن الاصلاح .

كالبدرِ يومَ الطّعْنِ يُطفىءُ رُمحهُ   روحَ الكميِّ بكوكبٍ وقّـاد

تبني سلاهبُهُ[1] سماءَ عجاجةٍ   من ذُبّلِ الأرماح ، ذاتَ عماد

ويردّ سُمرَ الطعن عن أرض العدى   وكأنّهـا في صِبْغَةِ الفرصاد

وسقوط هاماتٍ بضربٍ مناصل   وصعودُ أرواح بطعن صِعـاد

أمّا شِدَادُ المجرمين فعـزُّهُ   أبقاهُمُ بالذلّ غيرَ شداد

والنّارُ تأخذُ في تضرمها الغَضَـا   جَزْلاً ، وتتركُهُ مَهيلَ رماد

يا من إليه بانتجـاعِ مُؤمِّـلٍ   مستمطرٌ منـه سماءَ أيـادي

ألْقيتُ من نَيْلِ المنى عن عاتقٍ   فكأنّني سيف بغيرِ نجـاد

ما لي بأرضِكَ يومَ جودِكَ مُعرِبٌ   بلسانه عن خـدمتي ووِدادي

إلاّ قصائدُ بالمحامدِ صُغْتُها   غُرّاً تهزّ محافلَ الإنشـاد

خلَعَتْ معانيها على ألفاظهـا   ألحانَ أشعارٍ ونَقرَ شَوَادِ

رَجَحَتْ بقسطاسِ البديع وإنّها   لخفيفـةُ الأرْواحِ والأجساد

تبقى كنقشِ الصخر وهي شواردٌ   مثَلُ المقيمِ بها وحَدْوُ الحادي

---

١ السلاهب : جمع سلهب وسلهبة وهو الفرس الذي طالت عظامه .

٩٣

وقال أيضاً يمدحه

أمِسْكَ الصَّبا أهدتْ إليّ صبا نجدِ ... وقد مُلِئَتْ أنْفاسُهُ ليَ بالوجدِ

رماني بجوّ الشوق بردُ نسيمهـــا ... أحُدِّثْتَ عن حَرٍّ مذيبٍ من البرد

وما طابَ عَرْفٌ من سُرَاها وإنّمـا ... تَطَيَّبُ في جنح الدّجى بِسُرَى هند

حدا بالأسى شوقي رواحلَ أدمعي ... فكم خدّدَ الخدّ الذي فوقه تَخْدي[1]

ولي ذمّةٌ مرعيّةٌ عنـــد عَبْرَةٍ ... تُواصِلُ وُدّي في فراقِ ذوي الود

أحِبّ حبيباً نَجْلَ أوْسٍ لِقَوْلِهِ : ... « فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجد »[2]

نَوًى أسْلَمَتْ مِنّا خلِيّاً إلى شجىً ... ووصلاً إلى هجر ، وقرباً إلى بعد

وأسْدٍ على مثل السّعَالي عوابسٍ ... لها لِبَدٌ من صَنعَةِ الحَلَق السّرْد

كُفَاةٌ وغيدٌ ، أهـــدت الرّيحُ منهما ... لنا سَهَكَ الماذيّ في أرَجِ الند[3]

سروا بالمها وهناً ومن ورق الظُّبَـــا ... كناسٌ عليها حُفَّ بالقَصَب المُلْد

---

١ تخدي : تسرع في جريها .

٢ عجز بيت لأبي تمام حبيب بن أوس ، وصدره « وأنجدتم من بعد إتهام داركم » . ديوانه : ١٢٧ ط . الخياط .

٣ اقرأ أيضاً : كماة وغيد ؛ والسهك : رائحة متغيرة من لبسهم الدروع ، كرائحة صدإ الحديد . والماذي : الحديد كله من دروع ومغافر وغيرها .

تدير عيوناً شِيبَ بالحسن حُسْنُها فلله منهـا ما تُسِرّ وما تبدي
وتحسبُ منهـا في البراقع نرجسـاً تخطّ الأسى بالطلّ في صفحةِ الخد
وكم غادةٍ لا يعرفُ الرئمُ مثلهـا رمتني بِسَهْمَيْ مقلتيها على عمد
فريدةُ حسن ، تُخجِلُ البدرَ بالسّنَا ودِعصَ النقا بالرّدفِ،والغصنَ بالقد
إذا عقدت، عقْدَ الحيول، وشاحَها على خصرهاالمجدول[أوهت]من العَقد
مهاةٌ تكاد العين من لين جسمهـا ترى الورقَ المخضرّ في الحجر الصّلد
يَضِلّ سُرَى المُشْطِ المُسَرّحِ فرْعَها إذا ما سرى في ليلِ فاحمهِ الجعد
وتندّى بمفتوتٍ من المِسْكِ صائكٍ قديرٍ إلى عصر الشبابِ عـلى رد[1]
فلا تلكُ منهـا ظالماً لِصِفـاتِهَا على الثّغرِ بالإغريضِ[2] والرّيقِ بالشهد
إذا باتَ قلبي بالصبـابةِ عنـدها ففي أيّ قلبٍ باتَ وجدي بما عندي
وليلٍ هَوَتْ فيه نجـومٌ كأنّهـا يعاليلُ بحرٍ مُضْمَرِ الجزر في المد
كأنّ الثريّا فيـه باقـةُ نرجسٍ من الشرق يُهديها إلى مَغْرِبٍ مُهْد
أردتُ به صَيْدَ الخيالِ ففاتني كما فرّ عن وَصْلِ المتيّمِ ذو صد
فكيفَ يصيدُ الطيفَ في الحلم ساهرٌ أقلّ كرًى من حَسْوَة الطائر الفرد
أخو عزَماتٍ باتَ يعتسِفُ الفـلا بِعَيْرانةٍ تَرْدي وخيفانة تَخْدي

---

١ صائك : لازق .

٢ الاغريض : الطلع والبرد ، ويوصف به كل أبيض ، والمعنى لا تشبه الثغر بالاغريض والريق بالشهد فذلك ظلم لهما .

قفارٌ نجت منها الصَّبا إذ تعلقت حُشاشتُهَا مني بحاشية البرد

وقد شُقّ خيطُ الفجر في جنح ليلنا كما شُقّ حد السيف في جانب الغمْد

وأهدت لنا الأنوارُ في أرض حمةٍ من ابنِ عليٍّ غُرّةَ القمر السّعْد

هنالك ألقى المجتدون عصيّهُمْ بحيث استراحوا من مطاوعة الكد

لدى مَلِكٍ يُرْبي على الغيث جودُهُ ويَغْرَقُ منه البحرُ في طرَفِ الثمد

مندّى الأماني في مراتع ربعه ومستمطَرُ الجدوى ، ومنتجع الوفد

ينير سريرُ الملك منه بأروع سنا نورِهِ يجلو قذى الأعين الرمد

غنيٌّ ، بلا فقر لذكرى قديمةٍ، بمفخره عن مفخر الأب والجد

إذا السبعةُ الشّهْبُ العليّةُ مُثّلَتْ بمنظومِ عِقْدٍ كان واسطةَ العقد

جوادٌ بما قد شئت من بذل نائلٍ ومن كَرَمٍ محضٍ،ومن حَسَبٍ عِدّ

يجود ارتجالاً بالمنى لا رويّةً فلا حُكْمَ تسويفٍ عليه ولا وعد

تعوّدَ ظهر الحُجْرِ[1] في الحِجْرِ مركباً ومَهّدَتِ العليا له الملكَ في المهد

وقالت لقدّ السيف نبعةُ قدّهِ ستعلمُ ما يلقاه حدّكَ من حدّي

ترى المَلْكَ يستخذي لشدّة بأسه خضوعَ ابنِ آوى للغضنفرة الورد

تقوم على ساقٍ به الحربُ في العدى ومجلسُهُ في صهوة الفرس النّهْد

ويمتحُ تَفْسَ القِرْنِ عاملُ رُمْحِهِ كما يمتح الماءَ الرشاءُ من الجُدّ[2]

---

١ الحجر : جمع حجرة وهي الفرس .

٢ الجد : البئر القليلة الماء .

إذا شرع الخطيَّ أغرَى سنانَه   من الذِّمر ، معتاداً ، بجارحة الحقد
سليلُ الملوك الغر يؤنسُه النّدى   إذا ما عُلاهُ أوحشته من النِّدّ
وما حِمْيَرٌ إلاّ الغطارفة الألى   أياديهمُ تُسْدَى وأيديكُمُ تسدي
يصولون صولَ الذائدين عن الهدى   ويعفون عفو القائدين ذوي الرشد
وتسلب تيجانَ الملوك أكفُّهُمْ   إذا طوقوا أيْمانَهُمْ قُضُبَ الهند
وحربٍ كأنَّ البأسَ ينْقُدُ جَمْعَهَا   ليعلم فيهم من يُزَيِّفُ بالنقد
ويقدح ، قرعَ البيض في البيض ، نارَها   كما ينتضي القدحُ الشرارَ من الزند
ضحوكٌ عبوسٌ في مراحٍ ، مُنَقَّلٌ   عن المزل في قطف الرءوس إلى الجد
حشوها على الأعداء بالبيض والقنا   وبالزَّرَدِ الموضون[1]، والضُمّر الجُرْد
أقول لك القولَ الكريم الذي به   جرى قلم العلياء في صحف الحمد
وإن كنتُ عن علياك فيه مُقَصِّراً   فعذرٌ مقلّ جاءَ بين يدي جهدي
لك الفخر في جهر المقال كأنّما   يُرَدّدُ في الأسماع صَلْصَلَةَ الرعد
تولّى عليٌّ عَهْدَ يحيى وبعده   توليتَ عَهْدَ الملك ، قُدّسَ من عهد
وتَوّجَ يحيى قبل ذاك بتاجه   تميمٌ ، ومسعاه على سَنَنِ القصد
وقال معزّ الدين ذو الفخر لابنه   تميمٍ : سريرُ الملك أنتَ له بعدي
ولو عَدّ ذو علمٍ جدودَك لانتهى   إلى أوّلِ الدنيا به آخرُ العد
وأنْت على أعمارهم سوف تعتلي   لعمرٍ مقيمٍ في السعادة ممتد

---

[1] الموضون : المنسوج حلقتين حلقتين .

بكفك سل الدين للضرب سيفه وأضحى على أعدائه بك يستعدي
سددت بأقيال الأسود ثغوره وحق بها فتح الثغور من السد
وجيش عريض بالشياح طريقه يموج كسيل فاض منخرق السد[1]
كأن المنايا في الكريهة ألفيت على خلقها من خلقه صور الجند
وحربية في طالع السعد أنشيت فنيرانها للحرب دائمة الوقد
جبال طفت فوق المياه وغيضت بسمر القنا والمرهفات على الأسد
وَدُهْمٌ بفرسان الكفاح سوابح تجافيفها في الروع منسدل اللبد[2]
فمن كل ذي قوسين يرسل عنهما سهام المنايا فهي مُصْمية تُرْدي
وترمي بنفط ناره في دخانه به الموت محمر يؤوب بمسود
وتحسب فيه زفرة من جهنم تصعد عن فتل اللوالب بالشد
عرائس أغوال تهادى وإنها لتهدي، إذا صالت، من الموت ما تهدي
قلوب عداة الله منها خوافق كما قلبت فيها الصبا عذب البند
أبوك أصاب الرشد فيها برأيه وهد بها ركن العدى أيما هد
وأصبحت منه في سجايا معظم وحد معاليك التعالي عن الحد
ولو كان يستجدى الغمام بزعمهم من البحر أضحى منك في المجد يستجدي
فلا زالت الأعياد تلفيك سيداً يهنى الندى في صونه رمث[3] المجد

١ الشياح : القتال ، ومن معانيه أيضاً الجد والحذر .
٢ التجافيف : ما جلل به الفرس ليقيه الجراح .
٣ الرمث : البقية من الشيء .

٩٤

وقال أيضاً يمدحه

أين منّي عَتْبُ أحبابٍ هجودْ قَتَلُوا [نومي] بإحياءِ الصدودْ
وخليّ لم تَبِتْ أحشاؤهُ آه من وصلٍ عن القرب يذود
وخليّ لمْ تَبِتْ أحشاؤهُ وهي بالتبريح للنـار وقود
قال : كم تظما من الظَّلْمِ إلى مَوْرِدٍ لم تَرْوَ منـه بورود
شيبَ بالمسك وبالشهد معاً والمساويكُ على ذاك شهود
أو ترجّي نيلَ صادٍ للمى قلتُ : لولا الماء ما أوْرَقَ عود
قال : إن البيض لا تحظى بها أو ترى بيضَ ذوْاباتكَ سود
قلت : عندي يومَ أصطاد المنى جَذَعٌ يُحْكِمُ تأنيسَ الشَّرُود
كم مُليمٍ قد نَضَا ثَوْبَ الصّبا عنه ، رَدَّتْهُ إلى الصَّبْوَةِ رُوْد
بحديثٍ يَسْحَرُ السحر بـه يتمنـاه مُعَاداً أن يعـود
تُنْزَلُ الطيرُ من الجوّ بـه وتُحَطّ العُصْمُ من شُمّ الرُّيُود
وَسَبَتْهُ قُضُبٌ في كُثُبٍ مالت الأكفالُ منهـا بالقـدود
وثمـارٌ نَطَقَتْ أوصـافها بإشاراتٍ إلى صغر النهـود
عَدِّ بي عن كلّ هذا إنّني لا أرى الدهر لإحساني كَنُود

لي هوًى آوي إليه مرحاً غير أني بالنهى عنه حَيود

إنّ همي همــةٌ أسمرها ولها قُمْتُ فما لي والقعود

وفــلاةٍ أبــداً ظــامئةٍ مُشْفِقٌ من قطعها العَوْدُ عنود

حمل المـاءَ ولا يَشْرَبُهُ فهو للمُرْوَى به عينُ الحسود

جُبْتُهُمَا في متنِ ريح تنبري للسُّرى بين سَبُوعٍ وقتود[1]

في ظلامٍ طَنَبَتْ أكنـافُهُ فوق أرجاءٍ وهادٍ ونجود

وكأنّ البــدر فيـه ملك والنجومُ الزُّهرُ حوليه وفود

وكأنّ الشُّهبَ شُهْبٌ قَيَّدَتْ أيدياً منها على الجري قيود

ولقد قلتُ لحـادي عيسنا وهي بالبخل عن البخل تجود

أنَجَاءٌ تخرق الخَرْقَ بــه كابدته منك أم مضغُ الكبود

فمتى يَفْلُقُ عن أبصارهــا هامةَ الليل من الصبح عمود

وأرى ما اسودّ من قار الدجى ذابَ منه بلظى الشمس جُمُود

جالياً أقــذاءَ عينٍ مقلَتْ من محيّا حَسَنٍ بَدْرَ السعود

أروعٌ إن سَخُنَتْ عَيْنُ العلى كَحَلَتْهَا مِنْ سناه ببرود

في رُوَاقِ المُلْكِ منـه مَلِكٌ مُلْكُهُ من قبلِ عادٍ وثمود

---

[1] السبوع: الناقة التي أسيئت رعيتها، والقتود التي اشتكت من أكل القتاد، وفي المطبوعة: سبوع وهو جمع سبع، وقد تقرأ «سبوع وفهود» والمعنى أنه اجتاز أخطار الصحراء وواجه ضواريها. وقد تقرأ «نسوع وقتود» أي راكباً ناقة.

بَسَطَ الكفّ بجودٍ غَـدَقٍ قُبِضَتْ عن بذله كفّ الصَّلُود

كم سبيلٍ نحوه مسلوكةٍ فهي للقُصّاد كالأم الولودْ

ذو سجايا في المعالي خُلِقَتْ للوغى والسلم من بأس وجود

وأناةٍ أُرْسِيَتْ في خُلُـقٍ كنظير الزهر في الرّوض المَجُود

ومصونُ العرض مبذولُ الندى مُعْرِقُ الآباء في مَحْضِ الجدود

ثابتٌ عند المعـالي فضلُهُ هل يطيق الليلُ للصبح جحود

مُقْدِمٌ يصطادُ أبطالَ الوغى إنّ شبل الليث للوحشِ صَيُود

ذو ابتدارٍ في وقارٍ كامنٍ : لِلَظَى الزّنْدِ وقودٌ من خمود

أَلِفَتْ يمنـاهُ إسداءَ الغنى والغنى تُسديه يُمنَى من يسود

كم عُفَاةٍ في بلادٍ نَزَحَتْ فَسَبَتْ منهم أياديه وُفُود

من ملوكٍ نَظَمَتْ مُدّاحُهُمْ فيقرّ المدح لهم نَظْمَ العقـود

في بيوت بُنِيَتْ شِعْرِيّـةٍ لثنـاءِ المرءِ فيهنّ خلـود

كل راسي الحلم حامٍ مُلْكَهُ عادلِ السيرةِ وافٍ بالعهود

أسدٍ تحسبُ في عاملـه أسْوَداً ينهش أعضاءَ الحقود

نشأوا في منعة من عزمهم للمعـالي في حجور وبنـود

بيتُ مجـدٍ جاوزت أرْبَعُـهُ[1] أرْبُعَ الشُّهْبِ حُدوداً بحـدود

١ أربعه : أي أركانه الأربعة .

يقذف الحربَ بجيشٍ لجبٍ مُشْرَعِ الأرماح مقدامِ الجنود

ذي موازيبٍ[1] حديدٍ فَهَقَتْ بصبيبِ الدم من طعن الكبود

ونسورٍ تغتــدي أحشاؤهــا من بني الهيجاء للقتلى لحود

زاحفٌ كالبحر مـدّاً بالصبا بجرور الموت في ظل البنود

نَقْعُهُ كالغيمِ ملتفّاً عـلى صَعِقَاتٍ من بروق ورعود

وإذا مــا ركعتْ أسيــافُهُ فوق هاماتِ العدى خرّتْ سجود

للمنــــايا عنــده ألْسِنَــةٌ قلّما تَعْمُرُ أفْواهَ الغمود

كلّ عضبٍ يحسبُ الناظرُ في مَتْنِهِ للنــار بالماءِ وقود

ونعوتُ البيض حُمْرٌ عنــده لِدَمٍ تُكْسَاهُ من قتل الأسود

وكأنّ الأثْرَ فيهــا نَمَشٌ كاد أن يَخْفَى بتوريد الخدود

وكأنّ الفتكَ فيهــا أبــداً ذو حيــاةٍ للعدا منــه همود

دُمْ لنا يا ابنَ عليّ ملكاً في عُلىً ذاتِ سعود وصعود

ودنا منك بتقبيــل الثرى كلّ قرمٍ سيدٍ ، وهو مسود

---

[1] موازيب : جمع ميزاب وهو قناة يجري فيها الماء .

٩٥

وقال يمدحه

صادَتْكَ مهاةٌ لم تُصَدِ فلواحِظُها شَرَكُ الأُسُدِ

مَنْ تُوحي السحرَ بناظرةٍ لا تُنْفَثُ منه في العُقَدِ

لمياءُ تَضَاحَكُ عن دُرَرٍ وبروقِ حياً ، وحَصَى برد

ينـدى بالمسك لراشفه وسلافٍ , القهوة والشهد

وَذَمَاءُ الليلِ على طَرَفٍ كترحّلِ روح عن جَسَد

ورضابُ الماءِ بفيك جرَى في جوهره عَرَضُ الصَّرَدِ[1]

وكأنَّ كليمَ الله بـدا منه في الأفْقِ بياضُ يد

أسفي لفراقِ زمـانِ صبا وركوبي قَيْدَ مَهَا الخُرُدِ[2]

من كل مطـابقةٍ خُلُقي بوفاءِ سروري أو كـمدي

هيفاءُ يُعَجِّزُهَا كَفَلٌ فتقومُ وتقعدُ بالرُّفَد

لونُ الياقوتِ ، وقسوتُهُ في الوجنةِ منها ، والكبد

ولها في جيدٍ مُرَوَّعَةٍ حَلْيٌ صاغَتْهُ من الغَيَد

---

١ الصرد : البرد الشديد

٢ قاس على قيد الأوابد فقال : قيد مها ، وهو يعني به الشباب ، الذي كان يعينه على صيد ظباء الأنيس .

نَقَضَتْ وصلي بتتبُّعها[1] بالهجر ، ونومي بالسّهد
وأصابَ السودَ سهامُ البيـ ـضِ بِبَيْنِ البيض وبالنكد
عَجَبي لإصابةِ مُرْسَلِها من جَوْفِ ضلوعي في الخَلَدِ
يا نارَ نشاطي أين سنا كِ وأين لظاكِ بمفتأدي[2]
زندي ولدتك ، وقد عَقِمَتْ عن حمل السِّقْطِ ، فلم تلد[3]
أحييتِ بذكري مَيْتَ صباً أبكيه مسايرةَ الأبَدِ
وطلبتِ الضدّ لأوجِدَهُ . وجموحي في الصدّ فلم أجد
ولو انّ كريماً تَفْقِدُهُ يُفْدى بالنفس إذنْ لَفُدي
أذهبتُ الحزن بمُذْهَبَةٍ وبها ذَهّبْتُ لُجَيْنَ يدي
ولقد نادمْتُ ندامى الرّا ح بمطّرفي وبمتّلَدي
بمعتّقةٍ قَدُمَتْ فأتتْ للشّرْبِ بلذّاتٍ جُدُدِ
سُبِيَتْ بسيوفٍ من ذهب من أهل السبت أو الأحد
وإذا ما عُدّ لها عُمُرٌ ملأتْ كفّيْكَ من العَدَد
يطفو في الكاس لها حَبَبٌ كصغارِ مساميرِ السّرد
وإذا ما غاص الماءُ بها في النّار تردّتْ بالزبد

١ التتبع بالهجر : اللجاج والامعان فيه .
٢ المفتأد : موقد النار .
٣ـ السقط : الشرر وفيه تلاعب لفظي لأن السقط أيضاً هو الذي يولد لغير تمام .

ونفيتُ الهمَّ بنت الكر م ونقرِ العود ، فلم يَعُدِ
ولبثتُ مُشْنَّفَةً أذني بترنم ذي النّغَم الغرد
فالآن صددتُ كذي حَذَرٍ عن وِرْدِ اللهو فلم أرِدِ
وطردتُ منامَ الغيِّ عن الـ أجفان بإيقاظِ الرّشَد .
ونقضتُ عهود الشَّرب فلا ودّ أصفيه لأهلِ دَدِ[1]
لا أشرب ما أنا واصفه فكأنّي بينهمُ قَعَدِي[2]
وتَنَقَّلْتُ بعزمي من بَلَدٍ قَدَمَ الإسْرَاءِ إلى بلد
في بَطْنِ الفلك مصارعةً زَمَني ، وعلى ظَهْرِ الأُجُد[3]
ووجدتُ الدِّينَ له حسناً سَنَداً فلجأتُ إلى السند
صَمَدَ اللاجونَ إلى مَلِكٍ منصورٍ بالأحَد الصّمد
كالشمسِ سناها مُقْتَرِبٌ وذراها منك على بُعُد
وإذا ما آنسَ منه سناً مَنْ ضَلّ بجنح الليل هُدي
خُصّتْ بنوالٍ شيمتُهُ عَجِلٍ ، وكلامٍ مُتّئِد
لا وَعْدَ له بالجود وَمَنْ يبدأ بعطاءٍ لا يَعِد

....

١ الدد : اللعب واللهو .
٢ القعدي من الخوارج الذي يرى القعود عن الحرب ويرضاها لغيره ، والمعنى من قول أبي نواس :
فكأني وما أزين منها قعدي يزين التحكيما
٣ الأجد : الناقة القوية .

وبنيّــةِ شهــمٍ مُنْتَصِرٍ لله جميــلِ المُعْتَقَــدِ
فيصونُ العرضَ بما بَذَلَتْ للوفد يداه من الصّفــد
ويسدّ الثغرَ ، وسيرتُــهُ تجري في الملك على سَدَدَ
ويسلّ ظُبَاهُ بِكُلّ وغىً ويسيلُ نـداهُ بكلّ يــد
وتريكَ اليــومَ بصيرتُهُ ما يُخْفي عنك ضميرُ غد
ولهُ هممٌ تَبْني رُتَبــاً خُصّتْ بعــلاءٍ منفرد
إلهــامَ الدين وحــاميَهُ قَوّم بسُطاك ذوي الأوَد
فُتّ السُّبّاقَ بما كَحَلُوا بغبــارك عيناً في الأمـــد
والريــحُ وراءَك عــاثرةٌ في الأيْنِ تُكَبّ وفي النُّجُد
نَصْرٌ أيّدْتَ بــه ظَفَراً والساعِــدُ يُنْجَدُ بالعضد
يا غيثَ المحلِ بلا كذبٍ وشجاعَ الحربِ بــلا فَنَد
لحظــاتُ أناتِكَ جانِبُهــا أرْسَى في غيظك من أُحُــد
ولواؤك تَقْــدُمُ هَيْبَتُهُ بعــديدٍ يُلْبِكُ في العدد[1]
وكأنّ عدُوّكَ ، خافِقُهُ بجنــاح فؤاد مرتعـــد
إن كنتُ قَصَرْتُ مُحَبَّرَةً بسهيمَ المحكم ، ذي الجُدَد[2]

---

[1] أي يعز حصره فيختلط أمره على من يريد عده .
[2] محبرة : يعني قصيدته ؛ التسهيم : التخطيط ، الجدد : الطرائق في الثوب .

فالعــذْبُ يَتجِــلُّ بقلَّتــه وعليــه عماد المعتمــد

وأُجــاجُ المــاء بكثرته لا ريَّ به لغليــلِ صــد

والشِّعر أجــدتُ بمعرفتي تأنيسَ غــزائبه الشُّرُد

لو شئتُ لقلتُ لقافيــةٍ في الوزن تخبّ إليك : خِدي[1]

بصقيــلِ اللفــظِ مُنَقَّحِهِ لا سمع يمرّ بــه بِصَــدِ[2]

لا زيفَ به فيريكَ قــذًى في عَيْنٍ بصيرةٍ منتقــد

لا يسمعُ فيــه مستمعٌ زفرات أسىً كالمفتقــد

فصفيرُ للبلبلِ مُطَّرَحٌ في الأيْكِ له صوتُ الصُّرَدَ

تستحسِنُ عــودةَ منشده وتقولُ إذا ما زادَ : زِدِ

فبغــامُ الرئم حلاوتُهُ ، وجزالتُــه زَأْرُ الأسد

وبذلّةِ أهلِ السبت قَضَى ويذلّ لــه أهلُ الأحــد

فانصرْ وافخرْ وأدِرْ وأشِرْ وأَبِرْ وأجِرْ وأغِرْ وَسُدِ

---

١ خدي : أمر من وخد ، والوخد نوع من السير السريع

٢ أي ليس سمع مر به هذا اللفظ بصد، والباء زائدة في جواب لا .

٩٦

وقال يرثي الشريف الفهري علي بن أحمد الصقلي

أذا البدرُ يُطوَى في ربوع البلى لَحْدا	أم الطَّوْدَ حطّوا في ثرى القبر إذ هُدّا
كسوفٌ وهدٌّ تحسبُ الدهرَ منهما	لعين وأذن : ظلمةً مُلِئَتْ رعدا
تولّى عن الدّنيا عليّ بن أحمد	وأبقى لها من ذكره الفخرَ والحمدا
حملنا على التكذيبِ تصديقَ نَعْيِهِ	وَسُدّتْ له الأسماعُ وانصرفت صَدّا
وقال لمن أدّى المُصابَ مُعَنِّفٌ :	فظيعٌ من الأنباءِ جئتَ به إدّا[1]
إلى أنْ نعاهُ للدّهرُ ملءَ لسانِهِ	ومن ذا الذي يُخفي من الرزء ما أبدى
هنالكَ خُضْنا في العويلِ ولم نَجِدْ	على الكره ، من تصديق ما قاله بُدّا
وقال الورى ، والأرضُ مائدةٌ بهم ،	أمِنْ سيرها في الحشر قد ذكرت وعدا
أرى الشرَفَ الفهريّ يبكي ابنَ بيته	عليّاً ، أما يبكي فتىً راضَعَ المجدا
فيا معشراً حثّوا به نحو قبره	مطيّةَ حتْفٍ فوقَ أيديهمُ تُحدى
حملتمْ على الأعوادِ مَنْ قدْ حملتمُ	فكلّ جلالٍ قد وجدتمْ له فقْدا
لقد دفعتْ أيديكمُ منهُ للبلى	يداً بجديد العُرْفِ كانت لكم تندى

[1] الإد : الأمر المنكر المستفظع .

تجمّعتِ الأحزانُ في عُقْرِ داره ، وفرّقَتِ الأزمانُ عن بابه الوفدا

وسُدّ عن العافين مَهْيَعُهُمْ إلى مكارمَ كانت من أنامله تُسدى

فقلْ لبني الآمالِ أخفقَ سعيكمْ فقد حَسَرَ البحرُ الذي لكمُ مَدّا

وكم من ظبـاءٍ بعدما غـارَ عزّهُ حوائمَ في الآفـاقِ تلتقطُ الوردا

لتبكِ عليّـاً همّـةٌ كَرَمِيّـةٌ ثنى قاصدو الركبان عن ربعها القصدا

وملتحفٌ بالأثْرِ أصبحَ عارِيـاً من الفخر يوم الضّربِ إذ لبس الغِمدا

وأسمرُ خطيٌّ أمـامَ كعـوبه سنـانٌ ذليقٌ ينفذُ الحلقَ السّرْدا

وحصداءُ[1] فولاذيّةُ النّسجِ لم تزَلْ من اللهذمِ الوقّـادِ مطفئةً وقدا

وأجرَدُ يُبكي الجردَ يومَ صهيلـه غدا مُرْجَلاً عنه فلم يَسُدِ الجردا

وداعٍ دعا للمعضلاتِ ابنَ أحمـدٍ فليّنَ في كفّيه منهنّ ما اشتـدّا

وناهيكَ في الإعظامِ من ماجدٍ بـه على الزمن العادي على الناس يُستَعدى

حياةٌ تعـمّ الأوليـاءَ هنيئـةٌ وموتٌ زؤامٌ في مقارعةِ الأعدا

وقسورةُ الحربِ الـذي يُرجعُ القنـا رواعفَ تكسو الأرض من علق وَرْدا

وفيّ بنصح الملكِ ما ذُمّ رأيُـهُ ولا حلّ ذو كيدٍ لإبرامهِ عَقْدا

وما يستطير الحلم في حلمـه ولا يجاوز هزلٌ في سجيته الجدّا

إذا عَلَمٌ بالنار أُعلِمَ رأسُهُ رأيتَ عليّاً منـه في ليلة أهـدى

---

[1] الحصداء : الدرع المحكمة .

ألا فُجِعَتْ أبناءُ فهر بأروع إذا انتسبوا عَدّوا له الحسب العدا
فلا قابلٌ هجراً، ولا مضمرٌ أذًى، ولا مخلفٌ وعداً ، ولا مانعٌ رفدا
إذا ما عدا معْ قُرَّحِ السَّبْقِ فاتها وجاء بفضل الشَّدِّ ينتهب المعدى
وما قَصَّرَ الله المدى إذ جرى به ولا مدّ فيــه للسوابق فامتدا
ولكنْ حدودُ العِتْقِ تجري بسابقٍ فلا طَلَقٌ إلاّ أعَدّ لـه حدّا
نماهُ من الأشراف أهلُ مفاخرٍ يُديرونَ في الأفواه ألسنــةً لُدّا
إذا وقف الأبطالُ عن غمرة الردى مشى بأسُهُم نحو الحتوفِ بهم أسْدا
وتحسبهم قد سُرْبلوا من عِيابِهِمْ سيوفاً ، وسلّوا من سيوفهم الهندا
فما عُدّ أهلُ الرأي والبأس والندى وإن كثُرُوا إلا وَوَفّى بهم عَدّا
إذا جُمِعَتْ هذي السجايا لأوحدٍ فما الحقّ إلا أن يراه الورى فردا
فما ظنّكم في وصفنا بمملّك يكونُ عليٌّ[1] ذو المعـالي له عبدا
عزيزٌ علينـــا أنْ بكتــه كرائمٌ تذيبُ قلوباً في مدامعهـــا وجـدا
يَنُحْنَ مع الأشجارِ نَوْحَ حمائمٍ تهزّ بها الأحزانُ أغصانَها المُلْدا
وكم في مديمات الأسى من خبيئــةٍ مع الصّون أبقى الدّمعُ في خدّها خدّا
فلو رُدّ من كفّ المنيّةِ هـــالكٌ بنوحِ بناتٍ كانَ أوّلَ مَنْ رُدّا

---

١ هو علي بن أحمد الصقلي المرثي في هذه القصيدة .

مضى بمضاءِ السّيفِ جُرِّبَ حَدّه فألفيَ في أفعاله جاوزَ الحدّا

وما ماتَ مُبْقي أحْمَدٍ ومحمدٍ فإنّهما سدّا المكانَ الذي سدّا

بَنى لهما مجدين يَحْيَى بعِزّةٍ وإن كانَ مجدٌ واحدٌ لهما هُدّا

بَدا منهما حزمٌ يسيرٌ تَمَامُهُ وقد يثقبُ النّارَ الذي يقدحُ الزندا

ومن لحظته عينُ يحيَى برفعةٍ فقد ركبَ الأيّامَ واستخدمَ السّعْدا

فيا ساكنَ القبرِ الذي ضَمّ تُرْبُهُ شهيداً كأنّ الموتَ كان له شهدا

لئن فاحَ طيبٌ من ثراهُ لنَاشقٍ ففخرُكَ فيه فتّقَ المسكَ والنّدّا

وَقَيتَ جلالَ الخطب، ما جلّ خطبه، وقمتَ كريمَ النّفسِ من دونه سدّا

ورحتَ ببعضِ الرّوح فيك مودّعاً بمؤنسة العوّادِ زُرْتَ بها اللّحدا

رثيتكَ حزناً بالقوافي التي بها مدَحتُكَ وُدّاً، فاعتقدتَ ليَ الودّا

وما المدحُ إلاّ كالثويّ[1] لسامعٍ ولكن بذكر الموت عادَ له ضدّا

ودنياكَ كالحرباءِ ذاتُ تلوّنٍ ومُبْيَضّها في العينِ أصْبَحَ مسوَدّا

أردنا لكَ الدّنيا القليلَ بقاؤها وربّكَ في الأخرى أرادَ لك الخلدا

فلا بَرِحَتْ، من رحمةِ الله دائباً تزورُ ندى كفّيك، في قبركَ الأندا

---

1 كذا في «م» ولعلها: كالرثاء.

٩٧

وقال أيضاً

لا تُخْرِجِ الشيءَ عن شيءٍ يوافقهُ واقصدْ بأمركَ في التدبير مَقْصِدَهُ
فالدِّمْنُ فيه لنبتِ الأرض مَصْلَحَةٌ ولو خلطتَ به الكافورَ أفْسَدَهُ

٩٨

[وتوجه] عبد الجبار من صقلية إلى إفريقية سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وهو في سن الحداثة وصحب العرب، وأشعارها تعرب عن نفسها إذا أثبتت في مواضعها [كذا] فقال :

تخريجها : في الخريدة منها البيت التاسع ،
وفي الطراز : ٢٢٦ الأبيات ١ ، ٤ – ٩

إني لأبْسُطُ للقَبولِ إذا سَرَتْ خَدّي وألقاها بتقبيلِ اليدِ
وأضمّ أحنائي على أنفاسها كيما تُبَرّدَ حَرّ قلبٍ مُكْمَدِ
مَسَحَتْ كراقيةٍ عليّ بكفّها ونقابُها ندٌّ من الزّهَرِ النّدي
وعرفتُ في الأرواح مسراها كما عرَفَ المريضُ طبيبَهُ في العُوّد

ما لي أطيلُ عن الدّيارِ تغرّباً أفبالتغرّبِ كانَ طالعُ مولدي

أبداً أبَدّدُ بالنوى[1] عزمي إلى أمَلٍ بأطرافِ البلادِ مبَدّدِ

كم من فَلاةٍ جُبْتُها بنجيبَةٍ عن منسمٍ دامٍ وخَطْمٍ مزبد

أبقى الجزيلُ[2] لها جميلَ ثنائه في العيس موصولاً بقطع الفدفد

ضَرَبَتْ مع[3] الأعناقِ أعناقَ الفلا بحسامِ ماءٍ في حشاها مغمد

٩٩*

وقال عبد الجبّار : صنع لنا الشاعر أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي باشبيلية نزاهة في الوادي شهدها جماعة من الشعراء والأدباء والمغنّين فأقمنا بها من بكرة إلى العشي فبرد الهواء وهبّت ريح لطيفة النسيم صنعت في الماء حبكاً جميلاً فقلت عند ذلك للجماعة : أجيزوا

١ الطراز : باللوى .

٢ الطراز : أبدى الدليل .

٣ الخريدة : لدى .

* انظر النفح ومعاهد التنصيص : ٢٢٢ وبدائع البدائه : ٣٧. وروى ابن ظافر بسند يتصل بأحمد ابن عبد الكريم بن مقاتل الصنهاجي أن أبا محمد بن حمديس قال : كنا مع المعتمد بن عباد بحمص الأندلس فمر على أضاة قد راح عليها الصبا ، فأثبت على وجه الماء مثل الزرد فقال : « نسج الريح على الماء زرد » وطلب الإجازة من شعرائه فلم يجبه أحد فقلت أنا : أي درع لقتال لو جمد ، فاستحسن ذلك مني وكنت وقت الإنشاد رابعاً فجعلني ثانياً وأمر لي بجائزة سنية . قال ابن ظافر : والحكاية الأولى منصوصة في ديوان ابن حمديس « الذي دونه لنفسه » وهو موجود في أيدي الناس . قلت انظر مطلع القصيدة رقم ٧٧ فإنه شبيه بما جاء في هذا الموضع .

حاكت الريح من الموج زرد

فأجاز هذا القسم كلّ إنسان بما سنح في خاطره ، وكان في القوم الشاعر أبو تمام غالب بن رباح، الغالب على اسمه الحجّام ، فلمّا سمع ما أتى به كل واحد منهم قال : لم يصنعوا شيئاً ؛ ثمّ التفت إليّ وقال : كيف قلت أنت يا أبا محمد؟ قلت :

حاكت الريح من الموج زرد

فقال مجيزاً :

أي درع لقتال لو جمد

فلم نحفظ لأحد منهم مع هذا شيئاً؛ومن أهل الأندلس من يثبت هذا البيت لأبي القاسم بن عباد المعتمد ولم نسمع به، وقد وقع لي مثل هذا في صفة زرّاقة الماء وهو:

ولربّما سلّتْ لنا من مائها سيفاً وكانَ عن النّواظر مُغمَدا

طبعته لجيّاً فذابت صفحةٌ منه ولو جمدت لكان مهنّدا

وأبو تمّام كان يغير عليّ في المعاني وأنتزعها منه وينتزعها مني ، بوجه من الوجوه ، التي تسلم المعنى لقائله ، وسيأتي ذلك في موضعه .

١٠٠

وقال في مثل ذلك [أي في الشيب]

وجدتُ النّوى إذ فقدتُ الشّبابَ فيا ليتني لم أكُنْ فاقِدَهْ

فصرتُ أُحاوِلُ صيدَ الحسانِ وأتْعَبُ فيهِ بلا فائده

وحالُ أثافيكَ مُخْتَلّةٌ إذا ما عَدِمْتَ لها واحده

١٠١

وقال يمدح المعتمد

جلا مُحيّاكَ عن أبصارنا الرّمَدا وقرّبَ الله من مرآكَ ما بَعُدا

وجاءَ يحملُ منكَ الطّرْفُ أربعَةً: البدرَ والطودَ والدّأماءَ[١] والأسدا

تكادُ تبدّلُ عينُ المرءِ أسْوَدَها في نظرَةٍ منك تنفي الهم والكمدا

كلٌّ مسرٌّ بوجـه في أسرّتـه نورٌ إذا مـا رماهُ أكبرٌ سجدا

ظُباكَ بالردّ عن دين الهُدى انفردَتْ وأنتَ ما زلتَ بالإنعامِ مُنْفَرِدا

ليثٌ تخالُ سيوفاً في بنـراثنـه وتحسبُ الزّغْفَ[٢] منه الشَّعْرَ واللبدا

كأنّ أجفانَهُ في الحرب قد وردت مع الدّماءِ من الهنديّ مـا وردا

لشدّةِ البأسِ في يمناهُ ، ضربته[٣] إنْ أسكرَ السيفُ منها بالنجيع شدا

وللرديني يَوْمَ الطّعنِ عـاليةٌ تلوكُ بين حشا الضرغامَةِ الكبدا

فالدينُ معتمدٌ منـه على ملك يمسي ويضحي على الرّحمن معتمدا

كأنّ شُهبَ رجـومٍ في أسنّته يُرْدي بها من طغاةِ الكفر من وردا

وكلّما عقَـدَ الرّايـاتِ معتزماً حلّتْ أياديه من آرائـه عُقَدا

. ...

١ الدأماء : البحر .

٢ الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة .

٣ في « م » مرتبة ، ولعل ما أثبته هو الصواب .

شهمٌ صبورٌ إذا ما القرمُ زاحمــهُ   مزاحماً في كفاحٍ ظنّهُ أُحُدا

وقُرِّحٍ بكماةِ الـرّوع مُقْـدِمَةٍ   كأنّهُنّ سَعَالٍ تحمـلُ الأُسُدا

إذا تَبِينُ سماءٌ عن عجـاجتها   كانت لهم سمهريّاتُ القنـا عمدا

من كلّ ذِمْرٍ من الفولاذِ غاصَ به   يُجَمِّدُ القرُّ منــهُ فوقه زبـدا

يَسطُو بعضبٍ إذا ما هزّ مَضْرِبَهُ   يومَ الضّرابِ لعيني ساهدٍ رَقَدا

لا يشربُ الرّوحَ من جُثمانِ ذي زردٍ   حتى يرى الحدّ منه يأكلُ الزّردا

أسَلْتَ سَيْلَ نجيعٍ من عِداكَ بهم   في الأرض منهم فغادرت الثرى عَمِدا

يا مَنْ عليه مَدارُ المكرماتِ ومَنْ   بِعَدْلِه كلّ مضطرّ له سُنِدا

طارتْ إليكَ بنو الآمالِ وانتشقتْ   من ذكركَ الندَّ واستشفين منك يدا

فما انحرفْتَ براجٍ عن بلوغ مُنًى   ولا تركتَ لصادٍ بالعطاءِ صـدا

لا نأيَ لي بتنائي السّيرِ عن بلـدي   فقد رضيتُ بحمصٍ بَعْدَهُ بلدا[1]

بُدّلتُ من معشري الأدْنين معشرها   لا فرّقَ الله فيما بيننـا أبـدا

وكم حوى التُّرْبُ دونّي من ذوي رحمي   وما مَقَلْتُ لِبُعْدي منهمُ أحدا

ولم يُسيرْنيَ من مثواكَ مَوْتُ أبي   وقد يقلقلُ مَوْتُ الوّالدِ الوَلدا

وما سددتَ سبيلي عـن لقائهـمُ   لكنْ جعلت صِفادي عنهمُ الصَّفَدا[2]

وحسنَ برٍّ إذا فاضتْ حـلاوتـهُ   على فؤاديَ من حرِّ الأسى بردا

---

١ في م : لا باب لي تنأت السيور ؛ وهو مصحف ، وقد اخترت من القراءة ما يقارب هذا الشكل.

٢ الصفاد : القيد ؛ الصفد : العطاء .

١٠٢

وقال من قصيدة تهنئة بسلامة المعتمد أبي القاسم بن عباد وقد ورد عليه كتابه بما فتح الله عليه وظهور المسلمين على الروم وفرار الفنش ليلاً بعد قتل كماته ومن كان يعوّل عليه من صناديده

الآنَ أفْرَخَ رَوْعُ كلّ مُهَيَّدِ ... وأعزّ دينُ مُحَمَّدٍ بمحمّدِ[١]

إنْ كانَ نَصْرُ الله فتّحَ بابَهُ ... فأبوكَ بادرَ قَرْعَهُ بمهنّدِ

وافتادَ حِزْبَ اللهِ نحوَ عدوّه ... فالحرْبُ تَجْدَعُ مَعْطِسَ المتمرّدِ

في جحفلٍ يَعْلُو عليه قَتَامُهُ ... كبخارِ أخْضَرَ بالعواصِفِ مُزْبِدِ

صُدِمَتْ جفونُ الفُنْشِ منه بمفعمٍ ... بالأُسْدِ في غَيْلِ القَنَا المتأوّدِ

وكأنّما احتطبَ العلوجَ وساقَهم ... بحريقِ ضربٍ بالصوارمِ موقدِ

صَدَعَتْ كتائبَهُ الظُّبا حتى إذا ... هَمّتْ به أعطى قَذَالَ مُعَرِّدِ

في ليلةٍ لَبِسَتْ لتسترَ شَخْصَهُ ... عنّا فلم تَلْحَظْهُ عينُ الفرقدِ

أمسى يكذّبُ مائناً في ظلمةٍ ... خَفَرَتْهُ فهيَ لديه بيضاءُ اليد

ولّى ، يُحاكي البرقَ لمعُ مُجرَّدٍ ... والرعدَ في حَذَرٍ تحَمْحُمُ أجرَدِ

يعدو الجوادُ به على فرسانه ... صَرْعَى كأنّهمُ نشاوى مُرْقِدِ[٢]

١ المهيد : المفزع الخائف .

٢ المرقد : شيء يشرب فينوم من شربه ويرقده .

مِن كلّ ذي سكرين من خمر ومن حدٍّ لذي فتكٍ عليه معربـد

تُبْنَى الصّوامع من رؤوسهمُ بما كانت على هدم الصوامع تغتدي

والحربُ من بيضِ الذكور كأنّما باضتْ بهنّ رقائدٌ في الفدفـد

هذا ما تعلق بحفظ عبد الجبّار من القصيدة .

١٠٣

وقال أيضاً يرثي القائد أبا الحسن علي بن حمدون الصنهاجي

بكى فَقْدَكَ العزُّ المؤيدُ والمجدُ وناحتْ عليك الحَرْفُ والضمّر الجرد

وقد ندبتكَ البيضُ والسمرُ في الوغى وعدّدَكَ التأييدُ والحَسَبُ العِدّ

وما فقدت إلاّ عظيماً وفقدُهُ به بين أحشاءِ العلى يُوجَدُ الوجد

وكنتَ أمينَ المَلْكِ حقّاً وسيفَهُ ومن حَسَنَاتِ البرّ كان لك الغمد

وأنتَ ابن حمدونَ الذي كانَ حمده يُعَبِّرُ عن ناديه في عرفه النـدّ

همـامٌ إليه كان تقريبُ غربتي بِبُزْلٍ خفيفٍ بين أخفافِها الوَخْد

بأرضٍ فلاةٍ تُنْكِرُ الأُسْدُ وَحْشَها ويرتدّ في اللّحظِ العيونُ بها الرمد

وناجيةٍ تنجو بهمّ همـومهم تولّى بها عن جسمها اللّحم والجلد

قتلت الأمـــاني من عليٍّ ولم أزَلْ   مُفَدّى لديه ، حيث يعذبُ لي الورد

بكيتُ عليـــه والدمـوعُ سواكبٌ   تَخَدّدَ من طولِ البكاءِ بها الخد

وذاكَ قليـــلٌ قَدْرُهُ في مُعَظَّمٍ   له حَسَبٌ ما ان يُعَدّ له عَـدّ

فلو صحّ في الدنيا الخلــودُ لماجدٍ   لأبقِيَ فيهـا ثمّ صَـحّ له الخلد

ومختلفِ الطعمَينِ مَن طبعِ عَنـاهلٍ   فطعمٌ له سَمٌّ وطَعْمٌ له شَهْـد

وقــد كانَ في عليــائه مترفّعـاً   يلينُ بهِ الدّهرُ الذي كان يشتدّ

وكانَ أبيّاً ذا أيـــادٍ غمـامُها   ندى ماجدٍ في قبره قُبِرَ المجـد

وحبـلُ الردى من كفّه عقَليَّ رايةٍ   ومن كفّ ميمونٍ لها جُدّدَ العقد

وما هو إلاّ حازمٌ ذو كفـايةٍ   يناقض هَزْلَ الرّوْعِ من بأسه الجدّ

تقدّمَ من صِنْهاجةٍ كلُّ مُقْـدِمٍ   فريستُهُ من قِرْنِهِ أسَدٌ ورد

بأيديهمُ نَوْرُ البنفسج في ظُبىً   ينـورُ من نارٍ ، لها حَطَبَ الهند

وقد لبسوا من نسجِ داود أعينـاً   مُداخلَةً خُوصاً[1] هي الحلَقُ السرْد

يسدّونَ خلاّتِ الحروبِ إذا طَمَتْ   بشوكِ الرّدى حتى كأنّهمُ السّد

ويقتادهم منـــهُ شهامَةُ قـائدٍ   به جُمْلَةَ الجيشِ العرمرم تعْتَد

جوادٌ عميمُ الجود ، بيتُ عطائـه   لقاصده بالنيـل طَيَّبَـه القصد

---

[1] خوص جمع خوصاء وهي العين الغائرة .

له همّـــةٌ في أفقهـــا فرقديّـــةٌ كواكبُها زُهْرٌ أحاطَ بها السّعد

وأثبتَ للعليـــاءِ منهم قـــواعداً لأعدائِهِ منهـــا قواعـــدُ تَنْهَد

أرى يُمْنَ ميمونٍ تعاظَمَ في العلى بنيـــلِ مَعَالٍ لا يُحَدّ لها حدّ

وهمّـــةُ يحيَى شرّفتـــه بخلّـــةٍ بها يُسْعَفُ المولى ويبتهجُ العبـــد

كأنّ نُضَاراً ذائباً عمّ جسمهـــا وإنْ رامَ حُسناً في العيون له حمد

ومـــا مُطْرِفٌ إلاّ أبيّ بِحَرْمَةٍ[1] عُباب خِضَمّ جُلّ عن حسره المد

إذا أعملَ الآراءَ عَنّ لـــهُ الهدى بِسدادٌ هو الفتحُ الذي ما له سد

يروحُ ويغدو في المنى ، وحسودُهُ بعيدُ رشادٍ ، لا يروحُ ولا يغدو

ومن حيثُ ما ساورتَهُ خفتَ بأسَهُ وللنّارِ من حيث انثنيتَ لها وقد

وإن جادَ كانَ الجودُ منـــه مهنأً كغيثٍ هَمَى ، ما فيه برقٌ ولا رعد

ولله في الإجـــلالِ ذكرُ محمد بكلّ لسانٍ في الثناءِ له حمد

هم السّادَةُ الأمجادُ والقادَةُ الألى تُعَدّ المعـــالي منهمُ كلّما عُدّوا

ويأمرهمْ بالصّبرِ والحزمِ خـــاذلٌ لهم صبر [. . .] ووجدانه فقد

وأيّ اصطبارٍ فيـــه للنّفسِ رحمةٌ عن القائدِ الأعلى الذي ضمّهُ اللّحد

---

[1] كذا في « م » ولعلها : أبيّ بحومة .

حرف الراء

١٠٤

وقال أيضاً

بأبي مُنَطَّقَةُ القَوامِ مَشَتْ كالغصن ، بين الحقف ، والقمر
لمياءُ تنطق عن مُؤشَّرَةٍ خُتِمَ العقيق بهــا على الدّرر
كيف الساوّ وسحرُ مُقْلَتِها قَيْدُ الحياة وَمِقْوَدُ النظر

١٠٥

وقال أيضاً

كم تعجبُ الناسُ من صَيْدٍ ولاشَرَكٍ يصيدُ رئمٌ به قلبي سوى نظري
وكم يقولون : مجنونٌ ، وما علموا أنّ الجنون الذي بي من هوى بشرِ
لا عذّبَ الله من أجلي مُعَذِّبَــةً تُشَرِّدُ النومَ عن عينيّ بالسهر
يبيتُ في ثَغْرها بردُ الشباب كما بات الندى من أقاحي الروض في زهر
يا ليتني ، والأماني ربما بُلِغَتْ ، نقعتُ حرّ غليلي منه في الخَصَر

١٠٦

وقال في الصقور والكلاب

وساميةِ الألحاظِ للصيد قُرّبَتْ وقد نامَ عنّا الليلُ وانتبَهَ الفجرُ
بكرنا على أكتادها نَدَّري بها طرائدَ معموراً بها البلدُ القفر[١]
تسائل عنها السحبَ والتربَ جرأة جوارحُ فوق الراح أعينها خُزْر
فوارسُ أُفْدٌ أقبلتْ في جواشنٍ من الرقم، لم تخلق لها البيض والسمر[٢]
وَغُضْفٌ ترى آذانهن لواحظاً بهنّ صُرورٌ، وهي من هبوة غُبْرٌ[٣]
ومروٍ علا عند النتاج حديدةً نتائجها منه إذا وضعتْ شقر[٤]
هفا بيننا منها جناح بُوَيْزَةٍ كقادمة العصفور طار بها الذعر
أقام عليها موقدٌ كيرَ سَحْرِهِ ليصلى لها حرّاً، وقد ثلج الصدر[٥]
رددنا بها روحاً على شلو أوْرَقٍ يبلبله ريحٌ ويضربه قطر

١ الأكتاد : جمع كتد وهو الكاهل .
٢ أفد : جمع أفد وهو المستعجل المسرع .
٣ الصرور : تحديد الأذن للاستماع . وفي ف و م: لهن خدود ، وليس بشيء .
الغضف : جمع أغضف وهو الكلب الذي استرخت أذناه .
٤ في هذا البيت وما يليه يتحدث عن إيقادهم النار ، محاكياً ذا الرمة . والمرو : الحجر .
٥ السحر : الصدر ، أي نفخ عليها لتزداد التهاباً فيستدفىء بها .

أقامت أثافيه من الدهر برهةً عواريَ لم تركبْ رواحِلَها قِدر

ولما تلظّى جمرُها وتجدّلتْ وَقَصّتْ بأيدينا ذوائبها الحمر[1]

١٠٧

وقال أيضاً

شوقي إليك مُجَدَّدٌ يُبْلي جديد تصبري

وجوانحي يجنحن مِنْ حُرَقِ الهوى المتسعّر

نَقَلَتْ من الدرر الدموعَ إلى العقيقِ الأحمر

ولبستُ فيه من الضنى عَرَضاً يلازمُ جوهري

كَحَلَ الهوَى والسحرُ منـ ـك جفونَ رئمٍ أحور

فجوارحي مجروحـةٌ منها بسيفٍ مضمر

كم ذا يُغَيِّرني هوا ك بخلقـك المتغيّر

نَقَضَتْ حلاوةَ موردي منه مرارةُ مصدري

ومنعتَني من لَثم فيك جَنَى الرضاب المسكر

أبجنّةِ الفردوسِ أحْرَمُ شُرْبَ ماءِ الكوثر

---

١ إما أن القصيدة ناقصة أو أن البيت التاسع يجب أن يقع آخراً .

١٠٨

وقال أيضاً

وناهـــدةٍ تَرَّبَتْ كفُّهـــا	ترائبَهـــا بسحيق العبـــيرِ
تصونُ على القطفِ رُمّانَةً	من النهد في غُصْنِ بانٍ نضير
لها وجنةٌ صُقِلَتْ بالنعيم	وناظرةٌ كُحِلتْ بالفتور
وتبسمُ عن أقحوان تريكَ	على نَوْرِهِ الشمسُ إشراقَ نور
كأنّ غـدائرها المرسَلاتِ	أساوِدُ سابحةٌ في غدير
فبتُّ أُلاطفُ أخـــلاقَها	كما رُمْتَ تأنيسَ ظبيٍ نفور
وما قهوةٌ صُفِقَتْ للصَّبوح	بمسكٍ ذكيٍّ وشَهْدٍ مَشور[1]
بأطيبَ من فَمها ريقةً	إذا بَرَدَ الدُّرُّ فوق النحور[2]

---

١ صفقت : مزجت . شار العسل : جناه ، فهو مشور .

٢ برد الدر فوق النحور : أي في وقت الفجر ، وهو وقت تتغير فيه رائحة الأفواه ، إلا فمها فإنه يظل طيب الريق .

١٠٩

وقال أيضاً

لله دَرُّ عصابةٍ نزلوا بين الرّياض مجالساً خُضْرا

شربوا بكاساتٍ مُعتَّقةً شَربت عقولُهُمُ بها سكرا

وكأنّما الأقمارُ تلثمُ من أيدي السقاةِ كواكباً زُهْرا

وكأنما صُوَرُ القِيانِ[١] وقد مُلِئت إلى لهواتها خمـــرا

بيضُ الحسانِ وَقفْنَ في عُرُسٍ لمَّا لَبِسْنَ غلائلاً حمرا

١١٠

وقال أيضاً

تخريجها : ابن خلكان (١ : ٣٨٠) ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ والخريدة ١ ، ٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٧ ، ٨ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ وكلها في الوافي إلا البيت ١٥ وغير موضع البيتين ١٨، ١٩ ومعجم البلدان: (صقلية) : ٣٢، ٣٤.

قَضَتْ في الصِّبا النفسُ أوطارَهَا وأبلغها الشيبُ إنذارهـــا

نَعَمْ وأُجيلَتْ قِداحُ الهوَى عليها فَقَسَّمْنَ أعْشارها

وما غَرَسَ الدهرُ فيْ تربةٍ غراساً ولم يَجْنِ أثمارَهَا

١ هذه هي رواية ب وفي ف وم : وكأن فياشاتهن ؛ والقنان : جمع قنينة . ولعل فياشاتهن أن تقرأ : كاساتهن .

فأفنيتُ في الحرب[1] آلاتَها وأعددت للسلـم أوزارها

كميتاً لهـا مَرَحٌ بالفتى إذا حثّ باللهـو أدوارها

تناولها الكوبُ من دنّهـا فتحسبه كانَ مضمارهـا

وساقيـةٍ زرّرتْ كفُّهـا على عُنُقِ الظبي أزرارها

تـدير بيـاقوتةٍ دُرّةً[2] فتغمسُ في مائهـا نارها

وفتيانِ صدقٍ كَزُهْرِ النجوم كرام النّحائزِ أحرارهـا[3]

يديرونَ راحاً تفيض الكؤوسُ[4] على ظُلَمِ الليـلِ أنوارهـا

كأنّ لهـا من نسيج الحبَابِ شباكاً تُعَقّلُ أطيـارها

وراهبـةٍ أغلقت[5] دَيْرَهـا فكنّا مع الليـل زُوّارها

هـدانا إليهـا شذا قهوةٍ تذيعُ لأنفك أسرارهـا

فما فاز بالمسك إلاّ فتىً[6] تيَمّمَ دارينَ أو دارهـا

كأنّ نوافجَهُ عنـدها دنانٌ مُضَمّنَةٌ قارهـا

طـرحتُ بميزانها درهمي فأجْرَتْ من الدنّ دينارها[7]

---

١ في ب : وأقبلت للحرب .
٢ في ب : فضة .
٣ النحائز : الطبائع والأخلاق .
٤ في ب : كأساً تفيض .
٥ في ب : غلقت .
٦ الخريدة : إلا امرؤ .
٧ في ف : فسيل في الكاس .

خطبنا بناتٍ لهـــا أربعاً ليفترع اللهـــوُ أبكارهـــا
من اللائي أعصارُ زُهْر النجوم تكادُ تُطـــاول[1] أعمارهـــا
تريـــك عرائسُهـــا أيدياً طوالاً تصافحُ أخصَارهـــا
تفرّسَ في شَمّهِ طيبَها مجيـــدُ الفراسة فاختـــارها
فتىً دارَسَ الخمر[2] حتى درى عصيرَ الخمور وأعصارهـــا
يعُـــدّ لما شئتَ من قهوةٍ سنيهـــا ويعرفُ خمّارهـــا
وعدنا إلى هالةٍ أطْلَعَتْ على قُضُبِ البـــان أقمارَها
يرى مَلِكُ اللهو فيها الهمومَ تثورُ فيقتـــلُ ثوّارَهـــا[3]
وقد سكّنَتْ حركاتِ الأسى قيـــانٌ تُحرّكُ أوتارهـــا
فهذي تعانِقُ[4] لي عودها[5] وتلك تقبّـــلُ مزمارهـــا
وراقصـــةٍ لقَطَتْ رِجلُها حسابَ يدٍ نقَرَتْ طارَها
وقضبٍ من الشمع مُصْفَرّةٍ تريك من النار[6] نوارهـــا
كأنّ لهـــا عمداً صُفّفَتْ وقد وزن العدلُ أقطـــارها

---

١ في ف : تطارد .
٢ في ب : الكأس .
٣ في ب : ولو ثُرن قتل ثوارها .
٤ الخريدة : تغازل .
٥ وفي ب : عوداً لها .
٦ الخريدة : من النور

تقلّ الدياجي على هامها وتهتك بالنور أستارها
كأنّا نُسلّطُ آجالها عليها فتمحقُ أعمارها
ذكرتُ صقلّيّةً والأسى يُهَيّج[1] للنّفس تذكارها[2]
ومنزلةً للتّصابي خَلَتْ[3] وكان بنو الظرف عُمّارها
فإن كنتُ أُخرجت من جنّةٍ فإني أُحدّث أخبارها
ولولا ملوحةُ ماءِ البكا حَسِبْتُ[4] دموعيَ أنهارها
ضحكتُ ابنَ عشرين من صبوةٍ بكيت ابنَ ستين أوزارها
فلا تعظمنّ لديك[5] الذنوب فما زالَ ربّك[6] غفّارها

١١١

وقال أيضاً

وصفراء كالشمس[7] تبدو لنا من الكأسِ في هالةٍ مستديره

---

١ الوافي : يجدد وفي ب : تهيج .
٢ الخريدة : والمنى يهيج للنفس أوطارها .
٣ الوافي : للصبا قد خلت .
٤ في ب : خلت . .
٥ الوافي : عليك .
٦ في ب والوافي : إذا كان ربك .
٧ في ب : في الكأس .

يلاعبها الماءُ في مَزْجِهَا[1] فيضحكها عن نُجُوم ٍ منيره

إذا جار هَمٌّ الفتى واعتدى رأيتَ بها نَفْسَهُ مستجيره

فتَرْوي صداه، وتُدني مُنَاه[2] وتُردي أساه،وتُحيي سروره

زجاجٌ وخمرٌ ومــاءٌ كمـا تقولُ هيُولى وَنَفْسٌ وصوره

أطِرْ عنك نَوْمَكَ وانظرْ إلى نهــارٍ أفاضَ على اللّيل نوره

كأنّ دُجَى الليلِ لما استرقّ نَمومٌ من الصبح يفْشي[3] سريره

شَرِبْنَا على وَجْهِ بدر السّماءِ[4] وَنُسْقَى على وجه شَمْسِ الظهيره

بفوّاحةِ النَّوْر ، مُكّاؤهـا يُرَجّعُ في كلّ غُصْنٍ صفيره

مرت فوقهـا حَلَبَ المُعْصِرات رياحٌ لكلّ سحابٍ مثيره

كأن الفرزدقَ في طيرها يجيبُ على كلّ شعرٍ جريره

قَصَرْنا بها طولَ ليلِ التّمامِ بعيشٍ هنيءٍ عَدِمْنَا نظيره

كأنّ الكؤوسَ بأيدي السّقاةِ خيولٌ على الهمّ منّا[6] مغيره

وطيبُ النعيم له ساعــةٌ تُعَدُّ، وإن هي طالتْ ، قصيره

---

١ في ب : المزج في مائها .

٢ في ب : نداه .

٣ في ب : نؤوم من الفجر يغشى .

٤ في ب : الدجى

٥ في ب : نضير .

٦ في ب : منها .

١١٢

وقال أيضاً

تخريجها : ١ – ٤ في معاهد التنصيص : ١١٤

غَشِيَتْ حِجْرَهَا دُموعيَ حُمْراً   وَهْيَ مِنْ لوعةِ الهوى تَتَحَدَّرْ

فانزوتْ بالشهيق خوفاً وَظَنَّتْ   حَبَّ رمانِ صَدرِها قد تنثَّر

قلتُ عنـد اختبارها بيديهـا   ثَمَراً صانَهُنَّ جَيْبٌ مُزَرَّر

لم يكنْ ما ظننتِ حقاً ولكن   صبغةَ الوَجْدِ صِبْغُ دمْعيَ أحمر

١١٣

وقال أيضاً

وَنَيْلُوفَرٍ أوْرَاقُـهُ مُسْتَديرَةٌ   تَفَتَّحَ فيما بينهنَّ لَهُ زَهْرُ

كما اعترضتْ خضرُ التّراسِ وبينها   عواملُ أرمـاحٍ أسنَّتُها حمر

هو ابْنُ بلادي كاغترابي اغترابُهُ   كلانا عنِ الأوْطان أزْعَجَهُ الدهر

١١٤

وقال أيضاً

تخريجها: في الذخيرة منها الأبيات ١ — ٥، ٧ وفي المسالك ١، ٢، ٣، ٥، ٤ والنفح ١، ٢ والطراز والرايات (١١٢): ١، ٢، ٣، والخريدة والوفيات (١ : ٣٨٠) الأبيات: ١، ٢، ٣، ٥، ٤.

وَمُطَّرِدِ الأجزاءِ[1] يصقل[2] مَتْنَهُ ... صبا أعْلَنَتْ للعين ما في[3] ضميرهِ

جريحٌ بأطراف الحصى كلما جرى ... عليها شكا أوجاعَــهُ بخريره

كأنَّ حُبَاباً ريع تحت حَبَابه ... فأقبل[4] يُلْقي نفسَه في غـديره

شربنا على خافاتِه دَوْرَ سكرة ... وأقْتَلُ[5] سُكْراً منه لَحْظُ مديره

كأنَّ الدجى خَطَّ[6] المجرّة بيننا ... وقد كُلِّلَتْ حافـاته[7] ببدوره

---

١ الخريدة : الأرجاء ؛ وفي النفح والطراز : الأمواج .

٢ في المسالك : تحسب .

٣ في الذخيرة : سر الذي ، والخريدة : سر الهوى .

٤ الخريدة : فأسرع ؛ المسالك : فسارع .

٥ في م : وأقبل . وفي أصول الذخيرة : وأقبل شكراً منه عينا مديره ، وفي نسخة أخرى «نقبل شكراً منه عيني» وفي المسالك : وأقتل سكراً منه عينا .

٦ الذخيرة : حط .

٧ وفي نسخة ب : أرجاؤه .

وقد لاحَ نجمُ الصبح حتّى كأنّه مطرق[1] جيش مؤذن بأميره

كلفتُ بكاساتِ الصبوح[2] مبكّراً وكم بركاتٍ للفتى في بكوره

هو العيشُ فاغنمْ منزمانك صَفْوَهُ وَصِدْ قَنَصَ اللذاتِ قبل مُثيره

١١٥

وقال يصف بركة شقّها[3] نهر

وزرقاءَ في لون السماء تَنَبَّهَتْ لتحبيكها ريحٌ تهبّ مع الفجرِ

يَشُقُّ حَشَاهَا جدولٌ مُتَكَفِّلٌ بسَقْيِ رياضٍ أُلبِستْ حُلَلَ الزهر

كما طَعَنَ المقدامُ في الحرب[4] دارعاً بِعضْبٍ فشقّ الخصرَ منه إلى الخصر

يريك رؤوساً منه في جسمْ حَيّةٍ سَعَتْ من حياةٍ فيحدائقه[6] الخضر

فلا روضةٌ إلا استعارت لشكره لسانَ صَباً تَسْري مُطَيَّبَةَ النشر

---

١ في ب : مقدم .
٢ الذخيرة : بشربي للصبوح .
٣ في ف : غديراً شقه .
٤ في ب : في الدرع .
٥ في ب : تعطيف حية .
٦ وفي ب : من جنان في حدائقه .

١١٦

وقال يصف الصيد وغير ذلك

وليلـــةٍ حالكةِ الإزارِ

مَدّتْ جناحاً كسوادِ القارِ

يَحْجُبُ عنّا غُـرّةَ النّهار

عَقَرْتُ فيهـا الهمّ بالعقار

بجسمِ مـاءٍ فيه روحُ نار

في مجلسٍ ضمّ بني الفخـار[1]

كهالةٍ تضحكُ عن أقمار

تزَاحَمَتْ[2] بأنْجُمٍ دراري

من كلّ ذِمْرٍ في حمى الذمار

مهين مـالٍ ومعزّ جـار

يُسْقَوْنَ من ساطعةِ الأنوار

كثيرةِ الأسمـاءِ والأعمار

أعبقَ من نفحةِ[3] مِسْكٍ داري

---

١ في ف : الفجار .

٢ في ف : تراجمت .

٣ في ب : من مسكة .

أرقّ في حُسْنٍ وفي احمرار

من ماءِ خَدٍّ راقَ[1] في عجار

تكادُ ذات القـرط والسوار

والنغم[2] الرطب على الأوتـار[3]

إذ أسمعتنا نغـم الهـزار

يجري مع الأرواح في المجاري

حتّى إذا ما غنّتِ القَمَاري

منـاغماتٍ[4] حزَقَ الأطيار

صوافراً[5] والصبحُ في الاسفار[6]

قمنـا لننفي عرَضَ الخُمار

عن جوهر الأنفس في الصحاري

بكلّ طِرْفٍ سَلْهَبٍ مُطَار

مُوَجَّـهِ الإقبـالِ والإدبار

إن بادر السبقَ مع المجـاري

طارتْ به قوادمُ النجـار

---

١ في ب : من وجنة راقتك .

٢ في ب : والنم .

٣ في ب : السوار .

٤ في ف : منغمات .

٥ في ب : منغمات فرق الأطيار ، سوافراً .

٦ في ب : اسفار .

يتبعه كلّ صيودٍ ضـــار

ظامي الضلوعِ ضامرُ الأخْصار

كأنّـــه في عقـدة الزنّار

بأعينٍ لم تُغْضِ من عُوّار

كالجمر بين الهُدْبِ والأشفار

تكادُ ترمي الصيد بالشرار

كأنّما يكشر عن جِمّار[1]

يُعَقّفُ[2] الأذناب للصوار

كأنها عقـــارب القفـــار

وحاكم في الوحش بالتبـــار[3]

أسْرَعُ من برْقٍ ومن إعْصَارِ

ولحظةِ الصبّ على حذار

أصفرُ من لون جَنَى بهار

كأنّما صِيغَ من النّضَار

آسدته[4] والظبي في نفـــار

ما بين جنجاث إلى عرار[5]

---

١ في ف وم: جوار .

٢ في ب : تعقرب .

٣ في ب : بالبتار .

٤ في ب : أرسلته . وآسدته : هيجته وأغريته .

٥ في ف وم : حثجاث إلى عوار .

فمرّ في غيمٍ من الغبار
يُشكِلُ منه أحرُفَ الآثار
كأنّما يطلُبُهُ بثـار
ماذا يريدُ الظبي بالفرار
من ابن ريحٍ في قميص نار
وهو مع الإجهـاد والاضرار
يحذفه بيَرْمَعٍ صغـار[1]
حَذْفَ المُوَلّي باليد اليسار
فلو ترانا في انتزاح الـدار
في روضةٍ كالغادةِ المعطار
نأكل من صيد أبي العقّار
ونشربُ الصهبـاءَ بالكبـار
ما كنت إلا خالعَ العِذارِ[2]

---

١ اليرمع : الحصى الصغار .
٢ في ب : كنت مديم الخلع للعذار .

١١٧

وقال في قمر آخر الشهر

تخريجها : ١ ، ٢ في الوافي .

وربَّ صُبْحٍ رَقَبْنَاهُ[١] وقد طَلَعَتْ بَقِيَّةُ البَدْرِ في أُولى بَشَائِرِهِ

كأنّما أدهمُ الظلماءِ[٢] حين نجا من أشهبِ[٣] الصبح ألقى نَعْلَ حافره

١١٨

وقال في الشقائق

نظرتُ إلى حُسْنِ الرياض، وغيمُها جرَى دَمْعُهُ منهنّ في أعين الزّهْرِ

فلَمْ ترَ عيني بينهـــا كشقائقٍ تبلبلها[٤] الأرواح في القضب[٥] الخضر

كما مَشَطَتْ غِيدُ القيان شعورَها وقامتْ لرقصٍ في غلائلها الحُمْرِ

---

١ في ب والوافي : ورب ليل سريناه .
٢ في ف : الاظلام .
٣ الوافي : شهب .
٤ في ف : تبللها .
٥ في ب : في الورق .

وقال في ساقية ماء مستديرة في بستان، والندامى على جوانبها متقابلون، بحيث يضع ساقيهم لمن أراد أن يسقيه منهم في مائها زجاجة مضمنة خمراً ويقول : كاسك يابا فلان، فيجري بها الماء إلى يده فيتناولها ويشرب ما فيها ويرسلها في الماء إلى ذلك فتعود إلى يد الساقي من ناحية أخرى :

وساقيةٍ تَسقي النّدامَى بمدّها ... كؤوساً من الصهباءِ طاغيةَ السكر
يعومُ فيها كلّ جامٍ كأنّما ... تَضَمّنَ روح الشمس في جسد البدر
إذا قصدتْ منّا نديماً زجاجةٌ ... تناولها رفقاً بأنمله العشر
فيشربُ منها سكرةً عِنَبيّةً ... تنوّمُ عَيْنَ الصحو منه وما يدري
ويُرْسِلُهَا في مائها فيُعيدُهَا ... إلى راحتي ساقٍ على حكمه تجري[1]
جعلنا على شُرْبِ العُقَارِ[2] سَمَاعَنَا ... لحوناً تغنّيها الطيورُ بلا شعر
وساقِيَنَا ماءً[3] ينيلُ بلا يدٍ ... ومشروبَنَا ناراً تضيء بلا جمر
سقانا مسَرّاتٍ فكان جزاؤهُ ... علينا لدينا أنْ سقيناه للبحر
كأنّا على شطّ الخليج مدائنٌ ... تسافرُ فيما بيننا سُفُنُ الخمر
وما العيشُ إلاّ في تَطَرّفِ لذةٍ ... وَخلْعِ عِذَارٍ فيه مُسْتَحْسَنُ العذر

١ في ب : حكمها يجري .
٢ في ب : المدام .
٣ نصبت على المفعولية للفعل « جعلنا » في البيت السابق .

١٢٠

وقال أيضاً يمدح المعتمد ويذكر رجوعه من على لبيط،وهو حصن بقرب من المرية، نجا إليه قومس من الروم ومعه جماعة من قبل الفنش،وكان المعتمد بن عباد نزل عليه مع المرابطين وأقام محاصراً زماناً ثم دخل الشتاء فقام عنه. أنشده هذه القصيدة بإشبيلية يوم دخول الناس عليه للسلام .

تخريجها : في الوافي منها الأبيات ٨، ١٩، ٢٠

في كُنْهِ قَدْرِكَ للعقولِ تَحَيّرُ ... فَلِذاكَ عنه النَيّرَاتُ تُقَصّرُ

والواصفونَ عُـلاكَ مِنّا قرّبوا ... ما ترجموا للناس عنه وعبّروا

ألقيتَ عزمكَ بين عَيْنَيْ ضَيْغَمٍ ... وأباتَ طَيْفُكَ كلّ شيءٍ يُذْعَرَ

ورحلتَ في جَوْن القتام عرمرمٍ ... وكأنّهُ ليل بوجهك مقمر

ولئن قدِمتَ وفي اعتقادكَ عَوْدَةٌ ... فالبحرُ من عظم يَمُدّ ويجـزر

والفتحُ من فَضْلِ الإله، ويومُهُ ... متقدّمٌ بالنصر أو متـأخر

لولا اقترابُ الوقت عن قدر لما ... فُتِحَتْ على حسالٍ لأحمد خيبر

وفوارسٍ يَحْمَرّ مِنْ ضرب الطلا ... بأكفّهم وَرَقُ الحديد الأخضر

لا غشّ جُبْنٍ[١] فيهمُ فكأنهم ... سُبكوا بنيران الحروب وسُجّروا

ومن الرجال[٢] مُرَوّعٌ ومشجع[٣] ... ومن السيوف مؤنّثٌ ومذكر

---

١ في ف : لا عيس حر .

٢ في ف : ومن الجبال .

٣ في ب : مشجع ومجبن .

أَلِفَتْ قلوبُهُمُ الخضوعَ لربهم والبأسُ في أسيافهم متكبر
يرْمُونَ أغراضَ الحتوفِ[1] بأنفسٍ ووجوهها[2] لعيونهم تتنمّر
وتغورُ في هام العلوج جداولٌ للضرب من أغمادهم[3] تتفجر
من كلّ وحشيِّ الطباع كأنّه بين القنا الخطّيِّ ليثٌ مُخْدَر
متقدمٌ[4] من صبره ، ولثامُهُ يوم القراع[5] أضاتُهُ والمغفر
صحبت جيوشُهُمُ جيوشاً يا لها من أبْحُرٍ زَخَرَتْ عليها[6] أبحر
ويلٌ لحصن لبيطَ من يومٍ على جَنَبَاته يجري النجيعُ الأحمر
والروعُ تَثْقُلُ بالردى ساعاتُهُ وتخفّ بالأبطال فيه الضُّمّر
يُثْنَى النهار[7] به على أعقابِهِ حتى كأنّ[8] الشمس فيه تُكَوَّر
والنَّقْعُ فيه دُجُنَّةٌ لا تنجلي والصبحُ منه ملاءةٌ لا تنشر
ولقد شددتَ على خناق علوجهم وأدارَ رأيَكَ فيهمُ مستبصر

---

١ في ب : الحروب .
٢ في ب : ووجوههم .
٣ في ب : بالضرب من اغمادها .
٤ في ب : متوقد .
٥ في ب : الكفاح .
٦ في ب : قد ناوحتها .
٧ الوافي : نكص النهار .
٨ في ب : حتى تخال ، والوافي : حتى حسبت .

واستعصموا بذرى أشمّ كأنهم عُصْمٌ أُتيحَ لها هزبر[1] قَسْوَرَ

قلّوا لَدَيْكَ غنيمةً فكأنّما أبقتهمُ الأيامُ فيه ليكثروا

ولقلّما يبقى رمادُهُمُ إذا طارتْ به في الجَوّ ريحٌ صَرْصَرُ

قامَ الدليلُ، وما الدليلُ بكاذبٍ أن النصارى يُخْذَلون وتُنصَر

سكَنْتَ في الآفاقِ من حركاتهم والنبضُ من خَوَرِ الطبيعة يَفْتُر

هلاّ أطاقَ الكفرُ جَرّ قناته لما تركتَ كُعُوبَها تتكسّر

يومَ العروبةِ، والعِرابُ لواعبٌ تكبو على هامِ العلوج وتعثر

والفنشُ يحسبُ ناظريه وقلبَهُ بقوارِع الأحزانِ يومٌ مُعْوِرُ

ركبَ الغوايةَ واستبدّ برأيهِ جهلاً ليعبرَ خضرماً لا يُعبر

خذ في عزائمك[2] التي تركتهُمُ خَبَراً مع الأيام لا يتغير

بالخيل تحت الليلِ يُسْرَجُ حولها في كلّ ذابلةٍ سِنانٌ[3] أزهر

وتلوكُ من قَقْدِ القضيم[4] شكائماً تُنْهَى بها أفواهُهُنّ وتُؤمَر

عرّكَتْ أديم الأرضِ تحت حوافرٍ صَخْرُ البلاد بوطئهن مسخَّر

---

١ في ب : عصم دهاها منك ليث .

٢ في ب : غرائبك .

٣ في ب : شهاب .

٤ القضيم : ما تقضمه الدابة من شعير وغيره ، وفي ف وم : العضيم وهو تصحيف .

حتى تُغَنّيهِمْ ظُبَاكَ من الردى   نَغَماً ، وتسقيهم كؤوساً تُسْكِرُ

جاهدتَ في الرحمن حقّ جهاده   وجرى الملوكُ كما جريتَ فقصّروا

فيبيتُ ناجودٌ وعودٌ حولهم   ويبيتُ حولك شزَّبٌ[1] وَسَنَوّرٌ[2]

وتفوحُ غاليةٌ بهم وَذَريرَةٌ   وهما دمٌ في بردتيك وَعِثْيَرَ

أعطتك َ ريحانَ الثناءِ حديقةٌ   ظَمِئَتْ ولكن قلما تستمطر

وأنا العليم بأن طَوْلَكَ شاملٌ   وذراك رحراحٌ وَجُودَكَ كَوْثَرُ

١٢١

وقال أيضاً

حبذا فتيانُ صدْقٍ أعرسوا   بعذارى من سُلافاتِ الخمورْ

عَرْبَدَ الصحوُ عليهمْ بالأسَى   فاتّقاه السُّكْرُ عنهم بالسرور

عَمَرُوا ربعَ الصِّبَا من قبلِ أنْ   يتمشّى فيــه بالشيب دُثُور

إنّ للأعمــار أعجــازاً إذا   بُلِغَتْ لم تُشْنَ منهنّ صُدور

---

١ في ب : شيظم ..

٢ يعني أن الملوك الآخرين أصحاب لهو أما الممدوح فصاحب جد وحرب وجهاد ، والناجود : الباطية . والشزب : الخيول الضوامر . والسنور : آلة السلاح .

كلُّ نافي[1] العمر ، في شِرّتِهِ للصِّبَا نارٌ ، وفي الوَجْنَةِ نور

يقتنون العيشَ من قانيــةٍ ذاتِ عُمرٍ كَثُرت فيها الدهور

أطلع الساقي عشاءً منهــمُ أنجمَ الكاساتِ في أيدي البدور

عَدِّ بالأكواب عنّي إنّ لي في يد الآنسِ عنهنّ نُفور

غَمَرَ الشيبُ الدجى من لِمّتي بنجوم طُلّعٍ ليستْ تغور

لا نشورٌ لشبــابي بعد مــا مات من عمري إلى يوم النشور

وخضــابُ الشيب لا أقبلــه إنّه في شَعَري شاهدُ زور

أنا مِنْ وَجْدي بأيام الصِّبا أذرفُ الدمع رَواحــاً وَبُكور

فكأنّي ذو غليــلٍ تلتظي لوعةٌ منه إلى ماءِ الثغور

أصِفُ الراحَ ولا أشْرَبُهَــا وهي بالشّدْوِ على الشَّرْبِ تدور

كالّــذي يأمرُ بالكرِّ ولا يَصْطلي نارَ الوغى حيث تفور

فسواءٌ بين إخوانِ الصّفــا وذوي اللهو ، مغيبي والحضور

أنا من كَسْبِ ذنوبي وَجِلٌ وإنِ استغفرتُ فاللهُ غفور

---

[1] كذا في ف وم : ولعلها ثاني أي لم يكبر بعد ؛ من قولهم في الكبير : لا يثني .

١٢٢

وقال أيضاً

يا قليلَ الوفاء ضاعَ ودادٌ أنْتَ ضيّعْتَهُ بكثرة غدرِكْ
أنا أشكو صَبَابَةً لَذَعَتْني بَرّدَ الله حرّ نحري بنحرك
وَجَنَى لي ، فإنّ قلبي عَليلٌ ، ما اشتهى من جَنَيِّ رمّان صدرك
وتداويتُ من خُماري بخمرٍ نابعاتٌ بهـا جواهرُ ثَغْرِك
هذه كلها أماني وصـالٍ حيل بيني وبينهنّ بهجرك

١٢٣

وقال أيضاً

هنّ الحِسانُ وَحَرْبُهَا الهجْرُ فلذاك يجْهُنُ عندها الدّهْرُ
أصَليتَ تلك الحربَ تجربةً أم أنْتَ عن فتَكَاتِها غَمْرُ
من كلّ ناشئةٍ ، إذا[1] اتّصلت مِن عُمْرها بالأرْبَعِ العَشْر

١ في ف : كما .

وكم اشْتَهَى منها عليلُ هوًى ثمراً بهنَّ تَفَلّكَ[1] الصدر

خُلُقي مطيّةُ خُلْقِها وَهُمَا سهلٌ يديرُ عِنَانَهُ وَعْرُ

يا ظبيةً إنْ مَرّضَتْ نظراً فلكلّ قَسْوَرَةٍ بـه قسر

كَرْبٌ هواك وما له فَرَجٌ ومتى يفارقُ لذعه[2] الجمر

حتّى الأراكةُ منك ظالمةٌ دُرّاً بفيكِ ، أيُظْلَمُ الدرّ ؟

وكأنّ بَرْقاً في تبَسّمِهِ وكأنّما دَمْعي لـه قطر

أشكو خُماراً ما شربتُ لـه خمراً بفيك ، فريقك الخمر[3]

ويَهيجُ بي وَجَعٌ وَعِلّتُهُ سَقَمٌ بطرفك ، إنّ ذا سحر

وأرى الذي تجدينَ فيك له نَفْعاً فمنه مَسّني[4] الضرّ

من وجهكِ[5] الحُسنُ اقتنى مُلَحاً فكأنّها في وَجْهِهِ بشر

ليستْ تنالُ الشمسُ منزلةً منها ، فكيفَ ينالها البدر ؟

وأراكِ قد حاولتِ نَقْلَ خُطًى فَقَصَرْتِها وعلا بكِ البُهْر

وعذرتُ منك الخصرَ مَرْحَمَةً ولحملِ ردفِكِ يُعْذَرُ[6] الخصر

---

١ في ب : تحلل .

٢ في ب : باق على إحراقه .

٣ في ب : حبابها ثغر .

٤ في ب : يمسّني .

٥ في ب : حسنك .

٦ في ب : ويحمل ردفك يرحم .

عذلتْ على دَنفٍ أخا مِقَةٍ[1] لا يستقلّ ببعضهـا الصبر

فرَثَتْ لـذِلّتِـهِ وربّتما لانَ الصّفا وتَواضَـعَ الكبر

بعَثَتْ لواحِظُهـا بعطفتها[2] سِرّاً إليـه فليتهـا جهر

قتلتْهُ وهي تريدُ عِيشتَهُ ذنبٌ ، بعيشكِ ، ذاك أمْ أجْرُ

١٢٤

وقال يصفُ رَمَداً موليّاً أصابه

أشكو إلى الله ما قاسيتُ[3] من رَمَدٍ مواصلٍ كَرْبَ آصالي بأسْحاري

كأنّ حَشْوَ جفوني[4] عند سَوْرَتِه جيشٌ من النمل في جُنح الدجى ساري

كأنّه للقَذَى والدمعِ في وَحِلٍ فَخَلْعُهُ أرجلاً منـه بإضرار

كأنّ أوجاعَ قلبي من مطاعنةٍ بالشوك ما بين أشفاري وأشفاري

كأنّما لُجّةٌ في العين زاخرةٌ ترمي سواحلَ جفنيها بعوّار

---

١ في ب : حرق ؛ وفي ف وم : ثقة .
٢ في ف : بعطفتها لواحظها .
٣ في ب : كابدت .
٤ في ب : عيوني .

تُفجّرُ الماءَ منها كلما وَضَعَتْ   لهجعةٍ منهما ناراً على نار

كم ليلةٍ بتُّ صفراً من كرايَ بها   ومن مَخيلةِ صُبْحٍ ذاتِ إسفار

إذ باتَ جفني رضيعَ ابني يقاسمُهُ   لبانَ أسحمَ يغذوه بمقدار

في حَلْقَةٍ[1] من ظلام لا ترى طَرَفاً   يبدو بها من سنا صُبْحٍ لأبصار

كأنّما الشّرقُ دِهقَانٌ يرى غبناً   في دفعه[2] منهما الكافورَ بالقار

كأنّما الشمسُ قد رُدّتْ إلى فلك   على الخلائقِ ثَبْتٍ غيرِ دَوّار

كأنّما الليلُ ذو جهلٍ فليسَ يرَى   في درهم البَدْر منها أخْذَ دينار

يشكو بجفنيَ جفني مثلَ علّتِهِ   كالضيم يُقَسّمُ بين الجار والجار

فالحمد للهِ مجري النورِ من غَسَقٍ   وجاعلِ الليل[3] في تلطيف أحجار [كذا]

كم أبعدَ الناسُ في أمرٍ[4] ظنونَهُمُ   فكان دائي قريبَ البُرْءِ بالباري

---

١ في ب : حلبة .

٢ في ف : دمفه .

٣ في ب : محيي اليوم من ظلم ، وعاجل النجح .

٤ في ب : أمري .

١٢٥

وقال يصف القلم

وجدولٍ جامدٍ في الكفّ تحملُهُ　　يغوصُ فيه[1] على درّ النهى النّظَرُ

يكسو السطورَ ضياءً عند ظلمتها　　كأنّ ينبوعَ نورٍ منهُ ينفجر

يشفّ للعين عن خطّ الكتاب كما　　شفّ الهواءُ ، ولكن جسمه حَجَرَ

يبدي الحُروفَ بجرح[2] نالها عرق　　فيه ، وقرّ عليها جامداً نهــر

كحلت عينيَ إذ كلّتْ بجوهره　　أما يُحَدّ بِكُحْلِ الجوهر البصر؟

كأنّه ذهن ذيْ حذق يَفُكّ به　　من المُعَمّى عويصاً فكّهُ عَسِرُ

نعم المعين لشيخ كَلّ ناظــرُهُ　　وصغّرَ الخطّ في ألحاظه الكِبَرَ

يرى به صُوَرَ الأسْطار قد عَظُمَتْ　　كمُنْصُلِ الماءِ فيه يَعظم الوبر[3]

---

١ في ف : فيها .

٢ في ف وم : الخدود بجريح .

٣ العنصل : نوع من النبات ، وهو البصل البري .

١٢٦

وقال أيضاً

تخريجها : ١ – ٥ في التكملة .

زِنْ بديعَ الكلامِ وَزناً مُحَرَّرْ   مثل ما يُوزَنُ النضارُ المُشَجَّرْ[١]

وتكلَّمْ بما يزينُكَ في الحفـ   ـل وَتَبْقَى به عـَلاءً ومفخرْ

إنَّ حُسْنَ الثناءِ بعدك يَبْقَى   لكَ[٢] بالذكرِ منه عيشٌ مُكَرَّرْ

روحُ معناك جسمُهُ منكَ لفظٌ   وعلى كلِّ صورة يتَصَوَّرْ

فإذا ما مَقَالُ غَيْرِكَ أضْحَى   عرَضاً فلْيَكنْ مَقالُكَ جوْهرَ

١٢٧

وقال يمدح المعتمد

تخريجها : منها في المسالك الأبيات : ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ . وفي الذخيرة: ١ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

لم نوْت ليلتنا الغرّاء من قِصَرِ   لولا وصالُ ذواتِ الدلّ والخفَرِ

السافراتُ شموساً كلما انتقبتْ   تبرّجَتْ مُشْبِهاتُ الأنجم الزُّهُر

من كلّ حوراءَ لم تُخذَلْ لواحظها   في الفتك مذ نَصَرَتْها فتكة النظر

---

١ المشجر : المنقش بهيئة الشجر . وفي ف : المشحر .

٢ ساقطة من ف .

أوْ كلّ لمياءَ لو جادتْ بريقِ فمٍ نَقَعْتُ حرّ غليلي منه في الخَصَر
محسودةُ الحسن لا تنفكّ في شَغَفٍ منها بصبحٍ صقيل الليل في الشَّعَر
لا تأمننّ الردى من سيف مقلتها فإنّه عَرَضٌ في جوهر الحَوَر
إني امروٌ لا أرى خَلْعَ العذار على من لا يقُومُ عليه في الهوى عُذُري
فما فُتنتُ بردفٍ غيرِ مُرْتَدَفٍ ولا جُنِنْتُ بخصرٍ[1] غيرِ مُخْتَصَر
وَشَرْبةٍ من دم العنقودِ لو عُدِمتْ لم تُلْفِ عيشاً له صفوٌ بلا كدَرٍ[2]
إذا أدير سناها في الدجى غَمَسَتْ دُهْمَ الجنادس في التحجيل والغرر
تزداد ضعْفاً قواها كلما بلَغَتْ بها الليالي حدودَ الضَّعف والكبر
لا يسمعُ الأنفُ من نجْوَى تأرّجها[3] إلا دعاويَ بين الطيب[4] والزهر
إذا النديمُ حَساها خلتَ جريتها نجماً تَصَوّبَ حتى غارَ[5] في قمر
تصافحُ الراحَ من كاساتها شُعَلٌ ترمي مخافة لمسِ المـاء بالشرر
تعلو كراسيَّ أيدينـا عرائسُها[6] تُجْلى عليهنّ بين الناي والوتر

---

١ الذخيرة : ولا حننت لخصر .
٢ روايته في الذخيرة والمسالك :
وربّ صفراء لم تترك بسورتها لصولة الهم من عين ولا أثر
٣ الذخيرة والمسالك : لا يعرف الشرب عيباً في مناقبها .
٤ في الذخيرة والمسالك : بين المسك .
٥ الذخيرة وب : غاب .
٦ في ب : عرائس باتت الأيدي حوابسها .

حتى تَمزَّقَ سترُ الليلِ عن فلَقٍ تَقَلَّصَ العَرْمَضِ الطامي على النهر
والصبحُ يرفعُ كفاً منه لاقطةً ما للبراري على الآفاق من دُرَر
عيشٌ خلعتُ على عمري تنعّمه ليتَ اللياليَ لم تخلعه عن[1] عمري
وَلّى وما كنتُ أدري ما حقيقتُه كأنّما كان ظلَّ الطائر الحَذِر
بالله يا سَمُراتِ الحيِّ هل هَجَعتْ في ظلِّ أغصانك[2] الغزْلانُ عن سهري[3]
وهل يراجع وكراً فيك مُغْتَرِبٌ عزّتْ جناحيه أشراكٌ من القَدَر[4]
ففيك قلبي[5] ولو أسطيعُ من وَلَهٍ طارتْ إليك بجسمي لمحةُ البصر
قُولي لمنزلةِ الشوقِ التي نَقَلَتْ عنها الليالي إلى دار النوى أثَري
نِلْتُ المُنَى بابنِ عبّادٍ فقَيَّدَني عن البدورِ التي لي فيك بالبِدَر
حَطّتْ إليه حُداةُ العيسِ أرْحُلَنا[6] فالعزم صِفْرٌ بمثواه من السفر
كان ابتدائي إليه عاطلاً فغدا منه بِحَلْيِ الأماني حاليَ الحبر[7]
مُمَلَّكٌ قَصْرُ أعمارِ العُداةِ به[8] وَقْعُ السيوف على الهاماتِ والقَصَر[9]

---

١ في ب : لم تسلبه من .
٢ في ب : في ظل أفنانك .
٣ الذخيرة والمسالك : سحر .
٤ هذه رواية ب وفي ف وم الغدر .
٥ الذخيرة : يفديك قلبي .
٦ في ب : أرحلها .
٧ في ب : حالياً خبري .
٨ في ب : ملك به تقصر القوم العصاة له .
٩ القصر : أصول الأعناق ، مفردها : قصرة .

عَدْلُ السياسةِ لا يَرْضى له سِيَراً — إلا بما أنْزَلَ الرّحمنُ في السُّوَر

يُسْدي بِيُمْناهُ من معروفه مِنَناً — تكسو الصنائعَ صنعانيّةَ الحِبَر

لو أضحتِ الأرضُ يوماً كفَّ سائله — لم تفتقرْ بعد جدواه إلى مطر

يأوي إلى عِزّةٍ قعْساءَ مُرْغِمَةٍ — أنفَ الزمانِ على ما فيه من أشَر

لا يُفْلِتُ الجريُ من أيدي عزائمه — أو يجعلَ الهامَ أجفانَ الظبا البُتُر

جارٍ له شأوُ آباءٍ غطارفةٍ — أُسْدٍ على الخيل أقمار على السُّرر

لا تَسْتَلِينُ المنايا عَجْمَ عودِهِمُ — والنبعُ ليس بمنسوبٍ إلى الخور

يُقَطّبُ الموتُ خوفاً من لقائِهِمُ — ويضحكُ الثغرُ منهمْ عن سَنَا ثُغَر

يا مُرْوِيَ الرمح والأرماحُ ظامئةٌ — من الأسود الضواري بالدم الهَدَر

لولا تَعشّقُكَ الهيجاءَ ما ركبَتْ — بك العزيمةُ فيها صَهْوَةَ[1] الخطر

إذا التظتْ شُعَلُ الأرماح وانغمست — من الدروع على الأرواح في غدر

وفي اصطبارك فيها[2] والردى جزع — ما دلّ انّك عنها غيرُ مُصْطَبِر

ومأزقٍ مَزّقَتْ بيضُ السيوفِ به — ما لا يُرَقّعُهُ الآسونَ بالإبَر

من جَحْفَلٍ ضَمِنَ الفتحُ المبينُ له — ذُلَّ الأعادي بعزِّ[3] النصر والظّفر

---

١ في ب : ما اعتسفت بك العزيمة منها غمرة .

٢ في ف : عنها .

٣ في ب : ذل العدى بين عز .

تحدو عَذَابَكَ فيه للوَغَى عَذَبٌ تهفو كأيدي الثكالى طِشنَ من حرر[1]

جاءتْ صُدُورُ العوالي فيه حاقدةً يفترّ منها دخانُ النقع عن شرر

فكمْ قلوبٍ لها جاشَتْ مراجلُها لمّا تساقطَ جَمْرُ الطعنِ في النُّقَر

كأنّما كلّ أرضٍ من نجيعهمُ رخو الأسنّة منهـا ميّت الشعر

وخائضٍ في عُبابِ الموتِ مُنصلتٍ مُقارِعِ الأُسد بين البيضِ والسمر

خلَقْتَ بالضربِ منه في القذالِ فماً أنْطَقْتَ فيه لسان الصارم الذكر

يا معلياً بعلاهُ كلّ مُنْخَفِضٍ ومغنياً بنداه كلّ مفتقـر

هل كان جودُكَ في الأموال مقتفياً آثارَ بأسِكَ في أُسد الوغى الهُصُر

نادى نداكَ بني الآمالِ فازدحموا بالواخداتِ على الرّوْحاتِ والبُكَر

كما دعا الرّوْضُ إذ فاحتْ نواسمُهُ روّادَهُ بنسيم النّوْرِ في السحر

يهدي لك البحرُ مما فيه مُعْظَمَهُ والبحرُ لا شك فيه معْدن الدّرر

إنّا لنخجل في الانشاد بين يدي ربّ القوافي التي حُلّينَ بالفقر

مَن ملّكَ اللهُ حُسنَ القول مِقولَهُ فلو رآه ابنُ حُجْرٍ[2] عادَ كالحجر[3]

---

١ الحرر : شدة العطش وهو هنا من شدة الثكل . والوصف للرايات وكيف تتذبذب كأنها أيدي ثكالى ترتفع وتنخفض .

٢ ابن حجر هو امرؤ القيس .

٣ في الذخيرة من هذه القصيدة ثلاثة أبيات لم ترد في نسخة الديوان وهي :

الباسط الكف بالجدوى التي وكفت بالرزق ما بين منهل ومنهمر

والموسع الأرض إذ جارت أكابرها عدلا يؤلف بين الشاء والنمر

كم آية لك في الافضال معجزة لها بوادر لا تبقي على البدر

١٢٨

وقال في الطيف

هَجَرَ الخيالُ فزرتُهُ بالخاطرِ ولقد يكونُ ، زمانَ هجركِ ،زائري

أسَدَدْتِ مسراه فلم يُطِقِ السُّرَى أمْ باتَ عندكِ نائماً عن ساهر

طُمعَتْ مصافحتي له إذ زرته فقبضت من ظلّ الخيال النافر

إني اقتنعْت بزورةٍ زُوْرِيّةٍ ألفيتُ باطنَهــا خلافَ الظاهر

وإذا أردتَ بأنْ تصوّرَ للمُنى صُوَراً فسلّمْها لفكرةِ شاعر

يا مَنْ لها بالسحر طرْفٌ قاتلٌ أسَمِعْتِ بالفُتْيَا التي في الساحر[1]

إني نظرتُ فلم أجِدْ لك فتكةً إلاّ بحدّ حسام لحظٍ فــاتر

أثْبَتِّ حُبّكِ في فؤادٍ خافقٍ أوَما عجبت لواقعٍ في طائر

---

١ يلمح إلى أن الساحر جزاؤه القتل .

١٢٩ *

ومنها في المدح

وأشمَّ من بيت الرئاسة أكبرٍ يُنْمَى إلى شُمِّ الأنوفِ أكابرِ
يُرْدي المدجج ، وهو غير مدججٍ ، كم دارع أرداه رمحُ الحاسر
ويشبّ نيرانَ الحروب بمرهفٍ كصبيب ماءٍ في الجماجم غائر
في جَحْفَلٍ يَغْشَى الوقائعَ زاحفاً بسماءِ أجنحة وأرضِ حوافر
وعجاجةٍ كسحابةٍ مُلْتَفَّةٍ فوْقَ الرؤوسِ على بروقٍ بواتر
ضحكتْ تُقهقهِ والكماةُ عوابسٌ بالضربِ فوق قوانسٍ ومغافر
وكأنّ جُرْدَ الخيل تحت حُماتها عُقبانُ جوٍّ جُنّحٍ بقساور
والسابغاتُ على الكماة حبائكٌ كحباب ماء أو نثيرِ غدائر
وكأنّ أطرافَ السيوف نواجذٌ يحرِقْنَ[1] في شِدْقِ الحِمام الكاشر
ما قستُ نجدتَهُ بحدّةِ مِحْرَبٍ إلا قضيتُ لـه بفضلٍ قاهر[2]
إنّ الشجاعةَ في الحُماة وإنها لأشدّ منها في الأبيِّ الصابر

---

* يبدو أنها جزء من القصيدة السابقة ، ولكن سكيا باريللي أعطاها رقماً مستقلا فأبقيتها كذلك .

١ يحرقن : يحدثن صريفاً وهو صوت احتكاك الأسنان بعضها ببعض .

٢ كذا في « ف» و « م » ولعلها : باهر .

فتخافُ أذمارُ الكريهةِ فتكَهُ خوْفَ البُغاثِ من العُقابِ الكاسرِ
بسنانِ أسْمَرَ للحيازم ناظمٍ وغرارِ أبيضَ للجماجمِ ناثرِ
تبدو من المنصور فيه شمائلٌ تلك السجايا من سجايا الناصر
إن الفروعَ على الأصول شواهدٌ تقْضي بطيبِ مناقب وعناصر
من كلّ أروعَ من ذؤابةِ حِمْيَرٍ ناهٍ بألْسِنَةِ القواضبِ آمر

١٣٠

وله من قصيدة في المدح

أضْحَتْ أيادي يدَيْهِ وهي تُؤنِسُهُ إذ أوْحَشَتْهُ مَعاليهِ منَ النُّظَرا[١]
مؤيد بمضاءِ الرأي يَحْمَدُهُ لا يُحمَدُ السيفُ إلا ماضياً ذكرا
يُمْضي الأمورَ بآراءٍ مُسَدَّدَةٍ كأنّهنّ سهامٌ تقصد الثُّغَرا
من العوارفِ آلافٌ مُجَدَّدَةٌ للناسِ في كلّ عام معْلَماً دثَرا
لو كان يُنْظَمُ حُبّاً في مدائحه حَبُّ القلوب نظمناها له فِقَرا
... رَدّتْ زمانَ الجهل هِمّتُهُ وَغَيّرَتْ فيه من عاداتها الغِيَرا
يا من أياديه في الأنعام ــ لا عُقِلَتْ ــ أطْلَقْنَ بالمدح فيه ألْسُنَ الشُّعَرا
دُمْ في جلالةِ قدرٍ بالعُلى قُرِنَتْ وَحَالَفَ السّعْدُ فيما تأمُلُ القَدَرا

١ النظراء : جمع نظير وهو المماثل .

١٣١

وقال يرثي جاريةً له ماتت غريقة في المركب الذي عَطِبَ به في خروجه من الأندلس إلى إفريقية :

أيا رشاقةَ غُصْنِ البان ما هَصَرَكْ ... ويا تألُّفَ نظم الشمل مَنْ نثرك ؟
ويا شؤوني ، وشأني كُلّهُ حَزَنٌ ... فُضّي يواقيتَ دمعي واحبسي دُرَرك
ما خلتُ قلبي وتبريحي يُقَلّبُهُ ... إلا جناحَ قطاةٍ في اعتقال شَرَك
لا صبرَ عنكِ وكيف الصبر عنكِ وقد ... طواكِ عن عينيَ الموجُ الذي نَشَرك
هلاّ ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ، ... لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زَهَرك
أماتكِ البحرُ ذو التيار من حَسَدٍ ... لمّا دَرَى الدرُّ منه حاسداً ثغرك
وقعتُ في الدمع إذ أُغْرِقتِ في لُجَجٍ ... قد كاد يغمرني منهُ الذي غمرك
أيّ الثلاثة أبكي فَقْدَهُ بدمٍ ... عميمَ خُلُقِكِ أم مَعناكِ أم صِغَرَكْ
من أين يَقْبُحُ أن أفنى عليكِ أسى ... والحسنُ في كلّ فنّ يقتفي أثَرَكْ
كنتِ الشبيبةَ إذْ وَلّتْ ولا عِوَضٌ ... منها ولو ربحَ الدّنْيا الذي خَسِرَك
ما كنتُ عنكِ مطيلاً بالهوى سَفَري ... وقد أطَلْتِ لِحَيْني في البلى سفرك
هل واصلي منكِ إلا طيفُ ميّتَةٍ ... تُهْدي لعينيَ من ذاك السكون حَرَك
أُعانقُ القبر شوقاً وهو مشتملٌ ... عليكِ لو كنتُ فيه عالماً خَبَرَك

وددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بَصَري ... جنادلاً وتراباً لاصقا بشرك
أقولُ للبحر إذ أغشيتُهُ نظري ... ما كَدَّرَ العيشَ إلا شُرْبُها كَدَرك
هلاّ كففتَ أُجاجاً منك عن أُشَرٍ[1] ... من ثَغْرِ لمياءَ لولا ضعفها أسرك
هلاّ نظرتَ إلى تفتير مُقْلَتِها ... إني لأعجبُ منه كيف ما سحرك
يا وَجْهَ جوهرةَ المحجوبَ عن بَصَري ... من ذا يقيكَ كسوفاً قد علا قمرك
يا جسمها كيف أخلو من جوى حَزَني ... وأنت خالٍ من الرّوح الذي عَمَرك
ليلي أطالَكَ بالأحزانِ مُعْقَبَةً ... عليّ مَنْ كانَ بالأفراح قد قصرك
ما أغْفَلَ النائمَ المرموسَ في جدثٍ ... عما يُلاقي من التبريح مَنْ سَهِرك
يا دُولةَ الوصلِ إن ولّيتِ عن بصري ... فالقلبُ يقرأ في صُحفِ الأسى سمَرك
لئن وجدتكِ عني غيرَ نابيَةٍ ... فإنّ نفسيَ منها ربُّها فطرك
إن كان أسلمكِ المضطرُّ عن قَدَرٍ ... فلم يخُنْكِ على حالٍ ولا غَدَرَك
هل كان إلاّ غريقاً رافعاً يَدَهُ ... نهاهُ عن شُرْبِ كاسٍ من بها أمرك
وارحمتا لِوَلُـــوعٍ بالبكاء فمـا ... ينسيه ذكر . . . . . . [2]
أما عَدَاكِ حِمامٌ عن زيارته ... فكيفَ أطْمَعَ فيك النفسَ وانتظرك
إن كان للدمع في أرجاء وجنته ... تبرّجٌ فهو يبكي بالأسى خَفَرَك
وما نجوتُ بنفسي[3] عنكِ راغبةً ... وإنّما مَدّ عُمْري قاصرٌ عُمُرَك

١ الأشر : التحزيز في الأسنان .
٢ بياض في الأصل .
٣ ب : بنفس .

١٣٢

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعز وبعث بها من سفاقس إلى حضرته بالمهـــدية :

تَغَنَّتْ قيانُ الوُرْقِ في الوَرَق الخُضْرِ ففجِّرْ ينابيعَ المدام مع الفَجْرِ

وَخُذْ من فتاة الغيد راحــاً سَبِيئةً لها قَدَمٌ في السبق من قِدَم العمر

ولا تشربنْ في كبوةِ الكُوبِ بالفتى كذلك يجري في مَدى السكر من يجري

وإن الندى ما زال يدعو رياضه إليها الندامى وهي في حُلَلِ الزهر

فتجلوهمُ أيدي السقاةِ عرائساً ترى الدرّ أزراراً لأثوابها الحمر

وتحسب إبريق الزجاجة مُغْزِلاً يُشَوِّفُ في الارضاع منه إلى غِفْرِ[١]

ومشمولةٍ في كأسها اشتملت على نجومِ سرورٍ بين شُرّابها تسري

تريكَ إذا ما الماءُ لاوَذَ[٢] صِرْفَها تَوَاثُبَ نمْلٍ في زجاجتها شُقْرِ

يفرّ الأسى عن كلّ عضو تحلّـــهُ فرارَ الجبانِ القلب عن مركز الذمر

وأشمطَ خُضْنَا نحوه الليل بالسرى وقد خاطَ منه النومُ شفراً على شفر

له بِيعَةٌ ما زال فيها مُحَلِّلاً حرامَ الربا في بَيْعِهِ التبرَ بالتبر

---

١ الغفر : ولد البقرة ؛ وهنا ولد الظبية .

٢ لاوذ : راوغ .

بسطنا له الآمـال عند انقباضِهِ ... لأخذ عجوزٍ من بُنيّاتِهِ بكرِ

معتقةٍ حمراءَ تَنْشُرُ فَضْلَهَا ... لِخُطّابِها في اللون والطعم والنشرِ

إذا شمَّها أعطـاكَ جُمْلَةَ وصفها ... ففي أنْفِـهِ عِلمُ الفراسة بالخمرِ

لها قَسْوَةٌ من قلبه مُسْتَمِلَةٌ ... لِعُنْفِ نَدَامَاها كذا قَسوةُ الكفرِ

ولله مـا ينساغُ منهـا لشربها ... بتسهيل خُلْقِ الماء من خُلْقها الوعرِ

وقد عَقَدَتْ أيمانُهُ العُذْرَ دونَها ... فحلَّ نَدى أيمانِنَا عُقَدَ العذرِ

وأبرزَ منها في الزجاجة جوهراً ... نُسَائلُهُ بالشمّ عن عَرَضِ السُّكْرِ

تَمَيَّعَ منها كالنّضَارِ مُشَجَّراً ... وإنْ كان في رَيّاهُ كالعنبر الشَّحري[1]

أدَرْنَا شُعَاعَ الشمس منها بأنْجُمٍ ... نُبَادرُها مملوءةً مِنْ يدِ البَدْرِ

على حينَ شابتْ لِمَّةُ الليل بالسنا ... ونَفَّرَ عنا نَوْمَنَا العودُ بالنقرِ

كأنَّ الثريّا في انقضاض أفولها ... وشاحٌ مِنَ الظلماء حُلَّ عن الخصرِ

كأنَّ انهزام الليل بعـد اقتحامِهِ ... تَمَوُّجُ بحرٍ ناقَضَ المدَّ بالجزرِ

كأنَّ عَصَا موسى النبيِّ بضربها ... تُريكَ من الأظْلام مُنْفَلَقَ البحرِ

كأنَّ عَمُودَ الصبح يُبْدي ضياؤه ... لعينيك ما في وَجْهِ يحيى من البشرِ

رحيبُ ذُرَى المعروف مُستهدَفُ الندى ... تَنَدّى الأماني في حدائقه الخضرِ

---

١ الشحري : المنسوب إلى الشحر على الساحل الجنوبي من جزيرة العرب .

تَحلّبُ من يمناه ثَجّاجَةُ الندى   وتَنْبُتُ من ذكراه ريحانةُ الفخرِ

له سيرةٌ في ملكــه عُـمَرِيّةٌ   وكفٌّ من الإعدام جابرةُ الكَسرِ

بعيدٌ كذاتِ الشمسِ دانٍ كنورها   وإن لم تَنَلْ ما نالَ من شَرَفِ القدرِ

تُكفكِفُ عنه سَوْرَةَ اللحظِ هيبةٌ   فلله منها مــا تَصَوَّرَ في الفكرِ

كأنّ الزمانَ الرحبَ من ذكره فمٌ   ونحنُ لسانٌ فيه ينْطِقُ بالشكرِ

تَعَوّدَ منه المالُ بالجود بِذْلَةً   لإيسارِ ذي عسرٍ وإغناءِ ذي فقرِ

فإن أنت لم تنفقْهُ أنْفَقَ نَفْسَهُ   وصار إلى ما كان تدري ولم تــدرِ

كأنّ عطـــاياه وهُنّ بدايـــةٌ   بحورٌ وإن كانت مكاثرة القطرِ

همامٌ إذا ما همّ أمْضى عزائماً   بواترَ للأعْمار بالقُضُبِ البُتْرِ

وصَيّرَ في إقْحامِهِ مُهَجَ العِــدى   تسيلُ على مَذْلوقةِ[1] الأسَلِ السُّمْرِ

ينوبُ منابَ السيف في الروع ذِكرُهُ   فما ذِكْرٌ ماضٍ يسيلُ من الذكرِ

ويختطّ بالخطّيِّ أرضَ كريهةٍ   يجرّرُ فيها ذيلَ جَحْفَلِهِ المَجْرِ

ومُقْتَحَمُ الأبْطالِ يَبْرُقُ بالرّدَى   وتخفقُ في آفاقه عَذَبُ النصرِ

مُحَلِّقَةٌ في الجوِّ منه قشاعمٌ   كأنّ شراراً حَشْوَ أعينها الخزرِ

تروحُ بِطاناً من لحومِ عـــداتِهِ   فما لقتيلٍ خرّ في الأرض من قبرِ

---

[1] مذلوقة : محددة .

وَيَثْني عن الضّرْبِ الوجيعِ سُيُوفَهُ		من الدّم حُمْراً في عَجاجاَته الكُدْر
وكم ردّها مَفْلُولَةً حدٌّ صبره		إذا جَزَعُ الهيجاءِ فلّ شَبَا الصبر
فلا تأمنِ الأعداءُ إملاءَ حِلْمِهِ[1] :		بتأخيرِ نَزْعِ السهم يَصْدَعُ في الصخر
إذا لَبَدَ الليثُ الغضنفرُ فارتقبْ		له وثبةً فرّاسةً النابِ والظفر
وربَّ شرارٍ للعيـون مُوَاقـعٍ		تحَرّكَ للإحراقِ عن ساكنِ الجمر
فيا ابنَ تميمٍ والعُلَى مُسْتَجيبةٌ		لكلّ امرىءٍ ناداكَ يا مَلِكَ العصر
وَمَنْ مالُهُ بالجود يَسْرَحُ في الورى		طليقاً ، وكم مالٍ من البخل في أسر
حللنا بمغناكَ الـذي يُنْبِتُ الغنى		وَيُجْري حياةَ اليُسْرِ في ميّتِ العسر
وكم عَزْمةٍ خضنا بها هَوْلَ لُجّةٍ		كصارمك الماضي ، ونائلكَ الغمر
وجَدنا المُنى والأمنَ بعد شـدائدٍ		تُقَلّبُ أفْلاذَ القُلُوبِ من الذّعر
فمَدحُكَ في الإحسانِ أطلَقَ مِقوَلي		وعندكَ أُفْني ما تبقّى من العمر
وجَدنا المُنى والأمنَ بعـدَ شدائدٍ		بأكبَرَ لم تَعْلَقْ به شيمةُ الكبر
وفوزَ أُناسٍ ، والمواهبُ قسمةٌ ،		بلثم سحـابٍ من أناملكَ العشر
ورفعَ عقيراتِ المـدائـحِ والعُلى		تصيخُ إلى شعرٍ تَكَلّمَ بالسّحر
بمختَلفِ الألفاظِ والقصـدُ واحدٌ		كمختلفِ الأنفاسِ من آرَجِ الزهر

---

[1] إملاء حلمه : تأجيله وإمهاله .

فمن تـاركٍ وكراً إليكَ مهـــاجرٍ ومن مستقرٍّ من جَنابِـكَ في وكر

وإن كنتُ عن مُجْرى السّوابقِ غائباً فحاضرُ سَبْقي فيه مع قُرّحِ الخَطر[1]

ويهدي إليكَ البَحرُ دُرَّ مَغَـــاصِه وإنْ لم تَقِفْ منه على طرفِ العبر

حَمَيتَ حِمى العلياءِ في الملك ما سرى إلى الحجرِ السّاري وخَيّمَ بالحِجْر

١٣٣

وقال يصف القصة التي أراد الثلاثة النفر فيها غدره فأنجاه الله تعالى منهم ، وجرح الشريف علي بن أحمد الفهري وزيره ، ثمّ توفّي بعد ذلك ، وعوجل القوم بالقتل فقُتلوا وصُلبوا بزويلة .

مَن كانَ عنهُ يُدافِـعُ القَدَرُ لم يُرْدِهِ جِـــنٌ ولا بَشَرُ

وثَنى الردى عنهُ الردى جَزَعاً وَسَعَتْ على غيراتهِ غِيَر

ورَمَى عِـــداهُ بكلّ داهِيَـــةٍ دهيـاءَ لا تُبْقي ولا تَذر

لا عَيبَ فيما كانَ من جَلَلٍ يجري بكلّ مُقَدَّرٍ قَـــدَر

إنّ الملوكَ، وإنْ هُمُ عظموا، تُغْرَى العُداةُ بهم ، وإن حقروا

والغَـدْرُ قد مُلِـىءَ الزمانُ به قِدْماً ، وكم نَطَقَتْ به السير

[1] الخطر : السبق أو الشيء يتراهن عليه وهو مفتوح العين وإنما سكنه للشعر .

وأولو المكايدِ إنْ رأوا فُرَصاً ركبوا لهـا العزَماتِ وابتـدروا

والمُصْطَفَى سَمّتْهُ كافِرَةٌ لتضيرَهُ ، أو مَسّهُ الضّرَر

وعـلا معاويةٌ بذي شُطَبٍ عندَ الصّباحِ لِشَجّهِ غُدَر

وعصابَةٍ لِلْحَيْنِ قادَ بهـا ظُلْمُ النّفوسِ وساقَها الأشَر

حتّى إذا ظنّـوا بأنّهُمُ ربحوا وأنْجَحَ سَعْيُهُمْ ، خسروا

وردوا الحتوفَ وبئسَ ما وردوا لكنّهمْ وَرَدوا وما صدروا

مثلَ الفراشِ تَقَحّمَتْ سُعُراً فانظُرْ إلى ما تَصنَعُ السُّعُر

خُذِلوا وما نُصروا على مَلِكٍ ما زالَ بالرّحمن يَنْتَصِرُ

ردّوا المكايدَ في نُحُورِهِمُ عن عادِلٍ بسيوفِـهِ نُحِروا

كانَ ابتداءُ فسادِهِمْ لَهُمُ وعليهمُ بصلاحِـهِ الخبر

رفعوا عيُونَهُمُ إلى قَمَـرٍ فرَماهُمُ برُجُومِهِ القمـر

صبّ الحديـدَ عليهمُ ذَرِبـاً فكأنّهُمْ من حولـهِ جزَر

عَجَباً لهـم بُطِنُوا بعَيشِهِمُ وبقتلهمْ إذْ صُلّبُوا ظَهَروا

يَبِسَتْ جُذوعُهُمُ وهمْ ثَمَرٌ للضُّبْعِ [أينَع] ذلك الثّمَر

من كلّ رَابٍ سَلْهَبٍ رَسَخَتْ منهُ القوائمُ ما له حُضُر

وكأنّما الحرباءُ مِنـهُ عـلا عُوداً ، ونارُ الشمسِ تستعر

أوَما رأوْا يحيَى ، سَعَادَتُـهُ وقفٌ عليهـا النّصْرُ والظّفَر

إنّ الزّمـانَ خديمُ دولتـهِ يُفْني أعـاديها وإنْ كثُروا

مَلِكٌ على الإسلامِ ذِمّتُهُ سِتْرٌ مَديدٌ ، ظِلّهُ خَصِر
سَمْحٌ تَبَرّجَ جودُ راحتِهِ لعُفاته ، ولعرضه خَفَر
ذو هيبَةٍ كالشّمْسِ مُنْقَبِضٌ عنها ، إذا انبَسَطَتْ ، له النّظر
والعَدلُ فيها والتّقى جُمِعَا فكأنّ ذا سمعٌ وذا بصر
خفَضَ الجناحَ وخفْضُهُ شَرَفٌ وعلى السّماكِ علا له قَدَر
مُتَيَقّظُ العَزَماتِ تحسبُها يَنتابُها من خوْفِهِ السّهَر
كالسّيْفِ هُزّ غِرارُهُ بيَدٍ للضربِ ، وهو مصَمّمٌ ذكر
وكأنّ طيبَ ثنائِهِ أرجٌ عن روضِهِ يتَنَفّسُ السّحَر
تَنْمي على الأعداءِ عَزْمَتُهُ والزندُ أوّلُ نارِهِ شرَر
وكأنّ ركنَ أناتِهِ سبَل[1] بمواردِ المعروفِ ينفجر
يا فاتِكاً بِعُداتِهِ أبداً إنّ الذئابَ تُبيدُها الهُصُر
شكراً فإنّ السّعْدَ متّصِلٌ وُصِلَتْ بهِ أيّامُكَ الغرر
واسْلَمْ فإنّكَ في الندى مَطَرٌ يمحو المحولَ ، وللهدى وَزَر

---

١ سبل : مطر .

١٣٤

وقال يعزي فيه ولده أبا الحسن علياً
ويهنئه بالولاية وذلك سنة تسع وخمسمائة

تخريجها : النهاية وابن الأثير : ١ – ٤ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧

ما أُغْمِدَ العَضْبُ حتى جُرِّدَ الذكرُ ولا اختفى قَمَرٌ حتى بدا قَمَرُ

قد ماتَ يحيَى فماتَ[١] الناسُ كُلُّهُمُ حتى إذا ما عليٌّ جاءهم نُشِروا

إنْ يُبْعَثُوا بسُرورٍ مِنْ تملُّكهِ فَمِنْ مَنيةِ يحيَى بالأسَى قُبِروا

أوْفَى عليٌّ فَسِنُّ الملكِ ضاحكةٌ وعينُهُ من أبيه دَمْعُها هَمِر

يا يَوْمَ وَلّى عن الدّنيا به طُمِسَتْ بظلمةِ الرزءِ من أنوارِكَ الغُرَر

ومادَتِ الأرضُ من فقدانها جبلاً ينابعُ الجودِ من سفحَيه تنفجر

لم تُغْنِ عنه غياضٌ من قناً وظُباً حمرُ الحماليقِ فيها أُسْدُها الهُصُر

يرونَ زُرْقَ ذئابٍ ما ثعالبُها إلاّ عواملُ في أيمانها سُمُر

ويتركونَ إذا جَيشا الوغَى انتظما سلخاً كساه حديداً حَيّةٌ ذكر

وديعةُ السّيلِ في البطحاءِ غادرها تقري الرماحَ بها الآصالُ والبكر

لم يُغْنِيَا عنه : لا عِزٌّ يُدِلُّ بهِ مَنْ كانَ بالكبر في عرنينه أشَر

---

١ ابن الأثير والنهاية : بموت يحيى أميت .

ولا مهابَةُ مَحْجوبٍ تبرّجُهـا   كأنّهُ عنـدَ أبصارِ الورَى خفَر
شُقّتْ جيوبُ المعالي بالأسى وبكَتْ   في الخافقَيْنِ[1] عليه الأنجمُ الزهر
إذ السّماءُ بصوتِ الرّعدِ صَرْختُها   يكادُ منها فؤادُ الأرْضِ ينفطِر
والجوّ متّقِدُ الأحشاءِ مُكتئِبٌ   كأنّما البرقُ فيهـا للأسى سُعُر
وقلّ لابنِ تميمٍ حُزْنُ مأتمِهـا   فكلّ حزْنٍ عظيمٍ فيه مُحْتَقَر
قامَ الدّليلُ ويحيَى لا حياةَ لـهُ   إنّ المنيّةَ لا تُبْقي ولا تذر
أمسى دفيناً ولم تُدْفَنْ مفـاخِرُهُ   كالمِسْكِ يُطْوَى، ونشْرٌ منه ينتشر
قد كنتُ أحسبُ أن أُعطَى مُنايَ به   وأن يطولَ على عمري لـهُ عمر
وها أنا اليومَ أرثيـهِ وكنتُ لـهُ   أُنقّحُ المدحَ ، والدنيا لهَا غير[2]
يا وَيْحَ طارقِ ليـلٍ يستقـلّ به   سامي التليلِ براهُ الأيْنُ والضُّمُر
في سرجِهِ من طُيورِ الخيلِ مُبْتَدِرٌ   وما جناحاهُ إلاّ العُنْقُ والخَصِر
يَطوي الضميرَ على سرٍّ يُكِنّ به   بُشْرَى ونعْيٍ ، حيَارَى منهما البشر
لولا حديثُ عليّ قلتُ من أسَفٍ   بفيكَ يا من نعى يحيَى لنا العَفَر[3]
إنْ هُدّ طَوْدٌ فذا طَوْدٌ يُعادِلُهُ   ظلٌّ تُؤمِّنُ في أفيـائِهِ الحـذر

---

[1] ابن الأثير والنهاية : فبكت في كل أفق .
[2] اقرأ أيضاً : لها عبر .
[3] العفر : التراب .

أو غيضَ بحرٌ فذا بحرٌ بموضعـــه لوارديه نميرٌ مـاؤه خَصِر

يا واحداً جُمِعَتْ فيه الكرامُ ومَنْ بسيفِه مِلّةُ التوحيدِ تنتصر

أوجَفْتَ[1] طِرْفَكَ والإيجافُ عادتُه والصبحُ محتَجبٌ والليلُ معتكر

لمّا سرَيتَ بجيشٍ كُنتَ جُمْلَتَـهُ وما رفيقاكَ إلاّ النصرُ والظفر

طوى له الله سهباً بتّ قـاطِعَـهُ كأنّما بُعْدُهُ بالقُرْبِ يُختَصَر

وقصّرَ السعدُ ليلاً فالتقى عجلاً منهُ العِشاءُ على كفّيكَ والسحر

وفي ضلوعِكَ قلبٌ حشوُهُ هِمَمٌ وبينَ عينيكَ عزمٌ نَوْمُهُ سَهَر

حتى كَسَوْتَ حياةً جِسْمَ مملكةٍ بِرَدّ روحٍ إليـهِ منكَ يَنْتَظِر

هنئتَ بالملكِ إذْ عُزّيتَ في ملكٍ لِمَوْتِهِ كانَ منكَ العيش يدّخر

جلستَ في الدستِ بالتوفيقِ وابتَهجتْ بكَ المنابرُ والتيجانُ والسُّرُر

أضحتْ عُلاكَ على التمكينِ ثابتـةً فطيبُ ذكركَ في الدنيا له سَفَر

تناولَ القَوْسَ باريها ، فأسْهُمُـهُ نوافذٌ في العدى ، أغراضُها الثُّغَر

وقامَ بالأمْرِ سَهْمٌ منكَ مُعْتَزِمٌ يجري من اللهِ في إسعادِهِ القَدَر

وأصبَحَتْ هِمَمُ الآمالِ سانيةً[2] عن العطايا التي عُنوانُها البِدَر

وأنتَ سمحٌ بطبـعٍ غيرِ منتقلٍ سِيّانِ في المحل منكَ الجَوْدُ والمطر

واسلَمْ لعزّ بني الإسلامِ ما سَجَعَتْ سوامرُ الطيرِ وانآدت بهـا السَّمُر[3]

---

١ أوجف : حث الدابة على السير .

٢ سانية : عالية مرتفعة .

٣ انآدت : اهتزت ؛ السمر : جمع سمرة .

١٣٥

وقال يهنئ عليَّ بن يحيَى ويذكر غلط المنجم في ما شَغَل به ضميره ويصف ذمام حضرة جزيرة جربة

كفَى سيفُكَ الإسلامَ عاديةَ الكُفرِ وَصُلْتَ على العادينَ بالعزّ والنصر

وأصبَحَ قــولُ المبطلين مكذَّباً ومدّ لكَ الرّحمنُ في أمَدِ العُمْر

وأينَ الذي حَــدّ المنجِّمُ كَوْنَهُ إذا مَرّ للصُّوّامِ عَشْرٌ مِنَ الشّهر

وما قَرَعَ الأسمــاعَ بالخبرِ الــذي أبَى اللهُ إلاّ أنْ يُـكَذَّبَ بالخُبر

غـــدا الزّيجُ ريحاً في تناقضِ علمـــه وتعديلُهُ عُرْفاً أحالَ على نُـكْر

فهلاّ رأى قَطْعاً عليهِ بِسَجْنِهِ ومَشْياً بدُهْمٍ كانَ بالكَبْوِ والعثر[١]

وانّ عليّاً يَنْتَضي القُضُبَ التي يَرُدّ بها مَدّ العُداةِ إلى قَصْر

لقد ضلّ عُبّادُ النجومِ وما اهتَدوا ببعثِ رسولٍ للأنــامِ ولا ذكر

وكم مرّ في الدنيا لهم مِنْ مُمَخرِقٍ مِنَ الناسِ مَطويّ الضّلوع على غَمر

إذا جالَ في علم الغيوبِ حسبْتَــهُ مسيلمةَ الكذّابَ قــامَ من القبر

أباطيلُ تجري بالحقــائقِ بينهــم من الكِـذْبِ منهم لا عن السبعةِ الزهر

١ أي هلا أنبأته النجوم بأن القطع واقع عليه، والقطع هو ما سيصيبه من نحس إذ يسجن ويمشي في الدهم أي القيود .

وميلٌ إليهـــا بالظنونِ وإنّمـــا يُنَـكِّبُ عنها كلَّ يقظانَ ذو حِجْرِ[1]

وما الشُّهْبُ إلاّ كالمصابيحِ تلتَظي مع اللّيلِ للساري وتخمدُ في الفجر

فيا أيّها المغترّ بالنّجمِ قُلْ لَنـــا أتعلمُ سرّاً فيـــه من ربّـــه يَسْري

وبينكما بَوْنٌ بعيـــدٌ فما الذي تَقَوّلَهُ الغفرُ اختلافاً عن الغفر[2]

فيا أحْلَمَ الأمْلاكِ عن ذي حِبالَةٍ وإنْ جاءَ في الأمرِ الذي جَدّ بالإمْرِ[3]

[تدارك] جهولاً ضلّ أو زلّ أوْ به جنونٌ فما يرتابُ للسيفِ في النحر

فصيّرْ جميلَ الصّفحِ عنهُ عِقابَهُ فقد جَلّ منكَ القدرُ عن ضَعَةِ القدر

سُعودُكَ في نيلِ المُنى لا تَوَقّفَتْ من اللهِ تجري ، لا من الشمس والبدر

ملكتَ فمهّدتَ الأمورَ مُجَرِّداً لتمهيدها رأيَ المجرِّبِ لا الغُمْر

ونظّمتَ حبّاتِ القُلوبِ مَحَبّـةً عليك ، وقد كانت مباينةَ النثر

لأمرٍ أدَمتَ الحَصرَ في حرْبِ جَرْبةٍ[4] وما حَرْبُها إلاّ مُداوَمَةُ الحصر

وتَرْكُكَ بالزّرْقِ اللّهاذِمِ أهْلَها وبالبيضِ صَرْعى في الجزيرَة كالجَزْر

وما ضُويِقُوا مِن قبلِ هذا وإنّمـــا بقَدرِ التهابِ النّارِ تَغْلِيَةُ القدر

بسير جُيُوشٍ في البحُورِ إليهــمُ تُحيطُ بهم زَحْفاً مع المَـــدّ والجَزْر

١ الحجر : العقل .
٢ الغفر : منزل من منازل القمر .
٣ الإمر : العجب المنكر .
٤ جربة : جزيرة قرب قابس .

إذا انتقلتْ بالصيدِ قلتُ تعجباً متى انتقل الآجام بالأُسُدِ الهُصْر
مجرَّدَةً بيضَ الحتوفِ خوافقــاً بها العَذَباتُ الحمر في اللجج الخضر
وكلّ مــديرٍ يتّقي بمجاذف مشاكلة التشبيه في الأنمــل العشر
ترى الشحمَ فوق القــارِ منه مميَّعاً فيا من رأى ليلاً تَسَرْوَلَ بالفجر
سوادُ غرابٍ في بياضِ حمامــةٍ تطيرُ بهِ سبحاً على الماءِ أو تجري
قطعتَ بهم في العيش من كلّ جانبٍ فقد أقصروا فيها عن النظم بالنثر
وكم طائرٍ منهم قصصتَ جناحَهُ فأصبحَ مسجوناً عن النهض في الوكر
ولمّا رأوا أن المخنّق منهمُ سَدَدْتَ به مجرى التنفّس في الصدر
أنابوا وتابوا عن ذنوبٍ تَقَدَّمَتْ بزعمهمُ من قطعهم سُبُلَ البحر
فإن نَشَرُوا ما بينهمْ لك طــاعةً وقد طُوِيت منهم صدورٌ على غمر
فعندك نارٌ تركبُ الماءَ نحوهمْ لها زُنُدٌ يقدحن من زُنُدٍ بُتْرِ
ونبلٌ كنبل الأعيُنِ النُّجْلِ أُرْسِلَتْ تطيرُ بريشٍ مستعار من النسر
تُنَصَّلُ للأعْداءِ في الحرب بالرّدى إذا نُصِّلَتْ هاتيكَ في السلم بالسحر
ولن يخدعوا في الحرب،وهو مبيدهم، فتىً كان مولوداً من الحرب في حِجْر
وأنت من الأعداءِ أدهى خديعةً إذا ما صَدَمْتَ الجيش في الجيش بالمكر
وكنتَ عن التحريض بالحزم غانياً وهل يَعْدَمُ الإحراقَ مُتَّقِدُ الجمر
خُلِقْتَ لنا من جوهر الفضل سيداً ويمناكَ من يُمْنٍ ويُسْراك من يُسْر

وَعَوّلَ في العسر الفقيرُ على ندى يديك ، وهل يَغْنى الكسيرُ عن الجبر

زمانُكَ لا ينفكّ يفترسُ العدى كذي لِبْدَةٍ مُسْتَعْظَمِ النابِ والظفر

وطَعْماكَ من شهد ، وطابَ لأهله ، وخُلقاكَ من سهل عليهم ومن وعر

حياة ابن يحيى للأعـــادي منيّةٌ وأعمارهمْ مبتورةٌ منه بالعمر

لقد فخرت منه العلى بسَمَيْدَعٍ لإحسانه وَجْهٌ تَبَرْقَعَ بالبشر

بأكبرَ يستخذي له كلّ أكبرٍ فيُطرِقُ إطراقَ البُغاثةِ للصقر

إذا مُدِحَ الأملاك قام بمدحــه لهُ قَدَمُ الدنيا على قَدَمِ الفخر

إليك امتطينا كلّ راغٍ بموجه كما جرجر القَرْمُ الحقودُ على المكري

إذا ما طما وامتدّ بالرّيح مدُّهُ ذكرنا به فيّاضَ نائلك الغمرِ

ولولاك لم نركب غواربَ زاخــرٍ مسنّمَةً في اللحم منـه إلى العمر

وإن فاتني إعذار شبليك بالغنى فإنّ بترك العزم مُتّضِحَ العُذرِ

ضعفتُ عن النّهْضِ القوي زَمَانَةً وَنُقّلَ بعد البــاع خطوي إلى شبر

وإني لأهدي في سلوك غرائبي ومُعجز نظمي كلّ جوهرة بكر

إذا ما بنى بيتاً من الشعر مقولي ثنى نابياً عن هَدْمِهِ معولَ الدهر

وما الشعرُ ما يخلو من الكَسْرِ وَزْنُهُ ولكنّهُ سحرٌ وبابِلُهُ فكــري

وإني بما فوق المنى منك مُوقِنٌ وكم شَرَقٍ لليث من وابل القطر

وقال يمدحه ويهنئه بالعيد

عجبي من سكينتي ووَقاري بعد صَيْدِ المها وَخَلْعِ العِذار

واجتلائي من الشموسِ عروساً نَقَّطَتْ خدَّها بزُهْرِ الدراري

بنتُ ما شئتَ من زمـانٍ قديمٍ يَنْطوِي عُمْرُها عـلى الأعصار

في صَمُوتٍ أقرَّ بالنشر منهـا وهو تحُت الصعيد نائي القرار

فإذا فُضَّ خاتَمٌ عنه أهْدَت أرَجَ المسك وهي في ثوب نار

قهوةٌ مَزَّقَتْ بكفٍّ سناها بُرْقُعَ الليل عن مُحَيَّا النهار

عَدَلَتْ بعد سيرة الجور لمّا نَرْجَسَ المزجُ لونَها الجُلَّناري

وحكى نَشْرَها النسيمُ ولكن بعدما نامَ في حجور البهار

وهي ياقوتةٌ تبَرْقَعُ خدّاً من جُمانٍ منظَّم بِعِجار

كلما صافحتْ يداً من لجينٍ مَنَحتها أنامـلاً من نضار

جوهرٌ يَبْعَثُ المسَرَّةَ منه عَرَضٌ في لطائف الجسم سار

وكأنَّ العيونَ تلحظُ منـه صورةً روحها من الجسم عار

أنكحوا عند مزجها الماءَ ناراً فارتمت عند لمسه بالشرار

وانبرَتْ منهما ولائدُ دُرٍّ طائرِ الوثب عنهما بالنّفار

في قميصِ الشراب منها شعاعٌ يُبْرِدُ الهمَّ وهو عيْنُ الأوار

في رياضٍ تَنَوَّعَ النَّوْرُ فيها كاليواقيتِ في حِقاقِ التّجار

فكأنّ البنفسجَ الغضّ منه زرقةُ العَضّ في نهود الجواري

وكأنّ الشقيقَ حُمْرُ خدودٍ نقّطَ المسكُ فوقها بانتثار

مُطْرِبٌ عندها غناءُ الغواني في سنا الصبح أو غناءُ القَماري

كانَ ذا كلّه زمانَ شبابٍ كنتُ فيه على الدُّمَى بالخيار

هل تردُّ الأيامُ حسني ومَنْ لي بكمالِ الهلال بعد السّرار

نحن قومٌ ما بيننا نتناجى بالأحاديث في الملوك الكبار

مَلِكٌ في حماية المُلْكِ منه دَخَلَ الناس في حديث البحار

ووجدنا فخر ابن يحيى عريضاً ظُنّ ما شئت غيرَ ضيق الفخار

ملك في حماية الملك منه قَسْوَرٌ شائكُ البراثن ضار

عادلٌ يتقي الإله ويعفو عن ذوي السيئات عَفْوَ اقتدار

أسكنَ اللهُ رأفةً منه قلباً ورَسَا طودُ حلمه في الوقار

لا تزالُ الأبرارُ تأمَنُ منه سَطْوَةً تُتّقَى على الفُجّار

أريحيّ حُلْوُ الشمائل تجري بين أخلاقِهِ شَمُول العقار

لا يُجارَى لسبقه ، فلهذا لم يَجِدْ في مَدَى العُلى من يجاري

كلّ فضلٍ مقسّمٍ في البرايا منه ، والشمسُ عُنْصُرُ الأنوار

فالقٌ هامةَ الشجاع بعَضْبٍ مطفىءٌ رُوحَهُ بإيقادِ نار
وإذا الحربُ أقبلت بالمنايا كرّ ، والذمرُ لائذٌ بالفرار
لم تَنَمْ عنده الظبا في جُفُونٍ فالهُدى بانتباهها ذو انتصار
وهو في حميرَ الملوكِ عريقٌ في صميم العلى ومَحْضِ النّجار
سادةٌ يُطْلِعُ الدراريَّ منهم فَلَكٌ في العلى قديم المدار
همْ أقاموا زَيْغَ العدى بذكورٍ تكتسي بالدماء وهيَ عوَار
حيث يَلْقَوْنَهُمْ بوضع خدودٍ لهمُ في الثرى ورفع عمَار[1]
عدّ عن غيرهم وعوّلْ عليهمْ فهمُ في الوَغى حُماةُ الذمار
وإذا ما قَدَحْتَ نارك فاختَرْ زَنْدَ مَرْخٍ لِقَدْحِها أو عَفار[2]
مُعْلَمٌ في الوغى إذا خاف غفْلٌ شهرةً منه للإلالِ[3] الحرار
واليعابيبُ حولــه تتعادى كالسراحين بالأسود الضواري
كل بحرٍ يسطو بجدول غمرٍ جامد فيـه وهو بالسيل جاري
والأساطيلُ في الزواخر يرمي بلدَ الروم غَزْوُهَا بالدمار
يابساتُ العيدانِ تُثْمِرُ بالغيـدِ إذا أوْرَقَتْ ببيض الشفـار

١ العمار : الريحان ، وهو شارة التحية للملوك و السادة .

٢ المرخ والعفار : نوعان من الشجر يصلحان للقدح ، وفي المثل : استمجد المرخ والعفار ، وقالوا أيضاً : اقدح بعفار أو مرخ .

٣ الإلال : جمع ألة وهي الحربة العظيمة النصل .

راعفاتٌ القنـا تَلَوَّنُ فيها عَذَبَاتٌ كمثل مُصْحَفِ قاري

مِحْرَبٌ يقهر العـداة وَيُلْقي كَلْكَلَ الحرْبِ منهمُ في الديار

والمنـايا كالمُشْفِقاتِ تُنَادي ببنيها حَذارِ منـه حذار

في خميس تُغَمِّضُ الشمسُ عيناً فوقه من مَهيلِ نَقْعٍ مُثـار

تحسب الطيرَ وهيَ وقفٌ [عليه] رُقِمَتْ منه في مُلاء الغبار

عَمَّنَا في جواره خفضُ عيشٍ فذكرنا بذاك حسن[1] الجوار

ننتقي لفظَ وصفه ونرَوّي مُدَداً في خواطر الأفكار

ونداهُ كما تراه ارتجـالٌ جابرٌ في الفقير كَسْرَ الفقار

يا ابن يحيى الذي ينيل الغنى بيـ نَ حياءٍ من رِفْده واعتـذار

لك يدعو بمكةٍ كلّ برّ حول بيت الإلـه ذي الأستار

ومطلٌّ على منى بعد حجّ لِبلوغ المُنى ورمي الجمار

والذي زارَ أرضَ طيبة يَغْشى خَدُّهُ قَبْرَ أحمـدَ المختار

فهنيئاً للعيد عزَّةُ مُلْكٍ [باتَ] يرمي العدى بذلّ الصّغار

وابقَ في المُلْكِ لابتناءِ المعالي وَلِصَوْنِ الهدى وَبَذْلِ النّضار

---

[1] في ف : خفض .

١٣٧

وقال أيضاً يمدحه ويهنئه بالعيد

هل كان أودعَ سرَّ قلب مِحجرا صبٌّ يكابد دمعه المتحدرا

باتت له عين تفيض بِلُجّةٍ قَذَفَ السّهادُ على سواحلها الكرى

ما بال سالي القلب عنّفَ من له قلبٌ بتفتيرِ اللحاظِ تفطّرا

ورمى نصيحته إلى قنص الهوى فإذا رَعَى حَوْلَ الحبائلِ نُفّرا

إن الغرامَ غرامُهُ ذو سَوْرَةٍ ومن العيونِ على القلوب تسوّرا

وإذا تَعَلّقَ بالعلاقةِ مُهْتَدٍ ورنا إلى حَوَرِ الظباءِ تحيّرا

ومن الفواتكِ بالورى لك غادةٌ كَحَلَتْ بمثل السحر طرفاً أحورا

ملآنُ منها حِقْفُها ، وَوِشاحُها صِفْرٌ تخالُ الخَصْرَ فيه خِنْصَرا

عادت سقيماً من سقام جفونها خطرت عليه كرؤية فتخطّرا

شَرِقَ الظلامُ تألّقاً بضيائها فكأنّما شَرِبَ الصباح المسفرا

سَحَبَتْ ذوائبَها فيا لأساودٍ نَفَثَتْ على القدمينِ مِسْكاً أذفرا

ومشت تَرَنّحُ كالنزيفِ ومشيها فَضَحَ القطاةَ بحسنه والجُؤْذَرَا

فعجبتُ من غُصْنٍ تُدَافِعُهُ الصَّبا بالنهد أثمر والثنايا نَوّرَا

معشوقةٌ حَيّتْ بوردةِ وجنةٍ وَسقَتْ بكاسِ فمٍ سُلافاً مُسْكرا

لا تعجبنْ مما أقولُ فمقولي عن حُكْمِ عيْني بالبخيلة أخبَرا

إني امرؤ كلّ الفكاهة حازها والصّيْدُ كل الصيد في جوف الفرا

يا رُبّ ذي مدّ وجزرٍ ماؤه للفلك هُلْكٌ قَطْعُهُ فتيسرا

نفخ الدجى لمـــا رآه ميّتاً فيه مكانَ الروح ريحاً صرصرا

يُفضي إلى حي العباب تخـــاله لولا رُبى الآذيّ قيعاً مقفرا

يخشى لوحشته السُّلَيْكُ سلوكَهُ ويلوكُ فيه الرعبُ قلبَ الشنفرى

خُضنا حشاه في حَشَى زنجية كَمُسِفَّةٍ شقَّتْ سُكاكاً أغبرا

تنجو أمامَ القدح وَخْدَ نجيبَةٍ فكأنّه فحلٌ عليهــا جرجرا

بحرٌ حكى جودَ ابنِ يحيى فيضُهُ وطما بِسيفِ القصر منه فقَصّرا

أقْرَى الملوك يداً وأرفع ذمةً وأجلّ منقبةً وأكرمُ عُنْصُرا

لا تحسبِ الهمّاتِ شيئاً واحداً شتانَ ما بين الثريا والثرى

بدرُ المهابة يحتبي في دَسْتِهِ مَلِكٌ إذا مَلِكٌ رآه كبّرا

نجْلُ الأعاظم من ذؤابةِ حِمْيَرٍ صَقَلَ الزمانُ به مفــاخرَ حميرا

يزدانُ في العلياءِ منــه سريرُهُ بمملّكٍ في المهد كان مؤمّرا

لَبِسَ التذلّلَ والخشوعَ لعزّه كلّ امرىءٍ لبس الخنى وتحيرا

وكأنّما في كلّ مِقْوَلِ ناطقٍ من ذكره خَوْفٌ يُسَلّ مُذَكّرا

وكأنّه في الدهر خُيّرَ فانتقى أيّامَهُ من حُسْنِها وتَخَيّرا

طَلْقُ المحيّا لا بُسُورَ له إذا بَسَرَ الحِمامُ بمأزق وتَمَعّرا[1]

أخدودُه في الرأسِ ضَرْبَةُ أبيضٍ وقليبُه في القلب طعنةُ أسمرا

وإذا تَعَرّى للشجاع حُسَامُهُ بكريهةٍ قتل الشجاعة بالعرا

كم مِنْ صريعٍ عاطلٍ من رأسه بالضرب طَوّقَهُ حساماً مبترا

متيقظٌ ملأ الزمانَ لأهله أمْناً أنامَ به وخوفاً أسهرا

عصفتْ لتدركَهُ الصَّبا فكأنّما جَمدَتْ [وَقرّت] خلفه لما جرى

أحْبِبْ بذاك السبق إذ هو في مدى شرفٍ يثيرُ به العلى لا العثيرا

يُسْدي المكارم من أناملِ مُفْضِلٍ أغْنى الزمان بنيلها مَنْ أفقرا

أحيا به المعروف بين عباده ربٌّ بسيرته أماتَ المنكرا

وكتيبةٍ كَتَبَتْ صدورُ رماحها للموتِ في صُحُفِ الحيازم أسْطُرا

مُلِئتْ بها الحربُ العَوَانُ ضراغماً وصلادماً وقشاعماً وَسَنَوّرا[2]

جاءت لفيفاً في رواق عجاجةٍ سوداءَ دَرْهَمَها اللميعُ ودنّرا

وبدا عليٌّ في سماءِ قتامها قمراً وصالَ على الفوارس قَسْوَرا

---

١ بسر : كلح وعبس . تمعر : قطب عبوساً .

٢ الصلادم : خيول شديدة الحوافر ؛ السنور : لبوس الحرب .

بخطيبِ موتٍ في الوقائع جاعلٍ لغراره رأسَ المدجج مِنْبَرا

بحرٌ إذا ما القرنُ رام عبورَهُ لم يَلْقَ فيه إلى السلامة معبرا

عَطِبَتْ به مُهَجُ الجبابرة الألى بَصُرُوا بكسرى في الزمان وقيصرا

رسبت بلجّته النفوسُ ولو طفتْ لحسبتَهُ قَبْلَ القيامةِ محشرا

وَرَدَ النجيعَ وَسَوْسَنٌ جنباته ثم استقلّ بهنّ ورداً أحمرا

وكأنّما نارٌ تُشَبّ بمتنه أبداً تُحَرّقُ فيه روضاً أخضرا

فتَقَ الرياح بفخره فكأنّما خُضْنا إليه بالمعاطسِ عنبرا

رَفَعَ القريضُ به عقائرَ مَدْحِهِ فاهتزّ في يده النّدى وتفجّرا

وأتى العطاءُ مفضضاً ومذهباً وأتى الثناءُ مسهّماً ومحبرا

فكأنّما زخرتْ غواربُ دجلةٍ وكأنّما نُشِرَتْ وشائعُ عبقرا

يا مَنْ إذا بَصُرٌ رآه فقد رأى في بردتيه الأكرمين من الورى

وبدا له أنّا بألْسِنَةِ العلى في جوهر الأملاك ننظم جوهرا

من نُور بشرك أشرقَ النور الذي بتكاثر الأعياد عندك بَشّرا

واسلمْ لملكِكَ في تَقَاعُسِ عِزّةٍ وَأَبِدْ بسيفكَ من عدا واستكبرا

١٣٨

وقال يمدحه ويذكر قصة الحربية التي أخرجها من المهدية لحرب شوان واصلة من صقلية إلى قابس ويهنئه بوصول المراكب إلى المهدية ـــ إذ كانت العادة جارية بتهنئته بوصولها ـــ سنة اثنتي عشرة وخمسمائة :

نَعيمُكَ أنْ تُزَفَّ لك العُقَارُ عروساً في خلائقها نِفَارُ
فإن مزجت وجدتَ لها انقياداً كما تنقادُ بالخُدَعِ النَّوارُ[1]
رأيتُ الراحَ للأفراح قطباً عليه من الصَّبُوح لها مَدَار
إذا ضَحِكَتْ لمُبْصِرِها رياضٌ بواكٍ فَوْقَها سُحُبٌ غزار
كأنَّ فروعها أيدٍ أشارتْ بأطرافٍ خواتمها قصار
ولم أرَ قبل رؤيتها سيوفاً لجوهرهنَّ بالهزِّ انتثار
ولا زنداً له في الجو قَدْحٌ مكانَ شرارها هَمَتِ القِطار[2]
وقائدةٍ إليك من القناني كميتاً جُلُّها في الدنِّ قار[3]
تروحُ لسكرها بك في عِثَارٍ فتحمده ، إذا ذُمَّ العثار

---

١ النوار : المرأة النفور .

٢ القطار : المطر ، مفرده قطرة .

٣ الكميت : الفرس في لونه حمرة ؛ وهو هنا يعني الخمر ، والجل : الجلال أي ما تلبسه الدابة لتصان به .

إذا مُزِجتْ لِتَعْدلَ في الندامى تَطَايرَ عن جوانبها الشرار

وقلتُ وقد نظرتُ إلى عُجابٍ أثغرُ الماء تضحكُ عنه نار

تلَقّ مَهَاه[1] عيشك من مَهَاةٍ [وزينتها] القلادةُ والسّوار

تُمَرّضُ مُقْلَةً ليصحّ وَجْدٌ توَارَى في الضلوع له أُوَار

ويفتنُ شَخْصَكَ المرميَّ منها فتورٌ بالملاحةِ واحْورار

وخذ ماءً من الياقوت يطفو له دُرَرٌ مُجَوّفَةٌ صغار

يريك حديقةً من ياسمينٍ تَفَتّحَ وَسْطَها لَهُ[2] جُلّنار

إذا فتحَ المزاجُ اللونَ منها مضى وردٌ لها وأتى بَهَار

فقد طردَ الكرى عنّا خطيبٌ رفيعُ الصوتِ مِنْبَرُهُ الجدار[3]

ورقّ ذَمَاءُ نَفْسِ الليل لمّا تَنَفّسَ في جوانبه النهار

أدِرْ ذَهَبَ العقار لِنَفْيِ همٍّ ولا تحزنْ إذا ذهبَ العَقَار[4]

فللمعروف في يُمْنَى عليّ غِنىً لا يُتّقى مَعَهُ افتقار

هو المَلِكُ الذي اضطربتْ إليه بِقُصّدِهِ الخضارمُ والقفار

---

١ المهاه : الطلاوة والحسن ؛ وقال عمران بن حطان « وليس لعيشنا هذا مهاه » .

٢ اقصر الهاء من « له » عند القراءة .

٣ في « م » انحدار ، وهو يتحدث عن الديك وأنه يخطب مؤذناً بطلوع الصبح ، والديك منبره الجدار أي يقف على الحيطان .

٤ العقار : الملك ، وذهابه إنفاقه في سبيل الخمر .

تَرَفَّعَ من معـاليه مَحَلاًّ ... له في سَمْكِهِ الدريُّ جـار
وأعْرَقَ في نجـارٍ حميريٍّ ... فطابَ الفرعُ منـه والنجار
ومـا زالوا بأنْواع العطايا ... لـه يمنى تجاودهـا يسار
تعمّ الوفـدَ من يده أيادٍ ... كأنّ البحرَ من يده اختصار
ويسمحُ زنده بِجُذّى تلظّى ... إذا زندٌ خبا وَوَهَى العفـار
وإنْ وهبَ الألوفَ وهنّ كُثْرٌ ... تقـدَّمَ قبلهنَّ الإعتذار
عظيمُ الجدّ يضرب من ظبـاه ... ويطعن من أسنتـه البوار
يسيرُ وخلفـه أبطالُ حربٍ ... على حوض المنون لهـم تبَار
إذا أضحى شعارُ الأُسْدِ شَعْراً ... فمن زَرَدِ الدروع لهم شعـار
وقد وَسِعَتْهُمُ الحَلَقاتُ منها ... وأحمتهنّ للهيجـاء نـار
يخوضُ حشى الكريهة منه جيشٌ ... نجومُ سمائه الأسَلُ الحرار[1]
بحيث تغورُ من قمم الأعادي ... جداولُ بالأكفّ لهـا انفجار
إذا لبست سماءٌ منـه أرضاً ... دجاها فوقـه نقع مثـار
تريك قشاعماً في الجوِّ منها ... حوائمَ كلما ارتكم الغبـار
حسامُك نورُ ذهنك فيه صَقْلٌ ... وَعَزْمُكَ في المضـاءِ له غرار
لقد أضحى على دين النصارى ... لدين المسلمين بك انتصـار

[1] الأسل : الرماح ، الحرار : الظامئة .

حميتَ ذمـــارَهُ بَرّاً وبحراً بِمُرْهَفَةٍ بهـا يُحمى الذمار

أراكَ اللهُ في الأعلاج رأياً لهم منــه المذلة والصَّغار

رأوا حربيةً ترمي بنفــطٍ لإخمادِ النفوسِ له استعار

كأنَّ المُهْلَ في الأنبوب منه إلى شيٍّ الوجوه له ابتدار

إذا ما شُكَّ نحرُ العلجِ منــه تعـــالى بالحِمام لــه خُوَار

كأنَّ منافسَ البركان فيهـــا لأهوالِ الجحيم بهـــا اعتبار

نحاسٌ ينبري منــه شُواظٌ لأرواح العلوج بــه بَوَار

وما للماءِ بالإطفـــاءِ حُكْمٌ عليــه لدى الوقود ولا اقتدار

فردَّ الله بأسَهُمُ عَلَيْــهِمْ فــرجهُمُ بصفقتـــهم خسار

وخـــافوا من مناياهُمْ وَفَرّوا فدافَعَ عن نفوسهم الفِرار

وقد جعلوا لهم شُرُعَ الشواني مع الأرْوَاحِ أجنحةً وطاروا

وهل يلقى مصـــادمةً حصاهم جبـــالاً سحقها لهمُ دمار

ليهنِكَ أنَّ ممتنِعَ الأمـــاني لكفِّكَ في تنـــاولها اختيار

لك الفُلْكُ التي تجري بسَعْدٍ يدورُ به لكَ الفَلَكُ المُدَار

تَهبُّ لــه الرياح مُسَخَّراتٍ وتسكنُ في تحركهـــا البحار

ومـــا حَمَلَتْهُ من أنواع طيبٍ فَمَدْحٌ عَرْفُهُ لك وافتخار

أمولانا الذي ما زال سمحاً إليــه بكلِّ مكرمةٍ يُشار

أرى رسمي غدا بيدي كرسم عَفَا وَعَفَتْ له بالمحلِ دار[1]

وكانتْ لى شموسٌ ثم أضحت بدوراً والبدورُ لهـا سرار

وبين سنـاهما بَوْنٌ بعيـدٌ وذا ما لا يُرَادُ به اختبار

وجدتُ جناحَ عصفورٍ جناحي فأصبح للعُقابِ بـه احتقار

فلي نَهْضٌ يجاذبني ضعيفٌ أتنهضُ بي قوادمـه القصار

فَرُدَّ علـيَّ موفوراً جنـاحي وإلا لا جنَـاح ولا مَطَارُ

١٣٩

وقال يمدحه وبعث بها إليه من المهدية إلى سفاقس عند سفره منها إلى حضرة أبيه أبي الطاهر وعند رجوعه رحمه الله إلى سفاقس :

خيالُكِ للأجفـانِ مَثَّله الفكرُ فعينيَ ملأى بالهوى ويدي صِفْرُ

سرى والدجى الغربيبُ يَخْفي مكانَهُ فنمّ عليه من تضوّعها نَشْرُ

وقد صَوّبَ النسرُ المحلّقُ تالياً أخاه ومات الليل إذْ وُلِدَ الفجر

ألمّ بصبٍّ ليس يدري أمِرْجَلٌ [يفورُ] بنيرانِ الأسَى منه أو صدر

غريبٌ جنَى أرْيَ الحياة وشَرْيَها ويجني الفتى بالعيش ما يغرس الدهر[2]

١ الرسم الأولى : ما قرر له من عطاء ، والرسم الثانية : آثار الطلل .

٢ الأري : العسل ، الشري : الحنظل .

أنازحةَ الدار التي لا أزورها إذا لم يُشقّ البحرُ أو يُقطعِ القفر
إذا بَعُدَتْ دارُ الأحبّة بالنوى فذاك لهمْ هجرٌ وإنْ لم يكن هجر
رحلت ولم يَرْحَلْ عشيّةَ بيننا معي برحيل الجسم قلبٌ ولا صبر
وداءُ خُمار الشُّرْبِ سوفَ يُذيبني فقد نزحت في فيك غزر به الخمر
وما زال ماءُ العينِ في الخد مُعْطِشي إلى ماءِ وجهٍ في لقائي لـه بِشْر
عسى البعدُ ينفي موجبُ القربِ حكمَه فعند انقباضِ العُسرِ ينبسطُ اليسر
عسى بينُنا يُبْقي المودَّة بيننا ولا ينتهي منّا إلى أجَلٍ عمر
فقلْ لأناسٍ عَرّسُوا بسفاقسٍ لطـائرِ قلبي في مُعَرّسكم وَكْر[1]
وفرخٍ صغيرٍ لا نهوضَ لمثلـه يُراطنُ أشكالاً مَلاقِطُها صُفْر[2]
إذا ما رأى في الجوّ ظلَّ مُحَلّقٍ ترنّمَ واهتزّت قوادمه العشر
يظنّ أباه واقعـاً فإذا أبى وقوعاً عليـه شُبّ في قلبه الجمر
يلذّ بعيني أن ترى عينـه وأن يُلَفّ بنحري في التلاقي له نَحْرُ
أحنّ إلى أوطـانكم وكأنّما ألاقي بها عَصْرَ الصّبا، سُقِيَ العصر
ولم أرَ أرضاً مثلَ أرضكمُ التي يُقبِّلُ ذيلَ القصرِ في شطها البحر
يمدّ كجيشٍ زاحفٍ فإذا رأى عطـاءَ عليّ كان من مَدّهِ جزر

---

١ عرسوا : أقاموا .

٢ ملاقطها : مناقيرها التي تلقط بها الحب .

أما يخجلُ البحرُ الأُجاجُ حلوله ببحرٍ فراتٍ ما للجتّهِ عبر

جوادٌ إذا أسدى الغنى من يمينه تحوّلَ عن أيمان قُصّادِهِ الفقر

حمى ثغرَه بالسيف والرمح مُقْدِماً ويحمي عرينَ القَسْوَرِ النابُ والظفر

إذا ما كسونا المدحَ أوصافَهُ ازدهى فَطيّبَ أفواه القوافي له ذكر

يصولُ بعضبٍ في الكفاح كأنّه لسانُ شواظ منه يَضطرم الذعر

وتحسبُ منه الريحَ تغدو بضيغم على جسمه نِهيٌ وفي يده نَهْرٌ[1]

ومعتذرٌ عما تنيـلُ يمينـه وكلّ المنى في البعض منه فما العذر

بصيرٌ بمردي الطعن يُغْري سنانه بجارحةٍ في طيّها الوِرْدُ والغَمْرُ[2]

يجول فيلقي طعنةً فوق طعنةٍ فأولاهما كَلْمٌ وأخراهما سَبْرٌ[3]

إذا رفعَ المغرورُ للحَيْنِ رأسَهُ يُعَجِّلُهُ من مَدّ عامله قَصْر

وهيجاء لا يُفْشي بها الموتُ سرّهُ إذا لم يكن بالضرب من بيضها جَهْر

تهـادى بها جُرْدٌ كأن قتامها ظلامٌ وأطرافَ القنا أنجمٌ زهر

إذا قَدّتِ البيضُ الدروعَ حسبتها جداولَ في الأيمان شُقّتْ بها غُدر

فكم صافحتْ منها الحروبَ صفائحٌ وَفَتْ بحصادِ الهام أوراقها الخضر

---

[1] النهي : الغدير ، شبه به الدرع . والنهر هنا كناية عن السيف .

[2] الغمر : الماء الكثير .

[3] السبر : قياس عمق الجرح .

ليهْنِ الرعايا منك عدلُ سياسةٍ ودفعُ خطوبٍ لليالي بها غدر
ويسرٌ حَسَمْتَ العُسْرَ عنهم بصنعه كما حَسَمَ الإسلامُ ما صَنَعَ الكفر.
فلا زلتَ تجني بالظبا قِمَمَ العِدى وتثمرُ في الأيدي بها الأسَلُ السمر

١٤٠

وقال يمدحه ويصف مجمرة بخور

ثلاثةُ أفلاكٍ عن العين مضمرهْ تدور إذا حرّكتها في حَشا كُرَهْ
فلا فَلَكٌ إلاّ يُخَصّ بدورةٍ موافقةٍ منها الخلافَ مُقَرّره
وللفلك النّاريّ منهنّ كفّةٌ ترى النّارَ فيها للبخور مُسَعّره
تمرّ على فرش الحرير وغيرها وراءَ حجاب وهي غيرُ مؤثره
وتبدي دخاناً صاعداً من مَنَافِسٍ مُصَنْدَلَةٍ أنْفاسُهُ ومعنبره
ولم أرَ ناراً تطعم الندّ قبلها لها فَلَكٌ في الأرض في جوف مجمره
تلطّفُ أجْساماً كثافاً بلذعها فتصعدُ أرواحاً لطافاً مُعَطّرَه
وتغشى عليّاً نَفحةٌ مُرَدّدَةٌ كثنائه في مدحه ومكرره
همامٌ إذا سلّ المهنّدَ في الوغى وأغمده في الهام بالضرب حَمّره

رزينُ حصاةِ الحلم شهمٌ مهذّبٌ ترى منه بدراً في السرير وقسوره

بنى سعدُه قصراً على البحر سامياً فتحسبُهُ من جوهر الحسن صَوّرَه

ينيرُ على البعد ائتــلاقاً كأنّما على الشطّ لقى لجُّهُ منه جوهره

أبرّ على إيوان كسرى فلو رأى مراتِبَهُ في الملك منه لأكبره

١٤١

وقال يمدحه ويهنئه بدخول العام

للأقاحي بفيكِ نَوْرٌ ونورُ ما كذا تَسْنَحُ المهاةُ النّفُورُ

من لها أنْ تعيرها منكِ مشياً قَدَمٌ رَخْصَةٌ وخطوٌ قصير

أنت تسبين ذا العفاف بدلّ يستخفّ الحليمَ وهو وقور

وهي لا تستبي بلفظ رخيم يُنزِلُ العُصْمَ وهيَ في الطود فُورُ[1]

وحديثٍ كأنّهُ قِطَعُ الرّوْ ضِ إذا اخضلّ من نداه البكور

فثناني من روض حسنك عنها نرجسٌ ذابلٌ وورد نضير

وشقيقٌ يُشَقّ عن أقْحُوانٍ لنقاب النّقـا عليه خفير

---

١ الفور : الظباء .

وأريجٌ على النوى منك يسري　　ويجيب النسيمَ منه عبير

وثنـايا يضاحكُ الشمسَ منها　　في مُحَيّاكِ كوكبٌ يستنير

ريقها في بقيّةِ الليل مسكٌ　　شِيبَ بالرّاحِ منه شهدٌ مشور

لسكونِ الغرامِ منه حرَاكٌ　　ولميْتِ السّقامِ فيه نشور

ألبسَ اللهُ صورةً منكِ حسناً　　وعيونُ الحسانِ نحوكِ صور[1]

لكِ عينٌ إنْ ينبعِ السحرُ منها　　فهو بالحَبْلِ في العقول يغور

وجفونٌ تشيرُ بالحبِّ ، منها　　عن فؤادٍ إلى فؤادٍ سفيرُ

وقعتْ لحظةٌ على القلب منها　　أفلا يترك الحَشَا ويطير

يَطْبَعُ الوشيُ فوق حسنك لمساً　　منه أمثال ما له تصوير

فإذا ما نمى الحديث إليها　　قيل هل ينقشُ الحريرَ حرير

أنت لا ترحمين منك ، فَيُفْدَى،　　مِعْصَماً في السوار منه أسير

فمتى يَرْحَمُ الصِّبَا منك صَبّاً　　فاضَ مستولياً عليه القتير

ودعيني فقد تَعَرّضَ بَيْنٌ　　بوشيكِ النوى إليَّ يُشير

وَغَلى بالفراقِ مِرْجَلُ حُزْني　　فهو بالدّمْع من جُفُوني يفُورُ

قالت : اللثمُ لا أراهُ حَلالاً　　بيننا ، والعناقُ حظٌّ كبير

---

١ صور : مائلة .

قلت : هـــذا علمتُهُ غيرَ أنّي أسألُ اليومَ منك ما لا يضير

فاجعلي اللحظَ زادَ جسمٍ سيبقى روحُهُ في يديك ثم يسير

فلِيَ الشوقُ خاذلٌ عن سُلُوّي ولدينِ الهـــدى عليّ نصير

مَلِكٌ تَتّقي الملوكُ سَنَاهُ أوَمَا يَفْرِسُ الذئابَ الهَصُور

وهو ضارٍ آجامُـــهُ ذُبّل الخطّ على مُقْتَضَى العلى وقصور

حازمٌ للطعـــان أشْرَعَ سمراً حُطِمَتْ في الصدور منها صدور

وَحَمَى سَيْفُهُ الثّغورَ فما تَقْ رَبُ رَشْفَ العُـدَاةِ منها ثغور

ذو عطـــاءٍ لو انّهُ كان غيثــاً أوْرَقَتْ في المحول منه الصخور

تحسبُ البحرَ بعضَ جدواه لولا أنّه في الورود عذبٌ نمير

من تراهُ يجدّ فَضْلَ عليّ وهو مُسْتَصْعَبُ المَرَام عسير

فبمعروفِهِ ، الخِضَمّ غَنِيّ ، وإلى بأسه الحديدُ فقـــير

كم له من خميسِ حربٍ رحـــاها بِسيولٍ من الغُمودِ تــدور

أرْضُهُ من سنابكٍ قادحـــاتٍ شَرَرَ النّقْعِ ، والسماءُ نسور

واجدات القِرى بقتلى الأعادي ، من حشاها لدى النشور نشور[1]

جحفلٌ صُبْحُهُ من النقع لَيْلٌ يَضْحَكُ الموتُ فيـــه وهو بَسُور

[1] أي هذه النسور تجد طعامها من قتلى الأعادي ، وهؤلاء القتلى ينشرون يوم القيامة من بطونها ، إذ لا قبور لهم سواها .

تضعُ البيضُ منه سودَ المنايا بنكاحِ الحروب وهي ذكور

وكأنّ القتامَ فيها غمامٌ بنجيعٍ من البروقِ مطير

وكأنّ الجوادَ والسيفَ واللأ مَةَ بحرٌ وجدولٌ وغدير

وإذا ما استطالَ جبّارُ حربٍ يجزعُ الموتُ منه وهو صبور

والتظى في اليمين منه يمانٍ كاد للأثر منه نَمْلٌ يثور

ودعا وهو كالعُقاب كماةٌ لهمُ كالبُغاثِ عنه قُصُور

جدلته يدا عليّ بعَضْبٍ لِرُبوعِ الحياةِ منه دُثُور

فغدا عاطلاً من الرأس لمّا كان طوْقاً له الحسام البتور

لحظَ الرومَ منه ناظرُ جَفْنٍ للرّدى فيه ظُلْمَةٌ وهو نور

رَمِدَتْ للمنون فيه عيونٌ فكأنّ الفِرِنْدَ فيه ذَرُورُ

يا ابن يحيى الذي بكلّ مكانٍ بالمعالي لهُ لسانٌ شكُور

لكَ من هيبةِ العلى في الأعادي خيلُ رُعْبٍ على القلوب تغير

وسيوفٌ مقيلها في الهوادي كلما شبّ للقراع هجير

ودروعٌ قد ضوعف النسجُ منها وتناهَى في سردها التقدير

كصغارِ الهاءاتِ شُقّتْ فأبْدتْ شكلَها من صُفوفِ جيشٍ سطور

أنتَ شَجّعْتَ نفسَ كلّ جبانٍ فاقترَابُ الأسُودِ منه غرور •

فهو كالماءِ أحرقَ الجسمَ لمّا أحدث اللّذْعَ في قواه السعير[1]

خيرُ عامٍ أتاكَ في خيرِ وقتٍ لوجوه الرّبيع فيـه سفور

زارَ مثواك وهو صبٌّ مشوقٌ بمعاليكَ ، والمشوقُ يزور

فبـدا منك في الجلال إليـه مَلِكٌ كابرٌ ومُلْكٌ كبير

ورأى في فِنَاءِ قصرك حَفْلاً ما له في فِناءِ قَصْرٍ نظير

تشتري فيـه بالمكارم حَمْداً لك منـه تجـارةٌ لا تبور

فكأنّ المُدّاحَ فيـه قُرُومٌ ملأ الخـافقين منـه الهدير

بقوافٍ هدوا إليهنّ سُبْـلاً ضلّ عنهنّ جَرْوَلٌ وجرير[2]

إنّ أيّامَكَ الحسانَ لَغُرٌّ فكأنّ الوجوهَ منهـا بُدور

واصَلَ العزَّ في مغانيكَ عِزٌّ دائمُ الملك ، والسرورَ سرور

---

١ أي أن الجبان الذي ثبتت الشجاعة في نفسه حتّى شجع يشبه الماء الذي تبث فيه النار قوة اللذع بعد إحمائه وتسخينه .

٢ جرول هو الحطيئة .

١٤٢

وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى

هذا ابتداءٌ لـه عند العُلى خَبَرُ   يُحْكَى فيُصْغي إليْه الشُّهْبُ والبشَرُ
كأنّه وهو من مَتْنِ الصّبا مَثَلٌ   من كلّ قُطْرٍ منَ الدنْيا له خبَرُ
ما استُحْسنَ الدهر حتى زانه حَسَنَ   وأشرقت في الورى أيامُهُ الغرر
شهمٌ له حينَ يَرْمي في مناضلـةٍ   سهمٌ مواقعه الأحداقُ والثغر
لو خُصّ عَصْرُ شبابٍ مِنْ سعادته   بلحظةٍ لم يَنَلْهُ الشيبُ والكبر
مُلْكٌ جديدُ المعالي في حمى ملك   ماضٍ كما طُبِعَ الصمصامة الذكر
لقد نهضتَ بعبءِ الملك مضطلعاً   به ظهيراكَ فيـه السّعْدُ والقدر
فإن نُصِرْتَ على طاغٍ ظفرتَ بـه   فما حليفاك إلا النصر والظفر
وإن خَفَضْتَ عُداةَ الله أو خُذلوا   فأنْتَ باللهِ تستعلي وتنتصر
أصبحتَ أكبرَ تُعْطي كلّ مرتبة   حقّاً وسنّكَ مقرُونٌ بها الصغر
يُخْشَى حُسَامُكَ مغموداً فكيف إذا   ما سُلّ للضرب وانهدّتْ به القَصَر[١]
وليس يعجبُ من بأس مخايله   من مقلتيكَ عليهـا يشهد النظر

---

[١] القصر : الأعناق .

والشبلُ فيــه طباعُ الليث كامنةٌ   وإنّما ينتضيهــا النّاب والظفر

إنّ البِلادَ إذا ما الخوْفُ أمْرَضَها   ففي أمانك من أمراضها نُشُر[1]

وما سفاقسُ إلا بَلْدَةٌ بعثَتْ   إليك عنها لسانَ الصدق تعتذر

وأهلها أهلُ طَوْعٍ لا ذنوبَ لهم   إني لأقسم ما خانوا وما غدروا

وإنّما دافعوا عن حتف أنفسهم   إذ خَذّمَتْهُمْ به الهنديةُ البتر[2]

ضرورةٌ كان منهم ما به قُرفوا   وبالضرورةِ عنهم نَكَّبَ الضرر

وقد جرَى في الذي جاءوا به قَدَرٌ   ولا مَرَدّ لما يجري به القَدَر

وما على الناس في إحسانِ مملكةٍ   إذا تشاجرَ فيــه المدّ والحَسَر

كلٌّ لعلياكَ قد كانت حميّتُهُ   مؤكّداً كلّ ما يأتي وما يذر

وهم عبيدُكَ فاصفحْ عن جميعهمُ   فالذنْبُ عند كريم الصفح مُغْتَفَر

بَكَوْا أباك بأجفــانٍ مؤرَّقة   أمْوَاهُهُنّ من النّيران تنفجر

ورحمةُ الله تترى منهمُ أبــداً   عليه ما كرّتِ الآصالُ والبُكَر

حتى إذا قيلَ قد حازَ العلى حَسَنٌ   مَدّوا إلى أحْمَــدَ الألحاظَ وانتظروا

وقبّلوا من مذاكي خيلــه فَرَحاً   حوافراً قد علا أرساغَها العفر

مالوا عليها ازدحاماً وهي تَرْمَحُهُمْ   فكمْ بها من كسيرٍ ليس ينجبر

....

١ النشر : التعاويذ التي تكتب للمريض .

٢ خذمتهم : قطعتهم ، وفي ف بالدال المهملة .

شوقاً إليهم ومحضاً من وفائهمُ   لم يَجْرِ في الصّفْوِ من أخلاقه كدر

أبوك مَدّتْ عليهم كفُّ رأفته   منها جناحاً مديداً ظلّه خَصِر

حَدّتْ لهم في قوام الأمر طاعتُهُ   حدّاً فما وَرَدُوا عنه ولا صدروا

وألّفَ اللهُ في الأوطانِ شملهُمُ   فنُظّموا في المغاني بعدما نثروا

وأنتَ عَدْلٌ فسِرْ فيهم بسيرته   فالعَدْلُ في المُلكِ عنه تُحْمد السير

أنتمْ مُلوكُ بني الدنْيا الذين بهمْ   تَرْضَى المنابِرُ والتيجانُ والسرُر

أعاظمٌ من قديم الدهر مُلْكُهُمُ   تَرَى المَفاخِرَ تَسْتَخْذي إذا افتخروا

من كلّ مقتحمٍ في الحرب مُعْتَزِمٍ   فمن فرائسه آسادُها الهُصُر

ذمِرٌ له في ضمير الغِمْدِ ذو شطبٍ   كأنّه بارقٌ يسطو به قمر

«شُمْسُ العداوة حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ النّاسِ أحلاماً إذا قَدَروا»[1]

إليك طَيّبَ روضُ المدح نَفْحَتَهُ   لمّا تَفَتّحَ فيه بالنّدى زَهَر

يجوبُ منه ذكيُّ المسك كلَّ فلاً   طيباً ويعبرُ منه العنبر الذفر

كأنّ زُهْرَ الدراري فيه قد نُظِمَتْ   كما تَنَظّمُ في أسلاكها الدرر

يا من تضاعفَ فيضُ الجودِ من يده   كأنّما البحرُ من جَدْوَاهُ مختصر

إني نأيتُ وحظّي حَطّ منزلةً   كأنّما طول باعي عاقَهُ قصر

[1] من قصيدة للأخطل في مدح بني أمية . ديوانه : ١٠٤

وقد نُسيتُ وذكري لا خفاءَ به والمِسكُ يُطْوَى ونشرٌ منه ينتشر

وقد بعثتُ رثاءً في أبيك ، ولي حزْنٌ عليه فؤادي منه ينفطر

وما بدا ليَ من جُودٍ أمَرْتَ بهِ عينٌ ، تفوز به عيني ، ولا أثر

وكفّكَ المزنُ تسقي من دنَا ونأى وليس من غيرِ مُزْنٍ يرتجى المطر

بقيتَ للــدين والدّنيــا وأهلِهما ومُدّ في رتب العليا لك العمر

١٤٣

وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى
ويذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس :

أبَى الله إلا أن يكون لكَ النّصْرُ وأن يَهْدِمَ الإيمانُ ما شاده الكفرُ

وأن يُرْجعَ الأعلاجَ بعدَ عِلاجها خزايا على آثارها الذلّ والقهر

ليهنك فتحٌ أولغ السيفَ فيهمُ ولاح بوجه الدين من ذكره بِشر

بِسَعْدٍ كساكَ اللهُ منــه مهابةً وإشراقَ نور منه تَقْتَبِسُ الزُّهر

ودون مَرَامِ الرّوم فيما سَمَوْا له قلائدُ أعناقٍ هي القُضُبُ البتر

وخطِّيَّةٌ تختطّ منهم حيــازماً وأحداقها زرقٌ وأجسادها حُمر

إذا أُشْرِعَتْ للطّعْنِ سَرّتْ كأنّما   يُشَكُّ بها في كلّ سابقة نَحْر

أُشبّهها بالقَطْرِ يُبْدي تألّقاً   بأطرافِ أغصان يحاصرها غُدْرُ

وَسُحْبٌ بأجوافِ الكنائن أودعت   شآبيبها نبلٌ من الزنج لا قطر

وخيلٌ ترى خيلَ العلوج، مضافةً   إليها ، حميراً لا التي نتج القَفْرُ

كأنّ على العقبان منها ضراغماً   فأنيابها عُصْلٌ[1] وأبصارهـا جمر

وحمرُ دماءٍ كالخمور التي سقوا   تَحَمّرَ منها في الظبا وَرَقٌ خضر

بنو الأصْفرِ اصْفرّتْحذاراًوجوهُهُمْ   فأيديهمُ من كلّ ما طلبوا صِفْرُ

تنادَوْا كأسرابِ القطا في بلادهمْ   وكان لهم في كل قاصيةٍ نَفْر

ولمّا تناهَى جمعُهُمْ ركبوا به   قَرَا زاخرِ الآذيّ آفاقُهُ غُبر[2]

تولّتْ جنودُ الله بالرّيح حرْبَهُمْ   وليس لمخلوقٍ على حربها صبر

فكم من فريقٍ منهمُ إذ تفرقوا   له غَرَقٌ في زخرةِ الموج أو أسر

وظلّت سباعُ المـاءِ وهي تنوشُهُمْ   فلا شلو منهم في ضريحٍ ولا قبر

فإن سَلِمَ الشطرُ الذي لا سلامةٌ   له من ظُبا الهيجا فقد عطِبَ الشطر

أتَوْا بأساطيـلٍ تمرّ كأنّهـا   جرادٌ مُظِلّ ضاق عن عرضه البحر

وخيلٍ حَشَوْا منها السفينَ ولم يكنْ   لها في مجالِ الحرب كرّ ولا فرّ

---

١ عصل : عوج معقفة .

٢ قرا : ظهر ؛ الآذي : الموج .

وقد ركبتْ فرسانُها صَهَوَاتِها فأَرْجَلَهُم[١] عنها التذلّلُ والذعر

سلاهبُ أهْدَوْهــا إليك ولم يكنْ جزاءٌ لذاكَ من علاك ولا شكر

فسلْ عنهم الديماسَ تسمعْ حديثهمْ فهمْ بالمواضي في جزيرته جَزْر[٢]

وما غنموا إلاّ مُنىً كذبتْ لهم وكان لهم بالقَصْرِ عن نيلها قصر

شَرَوْهُ فباعوا بالرّدى فيه أنفساً أربحٌ لهم في ذلك البيع أم خُسْر

وقد طمعوا في الزعم أن يثبتوا له جناحين يُضْحي منهما وهوَ النّسْر

وراموا به صَيْدَ البلاد وغنمها فأضحى وقد قصّت خوافقه العشر

أذيقوا به حصراً أذلّ عرامهم كما ضاق عند الموت عن نفسٍ صدر

وجرّ إليهم في جبال من القنا مناياهمُ بالقتل جحفلُكَ المَجْر

وقائدُكَ الشهمُ الذي كان بينهمْ صبيحة لاقاهم على يده النصر

رأوا بأبي إسحقَ سَحْقاً لجمعهم فإبْرَامُهُمْ نَقْضٌ ونظمهمُ نثر

ولو لبثوا في ضيقِ حصرهمُ ولمْ يَطِرْ منهمُ شوقاً إلى أجلٍ عُمْر

لقامَ عليهم منجنيقٌ يُظِلّهُمْ بِصمّ مرادٍ[٣] ما لما كَسَرَتْ جبر

إذا وُزِنَ الموتُ الزّؤامُ عليهمُ بكفّة وَزّانٍ مثاقيلُهُ الصخر

. . . . . .

١ أرجلهم : أنزلهم وجعلهم راجلين .

٢ جزر : مفتوحة العين وسكنها للشعر ، والجزر : القطع من الفرائس .

٣ المراد : جمع مردى وهو الحجر .

فكم جهدوا أن يفتدوا من حِمامهم | بأوزانهم تبراً فما قُبِلَ التبر
هناكَ شَفَى الإسلامُ منهم غليلَهُ | بطعن له بَتْرٌ وضربٍ له هَبْر
وكانوا رأوا مَهْدِيَّتَيْكَ وفيهما | لعزِّ الهدى أمْرٌ فهالهمُ الأمر
كأنَّ بُرُوجَ الجوِّ منكَ رمتهُمُ | بشُهْبٍ لها نارٌ وليس لها جمر
فما للعلوج امتدَّ في الغيِّ جهلهم | أما كانَ فيهم مِنْ لبيبٍ له حِجْر
فكم قَسَموا في الظنّ أميالَ أرضنا | ولم يطأُوا منها مكاناً هو الشّبر
ولا وَرَدوا من مائها حَسْوَ طائرٍ | يُبَلّ به منه ، إذا يبس ، السَّحْرُ[1]
أما فتحتْ منهم بلاداً بلادُنا | بزعمهم كفراً على إثره كفر
وكانت مفاتيحَ البلاد سيوفُنــا | وأقْفالها إذ فتحهنّ لــه عُسْر
وآذى زجارَ فَتْح ريّو وقُطْرُها | يَهُدّ قُوَاهُ من صقلّيّةٍ قطر[2]
ألم يسبِ جيشُ الغزو منهم نواعِماً | فمن ثيّب تُقْتادُ في إثرها بِكر
وَقَوْصَرّةٍ[3] فيها رّؤوس جدودهم | إلى اليوم ملآن بأفلاقها العفـر
فلو تسألُ الريحُ المعاطسَ منهمُ | لأخبرها عن كلّ شلو بها دفر[4]
وما قتلوا من شدّة البأس أهلهــا | ولكنّهم قُلٌّ أحاطَ بهم كثْر

[1] السحر : الصدر .

[2] ريو Reggio مدينة على البر الايطالي مقابل مسينة .

[3] القوصرة : وعاء يوضع فيه التمر في العادة ، وجعله هنا مستودعاً للرؤوس .

[4] الدفر : نتن الرائحة .

أتعجمُ نبع العرب عجمٌ ولا يُرَى لما اشتدّ منها في نواجذها كسر

توالتْ عليها منهمُ كلُّ صيحةٍ كما رَوّعَ الأعيارَ من أسَدٍ زأر

فُجاءت رياحٌ والرياح جيادُها فَشُدّ من الدين القويم بها أزر

فأوّلُ إنصافٍ تولوه كفُّهُمْ أذى كلّ فظّ في سجيّته غدر

وبادرتِ الإقدام منهم بمقدم فكم خبَرٍ عنها يصدّقه الخُبْر

ودهم بني دهمان فاض على الوغى بكلّ فتى أحلى بسالتِه مُرّ

وشاهت من الضُّلاّلِ بالغرّ أوجُهٌ عليها بُسُورٌ إذ تصدّى لها بَتر

وكرّت بنو زيدٍ على كلّ شيظمٍ وَسِرّ المواضي في أكفّهمُ جهر

وجاء ابنُ زيّادٍ بصخر فكافحت عن الثغر أنْيابٌ فلم يُلْثَم الثغر

هزبرٌ على بحرٍ من الحرب مُفْعَمٍ على جسمه نهيٌ وفي يده نهر

وقد حال بين الرّوم والبحر فالتجوْا إلى القصر حتى جاءهم بالرّدى القصر

أعاربُ جدّوا في جِهادِ أعاجِمٍ خنازيرَ شبّتْ حَرْبَها أُسُدٌ هُصر

إذا قيل يا أهلَ الحفائظِ أقبَلَتْ مُلبّيَةً فيها غطارفةٌ غُرّ

عليهم من الماذيّ كلّ مُفَاضَةٍ مُكَحّلَةٍ بالنّقع أعيُنُها الخزر

كتائبُ من كلّ القبائلِ أقبلتْ لِفَرْضِ جهادٍ ما لتاركه عذر

أعزّ بهم ذو العرشِ دينَ محمّدٍ وَضُمّ عليه من كفالته حجر

وفي كلّ سيفٍ سايرت منهم العدى قبائلُ منها أُشْبِعَ السهلُ والوعر

إذا مـاج بحرٌ في شوانيهمُ بهم أتى مَدَدٌ منّا فماجَ به البَرّ

حمى ابنُ عليّ حَوْزَةَ الدين فاحتمى كمُفترسِ الكفّينِ يَدْمى له ظفر

مليكٌ له في الملك سيرةُ أكبرٍ أبى الله أنْ يختالَ في عطفه الكبر

أبيٌّ كحدّ السيفِ من غير نَبْوَةٍ إذا ما مضَاءُ الذمر قلّ به الذّمر

هو النّجْدُ يقري الرمح والسيف كفه بعضوين يُلْفَى فيهما العمر والذكر

وما حَسَنٌ إلاّ مليكٌ مُتَوَّجٌ أفاضَ الغنى من راحتيه فلا فقر

كأنّ حبيّاً[1] ساكباً فيضَ ودقه و[قد] يحْتبي منه لقصّاده البدر

إذا ما جرَى في محفلٍ حُسْنُ ذكره تَعَلّقَ تشريفاً بأذْيالِـهِ الفخر

فلا زال والتوحيدُ مُعْتَصِمٌ به تُزَانُ به الدنْيا ويخدمه الدهر

---

١ الحبي : السحاب بعضه فوق بعض .

وقال يمدحه

بَكَرَتْ تُغَازِلُهُ الدُّمَى الأبْكارُ فهفا له حِلْمٌ وطاشَ وَقَارُ
وأظنّــــهُ مترنّحاً من نَشْوَةٍ كاساتُهــا بهوَى العيون تُدارُ
يا لُوّمي ، ومتى بُليت بلوّم إلاّ وَهُمْ ببليّتي أغمَار
فُكّوا الغضنفر من إسار غزالةٍ قَيْداهُ خَلْخَالٌ لها وسوار
ما أحْرَقتْ خدّي سواكبُ أدمعي إلاّ بماءٍ في حَشَاهُ نــار
والماءُ منفجرٌ من النـــار التي في القلب منها يستطيرُ شرار
عجبي لأضدادٍ عليّ تنــاصرَتْ جَوْراً عليّ وليس لي أنْصار
فخذوا الهوى عني بنقل ملاحةٍ عن أعينٍ يرنو بهنّ صُوّار
ومباسماً تجلو شقائقَ روضةٍ لــلأقْحُوَانَــةِ بينهـــا نُوّار
إن المها تُمْهي[1] سيوفَ جفونها فَحَذارِ منها لو يُطاقُ حِذار
مِنْ كلّ مُشْرَبَةٍ بجريال الصبا لوناً كما لمَسَ اللجينَ نُضَار
في خلقهــا الإنسيِّ من وحشيّةٍ كُحْلٌ وحُسْنُ تلفّتٍ ونِفار

---

١ تمهي : تحد وترقق .

طَرْفي بِرَجْعَتِهِ إليّ أذاقَني	مِنهــا الرّدى لا طَرْفُها السَّحّارُ
وإذا انثنى سهمٌ على الرّامي به	غَرَضاً اه ، فالجُرْحُ منـــه جبار
طَرَقَتْ تَهادى في اختيالِ شبيبةٍ	تُخْطِي مُطِيلَ الوجد وهي قصار
سَفَرَتْ فما دَرَتِ الظنون ضميرها	أسُفُورُها من صبحها إسفار
حَتّى إذا خافتْ مُرَاقِبَها ، عَلا	منها على الوجه المنير عِجَار[1]
وكأنّما زُهْرُ النجوم حمائمٌ	بيضٌ . مغاربها لهـا أوكار
وكأنّما تذكي ذُكاءُ تـوهّجاً	فيه يذوبُ من الدجنّة قار
يا هذه لا تسألي عن عبرتي	عيني على عيني عليك تغار
هل كان نهدُكِ صنو قلبكِ تتقي	عن لمسه في صــدرك الأزرار
ما كنتُ أحسبُ غصنَ بانٍ في نقا	تشكو أليمَ القطفِ منــه ثمار
نَصَّلْتِ سَهْمَيْ مقلتيك[2] ليُصْميا	بنصالِ سحرِ الطرف فهي حرار
وهما المعلّى والرقيبُ وإنّما	قلبي المُعذَّبُ منهما أعشار[3]
لا ثأر يدرَك منك في المهج التي	أرديتها أوَ مِنْكِ يُدْرَكُ ثار
هلاَّ التفَتِّ كما تَلَفّتُ مُغْزِلٌ	لتَرَى مكان الخِشْفِ وهي نَوَار[4]

١ العجار : العصابة .
٢ نصل السهم : أثبته في القوس .
٣ المعلى والرقيب : سهمان من سهام الميسر . والأعشار : الأنصباء من الجزور الذي يتياسرون عليه .
٤ مغزل : ظبية لها ولد . والخشف : ابن الظبية .

وبَرَدْتِ حرّ الشّوْقِ بالبرد الذي شهدٌ ومسكٌ دونه وعقار

إني دُفِعْتُ إلى هواكِ وغربةٍ هتَفَتْ بها العَزَمَاتُ والأسفار

وغرستُ عمري في الزّماع فمرّرَتْ لفمي جنَاهُ نجائبٌ وقفار

وجعلتُ داري في النوى فمؤانسي وحشُ الفلا ومَجَالسي الأكوار

لولا ذُرَى الحسن الهمامِ وَفَضْلُهُ ما قرّ بي في الخافقين قرار

هذا الذي بذلتْ أناملُهُ النّدى وهُدِيْ الكرامُ إليه لمّا حاروا

هذا الذي سلّ السيوفَ مجاهِداً فبِضربْها للمُشركينَ دَمَار

هذا الّذي جَرّ الرّماحَ لحربهم سَعْيَ الأساود ، جيشُهُ الجرّار

قَهرَتْ ظُبَا توحيده تثليثَهمْ وَقَضَى بذاكَ الواحِدُ القهّار

غَضباً على الأعلاج منه فَرَبّهُ يَرْضَى به ونَبِيّهُ المختار

فلوجهه البادي عليه سنا الهدى ضَرَبَتْ وُجُوهَ عُداتِهِ الأقدار

أمّا عُلا حسنٍ فبين مَصَامِها[1] شَرَفاً وبين الفرقدين جِوار

خَلُصَتْ خلائقه ولم يعْلَقْ بها جَبْرِيّةٌ لم يَرْضَها الجبّار

وسما له حلمٌ وَجَلّ تَفَضّلٌ وزكا له فَرْعٌ وطابَ نجار

يَنْدى بلا وَعْدٍ وكم من عارضٍ من غير بَرْقٍ صوبه مدرار

....

١ مصامها : موقفها .

فربُوعُـــه بالمعتفين أوَاهِـــلٌ وَبَنَانُـــهُ بالمكرُمات بحـار

وإذا عفا صفحاً عفا عن قُدْرَةٍ والحلمُ في الملك القدير فخار

سُلّتْ صوَارِمُهُ الحِدادُ ففلّقَتْ هـــاماً عليهـــا للجياد عثار

في جحفلٍ كالبحر ماج بضمّرٍ فتكَتْ على صَهوَاتِها الأذْمار

لا يَجْزَعُونَ من المَنون كأنّما آجـــالُهُمْ لنفوسهمْ أعمْار

فصعيدُ وجهِ الأرْضِ منه مُبَعْثَرٌ وَذَرُورُ عين الشمس منه غبار

إنّ الحزوبَ وأنتمُ آسَادُهَـــا فتكاتكمْ في عُرْبِهـــا أبكار

أضحتْ لصونكمُ الثغورُ كأعينٍ وشفاركمْ من حولها أشفار

زانت سيادتكم كرامـــةَ برّكم خيرُ الملوكِ السادةُ الأبرار

يا من عِتاقُ الخيْلِ تُوسَمُ باسمِهِ والـــدرهمُ المضروبُ والدّينار

وبكلّ أرضٍ تستنيرُ بـــذكره خُطَبٌ من الفصحاءِ أو أشعار

خدمتْ رئاستَك السعودُ وأصْبحتْ للفضل تحْسُدُ عَصرَكَ الأعصار

ورجالُ دولتكَ الذين لقـــدرهم بكَ في الورى الإجلالُ والإكبار

فمن المقـــدّم والزمام كفايةٌ نُجْحٌ بهـــا الإيرادُ والإصْدار

فهما وزيراك اللـــذان عليهما لنفوذِ أمْرِكَ في السداد مَدَار

جبلان يقترنانِ للرأي الـــذي لِعِداكَ منـــه مذلّةٌ وصَغار

فالملك بينهما حديثٌ حُسْنُهُ قَطَعَتْ لياليَهـــا به السُّمّار

وكأنّ ذا سمعٌ وذا بصرٌ له حَسَدَتْهُما الأسْماعُ والأبصار

والليثُ إبراهيمُ قائدُك الّذي تَدمى بصولته لهُ أظْفار

يرمي شدادَ المُعْضِلاتِ بنفسه بَطَلُ الكفاحِ وذِمْرُها المغوار

وإذا تَفَجّرَ جدولٌ من غِمْدِهِ شَرِقَتْ بماءِ غمامِهِ الفُجّار

وعبيدُكَ الغلمانُ إنْ نادَيْتَهُمْ نَهَضُوا ، مُوَاثِبَةَ الأسود، وثاروا

وَمَشَوْا مع التّأييدِ قاماتٍ إلى هيجاءَ مَشْيُ حُماتِهَا أشبار

سَبَحوا إلى الأعلاج إذ لم ينزلوا من فلكهم فحجالها تيار

وَرَمَوْهُمُ بجنادلٍ فكأنّها لأجورها عند الإله جمار

وبكلّ سهمٍ واقعٍ لكنه بثلاثِ أجنحةٍ له طيّار

وَحمَوْا حِمى الأسوَارِ وهيوراءهُم حتّى كأنّهُمُ لها الأسوار

وكأنّما حَرّ المنايا عندهم بَرْدٌ إذا ما اشتدّ منه أوار

لا يتقي في الضرب سَيْفُكَ مِغْفَراً فله من القَدَرِ المُطاعِ غِرَار

لو أن أعْرَاضاً تُجَوْهَرُ أصْبَحَتْ في كفّكَ العَزَماتُ وهي شفار

أو أنّ للأرْضِ الجمادِ تنقّلاً حَجّتْ إلى أمْصارِكَ الأمْصار

فليهنِك الشهرُ المعظّمُ إنّهُ ضيفٌ قراه البِرّ والإيثار

أصبحتَ فيه لوجهِ ربّك صائماً لكن لكفّك بالنّدى إفطار

ضيفٌ أتَاكَ به لتعرفَ حَقّهُ فَلَكٌ بقدرةِ ربّهِ دوّار

لا زالتِ الأيامُ وافدةً على ما تشْتَهي منها وما تختار

١٤٥

وقال في كتمان السر

إنّ السرائرَ عَوْراتٌ وَإنّ لها مُهَذّباً آخذاً بالحــزْمِ يَسترُها
فاطوِ السرائرَ في الجنبينِ تحجنها[١] عن اللسانِ الذي للسّمْعِ ينشرها[٢]

١٤٦

وقال في غلام تقلد سيفاً

وجفنين أوْفَى[٣] بالمنيّــة فيهما عليكَ من الغزلان وَسْنانُ أحْوَرُ[٤]
فجفنٌ له عَضْبٌ[٥] من اللحظِ مُرْهَفٌ وَجَفْنٌ به ماضٍ من الهند مُبْتِرُ[٦]
وأمضاهما حدّاً فلا تغترْ به[٧] غِرَارُ الذي فيه من السّحْرِ جَوْهَرَ

١ في « م » تنج بها ؛ وتحجنها : تحجزها وتضن بها .
٢ في ب : الآذان تنشرها .
٣ في ب : أولى .
٤ في ب : على الأسد ريم فاتر الطرف أحوز .
٥ في ب : به عضب .
٦ في ب : عضب من الهند أبتر .
٧ في ب : وأمضاهما عندي وإني مجرب .

١٤٧

وقال أيضاً

حسانٌ تديرُ بسحرِ الهوى عيُونَ المها في وُجوهِ البُدورِ
طوالُ الفروع قصارُ الخطا ثقالُ الروادفِ هيفُ الخصور
تطيّبُ أفواهُهُنّ الحديثَ بحُمْرِ الشفاهِ وَبيضِ الثغور
كما مرّ بالوردِ والأقحوانِ نسيمٌ مشوبٌ بِريّا العبير

١٤٨

وقال أيضاً

إذا رأيتَ ملوكَ الأرْضِ قد نظرُوا إلى السّماءِ فكلّ الخوْفِ في النّظرِ
فإنّهُمْ يتّقونَ البَطْشَ مِنْ مَلِكٍ مُنَفّذٍ أمْرُهُ كاللمح بالبصر

١٤٩

وقال أيضاً

خَلَتْ منك أيّامُ الشبيبةِ فَاعْمُرْهَا ... وماتَتْ لياليهـا من العُمْرِ فانْشُرْهَا

وهذا لَعَمْرِي كلّهُ غيرُ كائنٍ ... فأُخْرَاكَ وَاصِلْها ودنْياكَ فاهجرها

أرى لك نفساً في هواكَ مقيمةً ... وقد طالَ ذا منها، لكَ الويل، فاقْصرها

وكم سيّئاتٍ أحْصِيَتْ فنسيتَها ... وأنْتَ متى تقرأ كتابَكَ تذْكرْها

فيا ربِّ إني في الخضوع لقائلٌ : ... ذنوبي عُيوبي يوْم ألقاك فاسترهـا

١٥٠

وقال أيضاً في الزهد

تخريجها : البيت الخامس من الطراز : ٢٢١

يا ذنوبي ثَقّلْتِ والله ظَهْري ... بانَ عُذْري فكيفَ يُقْبَلُ عذري

كلما تُبْتُ ساعةً عُدْتُ أخرى ... لِضرُوبٍ من سوءِ فِعلي وهَجري

ثَقُلَتْ خَطْوَتي وفَوْدي تَفَرّى ... غَيْهَبُ الليلِ فيه عن نُورِ فجر

دبّ مَوْتُ السّكونِ في حركاتي ... وخَبَا في رمادِهِ حُمْرُ جمري

وأنا حيثُ سرْتُ آكلُ رزقي غير أنّ الزمانَ يأكل عمري

كلما مرّ منـه وقتٌ بربحٍ من حياتي وجدتُ في الربحِ خسري

يا رفيقـاً بعبـده ومحيطـاً علْمُهُ باختلافِ سرّي وجهري

ملْ بقلبي إلى صلاحِ فسادي منه واجبرْ برأفةٍ منك كسري

وأجرْني ممّـا جنـاهُ لساني وتَنَـاجتْ به وساوسُ فكري

١٥١

وقال أيضاً

أرى الشيْخَ يَكْرَهُ في نَفسهِ مَشيباً أفاضَ عليـه النهارا

وضعفاً يَهُدّ قُوَى جِسْمِهِ وينقل منـه خطاه قصـارا

فكيف يُجشّمهـا طفلـةً يطيرُ بهـا القلبُ عنه نِفارا

وعارٌ عـلى الشيخ تقريبـُهُ فتاةً ترى قُرْبَةً منه عارا

وقد جُبِلَ الغانياتُ الصّغارُ على بُغْضِهِنّ الشيوخَ الكبارا

١٥٢

وكتب المعتمد على الله ، رحمه الله ، إلى عبد الجبار ، في أغمات ، وهو أسير بقطعة شعر أولها :

تخريجها : الخريدة وفيها الأبيات ١، ٢، ١٣، ١٤، ١٠، ١١، وابن الأثير ١٠: ١٢٨ والنهاية؛ وفيها ١ ، ٢ ، ١٣ ، ١٤، والوفيات والطراز : ٢٢٠ والنفح وفيه ١٣، ١٤ والذخيرة: ٤، ١٣، ١٤ ؛ أما شعر المعتمد فموجود في ديوانه وفي القلائد ، وبعضه في النهاية .

غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ ... سيبكي عليه منبر وسريرُ

إذا زال لم يسمع بطيب ذكره ... ولم ير ذاك اللهو منه منير

وتندبه البيض الصوارم والقنا ... وينهلُّ دمع بينهنّ غزير

سيبكيه في زاهيه والزاهر الندى ... وطلابه والعرف ثم نكير

إذا قيل في أغمات قد مات جوده ... فما يرتجى بعد الممات نشور

مضى زمن والملك مستأنس به ... وأصبح عنه اليوم وهو نفور

أذلّ بني ماء السماء زمانُهم ... وذلّ بني ماء الزمان كثير

برأي من الدهر المضلل فاسد ... متى صلحت للصالحين دهور

فما ماؤها إلا بكاء عليهمُ ... يفيض على الأكباد منه بحور

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة   أمامي وخلفي روضـــة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلى   تغني حمام أو ترنّ طيور
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا   تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزّاهي وسعد سعوده   غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيراً لا يسيراً منـــاله   ألا كلّ ما شاء الإله يسير

يقتضيه فيها الجواب فجاوبه

جرَى بكَ جَدٌّ بالكرام عَثُورُ   وجارَ زمانٌ كنتَ فيه تُجير
لقد أصبحتْ بيضُ الظبا في غمودها   إناثاً لِتَرْكِ الضّرْبِ وهي ذكور
تجيء خلافاً للأمور أُمُورُنا   ويَعدِلُ دهرٌ في الورى ويجورُ
أتيأسُ في يومٍ يناقضُ أمْسَهُ   وزُهْرُ الدراري في البروج تدور
وقد تنْتخي الساداتُ بعد خمولها   وتخرج من بعد الكسوف بدور
لئن كنتَ مقصوراً بدارٍ عَمَرْتَها   فقد يُقْصَرُ الضرغام وهو هصور
أغَرَّ الأسارى أن يقالَ محمدٌ   غريبٌ بأرض المغربين أسير

تنافس من أغلالها في فكاكها وَيُقْصَمُ منها بالمصاب ذكور

وكنت مسجّى بالظبا من سجونها بسورٍ لها إن السجونَ قبور

إلى اليوم لم تَذْعَرْ قطا الليل قُرّحٌ يغيرُ بها عند الصباح مُغيرُ

ولا راحَ نادٍ بالمكارم للغنى يقلبه في الرّاحتين فقير

لقد صُنْتَ دينَ الله خيرَ صيانةٍ كأنّك قلبٌ فيه وهو ضمير

ولما رحلتمْ بالنّدى في أكفّكمْ وَقُلْقِلَ رَضْوَى منكمُ وثبير

رفعت لساني بالقيامة قد أتت ألا فانظروا هذي الجبال تسير[1]

....

[1] الوفيات : قد دنت : فهذي الجبال الراسيات تسير .

١٥٣

ومضى عبد الجبار لزيارة المعتمد في أغمات فصرفه بعض خدمه بأنّه لا يوجد في ذلك الوقت . فرجع عبد الجبار إلى منزله . فأخبر المعتمد بمجيئه ورجوعه ، فعسر ذلك عليه ، وعنف خدمه . وكتب إليه بالغداة بهذا الشعر يعتذر إليه ، فقال :

حُجِبْتَ فلا والله ما ذاك عن أمري فأصغِ فدتك النفس سمعاً إلى عذري
فما صار إخلالُ المكارم لي هوًى ولا دارَ إخجالٌ لمثلك في صدري
ولكنـه لمّـا أحالتْ محـاسني يدُ الدهر شُلّت عنك دأباً يد الدهر
عدِمْتُ من الخُدّامِ كلّ مُهَذّبٍ أشيرُ إليه بالخفيِّ من الأمْـرِ
ولم يبقَ إلا كلّ أدكنَ ألكنٍ فلا آذنٌ في الإذن يبرأ من عسر
حمارٌ إذا يمْشي ونسرٌ محلّـق إذا طارَ . بُعْداً للحمارِ وللنسر
وليس بمحتاجٍ أتاناً حمـارهم ولا نسرهم مما يحنّ إلى وكر
وهل كنتَ إلا الباردَ العذبَ إنّما به يشتفي الظمآن من غُلّة الصدر
ولو كنتُ ممن يشربُ الخمرَ كُنْتَها إذا نزعت نفسي إلى لـذّة الخمر
وأنت ابن حمديسٍ الذي كنتَ مهدياً لنا السحرَ ، إذ لم يأت في زمن السحر

فجاوبه عبد الجبار يقول :

أمثلُكَ مولىً يبسطُ العبدَ بالعذرِ بغيرِ انقباضٍ منك يَجْري إلى ذكرِ

لتَهدّ قريضَ الفضلِ ما هدّ من قوى وَحلّ به ما حلّ من عُقْدةِ الصّبرِ

وإنّي امرؤٌ في خَجْلةٍ مُسْتمِرّةٍ يذوبُ لها في الماءِ جامدةُ الصّخْرِ

أتتني قوافيك التي جلّ قدرُها بما نقطةٌ منهنّ مُغْرِقةٌ بَحْري

لعلّك إذ أغنيتني منك بالنّدى أردتَ الغنى لي من مديحك بالفخر

لعمريَ إني ما توهّمتُ ريبةً فتدفعَ وَجْهَ العُرْفِ عندك بالنكر

وطبعكَ تِبرٌ سحّرَ الفضلُ مَحْضَهُ[1] وحاشا له أن يستحيلَ مع الدهر

وكنت أمَلّ الجودَ منك وأنت لا تَمَلّ عَطاءً منه يأتي على الوَفْرِ

فكيفَ أظنّ الظنّ غيرَ مبرّإٍ – تواضعَ تيهاً كوكبُ الجوّ عن قدري –

يخفّ على خُدّام مُلْكِكَ جانبي كما خفّ هُدْبٌ في العيون على شفر

إذا طارَ منهم بالوصيـة سَوْذَقٌ فذلك في إفصاحِ منطقه القمري

تُحدّثُ عيني عينَهُ بالّذي يرَى بوَجهكَ لي من حُسنِ مائيّة البِشر

لياليَ لا أشدوكَ إلا مطوّقاً بنعماكَ في أفنانِ روْضاتِكَ الخضر

وما زالَ صَوْبٌ من نداكَ يَبُلّني ويثقلني حتى عَجزْتُ عن الوكر

---

١ سحره : طلاه وموهه .

بكيتُ زماناً كان لي بك ضاحكاً وكسرُ جناحي كان عندك ذا جَبْر

وأطرقتُ لمّا حالتِ الحالُ حَيْرَةً تحيّرَ منها عالمُ النفس في صدري

فخذها كما أدري وإن كلّ خاطري وإن لم يكن منها البديعُ الذي تدري

١٥٤

وقال أيضاً

وَصَفْتُ حُسْنَكِ للسّالي فجُنّ به كأنّ للسمعِ منه رؤيةَ البصرِ

فلم يزلْ في وجوهِ الحُسْنِ مُقتبلاً بالوصفِ في صُوَرٍ منها إلى صور

وكيف يَخْفى عليه ما كَلِفْتُ به إذا الدّلائلُ دَلّتْهُ على القمر

حرف السين

١٥٥

وقال أيضاً

إذا ما الهواءُ اعتلّ كان اعتلالُنا محيطاً بما يُجريه فينا التنفّسُ
وربّتمـا كان الغـذاءُ مَضَرّةً يَذُمّ به العقبى جَهُولٌ وكَيّسُ
وأمراضُنَـا أسبابُهنّ كثيرةٌ تحلّ بأجسامٍ فتهلِكُ أنفُسُ

١٥٦

وقال أيضاً

قل للأساة أسأتُمْ في علاجكمُ فمُمْرِضي من ضَنَى جسمي هو الآسي
[. . . . .][1] شمساً من النّار لم تطلع على الناس
ولو وَجَدتُ مزاجَ القلب معتدلاً ببردِ أنفاسها في حرّ أنفاسي

---

١ بياض في الأصل .

لله ما رُضْتُ منها بالخضوع ومـــا ألامنيهِ لقلبي إلاّ قلبيَ القاسي
خدَعتْ قرْنَ الهوَى حتى فتكت به بالله قل هل [بخدع] القرْنِ من باس

١٥٧

وقال يذكر صقلية وبلده سَرَقُوسة

لأمْرٍ طويلِ الهمّ نُزْجي العَرَامِسَا[١] وتطوي بنـــا أخفافُهُنّ البسابسا
وَتَذْعَرُ بالبيداءِ عِيناً شوَارِداً تُذَكّرُ بالأحداقِ عِيناً أوانِسَا
عذارَى ترَى الحسنَ البديعَ مُطابِقاً لأنْوَاعِهَـــا في خَلْقِهِ ومجانسا
أعاذلُ دَعْني أطْلِقِ العبرةَ التي عَدِمْتُ لها من أجمل الصبْرِ حابسا
فإني امْرؤٌ آوي إلى الشّجَنِ الذي وجدتُ له في حبّةِ القلب ناخسا
لقدّرت أرضي أن تَعُودَ لِقَوْمِهَـــا فساءَتْ ظُنُوني ثم أصبحتُ يائسا
وعَزّيْتُ فيهـــا النّفْسَ لمّا رأيْتُها تكابدُ داءً قـــاتل السمّ ناحسا
وكيف وقد سيمَتْ هوَاناً وصَيّرَتْ مساجدَها أيدي النّصارى كنائسا
إذا شاءَتِ الرّهْبانُ بالضرْبِ أنْطقَتْ مع الصبح والإمساءِ فيها النواقسا

---

١ العرامس : جمع عرمس وهي الناقة الصلبة .

لئن كان أعيا كلَّ طبٍّ علاجها فكم جرَّبٍ في السيفِ أعيا المَداوِسا

صقلّيةٌ كادَ الزمانُ بـــلادها وكانت على أهلِ الزّمانِ محارسا

فكم أعينٍ بالخوف أمْسَتْ سوَاهِراً وكانت بطيبِ الأمنِ منهم نواعِسا

أرى بَلَدي قد سامَهُ الرومُ ذلّةً وكان بقومي عزّهُ متقـــاعِساً

وكانت بـــلادُ الكفر تَلْبَسُ خَوْفَهُ فأضحى لذاكَ الخوفِ منهنّ لابِسا

عدمتُ أُسوداً منهمُ عَرَبِيّةً ترى بين أيديها العلوجَ فرائسا

فلم ترَ عيْني مثْلَهُمْ في كتيبةٍ مضاربَ أبطـــالِ الحروبِ مَدَاعِسا

ويا ربّ برّاقِ النصالِ تخالُهُ من النقع ليلاً مُشْرِقَ الشهب دامِسا

خلوا بين أطراف القنا بكماتـهِ لطعنٍ من الفرسانِ يخْلي القوانسا[1]

وما خِلْتُ أنّ النّارَ يَبْرُدُ حَرّهَا على سَعَفٍ لاقته في القيظ يابسا

أما مُلِئَتْ غزواً قَلَوْرِيّةٌ[2] بِهِمْ وأردوا بطاريقاً بها وأشاوسا[3]

همُ فتحوا أغـــلاقَها بسيوفهمْ وهمْ تركوا الأنوارَ فيها حنادسا

وساقوا بأيدي السبي بِيضاً حواسراً تَخَالُ عليهنّ الشعورَ برانِسا

يخوضونَ بحراً كلّ حين إليهمُ بِبَحْرٍ يكونُ الموجُ فيـــه فوارسا

---

١ يخلي : يقطع . القونس : أعلى بيضة الحديد أو أعلى الرأس .

٢ قلورية : Calabria إحدى ولايات جنوبي ايطالية .

٣ البطريق : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وحربيّةٍ ترمي بِمُحْرِقِ نِفْطِهَا فَيَغْشَى سَعُوطُ الموتِ فيها المعاطسا
تراهُنّ في حُمْرِ اللّبودِ وصُفْرِهَا كمثل بناتِ الزّنج زُفّتْ عرائِسا
إذا عَثّنَتْ[1] فيها التنانيرُ خلتَها تُفَتِّحُ للبركانِ عنهـا منافسا
أفي قَصْرِينّي[2] رُقْعَةٌ يَعْمُرُونها ورَسْمٌ من الإسلام أصبح دارسا
ومن عجبٍ أنّ الشياطينَ صَيّرَتْ بروجَ النجومِ المحرقاتِ مجالسا
وأضحتْ لهم سَرْقُوسةٌ دارَ مِنْعَةٍ يزورون بالديرين فيهـا النواوسا
مَشَوْا في بلادٍ أهْلُها تحْتَ أرْضِهَا وما مارسوا منهمْ أبِيّاً مُمارسا
ولو شُقّقَتْ تلكَ القبورُ لأنْهَضَتْ إليهم من الأجداثِ أُسْداً عوابِسا
ولكن رأيتُ الغيلَ إن غابَ ليثُهُ تبخترَ في أرجائِهِ الذئبُ مائِسا

---

١ عثنت : دخنت

٢ قصريني أو قصريانة Castroglovanni : مدينة كبيرة بصقلية من إقليمها الشرقي .

١٥٨

وقال أيضاً يصف الخمر

تخريجها : ١ – ٣ في الوافي

وَوَرْديّة ٍ في اللوْن والفَوْح ِ شَعشِعَتْ فأبدتْ نجوماً في شُعاع ٍ من الشمس ِ[١]

نفيتُ همومَ النفس منهـا بشربة ٍ دبيبُ حميّاها يرقّ[٢] عن الحسّ

كأن يدي من فضّـة ٍ فإذا حَوَتْ زجاجتَهَا عادت مُذَهَّبَةَ الخمس

١٥٩

وقال أيضاً

ولما التقى الأجسامُ من غير ريبَة ٍ وقد تَلِفَتْ بالشوق ِ فيهن[٣] أنفس

جنينا ، ولم تُنْسَبْ إلينا جنايةٌ ، ثمـارَ نعيم ٍ تُجتَنى حين تُغْرَس

ولمّا استَقَلّ النجم يرْفَعُ رايةً يحلّ بها نُورٌ[٤] ويرحلُ حِنْدِس

تنهّـدْتُ مرتاعَ الفؤادِ وإنّما تنهدتُ للصبح الّـذي يتنفّس

فيا صُبْحُ لا تُقْبِلْ فإنّكَ مُوحِشٌ ويا ليلُ لا تُدْبِرْ فإنّكَ مؤنس

---

١ في ب : الكأس .

٢ في ب : يدق .

٣ في ب : منهن .

٤ في ب : صبح .

١٦٠

وقال أيضاً

تخريجها : البيت السادس في الطراز : ٢٢٦

شموسٌ دعاهنّ وَشْكُ الفِراقِ فَلَبّيْنَ في القُضُبِ المُيّسِ

تُريقُ المدامِعَ كالساقياتِ من السّكْرِ يَعْثُرْنَ بالأكؤس[1]

طوالعُ نحو غروبٍ تُريكَ جُسُومَ الديارِ بلا أنْفُسِ

تُزَرِّرُ صوناً عليها الخدورَ فتُبكي عيونَ المها الكُنّسِ

وقد زارَ عذبَ اللمى في الأقاحِ أجاجُ الدموع من النّرجسِ

وقامَتْ على قَدَمٍ فِرْقَةٌ إذا وقَفَ العَزْمُ لم تَجْلِسِ

ولم يبقَ إلاّ انصرافُ الدجى بزُهرٍ كواكبه الخُنّسِ

ومَحْوُ النّهارِ بكافورةٍ من النور[2] عنبرةَ الحندسِ

ألا غَفلَةٌ من رَقيبٍ عتيدٍ يُلاحِظُنا نَظْرَةَ الأشْوَسِ

فَنُهْدي على عَجَلٍ قُبْلَةً إلى شَفَةِ الرّشَإ الألْعَسِ

غداً يتَقَطّعُ أقْرانُهُم[3] ويتّصِلُ السيرُ في البسبسِ

---

١ في ب : في الأكؤس .

٢ في ب : من الليل .

٣ في ب : تتقطع أنفاسهم .

ويكلأُ ذِمْرٌ على ضـــامرٍ خبيثَةَ خِدْرٍ على عِرْمِسِ[1]
ويصبحُ من وَصْلِ سلمى الغنيّ يُقَلِّبُ منه يَدَيْ مُفْلِسِ

١٦١

وقال في الحرب

وَخَفّاقَةِ الراياتِ في جوْفِ نقْعِها ترى الجُرْدَ فيها بالكماة تَكَدَّسُ
زَبونٌ رَبّا سَمّ بأطرافِ سُمْرِها كأنّ ثعـــابيناً بهـــا تَتَنفّس
تروقُكَ كالحسناءِ يضحك سِنّها وترتاعُ منها وهي كالغولِ تَعْبس
وتقلعُ أرواحَ العداةِ أسنّةٌ تراهنّ منهمْ في الحيازيم تُغْرَس
فكم طعنةٍ نجلاءَ تحسبها فماً له هَرَتٌ في الذمر بالدمِ تَقْلِس
صببنا عليها ضرْبَنا من صوارمٍ فغاصت بها من أسْرِها القلبَ أنفس
ونحن بني الثغر الذين نفوسُهُمْ ذكورٌ بأبكار المنــــايا تُعرِّس
فمن عزْمنا هنديّةُ الضّرْبِتُنتَضى ومن زَنْدنا ناريّةُ البأس تُقْبَس

---

١ يكلأ : يحفظ : العرمس : الناقة الصلبة .

١٦٢

وقال في سيف

وأبْيَضَ ماضٍ لا يَقي من غرارِهِ   غَداةَ قِرَاعِ الهامِ دِرْعٌ ولا تُرْسُ

يمُجّ سريعـاً في فم الجرح حَدُّهُ   من السمّ ما سقّته من ملكها الفرس

إذا مـا بدا من غمده قلت : رَفّعَتْ   بخاراً لطيفـاً فوق جَدْوَلِهِ الشمس

يُفَرّقُ بين الرأس والجسم حَدُّهُ   وإن كان لم تَشْعُرْ بضربته النّفس

فَمَضْرِبُهُ في هامةِ القرن مأتَمٌ   وَمَضْرِبُهُ في كَفّ صاحِبِهِ عُرْس

١٦٣

وقال في الاعتبار بالدهر وذكر الشيب

حَلَلتُ بيوْمي إذ رَحلتُ عنِ الأمْسِ   وَسِرْتُ ولم أُعْمِلْ جوادي ولا عَنْسي

مراحلُ دنْيـانا مراحِلُنا التي   تَرَانا عليها نقطعُ العيشَ بالخمس

ونحن بدارٍ يَعْقُبُ الخوفُ أمْنَها   وتذهبُ فيها وحشةُ الأمْنِ بالأنْس

ليـالٍ وأيامٌ بساعاتها سَعَتْ   لتفريقِها ما بين جِسْمِكَ والنّفْس

وإنّي وإنْ أصبحتُ منهـا مُسَلَّماً   لأكْثِرُ قوْلي : ليتَ شعريَ هل أمْسي

ومن حلّ في سبعين عاماً كأنّهُ   عِلاجُ عليلٍ في مُوَاصَلَةِ النُّكْسِ
فما فهم الأشياءَ بالدرْسِ وَحْدَهُ   ولكنه بدءُ التفهّم والــدّرْس
وكم حِكَمٍ في خطِّ قوْمٍ كثيرةٍ   وأفْضَلُ منها لَمْعَةٌ من سَنا الحسّ

١٦٤

وقال أيضاً في الزهـــد

إلى كم أراني في هوًى النفسِ خائضاً   ولم أتّقِ الإغراقَ منها على نفسي
وقد شَمِلَتْني شيبــةٌ لم أبِتْ بها   فما ليَ في ليلي وقد طَلَعَتْ شمسي
غرست بكفّيَّ المعـــاصيَ جاهِــداً   ولا شكّ أني أجْتَني ثَمَرَ الغَرس
إلى الله أشكو جُمْلَةً أرتدي بها   وأُصْبِحُ منها في الذنوب كمــا أُمْسي
فيا وحشتي من سوءِ ما قدّمَتْ يدي   إذا لم يكنْ في القبر من رحمةٍ أُنْسي

١٦٥

وقال أيضاً

وريحانَةٍ في النفس مَنبِتُ غُصْنِها لها نَفَسٌ يُحْيِي بنفحتِهِ النَّفْسا
إذا أقْبلتْ كانتْ بتقْويمِ خلْقِها وَمِشْيتِها بالشمس[1] تستوقفُ الشمسا
فتاةٌ إذا استعطفتَ باللين قلبها على الصّبّ أضحى وهو من حجرٍ أقسى
ولا شكّ أنّ الماءَ رطبٌ وكلّما سقَيْتَ حديداً فيه زادَ به يُبْسا

١٦٦

وقال عبد الجبار لما بلغ سنّه المذكور [أي] سنة ٥٥

كَمُلَتْ ليَ الخمسونَ والخمسُ ووقعْتُ في مرضٍ له نُكْسُ
وَوُجِدْتُ بالأضدادِ في جسَدي غُصْنٌ يلينُ وقسامةٌ تقْسُو
وتنسافرتْ عني الحسانُ كما لحظَ الهصورَ جآذرٌ خُنْسُ
وابيضّ من فوديّ من شعَري وَحفٌ كأنّ سوادَهُ النِّقْس
والعُمْرُ يذبُل في مَنابِتِه غَرْسٌ ، ويلبسُ نضرةً غرس
أصغيتُ للأيام إذ نَطقَتْ بالوعظ فهي نواطِقٌ خرس

[1] الشمس : ضرب من القلائد .

وفهمتُ بعد اللَّبسِ ما شَرَحَتْ والشرحُ يَذْهَبُ عنــده اللبس

أضحى بوحشيّ المشيب ، ولي بعد الشبابِ بِذِكْرِهِ أنس

ومُسايراً زمنين في عمــري مصباحُ ذا قمرٌ ، وذا شمْسُ

دُنْيا الفتَى تَفْنَى لذا خُلِقَتْ وتموتُ فيهــا الجنّ والإنْس

إنّا لآدمَ كلّنــا ولدٌ وَحِمــامُنَا بحمامــه جِنْس

وأقلّ منــا يبقى الجدارُ إذا ما انهدّ تحتَ بنائه الأس

يا ربّ إنّ النارَ عاتيَةٌ وبكلّ سامعــةٍ لها حَسّ

لا تجعلنْ جسدي لها حَطَبَاً فيــه تُحَرِّقُ منّيَ النفس

وارْفقْ بعبدٍ ، لحظُهُ جَزِعٌ يومَ الحساب ، ونُطْقُهُ همس

١٦٧

وقال أيضاً

تخريجها : منها في الواقي البيت الثاني والثالث

حَمَى حِمى المُلْكِ [منه] صارمٌ ذَكَرٌ مُقَابِل الجود بالعلياء في الباس

يرعى الرّعايا بعينٍ من حفيظتِهِ ويبسطُ العدلَ منه ليّنٌ قاس

كأنّ سَوْرَةَ كسرى عِنْد سَوْرَتِهِ سكونُ صورةِ كسرى وهو في الكاس

١٦٨

وقال أيضاً

تخريجها : منها في الوافي الأبيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ .

لو أنّ رَبْعَ شبابي غيرُ مُنْدَرِسِ ما بتّ أُوحَشُ من جوْرِ المها الأُنُسِ

من كلّ روضةِ حُسْنٍ زَهْرُها أرِجٌ تُهْدي الهوى ليَ في لحظٍ وفي أنَسِ

لمّـا تَظَلّمَ من أطرافِهـا عَنَمٌ فاسحل[1] أقحوان الظّلْمِ واللّعَس

تديرُ بالسّحْرِ عَيْنَيْ أمّ شادِنَةٍ بفاترِ اللحظ للألبابِ مُخْتَلِسِ

وما رأيْتُ مهاةً قبلها وُصِفَتْ في السرب بالشمّم المعشوق لا الخَنَس

لها محاسنُ ، من غبنِ الشباب غدت محاسِنُ الغيدِ منها وهي كالذلَس

تُصبي الحليمَ وتَسْبيهِ فَمُبْصِرُها كمنتشٍ في خَبَالِ السّكْرِ مُنْغَمِس

شمس شَمُوس عن الشيب الذي جمحتْ عنه ، وذاتُ عنـانٍ للصبا سَلِسِ

إني لأعجبُ ، والآرام مُجْبَنَةٌ[2]، من رِئمِ خِدْرٍ لليثِ الغيل مفترس

لاح القتيرُ فأقمـارُ البراقعِ لم تَطْلُعْ عليّ وقُضْبُ البانِ لم تمس

حتى كأنّ بَياضَ الشيب منتقلٌ إلى سوادِ عُيُونِ الخُرّدِ الأنس

---

١ كذا ولعلها : جارت على .

٢ مجبنة : منسوبة إلى الجبن وفي م « محنية » ولا معنى له يناسب المقام .

إن فاتني قَنَصُ الغزلان نافرةً — فقد ترى من خيول الهمِّ ما فرسي

كم أشهبٍ صادَ غزلان الصوارِ فما — لأشْهبي راسخُ الأرساغِ في دَهَسِ[1]

ستّ وستونَ عاماً كيف تُدرك بي — مَن عُمْرُها يَنْتهي منها إلى السدس

لله دَرّ شبابٍ لستُ ناسيَهُ — لو أنّهُ كان إنساناً لقلتُ نَسي

يَسْقي محاسنَ ذاتِ الربعِ مُعْطِشُها — سَحّاً بكلّ ضَحُوكِ البرق منبجس

وداخِلاتٍ على الظَلْماءِ[2] سَبْسَبَها — بكل خِرْقٍ عريقٍ في العلى نَدِسِ[3]

كأنها وهي ترمي المقفراتِ[4] بهم — من الوجيفِ نبالٌ ، والهزالِ قِسي

مثلُ الحواجبِ لاذتْ وهي ظامئةٌ — بأعينٍ بالفلا مطموسةٍ دُرُس

لا يُحْبَسُ الماءُ إلاّ في ثمائلِها — تيهاً فتحرس نقطناً بالكبود حسي

من كلّ داميةِ الأخفافِ مرْقلةٍ — ترتاعُ مِنْ صَوْتِ حادٍ خلْفها شرِس

مستوحشٍ من كلام الإنس تُؤنِسُهُ — من جُوَّعٍ من ذئابِ المهمه الطُلُس

ماذا تقولُ ولجّ البحر يسحبه[5] — إنّ السفينة لا تجري على اليبس

قفْ بالتفكرِ يا هذا على زَمَنٍ — جمّ الخطوبِ وَمَثّلْ صَرْفَه وَقِسِ

---

١ دهس : مطمئن رخو من الأرض .

٢ الوافي : وراحلات على يهماء .

٣ الخرق : النشيط الماضي في الأمور . الندس : الفهم الفطن .

٤ هذه هي رواية الوافي وفي م : المقصرات .

٥ الوافي : ولج الآل يحملها .

ولا تكنْ عنـده للسلمِ ملتمساً فالأريُ في فم صل غيرُ مُلْتمَس
إنّ الفتى في يديه المالُ عاريةٌ كالثوب عُرّي منه غَيْرُهُ وَكُسي
وإنّه ليُنَمّيـه ويُودِعُـهُ من الصبابة بين الحِرْصِ والحَرَس
إن الهوا لمحيطٌ بالنفوسِ فقُلْ هل حظّهـا منه غيرُ الفوْتِ بالنفَس
إني امروءٌ وطباعُ الحقّ تَعْضُدُني مُطَهّرُ العِرْضِ لا أدْنو من الدّنَس
ألِفْتُ حُسْنَ سكوتٍ لا أُعابُ بهِ ولي بيانُ مقالٍ غير مُلْتَبس
فما أُحرّكُ في فكّيّ عن غَضَبٍ لسانَ مُنْتَهِشِ الأعْراض منتهس
قد يَعْقِلُ العاقلُ النحريرُ مَنْطِقَهُ وربّ نُطْقٍ غدا في الغيِّ كالخرس
والجهلُ في شيمةِ الإنسان أقتلُ من تخلخل النّبْضِ في بُحرانِ مُنتَقِس[1]

١٦٩

وقال في الشيب

فعوّضْتُ شيباً من شبابي كأنّني تولّيْتُ عن ظلّ برغمي إلى الشمسِ
وقَطْعي بعيشٍ بعد ستّين حجّةً أرى فيه لَبْساً والتخوّف في اللبس
ذنوبيَ تنمي كلّ يومٍ تكسّباً فيومي بها في اليوْم أثقلُ من أمسي
ألا آمنَ الرحمن خوفي بِعفْوِهِ فإنّيَ من نفسي أخافُ على نفسي

١ البحران : حالة يحدث بها المريض استفراغ وتغير عظيم في الأمراض الحادة كالحميات .

حرف الشين

١٧٠

وقال أيضاً

أسلمني الدّهرُ للرّزايا وَغيّرَ الحادثاتُ قَفْشي[١]
وكنْتُ أمْشي ولستُ أعْيَا فصرتُ أعيا ولستُ أمشي
كأنّني إذْ كبرتُ نَسْرٌ يُطْعِمُهُ فَرْخُهُ بِعُشّ

أخبرني أبو محمد عبد الجبار وقد سألته عن التمثيل بالنسر فقال: ذكر بعض العلماء بأسرار الحيوان انّه ليس في الطير ما يطعمه ولده إلا النسر وذلك إذا ضعف عن الطيران للتكسب .

١ القفش : النكاح . وأرى الأصوب أن تقرأ « نقشي » أي أن الزمن غير سمته وطابعه ، ومن معاني النقش : الأثر في الرمل وهو مناسب لذكر المشي في البيت التالي .

حرف الصاد

١٧١

وقال أيضاً

أسُعادُ إنّ كمالَ خَلْقِكِ رَاعَنِي فرَأيْتُ بدرَ التمّ عَنْهُ ناقِصا

أرُضابُ فيكِ سلافةٌ نَشَوَاتُهَا يمشين من طَرَبٍ بِقَدّكِ راقصا

بحرٌ بعيْنِي لم يزَلْ إنسانُهَا فيه على دُرِّ المدامعِ غائصا

كم أحْوَرٍ لمّا رآكِ رأيتُهُ يَرْنُو إلى تَفْتيرِ طرفِكِ شاخصا[1]

هل ظنّ ثَغْرَكِ أقحواناً ناضراً ترعاهُ غزلانُ الفلاةِ خمائصا

حتى إذا لاح ابتسامك يجتلي دُرّاً على عينيه ولّى ناكصا[2]

لا تقنصيه كما قنصتِ متيّماً فالرّئمُ لا يغدو لِرِئمٍ[3] قانِصا

---

١ في ب : يرنو إلي بعين طرفك شاخصا .

٢ في ب : حتى إذا برقعت عاود ريبة ومضى على الأعقاب منه ناكصا

٣ في ب : يضحي بريم .

١٧٢

وقال يصف البق والبرغوث والبعوض

نَوْمي على ظَهْرِ الفراشِ مُنَغَّصُ ... والليلُ فيه زيادةٌ لا تنقصُ
من عادياتٍ كالذئابِ تذاءَبَتْ ... وَسَرَتْ على عَجَلٍ فما تَتَرَبَّصُ
جَعَلَتْ دمي خمراً تُداوِمُ شُرْبَها ... مُسْتَرْخِصاتٍ منه ما لا يُرْخص
فترى البعوضَ مغنّياً بربابِهِ ... والبقُّ تشربُ والبراغثُ ترقص

١٧٣

وقال أيضاً

بأيّ وفيّ في زمانك تَختصُّ ... فيغلو غلوّاً في يديكَ له رُخْصُ
وكم من عدوّ كامنٍ في مُصادِقٍ ... وَمَوْضِعِ أمْنٍ فيه يحترسُ اللص
وكم فرَس في الحسن أكمِل خلقُهُ ... فلما عَدا في الشأوِ أدركهُ النقص
وكم منظرٍ في البزْلِ قُدّم في السرى ... فلما استمرّ النصُّ أخّرَهُ النص
كذاكَ خليلُ المرءِ يدعو اختبارُهُ ... إلى ما يكون الزهدُ فيه أو الحرصُ
ولا خيْرَ في خُلُقٍ يُذَمّ بجهله ... وَيُحْمَدُ منه قبْلَ خبرته الشخص

وما المالُ إلا كالجَناحِ لناهضٍ وقد يَعْتريهِ عن حوائجه القَصّ
وكم فاضلٍ ملبوسُهُ دونَ قَدْرِهِ وعَا الجوهرِ الأجسام لا الدرّ والفص

١٧٤

وقال أيضاً

خُذْ بالأشَدّ إذا ما الشرعُ وافَقَهُ ولا تمِلْ بك في أهوائكَ الرُّخَصُ
ولا تكنْ كبني الدنْيا ، رأيتُهُمُ إن أدْبَرَتْ زَهِدوا أو أقبلَتْ حرَصوا

١٧٥

وقال أيضاً

وزاهـدٍ في المالِ لا ينْثَني في قِممِ العلياءِ عن حِرْصِهِ
ليستْ ترى عيناهُ شِبْهاً لـه مُبَرّأً في الفضْلِ من نقصه
كأنّمَا العـالمُ مرآتُهُ فما يرى فيها سِوَى شَخْصِهِ

حرف الضاد

١٧٦

وقال أيضاً

صِحّاتُنَا بالزمانِ أمْرَاضُ ... وَدَهْرُنا مُبْرِمٌ وَنَقّاض

وَللّيالي في صَرْفِها عِبَرٌ ... فهْيَ سهامٌ ونحن أغْراضُ

١٧٧

وقال يصف نهراً ينبعث من عين ماء

ومُرْوٍ صَدى الرّوضاتِ يسحبُ دائباً ... على الأرْضِ منه جُمْلَةٌ تَتَبَعّضُ

إذا ما جرَى واهتزّ للعينِ مزْبِداً ... حَسِبْتَ به فرواً من النّسْرِ يُنْفَضُ

وتنسابُ منه حَيّةٌ غير أنها ... تطولُ على قَدْرِ المَسابِ وتعْرُضُ

وتحسبُهُ إن حَبّكَتْ مَتْنَهُ الصَّبا ... عموداً علاهُ النّقْشُ وهو مُفضَّض

لهُ رِعْدَةٌ تعتادُهُ في انحداره[1] كما تَبْسُطُ الكف العنانَ[2] وتقبض

كأنّ له في الجسم روحاً إذا جرى[3] به نَهْضَةٌ والجسمُ بالروح يَنْهض

وما هوَ إلا دمْعُ عينٍ كأنّهـا لطولِ بكاءٍ[4] دهرَهَـا لا تُغمـّض

إذا سَرَحَتْ للسقي من كلّ جانبٍ رأيتَ بقاعَ الأرض منها تُرَوِّض

يقيمُ عليها الأنسُ ، والصبحُ مقبلٌ ويرحلُ عنها الوحشُ ، والليل معرض

١٧٨

وقال أيضاً في الناقـة

تخريجها : في النهاية منها الأبيات ١ – ٤ ، ٦

ومن سُفُنِ القَفْرِ سَبّاحةٌ من الآلِ بَحْراً إذا ما اعتَرَضْ

لهـا شِرّةٌ[6] لا تُبالي بهـا أطالَ لها سبْسَبٌ أم عَرُض

إذا خَفَقَ البَرْدُ بي خِلْتَني عـلى كورها طـائراً ينتفضْ

---

١ في ب : اعتداده .

٢ في ف : البنان .

٣ في ب : كأن له روحاً إذا جسمه جرى .

٤ في ب : بكاها .

٥ في النهاية : البر .

٦ في النهاية : سيرة .

وإنْ يَعْرِضِ[1] البعضُ من سيرها   تَرَ العيسَ من خلفها تنقرِض

فلو عُوّضَ المرءُ منهـا الصِّبـا   لما رَضِيَتْ نَفْسُه بالعِوَض

هي القوسُ ، إنّي لَسَهْمٌ لهـا   أُصيبُ بكلّ فلاةٍ[2] غَـرَض

إذا انبسطتْ للسُّرَى أيْأَسَتْ   سَنَـا البرق منّيَ أو تَنْقَبِض

وَعَذْبُ الـدموعِ دليـلٌ على   بُكاءِ تَبَسُّمِ بَرْقٍ وَمَض

كأنّي من البُعْدِ إذْ شِمْتُهُ   جَسَسْتُ بعرقيَ عِـرْقاً نَبَض

تَرَفّعَ نحوَ ربـوع الحمى   وحـلَّ عَزَالِيَهُ وانخفض

وجـادَ على التُّرْبِ من صَوْبِهِ   بِرِيِّ الصدى وشفاءِ المـرض

---

١ في النهاية : نفر .

٢ في النهاية : أصبت بكل فلاة .

١٧٩

وقال يرثي عمر الشاعر الزكرمي[1]

أيا خُلُجَ المدامعِ لا تغيضي وَذُوبي غَيْرَ جامدةٍ وَفيضي
فقد قُلِبَ التأسّي بالرّزايا أسىً ملأ التراقيَ بالجريض[2]
أراكَ على الرّحيلِ بأرْضِ مَحْلٍ فقيرَ الرّحْلِ من زادٍ عريض
فَدَعْ أشَرَ الجَموحِ وكُنْ ذليلاً لعزّ الله كالعَوْدِ المروض
فلستَ مُنَعَّماً بيَدَيْ حبيبٍ ولا بِمُعَذَّبٍ بيدي بغيض
وأشقى الناس في الأخرى [ابن] دنيا يقول لنفسه في الغيّ خوضي
أما شَرَحَتْ له عِبَرُ الليالي معانيَ بَعْدَ مُلْتَبِسِ الغموض
وناحتْ هـذه الدنيا عليـه فظنّ نياحهـا شَدْوَ القريض
فلا يغترّ بالحـدثانِ غَمْرٌ لذيذُ النوم في طَرْفٍ غضيض
فقد يُصْمي الرّدى في الوكر فرخاً فَيَرْتَعُ منه في لحمٍ غـريض
وَيُبْلي غَيْرَ مُسْتَبْقٍ حيَاةً لِقَشْعَمٍ شاهقٍ مَيْتِ النهوض

---

١ في المطبوعة : الذكرمي ، والتصحيح عن معجم البلدان مادة «زكرم» ؛ قال ياقوت : زكرم إما قرية بافريقية أو الأندلس وإما قبيلة من البربر . ونقل عن السلفي شعراً قاله أبو حفص العروضي الزكرمي ، وهو هذا الذي يرثيه ابن حمديس ، وشعره يدل على أنه كان بالأندلس وربما عرفه ابن حمديس هنالك .

٢ الجريض : الحزن .

ويُلْحِمُهُ ابنُـهُ ما اختار نهساً بِمِنْسَرِهِ المُدَمّى من أنيضِ

وساعاتُ الفتى سُودٌ وبِيضٌ تُرَحِّلُ سُودَ لِمّتِهِ ببيض

يذوقُ المرءُ في مَحْياهُ موتاً جُفُوفَ الزَّهْرِ في الروض الأريض

وأشراكُ الرّدى في الغيب تخفى كما يَخْفَيْنَ في تُرْبِ الحضيض

عجبتُ لِجَمْعِهِ فيهنّ صَيْداً بها بين القشاعم والبَعوض

رأيتُ الخلقَ مرْضى لا يُداوَى لهم كَلَبٌ من الزّمَنِ العضوض

ولا آسٍ لهم إلاّ مريضٌ فهل يُجْدي المريضُ على المريض

يواصلُ فيهم فتكُ ابن آوى وهم في غَفْلَةِ البَهَمِ الرّبيض

وما ينجو امرؤ من قبضتيه يُدِلّ بسبق مُنْجَرِدٍ قبيض

وقالوا الزكرميّ أُذيقَ كأساً يحولُ بها الجريضُ عن القريض

فقدتمْ في المُعَلّى كبْرَ حَظٍّ له بالفائزين نَدَى مُفيض

يطيرُ به جَنَاحُ الطّبْع سَبْقاً من الإحسانِ في جوٍّ عريض

ولو مُزِجَتْ حلاوَتُهُ بنفطٍ لَساغَ وَجَلّ عن حَصَرِ القَضيض

لقد عَدِمَ المُعَمّى منه فكّاً ومات لموته عِلْمُ العَروض

أبا حفصٍ تركتَ بكلّ حزْنٍ عليكَ الفضلَ ذا قلبٍ مهيض

يُرَوّي اللهُ ترباً نِمْتَ فيه فباكي المُزْنِ مُبْتَسِمُ الوميض

فقد أبقيتَ ألْسِنَةَ البرايا بفخرِكَ في حديثٍ مستفيض

١٨٠

وقال يصف هلالاً

وابنُ السماءِ ينيرُ مَطْلَعُهُ فَيَسُرُّ مَوْلِدُهُ[١] بني الأرْضِ

فكأنّه في أفْقِهِ[٢] ضِلَعٌ نَحِلَتْ وقد[٣] عَرِيتْ من النحض

١٨١

وقال في الشيب

تخريجها : ١ ، ٢ في الوافي

ولّى شبابي وَرَاعَ شَيْبي مِنّيَ سِرْبَ المها وَقَضّهْ

كأنّما المشطُ في يميني تجرّ منه خيوطَ فِضّه

---

١ في ب : مطلعه .

٢ في ب : شكله .

٣ في ب : عوجاء قد .

حرف الطاء

١٨٢

وقال أيضاً

وَمُعْرِضَةٍ وَلّتْ تَمُدّ تَجَنّباً[1] قصارَ خطاها عن مشيبيَ والوخط[2]

عسى للرّضى في بعض خلقلك[3] رقيةٌ مجرّبةٌ يُرْقَى بها خُلُق السخط

عقيلسةُ حيٍّ لا ترى ذاتَ بينهم تُراعُ ببينٍ من نَوَاهُمْ ولا شحط

تَرَى ما ترى من بأسهمْ في عداتهم بأطرافِ بيض الهند والأسَل الخطي

أخاديدَ ضَرْبٍ يحقر الشكلَ شكلها وآثارَ طعن يزدرين على السقط

---

١ في « م » : تحبباً .

٢ في « م » : قصار . . . من مشيبي عن الوخط .

٣ في « م » : حفظك .

١٨٣

وقال أيضاً

تخريجها : في الخريدة منها البيتان الثاني والأول

وثابتةِ الوقفين جَــوّالَةِ القُرْطِ[١] أصَبْتُ رَشادي في هواها[٢] ولم أخْطي

إذا مَشَطَتْ فرعاً تَفَرَّعَ ليلُهُ وطالَ من القيناتِ فيه سُرَى المشط

تقومُ فيغشاهــا له بحرُ ظلمــةٍ ترى قَدماً منهــا تقبل بالشط

---

١ الخريدة : بثابتة الخلخال خافقة القرط ؛ والوقف : السوار .

٢ الخريدة : في الغرام .

حرف العين

١٨٤

وقال أيضاً [في انقطاع الكتب]

إذا كان في الكتب اتّصال لقائنا فكلّ فراقٍ موجِـعٌ[١] في انقطاعها

وإن كانت الأيّام مطبوعـةً[٢] على خِلافي فقُلْ مَنْ لي بِنَقْل طباعها

فلا تقطعوا عنّا سطورَ رسالةٍ تُمَثّلُ لي أشخاصَكُمْ في سماعها

فلي كَبِدٌ بالبين منكم تَصَدَّعَتْ وطولُ اغترابي زائدٌ في انصداعها

لأصْبَحْتُ في الدّنْيا حريصاً عليكمُ ألا إنّ مثلي زاهدٌ في متـاعها

---

١ في ب : لقربنا ، وكل فراق موجع ، ورواية «م» مرجع .

٢ في ب : مجبولة .

١٨٥

وقال أيضاً

حتّى متى بين اللوى فالأجْرَعِ لَوْماً ، فما أمرُه في مسمعي
ويحكَ لو كنتَ وفيّاً لم تَقُلْ : « ويحكَ لا تبكِ برَسْمٍ بلقعِ »
وهو الحمى سَقْياً لأيّامِ الحِمَى فإنّها ولّتْ ولمّا ترْجِع
ما لكَ لا تبكي بكاءً بالأسى بين رسومٍ وبَوَالي أربُع
بأدمعٍ بين الجفونِ حُوّمٍ وأدْمُعٍ على الخدود وُقّعِ
وزفرةٍ موصولةٍ بزفرةٍ تَصْعَدُ عن نارِ حشىً مُلَذّعِ
وقفتَ في الدار بعينٍ لا ترَى تَغَيُّرَ الرَّبْعِ وأُذْنٍ لا تعي
ولوعةٍ بالشوق غيرِ لوعتي وأضلعٍ في الوجد غيرِ أضلعي
وإنّما يبكي بكائي شجناً ووَجِيعٌ يعرف فيه وجَعي
لو أنْطَقَ المربَعَ وهو أخرسٌ تَضَرُّعٌ ، أنْطَقَهُ تضرُّعي
ووقعةٍ رَدّتْ قيانَ وُرْقِهِ نوائحاً بالحزن يبكين معي
كأنّها وما لها [من] أدمعٍ أعارها القطرُ سجالَ أدمعي
يا منزلاً تَنْشُرُه يدُ البلى نَشْرَ يمانٍ خَلَقٍ لم يُرْقَعِ

بالله خبرني أأنت رَبْعُهُمْ أم أنْتَ مَرْعًى للظباءِ الرُّتَّعِ
فقال : بل ربعُهُمُ وإنّمـــا تَحَمّلَتْ عني شموسُ مطلعي
أدرئة الغَوْط[1] سرن ظبيـــة تدير عَيْنَيْ فتنةٍ في البُرقع
سيفٌ وسهمٌ لحظهــا ولهذمٌ يا عجبــاً لفتكهــا المُنَوَّعِ
كأنّما تبسمُ إن مـــازحتها عن بَرَدٍ بين بروقٍ لُمَّعِ
كأُقْحوانِ روضَــةٍ يَصْقُلُــهُ مِدْوَسُ شمسٍ في النّدى المميَّعِ
كأنّ في فيهـا سلافَ قهوةٍ صرفٍ بماءِ ظَلْمِها مُشَعْشَعِ
إذا رضيعُ الكاس أصغى سَحَراً إلى صفيرِ الطّائرِ المُرَجِّعِ
خُصّتْ من الصوتِ بمعنى مؤيسٍ من لغة الوصل ولفظ مُطْمِعِ
ومهمَــــهٍ مُتّصِــلٍ بمهمهٍ مَرْتٍ بموّاج السراب مُتْرَعِ
كأنّ منشورَ المُلاء فوقـه متى تَمِلْ ذكاءُ عنها تُرْفَعِ
كأنّمــا جُنْدُبُــه مُرَجِّعٌ نغمةَ شادٍ ذي لحون مُسْمِعِ
يذيب صمَّ الصخر حرٌّ لاذعٌ يقبضُ فيه روحَ كلّ زعزعِ
لكلّ غارٍ فيه ماء ، وشَوَى فيه أُوَارُ الشمس كلّ ضفدعِ
لا نارَ تُذْكَى في الدجى لسَفْرِهِ إلا بريقُ مقلـة السمعمع[2]

[1] أدرئة : ما يتدرأ به أي يستتر . الغوط : المطمئن الواسع من الأرض .
[2] السمعمع : وصف للذئب لخفته وسرعته .

تَعْسِلُ منه جانباه إنْ عَدا مثل اضطراب السمهريِّ المشرع

يَقْفُو رَذايا جُنَّحاً في السير لا تُوضَعُ عنهنّ سياطُ المُزْمع

يصكّ منها دَأَياتٍ[1] دملت فهي بشمّ الأنف فيهـا ترتعي

وذاتِ أخفافٍ سَرَتْ أربعها منتعـلاتٍ بالرياحِ الأربع

كأنهـا وللنجاةِ مـا نجت منهوشةٌ بين أفاعٍ لُسَّع

تُحْدَى بسحرٍ ساهرٍ في نِغْضَةٍ[2] شهمِ الجَنَانِ لوذعيّ ألمعي

والشهبُ كالشهبِ لسبْقٍ أرْسلتْ لمغربٍ فيـه أُفُولُ المطلع

كأنّهـا واضعـةٌ خُدُودَها لهجعـةٍ فيه وإنْ لم تَهْجَعِ

١٨٦

وقال أيضاً

ومحسودةٍ — لا تحسُدِ الغيدُ مِثلها — لها في عميم الخَلْقِ حُسْنٌ مُنَوَّعُ

إذا انْعَطَفَتْ فالخوط[3] بالبدر ينثني وإن نظرتْ فالعينُ بالسحر تنبع[4]

---

١ الدأيات : أضلاع الكتف .

٢ أي يحرك رأسه .

٣ في ب : فالغصن .

٤ في ب : بالحسن تقنع .

ولمّــــا تلاقينا تَكَلَّمَ مِقْوَلٌ بسرِّ الهوى منها ، ومنيَ مــدمع
بدرّيْنِ مَسْتُورَيْنِ فالدرّ منهما يُرَى جــارياً بالشوق واللفظُ يسمع
شكوتُ ونطقٌ بيننــا فــلأيّنا يبرح الجوى في مَذْهبِ الحكم[1] يقطع
ومالتْ إلى تأنيسنا بعد وحشَةٍ بأجوفَ لم تُخْلَقْ لجنبيه أضْلع
تمــدّ إلى تنغيمه سُبْطَ أنملٍ كأقــلام دُرٍّ بالعقيق تقمــع
إذا وَتَرٌ هَزّتْهُ بالنقْرِ[2] خِلْتَهُ يئنُّ من الآلام أو يتَضَرّع
وينبضُ كالشريان إن عبثتْ به وَجَسَّتْهُ منهــا باللطافة إصبع
عواملُ سحرٍ في عواملِ أنملٍ بها يُخْفَضُ القلبُ الطروبُ وَيُرفعُ

١٨٧

وقال أيضاً

ولمّا رأتْ طَيْرَ الفراقِ نَوَاعِباً وقد همّ بالتوديع كلّ مودع
شكتْ ما شكا المحزون من عزْمة النوى فأبكتْ لها عينيْ غَزَالٍ مُرَوَّع
ولم أرَ في خدٍّ يُزَرَّرُ قبلها من الغيد شهباً[3] في غمامة برقع

---

١ في ب : في الحكم بالله .
٢ في ب : بالنقر هزته .
٣ في ب : شمساً .

وقد سفرت عن صفرةٍ عَبّرَ الأسى لعيني بها عن وَجْد قلبٍ مفجع
وأقبلَ دُرّ النحر فوق تريبها يصافِحهُ[1] من خدّها دُرّ أدْمُع
فيا ربّ إنّ البينَ أضحتْ صُرُوفُهُ عليّ وما لي من معينٍ فكنْ معي
على قُرْبِ عُذّالي وبُعْدِ حبائبي وأمْوَاهِ أجفاني ونيرانِ أضلعي

١٨٨

وقال أيضاً

كلّ يوم مودَّع أو مودَّعْ بفراقٍ من الزّمان مُنَوَّعْ
فانقطاعُ الوصال كم يتمادى وحصاةُ الفؤادِ كم تتَصَدّع
ليت شعري هل أرتدي بظلامٍ لا يراني الضياءُ فيه مروّع
بحداءٍ من واصفِ البين غادٍ ونَعيبٍ من حالكِ اللّون أبقع
فبنارِ الأسى يُحَرّقُ قَلْبٌ وبماءِ الهوى يُغَرّقُ مدمع
هذه عادةُ الليالي فلُمْها وهي لا تسمعُ الملامة ، أو دع
تَطْعَنُ الحيّ فالجسومُ بواقٍ في يدِ السّقْمِ والنفوسُ تُشَيّع

---

[1] في ب : فصافحه .

وكأنّ الحسانَ زُوّدْنَ صَبْري فهو بالبين بينهن يوزع

كلّ نمّامةٍ الرياح تلاقي منــه أنفاسَ روضةٍ تتضوّع

يلمعُ الماءُ في سنا الخدّ منهـا فكأنّ الرحيقَ منــه يشعشع

تنتحي بالأراك ثغرَ أقــاحٍ للنــدى فيه ريقةٌ تتميّع

نَصّلَتْ في القوامِ باللحظ منها صعدةً في يدِ المـلاحة تُشْرَع

تجرحُ القلبَ ، والأديمُ صحيحٌ فعن السحر منه حدثتُ فاسمع

قفْ وقوفَ الحيا بدمنَةِ ربعٍ ضَيّعَ الدمعَ فيه رسمٌ مُضَيّع

دارسٌ لا تزالُ غُبْرُ السّوافي تَفْرِقُ الترْبَ فيـه ثُمّتَ تجمع

كم به من سوانحٍ في المغاني آمناتٍ من نبأةِ الخوفِ ترتع

وظباءٍ كأنّهُنّ دُمَاهُ ، حينَ تَرْنو، لو أنّها تَتَبَرْقَعْ

وحبيسٍ عـلى الفلا زمخريٍّ[1] خاضبٍ أفتخِ الجناحين أقْزَع

رافـعٍ في الهواءِ طُولى[2] عليها عنقٌ كاللّواءِ في الجيش يُرْفَع

تحسب العين رجله نصب رحل أصلمٌ ليْتَ أنّه كان أجدع

إنّ ثوبَ الصبا يمزّق منّي ما الّذي بالخضاب مِنْه يُرَقّع

فعصتني الفتاةُ كَيْداً وكانتْ في الهوى من يدي إلى الفمِ أطوع

---

١ زمخري : طويل .

٢ طولى : مؤنث أطول وهو يعني هنا رجله .

أنبتَ الدهرُ في المفارقِ شيباً بهموم في مُضْمَرِ القلب يُزْرَع

وابتدا والنوى بيمناه تبدي صورة الماء في السراب ، فتخدع

بشمالٍ تثني عليها جنوباً بهبوبٍ ، يقلقلُ الكورَ زعزع

كلما أمرعت ببقلٍ جُفالٍ قلتُ بالجمر من حمى القيظ تُلْذَع

حيثُ أذكتْ ذكاءُ فيها أواراً يَلْفَحُ الوَجْهَ في اللثام فيَسْفَعْ

وإذا ما لَمَسْتَ جَدْوَلَ ماءٍ خِلْتَهُ حيّةً من الحرِّ تَلْسع

أنا نبعٌ لا خِرْوَعٌ عند عمري وأرى العود منه نبعٌ وخروع

لستُ أثني عن السُّرَى في طريقٍ خيّمَ الليلُ فوقه وهو خيدع[1]

فكأنّي خُلِقْتُ جوّابَ أرضٍ أصلُ العزم حشوها وهي تقطع

وكأنّي في مِقْوَلٍ من زماني مَثَلٌ وافدٌ على كلّ مسمع

---

[1] الخيدع : الذي لا يوثق بمودته وإذا وصف به الطريق فمعناه المخالف للقصد .

١٨٩

وقال أيضاً

أيا جزَعي بالدار إذ عنّ لي الجزعُ ... وقاد حِمامي[١] من حمائمه السّجْعُ

وعاودَني فيها رِداعي ولم أشِمْ ... ترائبَ عُوّادٍ يضمّخُها الرّدْع[٢]

وقفتُ بها والنفسُ من كلّ مقلةٍ ... تذوبُ بنارٍ في الضلوع لها لذْع

مُطيلاً مُطيلَ النّوْح لو أنّ دِمنَةً ... لها بَصَرٌ تَحسَبُ الحوادث أوْ سَمْعُ

طلولٌ عفت آياتُهـا فكأنّما ... غرابيبُها جِزْعٌ وأدْمانُها وَدْع[٣]

حكى الربعُ منها بالصدى إذ سألتُـهُ ... كلاميَ حتى قيل هل يَمْزَحُ الربع

تخط مع المحل[٤] الجنوب بمحوها ... سطورَ البلى فيها وتعجبها المِسْعُ[٥]

ولم يبق إلا ملعبٌ يبعث الأسى ... ويدعو الفتى منه إلى الشوق ما يدعو

ومجموعـةٌ جمع الثلاث ولم تَزِدْ ... عليه صوالي النار أوجهها سفع

---

١ في ب : وهاج بكائي .

٢ في ب : ولم يكن لمنفعة اللوام عني بها ردع .

٣ في م : عرائنها جذع وأدمانها فرع ؛ وهو شديد التصحيف ؛ والمعنى أن ليس في الدار بعد عفائها إلا الغربان والظباء ، فالغربان سود كالجزع والظباء بيض كالودع .

٤ في ب : تحط على المحو .

٥ المسع : ريح الشمال .

لبسنَ حدادَ الشكل وهي مقيمةٌ   على ميّتٍ نارٍ لا يفارقها فَجْـع
ومضروبةٌ بين الرّسوم وما جَنَتْ[1]   عقاب النوى من هامها الضرب والقلع
ومحلولكٌ ما فكَّ زيجاً ولا له   بيسرٍ قضاء[2] النجم علمٌ ولا طبع
أبان لنـــا عن بَيْنِنا فَلِسانُــهُ   علينا لـه قَطْعٌ أُتيحَ له القطع
إذا لم تكن للحيّ داراً[3] فما لها   إذا وقفَ المشتاق[4] فيها جرى الدمع
ليــاليَ عودي يكتسي وَرَقَ الصبا   وإذ أنا إلفٌ للجآذر لا سِمْع
وينبو عن اللوم المعنِّفِ مسمعي   بِمَنْ حُسْنُها بين الحسان له سمع
فتاةٌ لها في النفس أصلٌ من الهوى   وكلّ هوًى في النفس [من] غيرها بدع
وتبلغُ بنتُ الكرم من فرح الفتى   بلذّتها ما ليس يبلغه البِتْعْ[5]
يصدّ الهوى عن قطفِ رمان صدرها   وإن راقَ في خوط القوام له ينع
وكم من قطوفٍ[6] دانياتٍ ودونها   تعرض أشراع من الرمح[7] أو شرع
تريكَ جبيناً يُخجِلُ الشمسَ هيبةً   وخَلْقاً عميماً في الشباب له[8] جمع

---

١ في ب : وذات شجاج بالعشاء وما جرت .
٢ في ب : بغيب قضايا .
٣ في ب : إذا لم يكن للحي دار .
٤ في ب : الركبان .
٥ البتع : نبيذ العسل .
٦ في ب : ورب قطوف .
٧ في ب : حمى تتقى منه المنية .
٨ في ب : للشباب به .

وتبسمُ في جُنح الدجى وهو عابسٌ فيضحكُ منها عن بروقٍ لها لمع

وبيدٍ أبادتْ عيسنَا بيبابهـا فهن غراث في عجافٍ لها رتْع

إذا سمعَ الحادي بها السَّمْعُ ظنَّهُ كريماً على نَشْزٍ لمأدُبَةٍ يدعو

فكم من هزيلٍ[1] في اقتفاء هزيلةٍ ليأكلَ منها فَضْلَ ما أكل السّبع

فإن يهلك الايجاف[2] حرفاً بمهمه فإنهما السيفُ المُجرّدُ والنّطعُ

نَحوْتُ عليها[3] كلّ حرْفٍ بعـاملٍ من العزْم مخصوص به الخفضُ والرّفع

وعاركتُ دهري في[4] عريكةِ بازلٍ ينوءُ به هادٍ كما انْتصَبَ الجذع

وما خارَ عُودي عند غمز مُلمّةٍ وهل خار عند الغمز في يدك النبع

وملتحفٍ بالصقل من لمع بارقٍ[5] يُطيرُ فَرَاشَ الهام من حدّه القرع

أقام مع الأحقـاب حتّى كأنّما لِحَدّيْه عنه[6] من حوادثهـا دفع

وتحسبُ أهوالَ الحروبِ لشيبه وكلّ خضابٍ في ذوائبه رَدْع

إذا سُلّ واهتزّتْ مضاربُهُ حكى أخا السلّ[7] هزّته بأفْكلها الرِّبْع

١ هذه هي رواية ب ، وفي «م» : مذيل .
٢ هذه هي رواية ب ، وفي م : الاجراف .
٣ في ب : يجوب عليه ، وما هنا أجود .
٤ في ب : عن .
٥ في ب : باللمع من شيم بارق .
٦ في ب : الأجفان . . . بحديه منها .
٧ في ب : السقم .

وتحسرُ منه أنفسٌ هلكتْ بـه		فما صارمٌ في الأرض من غمدهِ سقع
أأذكى عليه القينُ بالرّيح نارَهُ		وأمكنه في الطبع[1] بينهما طَبْع
أصـاعقةً منقضّةٌ من غراره		يهولُكَ في هـامِ الرواسي لها صدعُ
وجـامدةٍ فاضت فقلنا تعجباً		أنهرٌ[2] تمشّت فوقه الرّيح أو درع
وأحكمها داودُ عن وَحْيِ ربّهِ		بلطفِ يدٍ ، قاسي الحديدِ لها شَمَعُ
ترى الحلقاتِ الجُعْدَ منها حباتكاً		مُسَمَّرَةً فيهـا مساميرُها القرع
سرابيّةُ المرأى وإن لم يَرِدْ بها		على الدِّمْرِ طعنٌ يتقيه ولا مصع
وعـذراءَ يغشاها ذكورُ أسـنّةٍ		وتُثْنَى بجمعٍ كلّما افترقَ الجمع
ومنجردٍ كالسيد[3] يُعْمِلُ أرضَهُ		فيبني سماءً فوقه[4] سمكها النّقع
متى يمنع الجريُ الجيادَ[5] من الونى		ففي يده بذلٌ من الجري لا منـع
له بَصَرٌ مستخرِجٌ خبءَ ليلةٍ		إذا الحسّ أهداه إلى قلبه السّمع
ويمرقُ بي في السبق في كلّ حلبةٍ		فتحسبهُ سهماً يطيرُ به النزع
برأيي وعزمي أكملَ الله صِبْغَتي		ولولا الحيا والشمسُ ما كَمُلَ الزرع

---

[1] في ب : بالطبع .
[2] في ب : أنهي .
[3] في ب : كالسيف .
[4] في ب : في الوغى .
[5] في م : الحياء ، وفي ب : الجواد .

١٩٠

وقال في شمعة

وَنُورِيَّةٍ للنَّارِ فيها ذُؤابَةٌ تذوبُ بها ذَوْبَ النَّضَارِ المميَّع

تنوبُ منابَ الشمسِ بعد غروبها إذا بزغت كالشمس في رأس مطلع

تُكتِّمُ ما تلقاه إلاّ شكيةً تُعَبِّرُ عنها في إشارة إصبع

وتحسبها تُلقي ضروباً من الجوى تَحَكَّمَ فيها من غَرَامي المُنَوَّع

كسقمي وايراقي وصبري[1] وموقفي وصمتي وإطراقي[2] ولوني وأدمعي

١٩١

وقال يصف البحر

وأخضَرٍ حَصَلَتْ نفسي به وَنَجَتْ وما تفارقُ منه روعةٌ رُوعي

رغا وأزبدَ والنكباءُ تُغْضِبُهُ كما تَعَبَّثَ شيطانٌ بِمصرُوعِ

---

١ في ب : وضري .
٢ في «م» : وإحراقي .

١٩٢

وقال

سِرْ تحظَ باليُسر إن كابدت في أُفقٍ عُسْراً فقد يجدُ الدرياقَ مَنْ لُسِعا
وربّما ضاقَ رزقُ المرء في بلدٍ حتى إذا سارَ عَنْهُ دَرَّ واتّسعا

١٩٣

وقال

مَرَابِعُهُمْ للوحشِ أضحتْ مَرَاتِعَا فقفْ صابراً تُسعِدْ على الحزن جازِعا
فمن مُبْلِغُ الغادينَ عنّا بأنّنا وَقَفْنَا وأجْرَيْنَا بهنَّ المدامعا
معالمُ أضحتْ من دُماها عواطلاً فقُلْ في نفوسٍ قد هَجَرْنَ المطامعا
وَفَيْنا بميثاقِ العُهُود لربعها كأنّ عهودَ الرّبْع كانت شرائعا
فمن دمنةٍ تحت القطوب كمينةٍ بها وثلاثٌ راكدات سوافعا
ومن خطٍّ رمسٍ دارسٍ فكأنّما أمَرَّ البلى محواً عليها الأصابِعا
تأوّهَ منه شيّقُ الركبِ نائحاً فَطَرّبَ فيه مُلْغِطُ الطّيْرِ ساجعا
وما زِلتُ أُجري الدمعَ من حُرَق الأسى وأدعو هوى الأحبابِ لو كان سامعا

وأفحصُ عن آثارهم تُرْبَ أرْضِهِم كأنّيَ قد أودعتُ فيها ودائعا
كأنّ حصاةَ القلب كانت زجاجةً مقارعةٌ من لاعجِ الشوق صادعا
أماتَ ربوعَ الدار فقدانُ أهلها فأبصرتُ منها الآهلاتِ بلاقعا
كأنّ حُداءَ العيس في السير نعيها وقد سُقِيَتْ سمّاً من البين ناقعا
أدارَ البلى ولّى الصبا عنك لاهياً فمن لي بأن ألقى الصبا فيك راجعا
أما ولبانٍ درّ لي أسحمٌ به ومن كان من أهلي بودّي مُرَاضِعا
لقد دخلتْ بي منكِ في الحزنِ لوعةٌ حُرِمْتُ بها من ذِمّةِ الصبر راجعا
أيا هذه إنّ العُلى لتهزّ بي حُساماً على صَرْفِ الحوادثِ قاطعا
ذوبني أكُنْ للعزمِ والليل والسرى وللحرب والبيداء والنجم سابعا

١٩٤

وقال أيضاً يتغزل

تخريجها : البيت الثامن من الطراز

بك يا صبورَ القلْبِ هامَ جَزُوعُهُ أوَكلّ شيءٍ من هوَاكَ يروعهُ
فإذا وصلتَ خشيتُ منك قطيعةً فالعيشُ أنت وَصُوله وَقَطُوعه
لا تَتَّهِمْني في الوفاءِ فإنّني كتَمْتُ سرّكَ والدموعُ تُذيعهُ

نَقَلَ الهوى قلبي إلى عيني التي | منها تَفَجّرَ بالبكا يَنْبُوعه
أبكَيْتَني فأذَعْتُ سِرّكَ مُكْرَهاً | فعلامَ تَعْذُلُني وأنتَ تُذيعهُ
قال العذول : لقد خَضَعْتَ لحُبّه | فأجَبْتُهُ : عِزّ المحبّ خُضوعُه
أقْصِرْ فما يجتثّ أصْلَ علاقةٍ | جُذِبَتْ بأطرافِ الملام فروعُه
وكأنّ لَوْمَكَ رافضيّ مَيّتٌ | وكأنّ سمعي إذ نعاه بقيعه
يا من لذي أرَقٍ يطولُ نزاعُهُ | شوقاً إلى من طال عنه نُزُوعُه
باتت جحيمُ القلب تلفح قلبَهُ | فتَفيضُ من قلبٍ يغيضُ دموعه
عَقَدَ الجفونَ ببارقٍ نَقَبَ الدجى | وَخَفَا ، كما اطّرَدَ الشجاعُ لميعُه
وكأنّهُ بالغيثِ باتَ مُحَدّثاً | لاطرف بالخضراء وهو سميعه
خَدَعَ الظلامَ وكان من لمعانه | مِسْبَارُه وحُسَامُهُ ونجيعه
وَمُجَلْجِلٍ دَرّتْ بأنْفاسِ الصّبا | وهناً لقَضْباءِ النباتِ ضروعه
خَضَعَتْ له عُنُقٌ لها وتحمّلَتْ | من ثِقْلِهِ فوق الذي تسطيعه
وجرت به أثَر السماء من الثرى | ميتاً فَعَاشَتْ بالرّبيع ربوعه
وإذا الصَّبا مَرّتْ بهاجع روضةٍ | نَفَضَتْ له لِمَماً فطارَ هجوعه

حرف الفاء

١٩٥

وقال أيضاً

أصبَحْتُ عندكِ أرتجي وأخافُ ... ما هكذا يتألّفُ الألاّفُ

يا كيفَ باتَ عليّ قلبُكِ جامداً[١] ... يقْسو فليْسَ يُلينُهُ استعطافُ

وجمانُ ثغركِ رفّ من لمعانه ... وعقيقُ خدّكِ رائقٌ شفّافُ

لم تنصفيني في معاملة الهوى ... وأعزّ شيءٍ في الدمى[٢] الإنصاف

١٩٦

وقال أيضاً

يا باقةً في يميني للرّدى بُذِلَتْ ... أذابَ قلبي عليكِ الحُزْنُ والأسَفُ

ألم تكوني لتاجِ الحُسْنِ جوهرةً ... لمّا غَرِقْتِ، فهلاّ صانَكِ الصّدَفُ

١ في ب : جلمداً .

٢ في ب : في المها .

١٩٧

وقال أيضاً

دَعُوا عَبَرَاتي تَنْبري من شؤونها   فلن تصرفوا تَوْكافَهُنّ عن الوكفِ
ويحملُ دمعُ العين عن قلبيَ الأسى   ولكنــه يبدي هوايَ الذي أُخْفي[١]

١٩٨

وقال يصف عقرباً

وذات خلق تُريبُ الخَلْقَ صُورَتُهُ   فكلّ ناظرِ عَيْنٍ ليس يألفهُ
كأنّ شوكةَ عُنّابٍ بِمِبضَعِها   يُجَرِّعُ السمّ منه مَنْ يصادفه

---

١ في ب : سرائر ما أخفي .

١٩٩

وقال يمدح أبا الحسن علي بن يحيى

صَفَا لِيَ من وِرْدِ الشبيبةِ ما صَفَا وجادَ زمساني بالأماني فأنصفا
وشنّفَ أذْني بالهوى حُسْنُ منطقٍ بنجواه غازلتُ الغزال المشنّفا
ليسالِيَ كانتْ بالسرورِ منيرةً وكان قناعي حالكاً لا مُفَوّفا
وشربيَ من نَسْلِ الغمام سلالةً تعُودُ من العنقودِ في الدنّ قرقفا
مُعَتّقَةً حمراءَ ينساغُ صِرْفها إذا الماءُ فيها بالمزاج تَصَرّفا
كماءِ عقيقٍ في الزّجاجِ مُنَظّمٍ عليه من الإزباد دُرّاً مجوّفا
تَوقّدَ في كفّ المنادم نورها ولكنه بالشرب في فمه انطفا
تطوفُ بها ممشوقةُ القدّ زَرفنَتْ من المِسكِ في الكافور صُدْغاً مُعَطّفا
إذا أعرضتْ في الدلّ ذلّ أخو الهوى وصاغَ لها لفظَ الخضوع المُلطّفا
هنالك خفّتْ بي إلى اللهو صبوَةٌ وثَقّلَتِ الكاساتُ كفّي بما كَفَى
كأنّيَ لم أقنصْ نَوَاراً من المها ولم أجنِ عذْبَ الرّشْفِ من مُرّة الجفا
ذكرتُ الحمى والساكنيه ودونه خِضَمّ عليه تنبري الرّيحُ حرجفا
ولما أقلوا يوم بينهمُ على هلالِ السُّرَى للشمس خدراً مسجفا

وألقَتْ حُلاها من يديها وعَطّلَتْ — من الحلي فيه جيدَ رئم تَشَوّفا

سقَى الأقحوانَ الطلُّ [....] عفّة — وعضّتْ من الحُزْنِ البنانَ المُطرّفا

ولما جرى الدرّ الرطيبُ بخدّها — وسال إلى الدر النظيم توقّفا

وأين تراهُ ذاهباً عن جنى فمٍ — كأنّ رضابَ الكأس منه ترشّفا

أما وشبابٍ بالمشيب اعتبرتُهُ — فأشْرَقَتْ عيني بالدمُوع تأسّفا

لقد سرتُ في سَهب المديح هدايةً — ومثليَ فيه لا يسيرُ تعسّفا

ولو كنتُ من دُرّ الدّراري نظمته — لكانَ عليّ منه أعلى وأشرفا

همامٌ من الأمسلاك هزّ لواءَه — وأوْضَعَ حوْلَيْه الجيادَ وأوجفا

شجىً ذكره للروم كالموت إن جرى — أخافَ ، وإن أوفى على النفس أتلفا

ذَبوبٌ عن الإسلام مَدّ بجيشِهِ — جناحاً عليه بالأسِنّةِ رفرفا

يردّ عن الضرب الحديدَ مُشَلّماً — ويثني عن الطّعنِ الوشيجَ مُقَصَّفَا

إذا ظَلّلَتْهُ الطيرُ كانت أجورها — جسوماً ثَنَى عن طَعنها الزُّرْقَ رُعّفَا

نسورٌ وعقبانٌ إذا هي أقبلتْ — محلقةً سَدّتْ من الجوّ نَفْنَفا

وتحسبها في نقعهِ رَقْمَ بُرْقُعٍ — يجولُ على وجهٍ من الشمس مُسْدَفا

حمى ما حمى من بَيْضَةِ الدّين سيفُهُ — وأشفق في ذاتِ الإله وعَنّفَا

ومن عَدَمٍ أغنى ، ومن حيرةٍ هَدَى — ومن ظمإٍ أروى ، ومن مرض شفى

كريمُ السجايا لوذعيّ زمانه — تَهَذّبَ من أخلاقه وتظرّفا

إذا عَنّ رأيٌ كالسُّها في ضيائه ... ولم يكف أذكى رأيُهُ الشمسَ فاكتفى

سما في العلا قدراً فأدرك ما سما ... إليه ، وأصمى سَهْمُهُ ما تهدفا

سكوبُ حيا الكفين لا ناضبُ النّدى ... ولا مخلفٌ وعداً إذا الغيث أخلفا

تريه خفيّاتِ الأمورِ بصيرةٌ ... كأنّ حجابَ الغيب عنهـا تكشّفا

بذكْرِ ابن يحيى عطّرَ الدهرَ مَدْحُنَا ... وَخلّدَ فيه ذكرنا وتشرّفا

جوادُ بنانِ البذلِ منه غمائمٌ ... تَصُوبُ على أيدي بني الدّهر وُكّفا

عليم بسرّ الحرب من قبل جهرها ... وقرع الصفا بين الفريقين بالصفا

يقارع منهم حاسراً كلّ مُعْلَم ... أفاضَ عليه الفارسيٌّ المضعفا

عصاهُ لتأديبِ العُصاةِ إذا بَغَوْا ... غرارُ حسامٍ يَقْرَعُ الهامَ مرهفا

على أنّه راسي الأناة مُخَدَّعٌ ... إذا زاغَ حلم عن ذوي الحزم أو هفا

بنو الحرب أنتم أرضعتكم ثديّها ... فمفترق الأقدام فيكم تألّفا

لكم قُلُبٌ بالذابلات وبالظبا ... أخاديد في [. . . . .]

إذا ما بدا طعْنُ الكماة وضربهم ... كنقْطٍ وشكلٍ [منه أعجمت أحرفا]

فدع عنك ما خطته [. . . . .]

لك الخيلُ تسري الليلَ من كل سلهبٍ ... ترى بطنه من شدة الركض مُخْطَفا

له قَلَمٌ في الأذن تحسب أنّه ... بنصرك للتوقيع في الجيش حُرِّفا

إذا وطئت شمَّ الجبال نَسَفْنَها ... وغادرْنها قاعاً لعينيك صفصفا

فيا ملكَ العصر الذي ظلّ عـدله على الدين والدنيا صفا منه ما صفا
نداك بطبعٍ للعفـاةِ ارْتَجلْتَهُ وغيرك روّى في نداه تكلّفا
وكم من فقير بائس قد وصلتـه فأضحى غنيّاً يسحب الذيل مترفا
لمدحك أضحت كلّ فكرةِ شاعرٍ مصنفةً منـه غريبـاً مصنفا
وإنّ كنتُ عن حفْلِ العُلى غائباً فلي ثناءٌ كعرْفِ المسكِ بالفضل عرّفا

٢٠٠

وقال يصف السفينة

وقد تشُقّ بنا الأهوالَ جاريةٌ تجري بريح متى تسْكُنْ لها تقفِ
لها شراعٌ ترى الملاّحَ يلحظُهُ ككاهنٍ يقسِمُ الألحاظ في كتفِ

٢٠١

وقال أيضاً

أحنّ إلى العشرين عامـاً وبيننا ثلاثون يمشي المرءُ فيها إلى خلفِ
ولو صحّ مشيٌ نحوه لابتدرتـه فجئتُ الصِّبا أحبو على العينِ والأنفِ

حرف القاف

٢٠٢

وقال في صباه يفتخر

لِيَ قلبٌ من جَلْمَدِ الصّخرِ أقسى[1] ... وهو من رِقّةِ النّسيمِ أرَقُّ

كهَصورٍ في كفّه الظُّفْرُ عَضْبٌ ... وغريرٍ في صدره النهدُ حُقّ

عزْمتي كوكبٌ وطَرْفيَ ريحٌ ... وأضاتي غيمٌ، وسيفيَ برْق

ضرْبَتي في مفارِقِ الدّمْرِ جَيْبٌ ... بين كفّيّ عند غيظٍ يُشَقّ

حشوُها من فُلولِ عَضْبي شَظَايا ... كنيوبٍ عَنْهُنّ قَلّصَ شِدْقُ

---

١ في ب : أقوى .

٢٠٣

وقال أيضاً

ومَمشوقةِ القَدّ معشوقةٍ تُعَذِّبُ أنفُسَ عُشّاقِها

بعينٍ إذا سَحَرَتْ بالفتور بدا للمهـا بعض أحداقها

وقدٍّ يميتُ حياة الغصون[١] فتـذوي نَضَارةُ أوراقها

وشدوٍ يقوم لفرط السُّرور بنفسِ الحزين على ساقها

تَهيمُ به الهيمُ عن شربها زُلالاً لإحياءِ أرْماقِها

وتخلعُ إن سمِعَتْهُ الحَمامُ عليها قلائدَ أطواقها

فمن لشجٍ سَهْلُ أخلاقِهِ يُعَذِّبُهُ وَعْرُ أخلاقها

ترى صَدَّها[٢] عاقلاً رُوحَهُ فيا وَصْلَها جُدْ بإطلاقِها

---

١ في ب : القلوب .

٢ هكذا في ب ، ورواية م : ضدها .

٢٠٤

وقال أيضاً في الناقة *

ولمّا تنازعن معنى الحديث[1] بمختلف اللفظ أو متّفِقْ
لوينَ الحواجبَ نزْعَ القسيّ وأرْسلنَ عنهنّ نَبْلَ الحَدَقْ
فلم يُصِبِ القلبَ من قبلها سهـــامٌ مُنَصَّلَةٌ بالحَدَقْ
فكان علينــــا الهوى لا لنـــا وعنّ الفراق ومنه الفرق
فيا لو رأيتَ ارتعادَ الجسومِ لقلتَ[2] الرّياحُ تَهزّ الورق
وأبصرتَ حُمْرَ دموعِ الجفونِ لقلتَ تَعَلّقَ منهـــا العلق

---

* كذا ، وليس في الأبيات ما يشير إلى ناقة فلعل القصيدة ناقصة ، أو لعل كلمة الناقة محرفة في هذا المقام إذ الأبيات في تصوير « المفارقة » .

١ في ب : العتاب .

٢ في ب : خلتَ .

٢٠٥

وقال أيضاً

أحْرَقْتُ فضلةَ مِسْوَاكٍ لها حَسَداً   له على لثم دُرٍّ في اللمى يَقَقِ
وما علمتُ بجهلٍ أنّ ريقتهـا   تُعْطي السلامةَ ريَّ المندل العبق
لا عدتُ أُحْرِقُ عوداً من سواكِ فمٍ   يزيدُ إحراقُه في شِدّةِ الحُرَقِ

٢٠٦

وقال وقد رأى صبياً لاعباً في البحر ينغمس في مائه ويرتفع ويشير أن أدركوني فإني غرقت ، فذكر بفعله هذا الجارية المرثية وكانت تسمى جوهرة :

وسابحٍ لاعبٍ في بحره مَرَحاً   تُشيرُ كفّاهُ تعويذاً من الغَرَق
يدعو ولم يكُ مضطرّاً : خـُذوا بيدي   وعنده الفرْق بين الأمْنِ والفَرَق
فإن بكيتُ فإني قد ذَكَرْتُ بـه   مَن جُرّعتْ منه كأس الموت بالشرَق
رُدّتْ على البحر من كفّيّ جوهرَةٌ   ثم انْقلبْتُ بقلبٍ دائمِ الحُرَق

٢٠٧

وقال أيضاً

أجلُو عَرُوساً بخدّها خَجَلٌ كالورد لوناً ونشرها عَبِقُ

كأنّمـا كوكبٌ يصـافحني مُجَوّفُ الجسم روحُهُ شفَق

حمراءُ مشمولةٌ لهـا عُمُرٌ في طَرَفٍ منه دَهْرُهَا غَرِق

أسألها حُسْرَةَ العقيق فلي من لؤلؤٍ بعـد شربها عرق

راحٌ أضافتْ إلى دَمي دَمَها : طبائعٌ في المزاج تتفِق

وللثّريّا يـدٌ مُخَتّمَـةٌ منها بناناً خضـابُها الغَسَقُ

كأنّهـا والصبـاحُ يقطفها عنقودُ نَوْرٍ لـه الدّجَى ورق

وفحمـةُ الليل كلما اعترضَتْ ألْهَبَ فيهـا اتّقـادَهُ الفلق

عجبتُ من مُحْرِقٍ ومحترقٍ لا فحمةٌ منهما ولا حرق

٢٠٨

وقال في الخمر

تخريجها : الأبيات ٣ – ٦ في الوافي ومعاهد التنصيص

يا تاركاً راحـــاً تُسَلّي هَمّهُ هلاّ اتّقَيْتَ[1] السّمَّ بالدُّرْياق

وتناوَلتْ يُمْنَاكَ ناراً لم تَخَفْ في لمسها لَذعاً من[2] الإحراق

حمراءَ تشربُ بالأنوف سُلافها لُطْفاً وبالأسْماع[3] والأحداق

بزُجاجةٍ صُوَرُ الفوارسِ نَقْشُها فتَرى لها حَرْباً بكفّ السّاقي

وكأنّما سَفَكَتْ صوارمُها دماً لَبِسَتْ به غَرَقاً إلى الأعْناق[4]

وكأنّ للكاسات حُمْرَ غلائلٍ أزرارها دُرَرٌ على الأطواق

---

١ في ب : هلا دفعت .

٢ في ب : في مسها من لذعة .

٣ في الوافي : مع الاسماع .

٤ في ب : لبست بها عرقاً من الأحداق ، وفي الوافي : طوقاً ، وفي المعاهد : عرقاً .

٢٠٩

وقال يصف بازياً صاد بُرَكاً[١] :

وأكلفَ[٢] مِنْسَرُهُ ذو شغا   كعطفةِ رأس السنان الذّليق[٣]

له مُقْلَةٌ كُحِلَتْ بالنّجيع   تُصَرّفُ إيماضَ لحظٍ صدوق

كَــأنّ بجؤجؤهِ مُهْــرَقاً   مُوَشّى بأحْرُفِ خطٍّ دقيق

يصيدُ بكفٍّ خطاطيفُها   مركبةٌ في وظيفٍ وثيق

يباكر بالصيد[٤] سربَ القطا   وبينهما[٥] كلّ فجٍّ عميق

ويُصْبحُ سربَ الحَمامِ الحِمامَ   ويَجْنَحُ مثلَ الجنــاح الخفوق

كأنّ عقــاباً عــلى أفقه   ترود[٦] الوغى يوم ريح خريق

ولمّا انجلى الليلُ واستوضَحَتْ   له غُرّةُ الصبح في رأس نيق

فباتَ ولا خوفَ في نفسه   بهمّته حازَ بَيْضَ الأنوق

---

١ البرك : جمع بركة وهو طائر من طير الماء أبيض .
٢ في ب : وأزرق .
٣ في ب : سنان ذليق .
٤ في ب : تبادر في الصبح .
٥ في ب : وإن بتن في .
٦ في ب : تؤم .

وقلّبَ ، والفتكُ في نفْسه ، حماليق مثلَ ائتلاق البروق
وقد نَفَضَ الطلَّ عن منكبيه بمثل انتفاضِ الطمرّ العتيق
ترى ريشَهُ فوقَ أرجائهِ[1] طِراقاً كمثل حباب الرّحيق
رأى ما رأى وبريق الشعاع يكحلُ أجفانَهُ بالشروق
وأيقَنَ بالسوءِ من صيده فدل على سبجٍ بالعقيق[2]
وحلّق وانقضّ من جوّه كما صُوّبتْ حجرُ المنجنيق
فتحسبُه عند إقعاصها يشقّ حيازيمها عن شقيق

٢١٠

وقال في البحر

ومُتَسّمِ الآذيِّ يعنِقُ شَطُّهُ من نكبةٍ هوجاءَ حُلّ وثاقُها
وكأنّما رأت الحِقاقَ فجعجعت فيها القرومُ وأزبدت أشداقها

---

١ في ب : أعضائه .
٢ في ب : سبج كالعقيق .

٢١١

وقال في جواد

تخريجها : البيتان ٢،٣ في الوافي والنهاية ومطالع البدور ٢ : ١٨١ والمعاهد : ٣٥١ والثالث في خزانة الحموي : ٢٨٣

وَمُجَرِّرٍ في الأرْضِ ذيلَ عسيبِهِ حَمَّيَلَ الزبرجدَ منه جسمُ عقيق

يجري ولمعُ البرق في آثاره من كثرةِ الكبوات غيرَ مفيق

ويكادُ يخرج سرعةً من ظلِّهِ لو كان يرغبُ في فراق رفيق[1]

٢١٢

وقال في فرس

وطائرةٍ بُذَّ الخيولُ بسبقها وقد لبستْ للعين من فَرَسٍ خَلْقا

إذا شئتُ ألقتْ بي على الغرب رجلُها ونالتْ يدٌ منها بوثبتها الشرقا

لحوقٌ كأنّي جاعلٌ من عدائها لرسْغِ الفرا عقلاً وجيد المها رِبْقا

كريحٍ تَرَى من نقعها سُحُباً لها ومن رشحها قطراً ومن لحظها برقا

---

١ النهاية : صديق .

٢١٣

وقال يمدح ناصر الدولة مبشر بن سليمان صاحب ميورقة ويصف خيلاً أهديت له :

جاءتك أولادُ الوجيه ولاحقٍ ... فأرَتْكَ في الخَلقِ ابتداعَ الخالقِ

نينانُ أمواهٍ ، وفُتْخُ سباسبٍ ... وظباءُ آجامٍ ، وعُصْمٌ شواهق

بمؤلَّــلاتٍ تستديرُ كأنّهــا ... أقلامُ مبتدعٍ الكتابةِ ماشقِ

قد وَقّعتْ لك بالسعود وما جرَتْ ... بسوادِ نِقْسٍ في بياض مَهارِق

غُرٌّ محجَّلَةٌ تكامَلَ خلقها ... بمجانسٍ من حسنهــا ومطابق

وكأنّما حَيّتْ عُلاكَ وجوهها ... فأسال فيها الصبح بيضَ طرائق

كرّت ذخائر عربها في عتقها ... وَشَأَتْ بفضلة عــدوها المتلاحق

وإذا الجلال تجرّدَت عن جردها ... لبست غلالةَ كلّ لوْنٍ رائق

من كلّ طِرْفٍ يستطيرُ كَطَرْفِهِ ... جَرْياً فوثبته غِلابُ السابق

وَرْدٌ تميّعَ فيه عَنْدَمُ حُمْرَةٍ ... كالورد أهْدِيَ في الرّبيع لناشق

وكأنه وكأنّ غرة وجهه ... شفقٌ تألّقَ فيه مطلع شارق

وكأنّ صبحاً خصّ فاه بقبلةٍ ... فابيضّ موضعها لِعَيْنِ الرامق

متصيد برياضـــةٍ وطـــلاقةٍ   في تيه معشوقٍ وطاعة عاشق
وإذا تَغَنّى بالصهيل مطرِّباً   أنسى أغانيَ مَعْبَدٍ ومخارق
ومزعفرٍ لونَ القميص بِشُقْرَةٍ   كالرّيح تعصفُ في التهاب البارق
وتراه يدبرُ كالظليم بردفــه   عُجْباً ، ويُقبِلُ كانتصابِ الباشق
وإذا طرقت به انتهى بلك غاية   أبداً تشقّ على الخيال الطارق
كاد الكميتُ ينوبُ عن لعس اللمى   ويسوغُ كالخمر الكُمَيْتِ لذائق
ويمدّ فوْق البحر عنـد عبوره   جسراً بهادٍ لاسماءِ معــانق
خيلٌ كأنّ الرّكضَ من خيلائهـا   في قلب كلّ معاندٍ ومنـافق
وكأنّما اقتسمتْ عيونَ أجادلٍ   وشدوقَ غربان ، وسوق نقانِقٍ[1]
قُدْها تخبّ بكلّ ذِمْرٍ أبله[2]   بخداعِ أبطال الوقائع حاذق
وإذا أثَرْنَ بنقعهنّ سحائبـاً   صبّتْ على الأعداءِ صَوْبَ صواعق
أصبحتَ في السادات ناصرَ دَوْلَةٍ   تصفُ العُلى [ ] عدل مناطق
بطلاً يطول بذكره في سلمه   كصياله بحسامــه في المازق
مترحلاً نحو المعــالي ساكناً   بالجيش في ظلّ اللواء الخافق
شَدّتْ عزائمُهُ مهالكَهُ كما   شُدّتْ فرازينٌ بعقد بيادق

---

١ الأجادل : الصقور ؛ والسوق : جمع ساق ؛ والنقانق : النعام .
٢ أبله : شاب فيه غرارة الشباب وتهوره .

٢١٤

وقال أيضاً

رُبَّ ليلٍ هصرتُ فيه بغصْنٍ لابسٍ نضرةَ النّعيم وريقِ

فيه رمّانةٌ تُطاعِنُ صَدْري فهي أمضى من السّنان الذليق

أسأل الوردَ منه عن أُقحوانٍ مجتنى الشهد منــه في طلّ ريق

فشققتُ الشقيقَ من شَفَتَيــه عن حبابٍ محدَّثٍ عن رحيق

واكتستْ زرقةُ السماءِ سحاباً مُسْمِعاً رعــدُهُ هديرَ الفنيق

وحَمَى من وشاتنا كلٌّ وبلٍ بأفاعي السيول كلَّ طريق

وكأنّ الظلامَ يحرقُ قاراً منه في الخــافقين نفطُ البروق

رقّ صبري وصبرها بنسيمٍ واصفٍ صُبْحَهُ بمعنى رقيق

وشوادٍ شدت فلولا اشتهاري نُحْتُ من شدوهــا بكلّ شهيق

أضحك اللهُ مَنْ بكى بجمــانٍ رحمــةٌ للّذي بكى بعقيق

٢١٥

وقال أيضاً *

خطـــابٌ عن لقائكم يَعُوقُ[١] وَمِثْلي لا يُناطُ به العقوق

أأقدر أنْ يُقَدَّرَ لي زمـــانٌ لــه خُلُقٌ بألفتنا خليــق

فيقبض بُعْدَنا ليلٌ عــدوٌّ ويبسط قربَنا يومٌ صـــديق

لقد حَنَّتْ إلى مثواك نفسي كمُرْزِمَةٍ إلى وَطَنٍ تتوق

تَحَمَّلَ بالنّوَى عني التأسّي وحَمَّلَني الأسى ما لا أطيق

وَحَمَّرَ دمعيَ المبيضَّ حُزْنٌ يذوب بحرّه قلبي المشوق

كأنّ العينَ تُسْقِطُ منــه عيناً فلؤلؤه ، إذا ذرفت ، عقيق

وهبني قد قدحتُ زنادَ عزمٍ تضرّمَ في الأناة لــه حريق

ألَيْسَ الله ينفذ منــه حكماً فيعقلني به ، وأنا الطّليــق ؟

فرغتُ من الشباب فلستُ أرنو إلى لهوٍ ، فيشغلني الرّحيق

ولا أنا في صقلّيةٍ غلاماً فتلزمني لكلّ هوى حقــوق

---

* بعث بها إلى ابن عمته أبي الحسن ، رداً على جواب منه ، وفيها يعتذر عن العودة إلى أهله .

١ قلت لعلها : خطوب عن لقائكم تعوق .

لياليَ تُعْمِلُ الأفراحُ كأسي فما لي غير ريقِ الكأسِ ريق

تجنّبْتُ الغوايةَ عن رشادٍ كما يتَجنّبُ الكَذِبَ الصّدوق

وإن كانت صبابات التصابي تلوحُ لها على كلمي بروق

كتبتُ إليك في ستين عاماً فساحاً في خطايَ بهنّ ضيق

ومن يرحلْ إلى السبعين عــاماً فمعتَرك المنون له طريق

أبا الحسن انتشقْ مني سلاماً كأنّ نسيمــه مسكٌ فتيق

وقلّ لدى عليلٍ[1] عند كربٍ تناولُ راحــةٍ فيها يفيق

أرى القدَرَ المُتَاحَ إذا رآني جريتُ جرَى فكان هو السّبوق

فلا تيأسْ فللرحمنِ لُطفٌ يُحَلّ بيُسْرِهِ العقْدُ الوثيق

---

١ في ف و م : وهل لأبي عليل .

٢١٦

وقال في البق

يا ليلُ هل لصباحي[١] فيك إشراقُ   فقد نَفى النومَ عن عينيّ إيراقُ
عساكر البقّ نحوي فيك زاحفة[٢]   كأنّما بُثّ وَسْطَ البيت سمّــاق
من كل طاعنةِ الخرطومِ ساريةٍ   كأنّ لسعتهــا بالنار إحزاق[٣]

٢١٧

وقال في البرق

وطائرٍ في الجوّ من مغرب   في قطعهِ الليل إلى مشرق
كأنّما تنبعُ من سحبــه   شعلة نفطٍ للـــدجى مُحْرِق
لو كان يبقى نوره في الدجى[٤]   كان كحطّ[٥] التبر في الميلق[٦]

---

١ في ب : لنهاري .
٢ في ب : تجري فيك راجفة .
٣ في ب :   من عقرب فمها قد حاز ابرتها   كأنما لدغها بالنار إحراق
٤ في ب : في الدجى لمعه .
٥ في ب : كان ككحل .
٦ الميلق : أداة يملس بها الذهب .

٢١٨

وقال يمدح يحيى بن تميم بن المعزّ

ما للوشاةِ عليها أذكتِ الحَدَقا[1] أما علا النورُ من إسرائها[2] الغسقا

أما تَضَوّعَ من أرْدانِها أرَجٌ[3] كأنّما مسكُ دارينٍ به فُتِقا

أما تألّقَ من سِمْطيْ تبسّمها برقٌ إذا ما رآهُ ناظرٌ[4] برقا

هيفاءُ يَقْلَقُ في الخصر الوشاحُ لها كأنّ قلبيَ منه[5] عُلّم القلقا

كأنّما مالَ خُوطٌ في مُلاءتها بالشمس واهتزّ منها في كثيب نقا

باتت على عُقَبِ الشكوى تَمَلّقُني وكلّ دمية حسنٍ تُحسنُ الملقا

واستوثقت من نقاب فوق وجنتها وإنّما أشْفَقَتْ أنْ ألثُمَ الشفَقا

يا هذه تدّعينَ الوجدَ عاريةً من الضنى فدعي الشكوى لمن عشقا

وأجملي قَتْلَ نفسٍ لا يُتاركُها بَرْحُ الغرامِ وإلاّ رَمّقي الرمقا

ما أحسَنَ العطف من تأنيس نافرةٍ كأنّما رُضْتَ منها شادناً خَرِقا

. . . .

١ في ب : أكثروا الحرقا .

٢ في ب : إشراقها .

٣ في ب : عبق .

٤ في ب : ناظري .

٥ في ب : منها .

فبتّ أُحمي بأنفاسي حصى دررٍ[1] ببردها في التراقي تعرف الفَلَقا

وأجتني مستطيباً ما حواهُ فمٌ من ماءِ ظَلْمٍ بَرُودٍ يُطفىء الحرقا

وللوشاةِ عيونٌ غير واقعةٍ على ضجيعين منا في الكرى[2] اعتنقا

من زار في سنة الأجفانِ في خَفَرٍ لم يخش غيرانَ مرهوبَ الشذا حَنِقا

قنعتُ بالطيف لمّا صدّ صاحبُهُ والطيبُ إن غابَ أبقى عندك[3] العبقا

لولا هلالٌ أعير الطرف زورقه في خوضه لجة الظلماء ما طرقا

من أين لي في الهوى نومٌ فيطرقني خيالُ مَنْ نومها يُغري بي[4] الأرقا

وإنّما الفكرُ في الأجفان مثّلها فما كذبتُ على جفني ولا صدقا

ألله أعطى لقومٍ في تَعَشّقهم سعادةً ، ولقومٍ آخرين شقا

والله أحيا بيحيى كلّ مكرمةٍ للمعتفين ، وأجرى نائلاً غدقا

مَلْكٌ تناول أسبابَ العلا بيدٍ قد أودع الله فيها رزق من خلقا

سميـذع تبسط الآمالَ همّتُه ويقبضُ الحلمُ منه الغيظَ والحنقا

أعلى الملوكِ مناراً في ذرى شَرَفٍ لا يرتقي كوكبٌ في الجوّ حيث رقا

وأثبتُ الأُسدِ في جوفِ العدى قدماً إذا جناحُ لواءٍ فوقه خفَقَا

---

١ هذه هي رواية ب ، وفي ف : فبت أحمي بأنفاسي حصى برد .

٢ في ب : الهوى .

٣ في ب : نشره .

٤ هذه رواية ب ، وفي م : يعز بي . ولعلها : يقريني .

إن ضنّ بالجود مقبوضُ اليدين سخا وإن عتا ظالمٌ في ملكه رفقا

كم من عدوين في دينٍ قد اختلفا حتّى إذا أخذا في فضله اتّفقا

وكم نديمين لولا لذّةٌ لهما في ذكرِ سيرتهِ الحسناءِ لافترقا

كأنّما النّاس من أطواق أنعمه حمائم تتغنّى مَدْحَهُ حِزَقَا

كأنّما يعتري أموالَهُ وَلَهٌ فما لها غيرُ أصواتِ العُفَاةِ رُقَى

تجاودُ الكفَّ منه الكفُّ مغنيةً فقلما تبقيان العَيْنَ والوَرِقا

من أوْهَنَ الله كيدَ الناكثين به إذا قذفتَ بحقٍّ باطلاً زهقا

من لا يصولُ الهدى حتى يطولَ به: لا يضربُ السيف، لولا الضّاربُ، العنقا

تكبو السوابقُ عن أدنى مداه فلو يسابقُ الريح في أفق[1] العلا سبقا

ذِمِرٌّ إذا علِقَتْ بالحرب عَزْمَتُهُ روّى القواضب فيه والقنا علقا

كأنّما العَضْبُ في يُمْناهُ صَاعِقَةٌ إذا علا رأسَ جبّارٍ به صَعَقا

يكادُ لولا تلظّي الروع ذابلُهُ في كفّه من نداهُ يكتسي ورقا[2]

كأنّما يُودِعُ اليمنى لـه قلماً يخطّ خطّ المنايا كلما مشقا

وما رأى ناظرٌ من قبله أسداً قد أكملَ اللهُ فيه الخَلْقَ والخُلُقا

ويومِ حربٍ ترى الأبطال مُورِدةً فيها حياضَ المنايا شُزَّباً عُتُقا

---

١ في ب : شأو .

٢ في ب : ينبت الورقا .

تروقُ ذا الجهل زيناً ثم تَذْعَرُهُ خوفاً إذا شامَ من أنيابها رَوَقا

ترى السوابغَ عن أذمار مأزقها تُوَاقِـعُ الأرض مَن وقع الظبا فرَقا

إذا انتحتك مدمّاة لها حَلَقٌ خلتَ اليعاقيب فيها فتّحَتْ حدقا

شلكّ القلوبَ بصدقِ الطعن لهذَمُهُ وغادرَ الهامَ فيها سيفُه فِلَقا

إليك يا ابن تميمٍ أعمِلتْ قُلُصٌ تحت الرحائل تَبْري الوخد والعنَقا

كأنّ مثواكَ للبيتِ العتيقِ أخٌ واليعملاتُ إليه تملأ الطرُقا

وكيف تُعْقَلُ أيدي العيس عن ملكٍ بكفّ نحداه معقولُ النّدى انطلقا

تُقَبّلُ السحبُ منه للسماحِ يداً لوْ ألْقيَ البحرُ في معروفها غرِقا

٢١٩

وقال أيضاً

بقيتُ مع الحياةِ وماتَ شَعْري بشيبي فالقذالُ به يُنقّى

فشَعري لا يُكفَّنُ في خضابٍ ولا ينفكّ للأنظار مُلْقى

وتركُكَ مَنْ شجاك الموتُ منه بلا كَفَنٍ لحُزْنٍ فيك أبْقى

فلا تخضبْ مشيبَك للغواني فتغنى عنه ناعمةٌ وتشقى

فشاهدُ زورِ خضبْك ليس يُعْطى بباطله من الغادات حقّا

فلا تهوَ الفتاةَ وأنتَ شيخٌ فأبعدُ وَصْلِها مِنْ صَيْدِ عنْقا

حرف الكاف

٢٢٠

وقال أيضاً

أخذتُ برأيٍ في الصبا أنا تاركُهْ ... فلم تَرَني في مَسْلكٍ أنت سالكهْ
وإن لم أعاقرْكَ المدامَ فإنّني ... حقَنْتُ دمَ الزّقّ الذي أنت سافكه
وإنّ رزايا العُمْرِ منْهُنّ مركبي ... ثقالٌ ، بأعطانِ المنايا مباركه
دُفِعْتُ ولم أمْلِكْ دفاعَ مُلِمّةٍ ... إلى زَمَنٍ في كلّ حينٍ أُعاركه
وجيشِ خطوبٍ زاحمٍ كلّ ساعةٍ ... فما أنْفُسُ الأحياءِ إلا هوالكُه
كأنّ البروقَ الخاطفاتِ بُرُوقُهُ ... وَزُهْرُ النجومِ اللائحاتِ نيازكه
فإن تَنْجُ نفسي من كلومِ سلاحِهِ ... فإنّ برأسي ما أثارَتْ سنابكه
مَضَى كلّ عصرٍ وهو حرْبٌ لأهْلِهِ ... وهل تَصْرَعُ الآسادَ إلاّ معاركه
برغمي ، وما في الحبّ بالرغم لذةٌ ، ... أُحِبّ مشيبي والغواني فَوَارِكُهْ
مُغَيّرُ حسني عن جميل رُوائِهِ ... وَمُوهِنُ جسمي بالليالي وناهكه

رأتني سُلَيْمَى والقذالُ كأنّما تَنَفّسَ فيه الصبحُ فابيضّ حالِكه

كما نَظَرَتْ سلمى إلى رأس دعبلٍ وقد عَجِبَتْ والشيبُ يُبكيه ضاحكه[1]

فتاةٌ أرى طرفي لطرفيَ حاسِداً يغايِرُهُ في حسنها ويماحكه

على وصلها سترٌ فمن لي بهتكه إذا ما مضى عني من العمر هاتكه

شبابٌ له القِدْحُ المُعَلّى من الهوى وما شئتَ من رقّ الدّمى فهو مالكه

كأنّيَ لم يُؤنِسْ من السربِ وحشتي مُشَنّفُ أُذْنٍ فاترُ اللحظ فاتكه

غزالٌ تراني ناصباً من تَغَزّلي لَهُ شَرَكاً في كلّ حالٍ يُشاركه

وصادٍ إلى ريّ الكؤوسِ غَمَرْتُهُ بعارضها والغيثُ دَرّتْ حواشكه[2]

وقلت : اغتبقْ من دنّها صرفَ قهوةٍ إلى قَدَحِ الندمانِ تفضي سوالكه

ويمنَعُها من أنْ تطيرَ لطافةً حبابٌ عليها دائراتٌ شبائكه

على زَهْرِ رَوْضٍ ناضرٍ تحسبُ الرّبى ملوكاً على الأجسام منهم درانكه[3]

وبات لجينُ الماء بالقر جامداً لنا ونُضارُ البرق ذابتْ سبائكه

أذلك خيرٌ أم تَعَسّفُ سبسبٍ يُعَقّلُ أخفافَ النّجائبِ عاتكه[4]

وإن جَنّ ليلٌ أقبَلَتْ نحو سَفْرِهِ مُجَلّحَةً أغْوالُهُ وصعالكه

---

[1] يشير إلى قول دعبل : لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

[2] الحشك : اجتماع اللبن في الضرع .

[3] الدرانك : ضرب من الثياب أو البسط لها خمل أو هي الطنافس ، ومفرده درنوك أو درنيك .

[4] العاتك : الذي يسير وحده .

وما الفوزُ إلا أن تُخاضَ مهالكه ... مهالكُهُ بالفألِ تُسْمَى مفاوزاً

بنيتُ عليها الكورَ فانْهَدَّ تامكه[1] ... بمعطٍ غداةَ السير ظهرَ حَنِيّةٍ

صليبٌ وإنّي بالتجلّد لائكه ... ألائمتي إن التجمّلَ جندلٌ

وفي طَرَفِ السيف المهنَّد باتكه[2] ... أرى طَرَفاً لي من لسانِك جارحاً

وهل ليَ بعدَ الموْتِ ما أنا مالكه ... تريدين مني جمع مالي ومَنْعَهُ

فما بال جَدْوَى راحتي لا تُدارِكُه ... إذا أدركت خلاً من الدهر فاقةٌ

٢٢١

وقال يتغزل

أأبصرتَ شمسَ الضحى هِيْ كذاكْ ... ومالئةٍ من سناها العيونَ

فيا لهما ظَلَما بالسّواك ... تسوك حَصَى برد في عقيق

فبينهما للأريج اشتراكْ ... وما قهوةٌ مُشَعْشَعَتْ[3] مسكة

إذا نَحَرَ الليلَ رمحُ السماك ... بأطيبَ منها جَنَى ريقةٍ

نَقَلْتُ شهادَةَ عُودِ الأراك ... وما ذقتُ فاها ولكنّني

١ التامك : السنام .

٢ باتك : قاطع .

٣ في ب : ضمنت .

٢٢٢

وقال أيضاً

هات كأسَ الراح أو خُذْها إليكْ   يَنْزِلِ اللهوُ بها بين يديْكْ

ريقةُ العيش بها ، فاخلع على   شفتيهــا كلَّ حينٍ شفتيك

وأطــع فيها نديميك بما   حَكَما واعصِ عليهـا عاذليك

وإذا سَقَيْتَ منهـا شفقاً   طَلَعَتْ حُمْرَتُهُ في وجنتيك

وتناولْ نشوةً من روضــةٍ   طلعت كالشمس بالنجم عليك

تَتَغَنّى . بنسيبٍ قُلْتَــهُ   فهواهــا راجعٌ منك إليك

فَاوَضَتْ في الوصْل عيني عينَهــا   فازْدهتْ عجباً وقالت: ما لديك؟

أعليلٌ أنتَ ، ماذا تشتهي ؟   قلت : قطفي بيَدَيْ رمّانتيك

فانثنتْ كبراً وقالتْ : ويلتا   أوَهـذا كُلّــهُ تطلبُ وَيْك ؟

أنا شمسٌ وبعيــد فلكي   وضيــائي نافرٌ من راحتيك

لو بدا أمرُكَ لي من قبلِ ذا   ما رَأتْ ناظرتي ناظرتيك

٢٢٣

وقال أيضاً

قُلْ لِمَنْ ضاهتِ الغزالةَ نوراً وهي من طيبها غزالةُ مِسْكِ
أنتِ في العينِ واللسانِ وفي القلـ ـبِ فأين استقرّ قدريَ منكِ
إن نقضتِ الوفاءَ بالغدر ظُلْماً فبهذا أشارَ طرفكِ عنكِ
لكِ قلبي صَفَا فلا غشّ فيه وهو للهجرِ منكِ في نارِ سَبْكِ
أضحكَ الشامتين صدُّكِ عنّي بدموعي ، فأدْمُعُ القلب تبكي

٢٢٤

وقال أيضاً

الهجرُ يضحكُ والهوى يبكي والوصل بينهما على هُلْكِ
يا جنّتي ما كنتُ أحسبُ أنْ أصلى جحيمَ قطيعةٍ منكِ
لله عينٌ منك مخبرةٌ عنّي بكلّ سريرة عنكِ
عَجَبي للفظٍ منك ذي نُسُكٍ هذا وَلحظُكِ حاضرُ الفتكِ
وسلبتِ قلبي من حشايَ فهلْ لكِ في القلوبِ صِناعَةُ الدكّ

أغزالةَ الفلك التي عبَقَتْ مِسْكاً فقلتُ : غزالةُ المسك

إن دام هَجْرُكِ لي بلا سببٍ فلأنتِ قاتلتي بلا شكّ

٢٢٥

وقال أيضاً

أذابلُ النرجس في مقلتيكْ أم ناضرُ الورد على وجنتيكْ

لا تنكري أنّكِ حوريّةٌ فنفحةُ الجنة نَمّتْ عليك

وعقربا صدغيكِ من عنبرٍ سَمُّهُما ويلاهُ من عقربيك

وردفكِ المرتجّ في غُصْنِهِ ميّاسٌ اهتزّ برمانتيك

ويحَ وشاحيك فما أصبحا صِفْرَيْنِ إلا حَسَدا دُمْلجيك

أفي نطاقيك تثَنَّيْتِ أمْ دفعتِ خصريكِ إلى خاتميك

بالله من صيّر من ناظريك سهميكِ أم رُمحَيك أم صارميك

فحيثما كنتِ خشيتُ الرّدى منك ، أكلّ القتل في ناظريك؟

لو شئتِ حييتِ نَشاوَى الهوى من لون خدّيك بتفاحتيك

وإن تَغَنّيْتِ لنا لم نزَلْ نخلعُ أفواهاً على أخمصيك

لا صبرَ لي عنك وإن كان لي على جناياتك ، صبرٌ عليك

٢٢٦

وقال في معنى الزهد

ما الذي أعددتَ للموتِ فَقَدْ قُدّرَ الموتُ بلا شكّ عليكْ
أذنوباً كاثرت عِدّ الحصى بئسَ ما استكثرتَ من كسبِ يديك
بئسَ ما يسمعُ من تعظيمهــا مَلَكا القبر به من ملكيك
أيّ خَطْبٍ فادحٍ في رقدةٍ يوقظ الحشرُ إليها مقلتيك
وصراطٍ لستَ بالنّاجي إذا وَطِئتَهُ زلّةٌ من قدميك
فلك الويلُ من النارِ إذا مقلةُ الرحمنِ لم تنظرْ إليك

٢٢٧

وقال يمدح يحيى بن تميم بن المعزّ

لك الملكُ والسيفُ الذي مَهّدَ الملكا وصال به الإسلام فاهتضم الشركــا
تقيلتَ آباءً ملــوكاً كأنّما يُفَتّقُ للأسماعِ فخرهمُ مسكا
وكلّ عريقٍ في الشجاعة مقدمٌ له الضربةُ الفرغاءُ والطعنةُ السُّلكى

إذا ما رمى أرضَ العدى بعرَمرَمٍ عليه سماءُ النّقع غادرها دَكّا
ومن عرَضِ الجبنِ المنوطِ بِغُمرِهِمْ صفا جوهرٌ منهم بنارِ الوغى سبكا
بنيتَ بهدم المـال كعبةَ ماجدٍ إلى حجها نُزْجي القلائصَ والفلكا
فيا ابنَ تميم ذا الفخار الذي لـه منارٌ ترَى فوْقَ السماكِ له سَمْكا
تُحَدّثُنا عنهُ العُلَى وبمثل مـا تُحَدّثُنا عنـه ، تحدّثنـا عنكا
تناولتَ إصلاحَ الزّمان فقلْ لنا أعدلٌ يسوسُ المُلْكَ أم مَلَكٌ منكا
فجدّدتَ ما أبلى ، وأثبتّ ما نفى وأدْنيتَ من أقصى ،وأضْحكتَ من أبكى

٢٢٨

وقال

إنّ الليـاليَ والأيامَ يُدْرِكُهَا شيبٌ ويعقبها من بعْدِهِ هُلُكُ
فشيبُ ليلك من إصباحِهِ يَقَقٌ وشيبُ يومك من إمسائه حلَكَ
والعيشُ والموتُ بين الخلق في شغُلٍ حتى يُسكّنَّ من تحريكه الفلك
ويبعثَ اللهُ من جوْفِ الثرى أُمَماً كانتْ عظامُهُمُ تبلى وتنتهك
في موقفٍ ما لخلق عنه من حِوَلٍ ولا يحقرُ فيه سوقةٌ ملك

٢٢٩

وقال أيضاً في الزهد

بيتُكَ فيه مَصْرَعُكْ وفي الضريح مَضْجَعُكْ
غرّتْكَ دنياكَ التي لها شرابٌ يخدعك
هِمْتَ بحبِّ فاركٍ وقلّما تُمتّعُكْ
يَضُرّكَ الحرصُ بها والزهدُ فيها ينفعك
لا تأمنْ منيّةً إنّ عَصَاها تَقْرَعُكْ
مَغْرِبُكَ القبرُ الذي يكونُ منه مَطْلَعُكْ
إنْ فرّقَتْكَ تُرْبَةٌ فاللهُ سوف يجمعك
وللحسابِ موقفٌ أهوالُهُ تروّعك
كم جرّ ما أشفقتَ منْ لَمْسِكَ منْهُ إصْبَعُكْ
فكيفَ بالنّارِ التي منْ كلِّ وجهٍ تَلْذَعُكْ
يراك ذو العرش إذا ناديْتَهُ وَيَسْمَعُكْ
فثِقْ به ولا يكنْ لغيرِهِ تَضَرُّعُكْ

٢٣٠

وقال أيضاً

أليس بنو الزّمان بنو أبيكا فجرّدْ عن حقائقكَ الشكوكا

ولا تسألْ مِنَ المملوكِ شيئاً فترجعَ خائباً وسلِ المليكا

فلستَ تنالُ رزقاً لم تَنَلْهُ ولو أبصرتـــه مما يليكا

فكم خيرٍ ظفرتَ بـــه نضيجاً وكنتَ حُرِمتَ رؤيتَهُ فريكا

حرف اللام

٢٣١

وقال أيضاً

لي صديقٌ محْضُ النصيحة[1] كالمر ... آة إذ لا تريك منها اختلالا[2]

فتريكَ اليمينَ منك[3] يميناً ... بالمحاذاةِ والشمالَ شمالا[4]

٢٣٢

وقال أيضاً

وساحبةٍ ليلاً من الشّعَرِ الجَثْلِ ... لها مَثَلٌ في الحسن جلّ عن المثلِ

تمجّ فتيتَ[5] المسك منه أساودٌ ... مُعَقْرَبَةٌ أذنابهنّ على النعل

١ في ب : المودة .

٢ في ب : تعطي العيون منها صقالا .

٣ في ب : منهـا .

٤ في ب : وتريك الشمال منها شمالا .

٥ في ب : بفرع تمج .

تديرُ الهوى من مُقْلةٍ بابليّةٍ لها تَجَلٌ يغني الجفونَ[1] عن الكحل
وتمكثُ[2] بين اللحظ واللفظ فتنةٌ تحلّ عقالاً للتصابي عن العقْل
وما روضةٌ يُهدي النسيمُ أريجها محا عن ثراها القَطْرُ سيئةَ المحل
بأطيبَ من فيهــا محادثةً إذا حلا[3] النومُ عند الفجر[4] في الأعين النجل

٢٣٣

وقال أيضاً

عوّلْ على العزْمِ إنّ العزْمَ منقطعٌ عنه الخمولُ ، وموصولٌ به الأملُ
لو لم تُسَلّ سيوفُ الهندِ ما ضُرِبَتْ يومَ القراعِ بها الأجيادُ والقُلَلُ

---

١ في ب : لها كحل بالسحر يغني .
٢ في م : وتنكث .
٣ هكذا في ب ، ورواية م وف : علا .
٤ في ف : علا النوم في أجفانها ؛ ولا يستقيم .

٢٣٤

وقال أيضاً

وغيداءَ لا ترْضى بلثمِيَ خدّها إذا لم أُلاطفْ عِزّهَـا بتذلّلِ
لها حمرةُ الياقوتِ في خدّ مخْجِلٍ وقسوته منهـا بقلب مُدَلّلَ
كأنّي أرى هاروتَ منها مُصَوَّراً على صورتي في كل طرْفٍ مكحّلِ

٢٣٥

وقال أيضاً

وذاتِ دلالٍ لا يزالُ مُسَلَّطاً لها خُلُقٌ وَعْرٌ على خُلُقِيْ السّهْلِ
لها بقضيبِ البانِ نَهْضٌ يَزِينُهَـا مُعِينٌ ، ونهضٌ خاذلٌ بِنقا الرّمل
إذا ما تمادتْ في الصّدودِ ولم تملْ إلى الوصل إشفاقاً تَماديتُ في الوصل
وقلتُ لعلّ الهجر يُعْقِبُ عَطْفَةً فيا رُبّ خصبٍ جاء في عَقِبِ[1] المحل
أمَن حرّمتْ نومي ومن سفكتْ دمي ومن صَرَمَتْ حبلي ومن حَلّلتْ قتلي
بمقلتكِ النّجلاءِ عمداً[2] قتلتني ولا قَوَدٌ في القتلِ بالأعينِ النجل

١ في ب : في زمن .
٢ في ب : ظلماً .

٢٣٦

وقال أيضاً

مَتى ينال لديكم ما يُؤمّلُهُ مُتَيَّمٌ ذو تباريحٍ تُبَلبِلُهُ
ما ظنّ من قبلِ تعذيبِ الهوى أسَدٌ أنّ التدللَ من رئمٍ يُذَلّله
ولا درى أن سهمَ الحيف[1] يقصِدُهُ حتى رأى ساحرَ الألحاظ يرْسله
مُضْنيً رماهُ بكربٍ كلُّ ذي فرَحٍ كأنّما ناقلٌ عنه ينَقّله
فالطبّ يُسْقِمُهُ ، والماءُ يعطشُهُ والقربُ يبعدُهُ، والصّوْنُ يَبْذُلُه

٢٣٧

وقال أيضاً يتغزّل

ذاتُ لفظٍ تجْني بسمعكَ منه زَهَراً في الرّياضِ نَدّاهُ طَلّ
لا يُمَلّ الحديثُ منها مُعَاداً كانتشاقِ الهواء ليس يُمَلّ
ينطوي جَفْنها على سيفِ لحظٍ تُغْمَدُ المرهفات حين يُسَلّ
كل عَتْبٍ سمعتَ منها ومنّي[2] فهو منها دَلٌّ ومنّيَ ذُلّ

. . . .

١ قلت لعلها : الحتف .

٢ في ف : وعتبي .

٢٣٨

وقال أيضاً

أجُمْلٌ على بُخْلِ الغواني وإجْمالُ ... تفاءلتُ باسمٍ لا يصحّ به الفالُ

وحلّيْتُ نفسي[1] بالأباطيلِ في الهوَى ... ونفسٌ تُحلّى بالأباطيل مِعْطالُ

وكنتُ كصادٍ خالَ رِيّاً بقفرةٍ ... وقد غِيضَ فيها الماءُ واطّرَد الآل

أيَشْكو بحرّ الشوق[2] منك الصّدى فمٌ ... وماءُ المآقي[3] فوق خدّك هطّال

وتَغْرِسُ منكَ العينُ في القلب فتنةً ... ووَجْدٌ جناها[4] بالضمير وبلبال

ولا بدّ من أمنيّةٍ تخدعُ الهوَى ... لِتُدْرِكَ[5] منها بالتعلّلِ آمال

فمثّلْ لعينيكَ الكرى فعسى الكرى ... يزورُكَ فيه من حبيبك تمثال

وسَلْ أرجَ الريحِ القبولَ لعلّهُ ... لمعرضةٍ[6] عطفٌ عليك وإقبال

---

١ في ف : نفساً ؛ وفيها وفي م : وخليت ... تخلى ، وهو لا يلائم قوله « معطال » .

٢ في ب : الوجد .

٣ في ب : وما الماء إلا .

٤ في ب : وشوق حباها ، والكلمة الثانية مصحفة عن « جناها » لقوله في أول البيت : « وتغرس » ورواية ف هنا مضبوطة .

٥ في ب : وتدرك .

٦ في ب : لمن عرضت .

وإن لم تَفُزْ فوزَ المحبّين بالهوى[1] فقد نِلْتَ من بَرْحِ الصّبابةِ ما نالوا

وليلٍ حكى للناظرين ظَلامُـــهُ ظَليماً له من رَوْعَةِ الصبح[2] إجفال

كأنّ له ثوباً على الأفْق جيبه وقد سُحِبَتْ منه على الأرضِ أذيال

عجبتُ لطودٍ من دُجاهُ تهيلــه لطائفُ أنفاسِ الصباحِ فينهال

وقد نَشَرَتْ في جانبيه ليَ النّوَى قفاراً طواها بي طمرّ وشملال

ودون مَصُوناتِ المها بذلُ أنفس تريك ولوعَ البيضِ فيهنّ أبطال[3]

وفي مُضْمَرِ الظلْماءِ كالىءُ ظبيــةٍ بثعلبةٍ يُسْقَى بها الموتَ رئبــال

فصيحٌ بأسماءِ الكماةِ مبـــارزاً لِتُعْمَلَ فيها بالمهنّد أفْعــال

فيا بُعْدَ قُرْبٍ لم يبتْ فيه نافعاً بسيرك بالبُزْلِ الرّواسمِ إيغال[4]

ويا بأبي مَن لم يَزَلْ[5] من حُلِيّها لدى الغيد غَرْثانان[6] : قلبٌ وخلخال

فتاةٌ تداوي كلّ حين بصحّتي سقامَ جفونٍ ما لها منه إبلال

منعّمةٌ سَكْرَى بصهباءِ ريقــةٍ لها في اللمى طعمٌ ، وفي الخدّ جريال

---

١ في ب : بالمنى .
٢ في ب : الفجر .
٣ في ب : يقسمها بالطعن والضرب أبطال .
٤ في ب : لأجرد إيجاف ووجناء إيغال .
٥ مصححة عن ب ، وفي م : تزل .
٦ في ف وم : غرثان .

نظرتُ إليهــا نظرةً عرَفَتْ بهــا إشارةَ لحظٍ ، بالصبابة ، عُذّال

فقالوا : ّلأدْمى خدّها وَحْيُ طَرْفِه فقلتُ : لعمري فتّحَ الوردَ إخجال

فلجّوا وقالوا : جنّة كَذّبَتْ بها ظنونٌ ظننّاها ، ويا صِدْقَ ما قالوا

أبنتَ كريمِ الحيّ هل من كرامةٍ تُرَفَّعُ مخفوضاً به[1] عندك الحال

نهضتِ إلى هَجْرِ الوصالِ نشيطةً وأنتِ أناةٌ في النواعم مِكْسال

أرى العينَ من عينيك جانسْن خِلْقة[2] فمن أجلها حوليك ترتعُ آجال

فما لكِ عنّا تنفرين نِفارَهَا أفي الخَلْقِ منّا عند شكلِك إشكال

متى نَتَلَقّى منكِ إنْجازَ مَوْعِدٍ وفعلُكِ ذو بخلٍ وقولكِ مِفضالُ

وفيكِ على الرُّوّاضِ إدلالُ صعبةٍ ينالُ بها عزَّ امرىء القيس إذلال

ويُقْسِمُ للتقبيلِ فوكِ مُصَدَّقاً بأن التي تحوي القسيمةَ مِتْفَال

ولو سُلّ روحي من عروقي لَرَدّه[3] إليّ رضابٌ من ثناياكِ سلسال

أرى الوَقْفَ أضحى منك في الزند ثابتاً ولكنْ وشاحٌ منك في الخصرِ[4] جوّال

وأنتِ كعذبِ الماءِ يُحْيِي وربّما غدا شَرَقٌ[5] من شربه وهو قَتّال

---

١ مصححة عن ب ، وفي م وف : يرفع مخفوضاً بها ؛ وله وجه مقبول .

٢ في ف : خانسن خلقه .

٣ في ب : ولو سل مني الروح حتف لرده .

٤ في ب : فوق خصرك .

٥ في ب : شرقاً .

أيُؤمَن منك الحتفُ والكيدُ في الهوى وطرفُكِ مُغْتالٌ وعِطْفُكِ مُخْتال

حبيسٌ عليكِ العُجْبُ إذْ ما لبستِهِ من الحُسْنِ نعلاً عند غيركِ سربال

ولابسةٍ ظِلَّيْ دُجَـاها وأيْكِها وللسجع منها في القلائد إعمـال

تَكَفّلَ في الوادي لهـا بنعيمها رياضٌ كوَشْيِ العبقريّ وأوشال

شَدَتْ فانثنى رَقْصاً بكلّ سميعةٍ من الطير مهتزّ من القُضْبِ ميّال

فهل علماءٌ في الشوادي مصيخةٌ إليهنّ خُرْسٌ بالتّرنّم جُهّال

فورقاءُ لم تأرقْ بحزنٍ جفونُها وبُلبلةٌ لم يدرِ منهـا الأسى بال[1]

وأذكرتِني عَصْرَ الشبابِ الذي مضى لبُرديَ فيه بالتّنعّمِ إسبال

ونضرةَ عيشٍ كان هميّ جامداً به حيث تِبْري في الزجاجة[2] سيّال

ودارٍ غدونا عن حماها ولم نَرُحْ ونحن إليها بالعزائم قُفّـال

بها كنتُ طفلاً في ترعرع شِرّتي[3] ألاعبُ أيّام الصّبا وهي أطفـال

كستني الخطوبُ السودُ بِيضَ ذوائبٍ ففي خلّتي منها لدى البيض إخلال

أبعد أنيساتِ الهوى[4] أقطعُ الفلا ويسنحُ لي من[5] وحشها الجأبُ والرّال

---

١ في ب : همّاً لها البال .

٢ في ف : بالزجاجة .

٣ في م : شرفتي ؛ وما أثبته هو رواية ف .

٤ في ب : أمن بعد أكناف الحمى .

٥ في ف وم : في ؛ وما أثبته هو رواية ب .

ومن بعد وَرْدٍ في مقيلي وَسَوْسَنٍ أقيلُ ومشمومي بها الطَّلْحُ والضال

أُحالفُ كُورَ الحرفِ من كلِّ مهمهٍ تَوَارَدَ فيـه الماءَ أطْلَسُ عَسّال

له في حِجاجِ العين ناريّةٌ ، لها إذا طُفِئَتْ ناريّةُ الشمسِ ، إشعال

ويهديه هـادٍ من دلالةِ مَعْطِسٍ إلى ما عليـه من ظلامِ الفلا خال[1]

إذا جاء في جنح[2] الدجى نحو غيله تَصَدّى له في القوس أسْمَرُ مُغْتال

تطيرُ مع الفولاذِ والعُودِ نحوه من الموْت في الريش الخفائفِ أثْقال

ولي عزْمَـةٌ لا يَطْبَعُ القَيْنُ مثلَها ولو أنّهُ في الغمـد للهامِ فَصّال

وحزمٌ يبيتُ العجز عنه بمعزلٍ ورأيٌ به في اللبس يُرْفَعُ إشكال

أُصَيّرُ أخفافَ النجيب مفاتحاً لهمٍّ عليـه للتنائف أقْفـال

وأركبُ إذ لا أرض إلا غُطامِطٌ مطيّةَ ماءٍ سَبْحُها فيه إرقال

حمامةَ أيْكٍ ما لها فوق غُصْنها غِناءٌ له عند المعرّيّ إعوال[3]

وأُقسمُ ما هوّمتُ إلاّ وزارني على بُعْده الوادي الذي عنده الآل[4]

بأرضٍ[5] نباتُ العزِّ فيهـا فوارسٌ تصولُ المنايا في الحروب إذا صالوا

---

١ ب : إلى ما له في الشلو بالريح إضلال .

٢ في ب : ظل .

٣ إشارة إلى قول المعري في قصيدته التي يعارضها ابن حمديس بهذه القصيدة :

فقلت تغني كيف شئت فإنمـا غناؤك عندي يا حمامة إعوال

٤ في ب : بوادي الكرى . . . آل .

٥ في ب : بلاد .

تظلّلهمْ ، والروعُ يشوي أُوارُهُ ، ذوابلُ فيها للأسنّةِ[1] ذُبّال

إذا أطفأ الدجنُ الكواكبَ أسرجوا وجوهاً بها تُهْدَى المسالكَ[2] ضُلاّل

فمن كلّ قرْمٍ في النديّ هديرُهُ إذا ما احتبى قيلٌ من المجد أو قال

شُجاعٌ يصيدُ القِرْنَ حتى كأنّهُ إذا ما كساهُ الرمحُ أحقبُ[3] ذَيّالُ

وموسومةٌ بالبيض والسمر هُلْهِلَتْ عليهنّ من نَسْجِ العجاجاتِ أجلال

فَقُرّحُهَا يومَ الوغى وَمِهَارُهَا فوارسُها منهم ليوثٌ[4] وأشبال

ألا حبّذا تلك الديارُ أواهلاً ويا حبّذا منها[5] رسومٌ وأطلال

ويا حبّذا منها تنسّمُ نفحةٍ تؤدّيه أسحارٌ إلينا وآصال

ويا حبّذا الأحياءُ منهمْ وحبّذا مفاصلُ منهم في القبور وأوْصَال

ويا حبّذا ما بينهمْ طولُ نَوْمَةٍ تُنَبّهُني منها إلى الحشْرِ[6] أهوال

---

١ في ب : فيهن الأسنة .
٢ في ب : تسري إلى القصد .
٣ في ب : عامل الرمح ؛ والأحقب : الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض .
٤ في ب : أسود .
٥ في ب : وأهلها . . . منهم .
٦ في ب : البعث .

٢٣٩

وقال أيضاً

ما صدّ عنّي بوجهِهِ ولَهَا   إلا لأزدادَ في الهوَى وَلَهَا
رئمٌ إذا ما تَعَزّزَتْ أسُدٌ   عاجَلَهَا دَلُّهُ فذلّلَهَا
راشَ بسحرٍ سهامَ مُقْلَتِهِ   وبالحِمامِ المريجِ نَصّلَهَا
كأنّما جَنّـةٌ بوجنته   وبالعـذار يكونُ جدولها
كأنّما مَدّ هُدْبَ مُقْلَتِهِ   صَوْناً لها ظلُّهُ فظلّلها
كأنّما انسابَ من ذوائبه   سودُ أفاعٍ عليّ أرسلهـا
أو دبّ بالحسنِ فوْق عارضِهِ   نملٌ أصابَ المدادُ أرجلها

٢٤٠

وقال يصف الثريّا

وليلٍ كأنّي أجتلي من نجومِهِ   حريقَ ذُبالٍ أوْ بريقَ نصال
أشيمُ الثريّا فيه طالعةً كما   ثُنَيْتَ نظاماً فيه سَبْعُ لآل

٢٤١

وقال يصف الحمامة

وناطقــــةٍ بالرّاءِ سَجْعـــاً مُرَدَّداً	كحُسْنِ خريرٍ من تَكَسّرِ جَدْوَلِ
مُغَرّدةٍ في القُضْبِ تحسَبُ جيدَهـــا	مقلَّدَ طوْقٍ بالجمانِ المُفَصّلِ
إذا ما امّحى كُحلُ الدجى من جفونها	دَعَتْكَ إلى كأسِ الغزال المكحل
ملأتُ لها كفّ الصبوح زجـــاجةً	مُذَهَّبَةً بالرّاحِ فضّةَ أنمـــلِ
كأنّ بياضَ الصّبْحِ حُجّةُ مؤمنٍ	علَتْ من سوَادِ الليل حُجّةَ مبطل
كأنّ شعاعَ الشمسِ في الأفقِ إذ جلتْ	به صدأ الإظلام مِدْوَسُ صَيْقَلِ
أدِمْ لذّةً ما متّعَتكَ بساعـــةٍ	وما دمتَ عن عرق بغير ترحّلِ[1]
فما عيشةُ الانسانِ صفوٌ جميعُها	ولا آخرٌ من عمره نِدّ أوّلِ[2]

---

١ في م : عن عرق بغير مرجل . ولفظة عرق تحتاج تصويباً .

٢ في « م » بمداول ؛ ولعلها كما قدرت . وقد تكون « مثل أول أو صنو أول » وكلها بمعنى .

٢٤٢

وقال في الحرب

وَباكيــةٍ بعيونِ الجـــراحِ إذا ضحكتْ عن ثغورِ[1] الأسَلْ

لبستُ الغمامَ لها نَثْرَةً وجرّدْتُ[2] بارقهـــا المشتعِل

قددتُ بها الدرعَ فوق الكميّ كما شُقّ مَتْنُ غديرٍ غلَلْ

بأدْهَمَ يَسْقُطُ من ذِمْرِهِ على عُمْرِ كلّ شجاعٍ أجل[3]

يطيرُ به حافرٌ ، رَيْشُهُ شأى البرْقَ في خَطْفَةٍ عن عجل

فمبيض عضبي بمسودّه وأحمرُه بنجيــع القُلَل

ولو غُمِستْ فيه زُرْقُ العيون لَعُوّضَ من زَرَقٍ بالكَحَل

ولي عزمة لم تبعْ في السُّرَى نشاطَ السّهادِ بنوْمِ الكسلْ

إذا ما قذفْتُ ظلاماً بها تَفَرّتْ جوانبُهُ عن شُعَل

ويفتكُ بالمـــالِ للمعتفينَ عطاءُ يمينيَ فَتْكَ البطل

وأسبقُ صوْبَ الحيا بالنّدى بكفّيْ جوادٍ ، وخدّيْ خَجِل

إذا شمل القوْلُ حسنَ البديع فأين المروّي من المرتجِل ؟

---

١ في ب : بعيون .
٢ في ف : وبردت .
٣ في ب : بطل .

٢٤٣

وقال أيضاً

وَيْلي على مملوكةٍ مَلَكَتْ رقّي بحُسْنِ مَقالها ، وَيْلي
غيداءُ تسحبُ كلما انعطَفَتْ مِنْ فرْعها ذيلاً على الذيلِ
وكأنّها شمسٌ علـى غُصُنٍ مترنّحِ التقويمِ والميل
قالتْ،وقد عانقْتها سَحَراً ، لِمْ زُرْتَنا في آخر الليل ؟
فأجبتُها ، وغمرتُها قُبَلاً : هذا أوانُ إغارةِ الخيـل
حتى إذا بَزَغَتْ شبيهتُها كالتاجِ فوْقَ مفارقِ القَيْل
نزَعتْ كنزْعِ الرّوح من جسدي عنّي قلادةَ ساعـدٍ غَيْل
فنهضتُ أشرَقُ بالدموعِ كما شَرِقَ الفضاء بكثْرةِ السيل

٢٤٤

وقال أيضاً

مَلّني من لا أمَلّهْ وأذاب القلبَ دَلُّهْ
رشأ ينفرُ خوْفـاً كلّما مَـاشاهُ ظِلُّه

يا عليلَ الطرفِ، جسمي نظرة منك تَعِلّــه

نيطَ في خَصْرِكَ رِدْفٌ عَجَبي كيفَ تُقِلّهْ

يا غـــزالاً حَرّم اللّـ ـهُ دمي ، وهو يُحلّه

إنّما الحسنُ مَحَــلٌ لك أو أنت محَلّـــه

بعضُه في أوْجُهِ النّـــا سِ وفي وجهِكَ كلّه

٢٤٥

وقال يرثي بنيّـــة له

نَنامُ من الأيامِ في غَرَضِ النّبْلِ ونُغْذى بمُرّ الصّاب منها فنستحلي

وقد فَرَغَتْ للقَوْمِ في غَفَـــلاتِهِمْ حتوفٌ بهم تُمسي وتُصبحُ في شُغْلِ

أرى العالمَ العلويّ يَفْنى جميعُهُ إذا خَلَتِ الدّنْيا من العالم السفلي

ويبقى على ما كان من قبل خَلْقِـهِ إلهٌ هَدَى أهلَ الضّلالةِ بالرُّسْلِ

وَيَبْعَثُ مَنْ تحتَ التراب وفوقه نشوراً ، إليه الفضل ، يا لك من فضل

أرى الموت في عيني تخيّلَ شَخْصُهُ ولي عُمُرٌ في مثله يَتّقي مثلي

وكادتْ يدٌ[١] منــه تشدّ على يدي ورجلٌ له بالقُرْبِ تمْشي على رجلي

١ في ف : يدي .

وفي مدّ أنفاسي لديّ وجزرها ... بقاءٌ لنفسٍ غير مُتّصل الحبل

ثمانونَ عاماً عِشْتُها وَوَجدتُها ... تهدّمُ ما تبني وتخفضُ مَنْ تُعلي

وإني لَحَيٌّ[1] القوْلِ في الأمل الذي ... إذا رُمْتُهُ ألفيتُهُ ميّتَ الفعْل

إذا اللهُ لم يمنحكَ خيراً ، مُنِعْتَهُ ... على ما تعانيه من الحِذْقِ والنُّبل

فيا سائلي عن أهل ذا العصر دعْهُمُ ... فبالفَرْعِ منهم يُسْتَدَلّ على الأصْل

إذا خَلَلٌ في الحالِ منك وَجَدْتَهُ ... فإيّاكَ والتعويلَ منهم على خِلّ

تأمّلْتُ في[2] عقلي وضعفي فقل إذا ... سئلتَ : رأيتُ الشيخ في عُمُر الطفل

وَهَمٌّ له حِمْلٌ على الهمِّ ثِقْلُهُ ... فيا ليتَهُ مِنْهُ على كاهِلِ الكَهْلِ

رجعتُ إلى ذكر الحِمام فإنّه ... له زَمَنٌ ملآن بالغَدْرِ والخَتْل

وكم لَقْوَةٍ من قُلّةِ النيقِ حَطّها[3] ... إلى حيثُ تُفْنيها الذبابةُ بالأكل

وقسورةٍ أفضى إلى نزع روحه ... وشقّ إليها بين أنيابه العُصْل

فما للرّدى من منهلٍ لا نُسيغُهُ ... وواردهُ يَغْنى عن العَلّ بالنّهل

فيا غرسةً للأجرِ كنتُ نقلتُها ... إلى كَنَفَيْ صَوْنِي[4] وألحفتُها ظلي

وأنكحتُها من بعد صدقٍ حَمِدْتُهُ ... كريماً فلم تَذْمُمْ مُعاشَرَةَ البعل

١ في م : أحيي ، والتصويب من ف .
٢ في م : فأملت من ، وفي ف : تأملت من .
٣ اللقوة : العقاب . النيق : أرفع موضع في الجبل .
٤ لعلها : إلى كنفي صوناً .

أتاني نعيٌ عنكِ أذكى جوى الأسى | عليّ: اشتعالَ النارِ في الحطب الجزل
وجاءكِ عنّي[1] نعيُ حيٍّ فلم يُجِزْ | لك الكُحْلَ فيه ما لبستِ من الكحل[2]
على أنّ أسْماعَ البلادِ تَسامَعَتْ | به وهو يجْري بين ألْسِنَة السُّبْل
فَنُحْتِ على حيٍّ أماتَ شبابَهُ | زمانُ مشيبٍ لا يُجدّدُ ما يُبْلي
فمتّ بما شاءَ الإلهُ ولم أمُتْ | ليَكْتُبَ عمري من حياتي الذي يملي
وفارقت روحاً كان منكِ انْتزاعُهُ | أدقّ دبيباً في الجسوم[3] من النمل
أراني غريباً قد بكيتُ غريبــةً | كلانا مشوقٌ للمواطنِ والأهل
بكتني وظنّتْ أنّني متّ قبلها | فعشتُ وماتتْ ـ وهي محزونة ـ قبلي
أقامتْ على موتي ، الذي قيل ، مأتماً | وأبكتْ عيونَ الناسِ بالطّل والوَبْل
وكلٌّ على مِقدار حَسْرته بكَى | عليّ ولاقَى ما اقتضاه من الشكل
أساكنةَ القبرِ الذي ضُمّ قُطْرُهُ | على البرّ منها والديانــة والفضــل
أصابكِ حزنٌ من مُصَابيَ قاتلٌ | فهل أجلٌ لاقاكِ قد كان من أجلي ؟
وخلّفْتِ في حِجْرِ الكآبةِ للبكا | بناتٍ لأمّ في مفارقــةِ الشّمْل
يُرَيْنَ كأفْرَاخِ الحمامةِ صَادَها | أبُو ملحمٍ[4] في وكرهِ كأبي الشبْل

[1] ساقطة من ف .
[2] أي كانوا قد نعوه إلى ابنته ، وهو لم يمت بعد، فلبست عليه السواد ولم تعد تستجيز استعمال الكحل.
[3] بياض في ف .
[4] أبو ملحم : النسر .

بكتكِ قوافي الشعرِ من غزر أدْمُعٍ بكاءَ الحَمامِ الوُرْقِ في قُضُبِ الأثْل

وكلُّ مهـاةٍ حَوْلَ قبركِ بالفـلا لما بين عينيها وعينيكِ من شكل

فُرَوِّي ضريحاً من كفاحٍ عن الثرى له وابلٌ بالخصب ما خُطَّ بالمحل

أيا ربِّ إن الخَلْقَ لا أرتجيهمُ فكلّ ضعيف لا يُمِرّ ولا يُحلي

بحلمكَ تعفُو[1] عن تعَاظُمِ زلّتي وفضلك عن نقصي ، وحلمك عن جهلي

٢٤٦

وقال أيضاً يمدح المعتمد

بِجُمْلٍ حَدا الغَيْرَانُ بُزْلَ جمائلهْ وأرْقصَ قاماتِ القَنَا في قَنَابِلِهْ

فلا عَصَفَتْ ريحُ الفراقِ التي جرت[2] بها في خضمّ الجيش سُفْنُ[3] رَوَاحله

ودونَ مهاةِ الخِدرِ إقدامُ خادرٍ مبيد الشذا أظفارُهُ من معاقله[4]

حماليقُهُ حُمْرٌ كأنّ جُفونَهـا حُشِينَ بكحلٍ من نجيعِ عوامِلِه

يقلّبُ أجفاناً وِراداً كأنّما تَوَارَدَ يومَ الطعن مُشْرَعُ عاملـه

---

١ في ف : تغفر ، وفي هامشها : لعلها تعفو .

٢ في ب : سرت .

٣ في ف : سفر .

٤ ب : ليث عرينه ، رقاق مواضيه وصم ذوابله .

وقالوا: قفوا كيْ تسمعوا حدوَ عيسهم[1] بعاجلِ ما يُرْدي النفوسَ وآجلـه

وَقفْنا نُرَامي بالهوَى مَقْتَلَ الهوَى[2] ونقْرأُ في الألحاظ وَحْيَ رسائلـه

ونرقبُ سِرْباً في الخدور، عقولُنا مبدّدةٌ للبين[3] بين عقـائله

أنيسُ الهوى للموْتِ حوْلَيْه وَحشةٌ[4] فأُسْدُ الشّرَى مخذولةٌ عن خواذله

ويوْمَ صَلينَا فيه نارَ صبــابةٍ فلا لَفَحَتْ إلا وجوه أصائلـه

عشيّةَ أبكى البين من رحمةٍ لنـا بكاءَ قتيل الشوق[5] في إثر قاتلـه

وفي صدفٍ[6] الأحداجِ مكنونُ لؤلؤٍ تُكَفِّفُ بأطرافِ الظُّبا كفَّ باذله

طَمَى بالمنايا الحُمْرِ لجُّ سرابِهِ فكم غائصٍ لهفـان من دونِ ساحلـه

فمَن لقتيلٍ بالقَتول وقد غدتْ وسائلُهُ مصرومةً من وَسَائله

ووقفةِ رودٍ بضّةِ الجسم غَضّةٍ لتوديع صَبٍّ شاحبِ الجسمِ ناحله

شَجٍ كانَ من قبلِ التفرّق يشتكي نميمةَ واشيـه وتأنيبَ عــاذله

وفي بُرْقُعِ الحسناءِ مقلةُ جؤذَرٍ بها رُدّ كيدُ السحرِ في نحر بابلـه

١ في ب : قفوا تسمعوا حدو الحداة ركابكم .

٢ في ف : ترامي بالنوى مقل الهوى .

٣ في ب : مقسمة بالبين .

٤ في ب : أنيس الهوى يتلود للموت وحشة . . . فتخذل آساد الشرى عن خواذله .

٥ في ب : الحب .

٦ في ب : نثرنا على .

ولو شامَ هاروتٌ وماروتُ طَرْفَهُ لما أصبحا إلاّ قنيصيْ حبائله

جنَى غَيْرَ مستبقٍ ثمارَ قلوبنا فعنّابهن[1] الرطبُ ملءُ أناملـه

وأغلبُ ظنّي أنّ ما في وشاحهِ كساهُ نحولاً حبٌّ ما في خلاخله

طوَى ما طوى ذاك النجاءُ من الهوى فيا مَنْ لقلبٍ مِن نجيٍ[2] بلابله

فجاد عليهم كلٌّ باكٍ ربابُهُ ضحوكُ المغاني عن أقاحي خمائله[3]

إذا انهلّ فيه الوَدقُ عاينت[4] منهما عطاءَ ابن عبّاد وراحةَ سائله

همامٌ يموجُ البرّ كالبحر حوله إذا رَفَعَ الرّاياتِ[5] فوقَ جحافله[6]

وقلّبَ فيها الموْتُ في لحْظِهِ العدى عيونَ ذبالٍ في لدان ذوابله

تحملقُ أبصارُ الورَى عند ذكرِهِ[7] لكيما ترَى بدر العُلى في منازله

إذا جارَ دهرٌ كان منه ملاذُنا بِحِقْوَيْ[8] أبيٍّ قيّمِ الملكِ عادله

يصونُ الهدى منه إذا خاف ضَيْمَهُ بحاميه من كيدِ الضّلالِ وكافله

---

١ مصححة عن ب ، وفي ف وم : بعنابهن .

٢ في ب : فيا من لقلبي من تجني .

٣ في ب : فلا غرسوا إلا بكل منور بكاء الفؤاد لابتسام خمائله

٤ في ب : إذا سح فيها الودق أبصرت .

٥ في ب : إذا سار بالرايات .

٦ في ف : مخافله .

٧ في ف : ذكرها .

٨ في ب : بشهم .

أخو عزَمَاتٍ للهجوع مهاجرٌ إذا هَجَعَتْ عينُ العُلى عن مواصله[1]

رقيقُ الحواشي أقعسُ [العزّ] ماجدٌ كأنّ شَمُولاً رقرقتْ في شمائلــه

شديدُ عراكِ البأس يَعْقِرُ قِرْنَهُ إذا استطعم السرحانُ ما في جمائله[2]

وفي غيضةِ الخطيّ ليثٌ كأنّما عليه من الماذيّ لينُ غــلائله

تورّدُ في الأجيــاد صفحةُ سيفه وتنهشُ في الأكباد حيّةُ عامله

مقيمٌ بأرْضِ الرّوْعِ حيثُ سماؤها[3] تمورُ عليه من مُثــار قَسَاطلــه

كأنّ مقــامَ الحربِ أشهى ربوعــهِ إليه ، وبيضُ الهند أدنى قبائلــــه

ومخضلّ أوراقِ الصفائح ضُرّجتْ[4] بكلّ دمٍ أنْدى نباتِ غوائلــه[5]

لُهــامٌ عليــه للعجاج غلائلٌ لها طُرُزٌ من بارقات مناصله

وتحسبه بحراً تلفّ عواصفــاً أواخرَه ، أرواحُهُ ، بأوائله

يظلّلُهُ سِرْبٌ من الطير مُلْحِمٌ يروحُ بأرواحِ العدى في حواصله

إذا ما رمى قُطْراً به عزْمُهُ اغتَدَتْ أعاليهِ بالتدمير تحت أسافلــه

إليك زجرْنا[6] الفُلْكَ في كلّ زاخرٍ معــالِمُنا مفقودةٌ في مجــاهله

---

١ في ب : أخو عزماتٍ يهجر النوم جفنه سلوا جفنه في حزمه عن مواصله

٢ في ف : حمائله .

٣ في ف : سماؤه .

٤ في ف : ومخضر . . . صرحت .

٥ في ف : أيدي بنات غوائله ؛ والمعنى أن ممدوحه يعتقد أن ورق السيوف المضرجة بالدم هي أندى نبات أنبتته غوائله . والغوائل : الدواهي .

٦ في ب : امتطينا .

مدافعــةُ الأهوالِ مدفوعةٌ إلى جنائبــه تجري بها أو شمائلــه

إلى مَلِكٍ في سيفِهِ وَبَنَانِهِ جهنّمُ شانيه ، وجنّةُ آملِه

ومعجزِ آيات الندى ذي سماحةٍ مجانسِ نظم المكرمات مقابلــه

كريمٌ إذا هبّت رياحُ ارتياحــه جَرَتْ سُفُنُ الآمال في بحرِ سائله

رفعْنا عقيراتِ القوافي بِمَدْحِهِ فأطْرَبْنَ أسْماعَ العُلى في محافله

سلونيَ عنه ، واسْمعوا الصدق ، إنّني أُحَدّثُ عن هِمّاته وفواضلــه

ولا تسألوني عن فرائض طَوْله إذا غَمَرَ الدنيا ببعضِ نوافله

فأنْدى بني ماءِ السماءِ محمّــدٌ وهل طَلُّ معروفِ السماء كوابلــه

٢٤٧

وقال أيضاً يمدحه

وِرْدُ الخدودِ ونرْجسُ المُقَلِ عَدَلا بسامِعَيّ عَنِ العَذَلِ

ومواردُ الرّشَفاتِ مُرْوِيَتي حيثُ[١] الميــاهُ مثيرةٌ غُلَلي

خَذَلَتْكَ باللّحَظاتِ خاذِلَةٌ في الإجل ترْسل[٢] أسهم الأجَل

....

١ في ب : فلذا .

٢ في ب : خذلت نهاك بلحظ خاذلة . . . ترشق ؛ والإجل : القطيع من بقر الوحش .

مِنْ مُقْلَةٍ نَقَلَتْكَ قهوتها[1] بالسُّكْرِ من خَبَلٍ إلى خَبَلِ
ولَقَلَّما يصحو امرؤ حَكَمَتْ فيه[2] كؤوسُ الأعينِ النُّجُلِ
إنّي امرؤ ما زلتُ أنْظمُ في جيدِ الغزال قلائدَ الغزل
وجنيّةٍ[3] ضَنَّتْ على نظري بجنيِّ وَرْدِ الوجنةِ الخَضِلِ
صَبَغَتْ غلالةَ خدّها بدمي إن لم يكن فبعندمِ الخجل
تعلو بعود أراكةٍ بَرَداً غَبَسَلَتْ حَصَاهُ مدامعُ السَّبَلِ[4]
وتكفّ عن فَلَقٍ دُجى غَسَقٍ بمضرَّجاتٍ من دَمِ البطل
وكأنّما خاضَتْ ذوائبُها من جفنها في صِبْغَةِ الكحل
يا هذهِ استبقي على رَجُلٍ أفحمتِهِ بالفاحمِ الرَّجِلِ
لا تسأليهِ عن الهوَى وَسَلي عنه إشارةَ دَمْعِهِ الهَطِلِ
عَطَفَتْ وقالتْ : رُبَّ ذي أملٍ ظفرتْ يداهُ بطائل[5] الأمل
قِبَلي ديونٌ ما اعترفتُ بها إلاّ لأمنَحَ مُجْتَنَى قُبَلي
واهاً لأيّامٍ سُقيتُ بها كأسَ النعيمِ براحةِ الجذَلِ

---

١ في ب : نشوتها .
٢ في ب : أخذت منه .
٣ الجنية : التي ثمرها صالح للجني ، وأطلق حسان اللفظة على الخمر فقال في بعض الروايات : كأن جنية من بيت رأس . . البيت .
٤ في ب : بمدمع السبل ؛ والسبل : المطر .
٥ في ب : بباطل .

لم يبقَ لي من طيبهنّ سوى ما أبقتِ الأحـــلامُ في المقـــل

ثم اعتبرتُ ، هدايةً ، زمني فإذا تَصَرّفُــهُ عليّ ولي

يا لائمي نَقّلْ ملامَكَ عنْ نَدْبٍ وصيّرْهُ إلى وَكِلِ

أعلى الزّمـــاعِ تلومُ مغترباً[1] يقري الرّحال[2] غواربَ الإبلِ

إني أُقيمُ صـــدورَها لسُرًى يهدي كلاكِلَهـــا إلى الكَلَلِ

وأروحُ عن وطني إذا دَميَتْ بعدي مدامعُ دُمْيَةِ الكِلَلِ

والسيفُ لا يَفْري ضريبَتَهُ حتى تُجَرّدَهُ من الخِلَلِ

سأثيرُها مِنْ كلّ طاعِنَةٍ صَدْرَ الفلاةِ بأذْرُعٍ فُتُلِ

فإذا بلغْنَ محمّداً أمِنَتْ غَلَسَ البكور وروحة الأُصُلِ

وإلى ابن عَبّـــادٍ تَعَبّدها رَمْلاً قَطَعْنَ مـــداهُ بالرّمَلِ

ترعَى الرسيمَ إلى الوجيفِ بنا بَدَلاً من الحَوْذانِ والنّفَلِ

صُوْرٌ[3] العيونِ إلى سَنَا مَلِكٍ حيٍّ السماحة ميّتِ البَخَـــلِ

مَلِكٌ تقابلُ منـــه أُبّهةً تُغْضي العيونُ بها إلى القَبَلِ

فتُزَرّ لأمتُهُ[4] على أسَدٍ وَتُلاثُ حَبْوَتُهُ عـــلى جبلِ

---

١ هذه رواية ب ، وفي ف : معترفاً .

٢ في ف وم : الرجال .

٣ صور : جمع أصور وصوراء ، أي المائل أو المائلة العنق .

٤ في ب : نثرته .

لو لم يَزُرْ[1] مغناهُ ذو عَدَمٍ ألقى نداهُ له على السّبُل
أو زاره في الحشر آثَرَهُ كَرَماً عليه بصالحِ العمل
أحسبتَ أنّ يمينَهُ فَرَغَتْ ؟ هي للندى والبأس في شُغُل
أسَدٌ على الفُرْسانِ[2] يَفْرِسُها عند انقراضِ الأمنِ بالوجل
وكتيبةٍ شهباءَ رانيةٍ تحتَ العجاج بأعيُنِ الأسَل
جاءتْ بها الآسادُ تزأرُ في غيل الصّوارِمِ والقنا الذّبُل
والطعنُ يلحقُ من سوابغِهِم حَدَقَ الجرادِ بأعين الحجل
وكأنّ سُمْرَ الخطّ في شَرَقٍ بالعلّ من دمهمْ وبالنّهَل
وكأنّما يلحسْنَ في غُدُرٍ مُهَجَ الكماةِ بألسنِ الشّعَل
خطبتْ سيوفُك من سراتهمُ[3] لِعُلاكَ فوق منابِرِ القُلَل
يا مانحاً برشاءِ صَعْدَتِهِ بين الأسنّةِ مُهْجَةَ البطل
رمحٌ يروقُ الطرفَ[4] مُعْتَقَلاً في كفّ غيرك غيرَ معتقل
أيّ الملوك لك الفداءُ ، وقد صيّرْتَ جِلّتَها من الخول
دامتْ لك الدنْيا ودُمْتَ لها وأقامَ سيفُكَ كلّ ذي مَيَل

١ في ب : يرد .
٢ في ب : الآساد .
٣ في ب : في فوارسها .
٤ في ب : رمحاً يروق الطعن .

٢٤٨

وقال أيضاً

تخريجها : في النهاية منها ٣٥ ، ٣٧–٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ ، وفي النفح والطراز : ١١ – ٢٢١ ؛ الأبيات : ٣٥ – ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ وفي الذخيرة : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨–٤٠ ، ٤٢–٤٧ ، ٥٠ – ٥٢ (وهذه لم ترد في الديوان) ٥٩ – ٦٠ .

أغُمْرَ الهوى كم ذا تُقَطّعُني عَذْلا ... قتلتُ الهوى علماً ، أتقتلني جهلا

أظنّك لم تُفْتَحْ عليك نواظِرٌ ... إذا هي أعْطتْ صبوةً أخذَتْ عقلا

ولا عَرَضَتْ من بيضهن[١] سوافرٌ ... عليكَ الخدودَ الحُمرَ والأعينَ النُّجلا

لم يصبِ منكَ القلبَ مَشْيُ جآذرٍ ... يُنَزِّع فيه التّيهَ أقدامَها نَقْلا

ولم ترَ سِحْراً كالعيون تَخالُنا ... بِزَعْمِكَ أحياءً ونحنُ بها قتْلى

ومن أعجبِ الأشياءِ أنّ سيوفَها ... تعودُ رماحاً ، حيثُ تلحظُ ، أو نبلا

خرجتُ على حدّ القياس[٢] مع الهوى ... فقلْ مَن أمَرّ الكأسَ من بعد ما أحلى[٣]

---

١ في ب : بينهن .

٢ في ف وم : عز القياس ؛ ولعلها : غير القياس .

٣ في ب : وكم ذي قياس عن هدايته ضلا .

ولما كتبتُ الحبّ في القلب وارتقى إلى الطرْفِ ماءُ الشوقِ أنكرَ[1] ما أملى

وبي كلّ غيـداءِ القوامِ كأنّما يُطاولُ منها قدُّها شَعَراً جَثْلا

لهـا بله بالحبّ[2] تحسبُ جِدّهُ إذا هزّ أعطافي بنشوته هـزلا

إذا غرَستْ في مسمعِ الصّبّ موْعِداً جنَى بيد التسويفِ من غرْسها[3] مَطْلا

وإن هي زارَتْ خلتَهـا مستعيرةً لهـا من خطيب الحفل جلسته العَجْلى

أرى البيض مثل [البيض[4]] تقطعُ وصْل من يُقطّعُ في كفّيه من غيره وصلا

فلا تأمنَنْ منهنّ إن كنتَ حازماً ولا من هواهـا المرءَ خبلاً ولا ختلا

وساقٍ ، على ساقٍ ، يُصرِّفُ بيننا بكأسٍ نَظَمْنا للسرور بهـا شَملا

كلؤلؤةٍ بيضـاءَ في الكفّ أقبلتْ بياقوتةٍ حمراءَ مظهـرةً حَمْلا

كأنّ وثُوبَ السُّكْرِ فيها مُساورٌ يدبّبُ منـه في مفاصلها نملا

ترَكْنا لها من جوْرِها ما يُسيئُنَا فمن مزْجِهَا بالمـاءِ قارنتِ[5] العدلا

وعذراءَ كانت وردةً قبل مزجهـا ومن بعده عَنّتْ[6] لمبصرهـا شعـلا

إذا واجهتْ كاساتُهـا الليلَ خلتَها تهتّكُ من ظلمائه حُجُباً كُحْلا

---

١ في ف : أذكر .

٢ في ب : في الحب .

٣ في ف : غرسه .

٤ ساقطة من ف وفي موضعها : من .

٥ في ف : قاربت .

٦ في ب : صارت ، وفي ف : غنت لتصرفها .

وتحسبُها تجلو علينـــا عرائساً وشاربُهـــا يفتضّ منهنّ ما يُجلى[1]

* * *

وجدنا «نَعَمْ» في الناس يُهجرُ قولُها كأنّ على الأفواهِ من لفظها[2] ثِقْلا

ولما اجتواهـــا كلّ حيٍّ[3] تعلّقتْ بلفظ ابن عبّادٍ فكان لها أهـلا

جوادٌ بما فوق الغنى لك والمُنى فهمّتُكَ العُلْيـــا لهمّته سفلى

ترى الناسَ يستصحون من جود كفّه إذا الوبلُ منه انهلّ واتّبعَ الوبـــلا

هزبرُ[4] الوغى بالسيفِ والرمح مقـــدمٌ لـــه الضربةُ الفرغاءُ[5] والطعنةُ النجلا

تنوءُ به غِرّاً حفيظةُ عَزْمِهِ وترجَحُ أسبابُ الأناةِ به كهلا

وحربٍ أذيقتْ في بنيهـــا ببأسِهِ مرارةَ كأسِ الثكل لا عَدِمتْ ثكلا

وكانتْ عيونُ الماءِ زُرْقاً فأصبحتْ بما مازَجَتْهُ من دمائهمُ شُهْلا

وما ولدتْ سودُ المنايا وَحُمْرُهَا على الكره حتى كان صارِمُكَ الفحلا

أقائدَهـــا قبَّ الأياطـــلِ لم تَدَعْ لـــه عنـــد أعداءٍ إغارتُها ذَحْلا

حميتَ حمى الاسلام[6] إذ ذدتَ دونه هزبراً[7] ورشّحْتَ الرشيدَ لـــه شبلا

---

١ في ب : يفتض منها التي تجلى .

٢ في ب : قولها .

٣ في ب : لفظ .

٤ في ب : قريع .

٥ الفرغاء : الواسعة ؛ وفي ف وم : الفرهاء .

٦ في ب : حريم الله .

٧ في ب : هصوراً .

لئن قلتُ[1] فيه صحّ تأليفُ سُؤْدَدٍ فبارِعُ نَقْلٍ من شمائِلِكَ استملى

* * *

ألا حبذا العيدُ الذي عكفت به على كفّك الأمواهُ تُمْطِرُها[2] قُبْلا

ويا حبّذا دارٌ يدُ الله مَسّحَتْ عليهـا بتجديدِ البقاءِ فما تبلى[3]

مُقَدَّسَةٌ لو أنّ موسى كليمَهُ مَشَى قَدَماً في أرضها خَلَعَ النعلا

وما هي إلا خطةُ الملِكِ الّذي يحطّ لديه كل ذي أملٍ رَحْلاً[4]

إذا فتحت أبوابُها خلتَ أنهـا تقولُ بترحيبٍ لداخلها : أهـلا

وقـد نقلتْ صُنّاعُها من صفـاته إليهـا أفانيناً فأحسنتِ النقـلا

فمن صدره رحباً ومن وجههِ[5] سناً ومن صيتِه فرعاً ، ومن حلمه أصلا

وأعلتْ بها[6] في رتبـةِ الملك نادياً وقلّ لـه فوْق السماكين أن يُعْلى[7]

نسيتُ به إيوانَ كسرى لأنّـه أراني له مَوْلى من الفضلِ[8] لا مثلا

---

١ في ف : صح .

٢ في ب : ترشفها .

٣ في ب والنفح والنهاية : . . . . . . قضى الله أنها يجدد فيها كل عز وما يبلى

٤ النفح : يحط إليه . . . . . رجلا .

٥ النفح والنهاية : نوره .

٦ في ف : به .

٧ النفح و ب : وقل لها فوق السماكين أن تعلى .

٨ النفح : الحسن ؛ وفي الذخيرة : أراني مثلا ما رأيت له مثلا .

كأنَّ سليمانَ بنَ داودَ لم تُبِحْ   مخافتُهُ[1] للجنِّ في شَيْدِه مَهْلا

كأنَّ عيونَ السحر نافــذةٌ لــه   على كلِّ بانٍ غايــةً منــه أو فضلا[2]

فجاء[3] مكانَ القول نبعثُ وَصْفَهُ   رقيقاً ، وأذنُ الدهر تسمعه جــذلى

تجوزُ[4] لــه الأمواهُ بركةَ جــدولٍ   تخالُ الصَّبا منــه مُشطَّبةً نصلا

إذا اتَّخَذَتْها الشمسُ مرآةَ وجْهِها   أحالتْ عليها من مداوِسِها صَقْلا

ترى الشمسَ فيه ليقةً تستمدُّها   أكفٌّ أقامتْ من تصاويرها شكلا

لهــا حركاتٌ أُودِعَتْ في سُكونِها   فما تَبِعَتْ في نقلهنَّ يدٌ رِجلا

[وقد توّج البهو البهيّ بقبّــةٍ   فقلْ في عروسٍ في جلابيبها تُجلى][5]

[تجمعتِ الأضــدادُ فيهــا مصانعاً   ولم أرَ خَلْقاً قبلها جَمَعَ الشَّمْلا]

[وأغربُ ما أبصرتُ بعد مليكهــا   بها مُتْرَعٌ يعدي الشجاعةَ والبذلا]

تنادمُ في غنّاءَ غنّتْ حَمَامُها   فوارسَ أغصانٍ ترجّحها حَمْلا

إذا شَرِبتْ وُدَّ المؤيّد صيّرَتْ   خلائقَهُ راحــاً ورؤيتَهُ نُقْلا

كأنَّ مها الأحْداج حلّتْ سماءَهــا   وإن لم تكن إلا حنياته[6] بُزْلا

---

١ الذخيرة : أوامره .

٢ الذخيرة : عليهن فصلا من بدائعه فصلا .

٣ الذخيرة : فكان .

٤ الذخيرة : تحوز .

٥ ما بين معقفين زيادة من الذخيرة .

٦ في ف : حبياته ، وفي ب : حبابه .

كأنّ سهاماً أُرْسِلَتْ عن قسيّها فما،عَدِمتْ عينُ الحسودِ بها سَمْلا

وما شئتُ مما لو عُنيتُ بوَصْفِهِ سلكتُ إليه كلّ قافيةٍ سبــلا

فتحسبُ ما في الأرض من حيوانها رَقَى شَرَفاً فيــه إلى الفلكِ الأعــلى

ولمّا عَشينَا من توقّد نورها تَخِذْنَا سناهُ من نواظرنا كُحْلا

فيا دارُ أغضى الدهرُ عنكِ وأكثرتْ أسودُكِ نسلاً فيــه يختتل[1] النّسلا

٢٤٩

وقال يصف الزرافة

تخريجها : في النهاية ٩ : ٣١٨ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ . وفي المطالع ٢ : ٢٥٩ الأبيات : ١ – ٣ ، ٧–٩ ، ١٢ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ .

ونوبيّةٍ في الخَلْقِ منهــا خَلائِقٌ[2] متى ما تَرَقّ العينُ فيهــا تَسَهّلِ[3]

إذا ما اسمُها ألقاهُ في السمع ذاكرٌ[4] رأى الطرفُ منــه ما عنـاه[5] بمقول

١ هذه رواية الذخيرة ، وفي ف : يحتبل .

٢ في ب : غرائب .

٣ النهاية : تسفل .

٤ النهاية والمطالع : زاجر .

٥ ب : منها ما حكاه .

لها فخذا قَرْمٍ وأظلافُ قَرْهَبٍ وناظِرتَا رِئمٍ ، وهامـةُ ايّلِ

مُبَطَّنَةُ الأخلاقِ[1] كبراً وعزّةً فمهما تَجُدْ بالمشي[2] في المشي تبخل

وكم حَوْلهَا من سائسٍ حافظٍ لها يُكرّمُها عن خُطّـةِ المتبذّلِ

ترى ظِلفَ رِجْلٍ يلْتقي إن تنقّلَتْ بظلفِ[3] يدٍ منهـا عزيزِ التنقّل

كأنّ الخطوطَ البيضَ والصّفرَ أشبهتْ على جسمها ترصيعَ عاجٍ بصندل[4]

ودائمةُ الإقْعاءِ في أصْلِ خلْقها إذا قابلتْ أدبارها عين مُقْبل

تَلفّتُ أحيـاناً بعينٍ كحيلـةٍ وجيدٍ على طول اللـواءِ مظلّل[5]

وعرفٍ دقيقِ الشّعْرِ تحسبُ نبتَهُ إذا الرّيحُ هزّتْهُ ذوائبَ سُنْبُل

تَنَفّسُ كبراً من يراعٍ مُثقّبٍ فتعطي جَنوباً منه عن أخْذِ شمأل

وتنفضُ رأساً في الزّمام كأنّما[6] تريكَ له في الجوّ نفضةَ أجْدَل

إذا طلع النطحُ استجادتْ نطاحَهُ برأسٍ له هادٍ على السُّحبِ مُعْتَلِ

وقرنين أوْفَتْ منهما كلّ عقـدة كرمّانيّ بابِ الخباءِ المُقَفّل

---

١ في ب : مبطنة الأحداق .

٢ في ب : بالحسن .

٣ ساقطة من ف .

٤ المطالع : مصندل .

٥ النهاية : المظلل .

٦ النهاية : كأنها .

إذا قُمّعا بالتبر زادتْ تعزّزاً   على كلّ خودٍ ذاتِ تاجٍ مُكلَّل
وتحسبها من نفسها[1] إن تبخترتْ   تُزَفّ إلى بعلٍ عروساً وتَنجلي[2]
وكم منشدٍ قولَ امرىءِ القيس حوْلها   «أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلّل»

٢٥٠

وله في السيوف

ومُعَطّشاتٍ في سُعُورِ قُيُونها   تُسْقى نجيعَ جماجمٍ وكواهـل
ومن البروقِ على الرؤوس لوقْعها   رعـدٌ يَصُوبُ من الدماءِ بوابل
وكأنّ أجنحةَ الفراشِ تقَطّعتْ   منثورةٌ منهنّ فوق جـداول
من كلّ أبيضَ راكضٍ في غِمده   لجّ المنية مُعطبٌ بالساحل
يفري الضرائبَ في حباكِ سرْدِها   بمضاربٍ شهِدتْ وقائعَ وائل
وكأنّما قفرٌ يطولُ بمتنِهِ   في رملـه للنملِ اثر أنامـل

---

١ النهاية : مشيها .
٢ في ف : وتجتلي .

٢٥١

وله في سيف

وذي رونقٍ ترْتاعُ منه كأنّما عروسُ المَنايا فيه للعين تُجتَلى

صموتٍ عن النطقِ المبين لسانُــهُ فإن قَرَعَ البَيْضَ اليمانيّ وَلْوَلا

جرَى والتظى سَلاًّ فقلتُ تعجّباً : متى فَجّرَتْ كفٌّ من النار جدولا

لهامِ العِدَى منه سجودٌ على الثّرى إذا ما اغتدى منه ركوعٌ عــلى الطلا

٢٥٢

ولــه فيه

وأبيضَ تحسبُ فيــه الفرندَ يثيرُ هباءً على جدول

إذا دُعيَ الموتُ بالهزّ منه أجــابَ بصلصلة الجلجل

وما سُلّ للضرْبِ إلاّ أسالَ على خــدّه أدمعَ المقتل

ترى فيه عينُك غَوْلَ الحِمامِ يهمّ بأكلِ يدِ الصيقل

ومـــاءٌ به شرقاتُ الردى تدَبّعَ في قَبَسٍ مُشْعَل

تقلّـــدني إذ تقلّـــدته ألا إنّني مُنْصُلُ المنصـل

٢٥٣

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ

مُلْكٌ جديد مثل طَبْعِ المُنْصُلِ نمش الفرند عليه صنع الصيقل

ورياسةٌ عُلْويّةٌ ترنو إلى زُهْرِ الكواكبِ إذ ترَاءتْ من عَلِ

وسعادةٌ لو أنّها جُعِلتْ على هَرِمٍ لعادَ إلى الشّبابِ الأوّل

هاتِ الحديثَ عن الزّمانِ وحُسْنِه وَخُذِ الحديث من المُحدّث عن علي

من ألحفَ الدنْيا جَناحَيْ عدْلِهِ وأجارَ من صرْفِ الخطوبِ المعضل

من مَهّدَ الملكَ العظيمَ وناهضاً للمكرمات بكلّ عبءٍ مثقل

ملك تَفُلّ عداتَهُ عزماتُهُ بصوارم قَدَريّةٍ لم تُفْلَل

برٌّ إذا عَمَلٌ خلا من نُصْحِهِ ورجا التقيُّ قبولَه لم يُعْمَل

شربتْ قلوبُ الناس منه محبةً كَرْعَ الصوادي في عذوبةِ منهل

وقضى له بالنّجْحِ مبدأُ أمرِهِ ويدلّكَ الماضي على المستقبل

وسما يحلّقُ في العلى بعداته مثلَ البغاثِ خَشِينَ وَقْعَ الأجدل

إياك أن يختالَ منهم جادلٌ فحسامُهُ للجيدِ منه يختلي

إن الشريعةَ منه تُشْرِعُ عاملاً من كلّ باغٍ عاملاً في المقتل

وَرِثَ المَمالِكَ مِن أَبيهِ فَحازَها وَتُراثَ مَجدٍ في الصَميمِ مُؤَثَّلِ
حَسَمَ المَظالِمَ عادِلاً فَكَأَنَّهُ مِن سيرَةِ العُمَرَينِ جَدَّدَ ما بَلي
كَم قالَ مِن حَيٍّ لِمَيتٍ : قُمْ تَرى ما نَحنُ فيهِ مِنَ التَنَعُّمِ مُنذُ وَلي
إِنَّ ابنَ يَحيى في المَفاخِرِ ، ذِكرُهُ مُتَضَوِّعٌ مِنهُ فَمُ المُتَمَثِّلِ
مَلِكٌ إِذا خَفَقَتْ عَلَيهِ بُنودُهُ فَالخافِقانِ لَهُ جَناحا جَحفَلِ
يَقتادُ كُلَّ عَرَمرَمٍ مُتَموِّجٍ كَالبَحرِ تَركُضُهُ نَؤوجُ الشَمأَلِ
وَتُريكَ في أُفْقِ العَجاجِ رِماحُهُ شَرَرَ الأَسِنَّةِ في رَمادِ القَسطَلِ
في كُلِّ سابِغَةٍ كَأَنَّ قَتيرَها حَدَقُ الجَنادِبِ في سَرابِ المَجهَلِ
ماذِيَّةٌ يَشكو لِكَثرَةِ لَحمِها ضُرّاً بِلا نَفعٍ لِسانُ المُنْصُلِ
كَغَمامَةٍ يَجلو عَلَيكَ بَريقُها في السَردِ لَمعَ البارِقِ المُتَهَلِّلِ
يَفتَرُّ عَن ثَغرِ الرِئاسَةِ ، وَالرَدى جَهْمٌ يَلَذُّ بِعَضِّ نابٍ أَعصَلِ
إِن كَرَّ في ضَربِ الكُماةِ بِمُرهَفٍ قَدَّ الحَديدَ عَلى الكَمِيِّ بِجَدوَلِ
وَتَخالُ يَومَ الطَعْنِ مُهجَةَ قِرْنِهِ تُجري السَليطَ عَلى السِنانِ المُشعَلِ
لا تَسأَلَنْ عَن بَأسِهِ وَاقرَأْهُ في صِفَةِ الحَديدِ مِنَ الكِتابِ المُنزَلِ
صَلْتُ الجَبينِ ، عَلى أَسِرَّةِ وَجهِهِ نورٌ يُشيرُ إِلى الظَلامِ فَيَنجَلي
ثَبَتَتْ رَصانَةُ حِلمِهِ فَكَأَنَّما أَرساهُ خالِقُهُ بِهَضْبَةِ يَذبُلِ

ما زلتَ في رُتَبِ العُلا متنقّلاً وكذا انتقالُ البَدر في الفَلَكِ العلي

وموفّقُ الأعمالِ تحسبُ رأيَهُ صُبْحاً يقدّ أديمَ ليلِ ألْيَلِ

وتكادُ تُرْدي ، في الغمودِ ، سيوفُهُ وتبيدُ أسهُمُهُ ، وإن لم تُرْسَلِ

دُمْ للمعـــالي أيّها الملك الذي أسْدَى الأماني من يمينَيْ مفضل

نِعَمٌ تُنَوِّرُ في الأكفّ كما سقى عينَ الرياض حَيَا السحابِ المُسْبَل

وَفَدَتْ عليك سعودُ عامٍ مُقْبِلٍ فتلقّهُ بسعودِ عزٍّ مقبـــل

أهْدَى التحيةَ واستعارَ لنُطْقِهِ من كلّ ممتدح فصاحةَ مِقْوَل

وَسَعَى بأرضِكَ واضعاً فَمَهُ على تُرْبٍ بأفواهِ الملوكِ مُقَبَّل

وكأنّهُ بك لـــلأنامِ مهنّىءٌ ومبشّرٌ لك في علوّ المنزل

بمراتبٍ تُبْنَى وبأسٍ يُتّقَى وسعادةٍ تَنْمي ، وكعبٍ يعتـــلي

٢٥٤

وقال يمدح أبا الحسن عليّ بن يحيى المـــذكور

نَهِتِ الكواشحَ عنهُ والعُذّالا فكأنّما ملأتْ يديه وصـــالا

أتظنّها رَحِـمَتْهُ من ألمِ الجوَى بمخلخلٍ يسترحـمُ الخلخالا

ظمآنُ يستسقي أُجـاجَ دموعِهِ من عارِضِ البَرد الشنيبِ زلالا

حتى إذا لَدَغَ الغرامُ فؤادَهُ شربَ الغليلَ وأشربَ البلبالا

مُضْنىً أزارتْــهُ خيالاً عائداً فكأنّما زارَ الخيـــالُ خيالا

لا يستجيبُ لسائلٍ فكأنّهُ طَلَلٌ، وهل طلل يجيب سؤالا ؟

كم سامعٍ بالعينِ من آلامِـهِ قيلاً بأفواهِ الدموعِ وقالا

إني طُرِفْتُ بأعينٍ في طَرْفِها سِحْرٌ يَحُلّ من العقول عِقالا

وفحصتُ عن سببٍ عصيتُ به النّهى فوجدتُــهُ دُلاًّ يُطيعُ دلالا

وأنا الذي صيّرْتُ عِلْقَ صبابتي بصبابتي للغــانيات مُــذالا

فتصيّدَتْني ظبيةٌ إنسيّةٌ وأنا الذي أتصيّــدُ الرّئبالا

تُجري الأراكَ على الأقاح وظَلْمُها ريقٌ ، أذُقْتَ الشهد والجريالا ؟

وتريكَ ليلاً في الذوائب يجتلي نوراً عليك ظلامُهُ وصقالا

وإذا تداولتِ الولائدُ[1] مَشْطَهُ عَرَضَ السُّرَى بالمشطِ فيه وطالا

وتنفّستْ بالندّ فيه فخيّمتْ نارٌ مواصلةٌ به الإشعالا

يا هذه لقدِ انفردتِ بصورةٍ للحسنِ صُوّرَ خلقهــا تمثالا

أمّا الجفونُ فقد خلَقْنَ مَقاتِلاً مني ، فكيف خلَقْنَ منكِ نبالا؟

هل تطلعينَ عليّ بدراً عن رضىً فأراكِ عن غضَبٍ طلعتِ هلالا

---

١ الولائد : الإماء .

ألفيتُ بَرْقَكَ في المَخيلَةِ خُلّباً ويمينَ عَهدكِ في الوفاءِ شمالا

ما هذه الفتكات في مهجاتنا هل كان عندك قتلهنّ حلالا ؟

لم لا ترقُّ لنـا بقلبك قسوة أخُلِقْتِ إلا غادة مكسالا ؟

وظُباكِ تصرعُ دائباً أهلَ الهوَى وَظُبَا عليّ تَصرَعُ الأبطالا

ملكٌ لنصر الله سلّ مجاهـداً عَضْباً تَوَقّدَ بالمتونِ وسالا

وإذا شدا في الهام خلتَ صليلَهُ عملاً وَهَزّ غِرَارِهِ استهلالا

وكأنّهُ من كلّ درع قَدّها يُغْري بأحداقِ الجرادِ نَمالا

ملكٌ إذا نظَمَ المكارمَ مَثّلَتْ يدُهُ بها التتميمَ والإيغـالا[1]

فدعِ الهباتِ إذا ذكرْتَ هباتِهِ : تُنْسي البحورُ بذكرها الأوشالا

ماضٍ على هَوْلِ الوقائع مُقْدِمٌ كالسيفِ صَمّمَ ، والغضنفر صالا

يرمي بثالثَـةِ الأثافي قِرْنَـهُ فالأرْضُ منهـا تشْتكي الزلزالا

فبأيّ شيءٍ تتّقي من بأسه ما لو رَمَى جبـلاً به لانهالا

يصْلى حرورَ الموْت مَنْ مَدّتْ له يمناهُ من وَرَقِ الحديدِ ظـلالا

هَدّ الضّلالَ فلم تقُمْ عُمُدٌ لـه وأقامَ من عمد الهدى ما مـالا

من سادةٍ أخلاقُهُمْ وحلومُهُمْ تتعرّضـانِ بسائطـاً وجبالا

---

[1] التتميم والإيغال : ضربان من ضروب البديع ، اقتضاهما قوله « نظم . . . »

أقْيَالُ حِمْيَرَ لا يَرُدّ زمانُهُمْ لهمُ ، بما أمرُوا به ، أقْوَالا

وإذا الكريهةُ بالحتوفِ تسعّرَتْ وغدتْ نواجذُها قناً ونصالا

واستحضرَ الليـلُ النّهارَ بظلمةٍ طلعتْ بها زُهْرُ النجوم إلالا[1]

نبذوا[2] الدّرُوعَ وقاربت أعمارهم نيل اللّهـاذم ، والظُّبا الآجالا

حتى كأنّهمُ بهجرِ حياتهمْ يجدونَ منها بالحِمامِ وصالا

فهمُ همُ أسْدُ الأسود براثناً وأرقّ أبناءِ الملوكِ نِعالا[3]

يا مَنْ تَضَمّنَ فضْلُـهُ إفْضالَهُ والفضلُ ما يَتَضَمّنُ الإفضالا

عَيّدْتَ بالإسْلامِ مُهْتبِلاً لهُ في زينةٍ خلعتْ عليه جمـالا

ولبستَ فيه عـلى شعارِكَ بالتّقَى من ربّكَ الإعظامَ والإجْلالا

قدّمْتَ عدّ بنيك فيـه لمن يرَى ليثَ الكفاح يُرَشّحُ الأشبالا

في جحفلٍ ملأ الهواءَ خوافقاً والسّمْعَ رِكْزاً ، والفَضاءَ رعالا

وكأنّ أطراف الذوابلِ فوقَه تُذْكي لإطفـاءِ النّفوس ذُبَالا

بالخَيْلِ جُرداً ، والسيوف قواضباً والبُزْلِ قُوداً ، والرماح طوالا

وبعارِضِ الموتِ الذي في طيّه وَبْلٌ يصبّ على عِـداكَ وبالا

---

١ الإلال جمع ألة : وهي الحربة ذات النصل العريض .

٢ نبذوا : واقعة في جواب « وإذا الكريهة . . . »

٣ رقة النعال كناية عن النعمة والرفاهية ؛ وفي شعر النابغة : « رقاق النعال طيب حجزاتهم » .

تركتْ ثعابينُ القفارِ شعابَها   وأُسودُها الآجامَ والأغيالا

وأتت معوّلةً على جيفِ العدى   وحسبنَ سِلْمَكَ بالعجاج قتالا

خَفَقَتْ بنودٌ ظللت عَذَباتها   بُهَماً تبيدُ سيوفُها الضُّلاّلا

من كلّ جسمٍ يَحتشي من ريحِهِ   روحاً يُقيم بخلقِهِ أشكالا

وكأنّ أجياداً[1] حباك جيادَهُ   فكسوتَهُنّ من الجَلالِ جُلالا

من كلّ وَرْدٍ رائقٍ كسميّهِ   فتخالُ من شَفَقٍ لـه سربالا

أو أشقرٍ كالصبح يعقلُ رادعاً   هَيْقَ الفلاةِ وجأبها الذيّالا[2]

أو أشعلٍ كالسِّيد عَرّضَ سابحاً   فحسبته بالأيطلين غزالا

أو مُشْبِهٍ لَعَسَ الشفاهِ فكلما   رَشَفَتْهُ بالنّظَرِ العيونُ أحالا

أو لابسٍ ثوباً عليه مُرَيَّشاً   وصلتْ قوائمه به أذيالا

أو أدهمٍ كالليل ، أمّا لونه   فلكم تمنّى الحسنُ منه خيالا

يطأُ الصفا بالجزع منه زبرجدٌ   فيثيرهُ في جوّه قَسْطالا

والبُزْلُ تجنحُ بالقِباب كأنّها   سُفُنٌ مدافعةٌ صَبَاً وشمالا

وكأنّما حملت رُبى قد نوّرَتْ   وَسُقِينَ من صَوْبِ الربيع سجالا

وكأنّما زُفّتْ لهنّ عرائساً   لتحلّ مَغْنَى عزّك المحلالا

---

١ أجياد : جبل بمكة ، ذكره لذكره الجلال والرجحان ، وليحدث شيئاً من الجناس بين أجياد وجياد .

٢ الهيق : الظليم ؛ والجأب : الحمار الوحشي الغليظ ؛ والذيّال : الطويل الذيل .

بكرت تعالى للهلال وما انثنتْ حتّى رأيتَ ها الهلال تعالى

صلّيتَ ثم نحرتَ في سُنَنِ الهدى بُدْناً كنحرِكَ في الوغى الأقتالا

وتبعتَ سنّةَ أحمدٍ وأريتنا مِنْ فِعْلِهِ في الفعلِ منك مثالا

ثمّ انصرفتَ إلى قصورك تبتني مجداً وتهدمُ بالمكارمِ مالا

وتؤكّد الأسماءَ في ما تشتهي من همة ، وتصرّفُ الأفعالا

٢٥٥

وقال يمدحه عند ولايته سفاقس سنة ثمان وخمسمائة

مُلاعِبَ البيض بين البيض والأسَلِ تلاعبتْ بك حُورُ الأعينِ النُّجُلِ

فخذْ من الرّمْحِ في حرْبِ المها عِوَضاً فالطعنُ بالسُّمْرِ غيرُ الطّعْنِ بالمقل

كم للعلاقةِ من هيجا رأيتَ بها ضراغمَ الغيل قَتْلى من مها الكلل

وكم غزالةِ إنْسٍ أنْحلَتْ جسدي بالهجرِ حتّى حكى ما رقّ من غزل

ممشوقةٌ مِلْتُ عن حِلْمي إلى سَفَهي منها بقدّ مقيمِ الحسن في الميَل

تصدّ بالنفس عن سلوانها بهوى عينٍ تكحّل فيها السحر بالكحل

خداعةُ الصبّ بالآمالِ مرسلةٌ إليّ بالعضّ في التفّاحِ والقبل

وناطقُ الوجدِ منّي لا يكلّمه منها إذا ما التقينا ساكتُ الملل

يا هذه ، وندائي دُمْيةً طَمَعٌ في نطقها ، من فقيدِ اللبِّ مُختبل
أرى سِهامَ لحاظٍ منكِ تَرْشُقُني أفي جُفونكِ رامٍ من بني ثُعَل[1] ؟
بل ضَعفُ طرفكِ في سفكِ الدماءِ له أضعافُ ما للظُّبا والنَّبْلِ والأسَلِ
إني امرؤٌ في ودادي ذو محافظةٍ فما يَرَى في وفائي الخِلُّ من خلَلَ
وعارضٍ مَدّ عَرْضَ الجو وانسبلتْ في وجنةِ الأرضِ منه أدْمُعُ السَّبل
ثرِّ الشآبيب ، أصواتُ الرعود به كأنّهنّ هدير الجلّةِ البُزُل
كأنّما الأرضُ تجلو من حدائقها عرائساً في ضُرُوبِ الحَلْي والحلل
أحيا الإلهُ بها التربَ المواتَ كما أحيا سفاقسَ يحيى بالهمام علي
كفوٌ كَفَى الله في الدهرِ الغشيمِ به خَطْباً يخاطبُ منه ألْسُنَ العُضَل
أقرّ فيها أناساً في مواطنهم لمّا تنادَوْا لتوْديعٍ ومرتحل
وأثبتَ الله أمْناً في قلوبهمُ بعد التقلّب في الأحشاء من وجل
بيُمْنِ أكبرَ لا عابٌ يُنَاطُ به يُمْنَاهُ منشأُ صوبِ العارضِ الهطل
قومٌ تسوس رعاياه رعايتهُ بالرِّفْقِ والعدلِ لا بالجوْرِ والعذَل
من يُتْبِعُ القولَ من إحسانه عملاً والقولُ يورقُ والإثمارُ للعمل
له رجاحةُ حِلْمٍ عند قُدْرتهِ أرسَى إذا طاشتِ الأحلامُ من جبل

---

[1] بنو ثعل : قوم من طيء مشهورون بالرمي ؛ ولامرىء القيس :
رب رام من بني ثعل متلج كفيه من قتره

في دولــةٍ في مقرِّ العزّ ثابتةٍ تُمْلي العلى من سجاياهُ على الدول

أغرّ كالبدر يعلو سرجَهُ أسَدٌ أظفارُهُ حُمْرُ أطرافِ القَنَا الذبل

بادي التبسم والهيجاءُ كالحةٌ لا يتّقي العضّ من أنيابها العصل

ترى السلاهبَ من حوليه ساحبةً ذيلَ العجاج على الأجسادِ والقلل

من كل ذي ميعةٍ كالبحرِ تحسبُ منْ أزبادِهِ سُرِدَتْ مساذيّةُ البطل

تنضو به ملةُ الاسلام مرهَفةً بضربهنّ الطلى تعلو على الملل

قديمةٌ طَبَعَتْهُنّ القيونُ على ماضي العزائم من آبائه الأول

من كلّ أبيضَ في يمناهُ ، سَلّتُهُ كالبرقِ ، يخطفُ عُمْرَ القِرْنِ بالأجل

جداولٌ تَرِدُ الهيجا فهل وَرَدَتْ ماءَ الطلى عن تباريحٍ من الغُلَل

ندبٌ تُدَاوي من الأقوام شيمتُهُ ، بالبأس والجود، داءَ الجُبْنِ والبَخَل

مستهدَفُ الرَّبع بالقصّادِ تقصدُهُ في البحرِ بالفُلْكِ أو في البرِّ بالإبل

مُنَزَّهُ النّفسِ سمحٌ ما لَهُ أمَلٌ إلا مكارمُ يحويها بنو الأمل

أطاعني زمني لما اعتصمتُ به حتّى حسبتُ زماني عاد مِنْ خولي

وما تيقّنتُ أنّي قبل رُؤيتِهِ ألْقَى كرامَ البرايا منه في رجل

يا صاحبَ الحلم والسيفِ الذي خمدتْ نارُ المنيّة فيه عن ذوي الزلل

لو أنّ عزمك حدٌّ في الكَهَام لما قدّ الضرائبَ إلا وهو في الخلل

كأنّ ذكرَكَ والدنْيا به عَبَقَتْ في البأس والجود مخلوعٌ عن المثل

فاسلمْ لمدحكَ واقنَ العزّ ما سجعتْ سواجعُ الطير بالأسحارِ والأُصُل

وقال يمدحه

متى صدرت عيناكِ عن أرض بابلِ؟ فسحرُهُما في اللحظِ بادي المخايلِ
عجبتُ لرامٍ كيفَ أنشبَ منهما بسهمين نَصْلاً واحداً في مقاتلي
أأنتِ الّتي سَقَيْتِني سَمّ حيّةٍ وخيّلتِ عندي أنّه شَهْدُ عاسل
فيا نارَ وجدي كيف عشتِ تضرّماً بماءٍ من الأجفان للنّار قاتل ؟
ويا رَفْعَ أشواقي لقلبي وخَفْضَها متى كان للأشواقِ فعلُ العوامل ؟
وذي جَهْلَةٍ بالحبّ أعلمتُهُ بما ثناهُ عذيري بعدما كان عاذلي
وقلتُ له : إن الهوى لَأَخو الوغى ولا بُدّ فيه للفتى من مُنازل
حذارِ حساماً حدُّهُ لحظةٌ فما يُسَمّى غِشاءُ العينِ جفناً لباطل
وأكثر ما تَرْوي السيوفُ الّتي نضا بها من عقولِ النّاس فتحَ المعاقل
أقارعةً سمعي بِثِقْلِ عتابِها يخفّ على سمعي سماعُ الثّقائل
متى يتسلّى عنكِ صبٌّ فؤادُهُ كأنّ الهوى مُغْرًى به غيرُ ذاهل
وكيف وفي عينيكِ قانصُ فتنةٍ تَقَنَّصَني من غير نَصْبِ حبائل
أرَى شَعَرَاتي السودَ قادتْك في الصبا وقطّعْتِ في عصر المشيب سلاسلي

فهلاّ وَشَعْري [. . . . .] لصبْغَةٍ لها ابتسمتْ عيناك صبْغ المكاحل

وَعِبْتِ لَبَوسي إذ غـدا دونَ هِمّتي وكم شَمْلَةٍ فيهـا كريمُ الشّمائل

وهل يُحْمَدُ الهنديّ من حليةٍ لـه إذا لم يؤثّر في الطُّلى والكواهل

وما أرّقَ الأجفانَ إلاّ بـلابلٌ تسامرُهـا بين الضلوع بلابلي

رقيقـةُ أطرافِ الغنـاءِ كأنّه إذا طافَ بالأسماعِ جرسُ الخلاخل

تنالُ صغارَ الحَبّ لقطاً وتحتسي بشقّاتِ أقلامٍ ثمادَ المناهل[1]

لدى روضةٍ كالمسك في أنفِ ناشقٍ وكالعَصْبِ ذي التسهيمِ في عين نائل[2]

سَقَاها الحيا فاستوعبتْ منه ريّها وأمسكَ عنها قطرَهُ غير باخل

كأنّ لهـا بالحَزْنِ حِجْرَ أمينةٍ تنوّمُ فيه خشفَها كلُّ خاذل

يَنامُ كوَقْفِ العاجِ فُصّلَ مَتْنُهُ وطالَ به إهمالُ بعض العقائل[3]

وتخشَى عليه الخطفَ من كلّ كاسرٍ إذا لم تُذِقْهُ الحتفَ كِفّةُ حابل

حديقةُ نَوْرٍ دامعِ العين ضاحكٍ كنشوانَ ذي جيدٍ من السُّكْرِ مائل

وربعيّةِ الأزمانِ طلقٍ هواؤها تمجّ ندى الأشجار عنـد الأصائل

---

١ تشرب الماء القليل « الثماد » بمناقير كأنها أقلام مشقوقة .

٢ العصب : نوع من البرود . التسهيم : التخطيط . النائل : الآخذ .

٣ هو من قول ذي الرمة في تشبيه ابن الظبية وهو نائم :

كأنه دملج من فضـة نبه في ملعب من عذارى الحي مفصوم

والوقف : السوار .

كأنّ ابنَ يحيى والحيا صنوُ جودِهِ سقى تُرْبَها صَوْبَ الغوادي الهواطل

مليكٌ له في المُلْكِ سَمْتٌ مُوَقَّرٌ وهيبةُ مرهوبٍ ، وسيرةُ عادل

عظيمُ رمادِ المَنْدل الرّطْبِ ، نارُهُ ترى الجوّ منها في دخانٍ مواصل

وجزلُ الأيادي مُغْمِدٌ لعُفاتهِ سيوفَ الأماني في رقابِ الفواضل

وتلك بحورٌ من عطاياه ، أنْشِئَتْ لها سُفُنُ الآمال ، لا للجداول

أبيٌّ أبَى إلا انتصاراً لدينِهِ بصاعقةٍ محمولةٍ في الحمائل

هو الليثُ إلاّ أنّ رفعةَ تاجِهِ على قمرٍ في هالةِ المُلْكِ كامل

لــه نُورُ بشرٍ تُتّقَى سطواتُهُ وكالنارِ في الإحراقِ ماءُ المفاصل

يوجّهُ وَجْهَ الحربِ نحو عُداتِهِ ويحشو حَشَاها بالقَنَا والقنابل

وما عَقَدَ الرايات إلا تحلّلَتْ به عُقَدُ الآراءِ بين القبائل

له عمَلٌ[1] يستغرقُ القولَ في العُلى وكم في الوَرَى من قائلٍ غيرِ عامل

ورفع إليه كلُّ عيسٍ تيمّمَتْ معالمَهُ بعد اعتسافِ المجاهل

وكلُّ سفينٍ تحرثُ الماءَ عُوّماً إذا هي شَقّتْ لُجّةً بالكلاكل

فتى لا يُحَيّي القِرْنَ إلا بضربةٍ تَسُلّ لسانَ السيف عن شِدْقِ بازل

يشقّ أضَاةَ الدرعِ فوق كميّها بجدولِ بأسٍ منه لُجّتُهُ نائل[2]

---

١ في ف و م : محمل .

٢ النائل : المعروف .

ترى ضيغمَ الأبطالِ يعنو لعزّه ذليلاً كما استخذى أكيلٌ لآكل

ويصعبُ بعدَ الضّرْبِ إغْمادُ سيفِهِ لكلّ دمٍ في مَتْنِهِ غير سائــل

ألا إن آسادَ الوقائع حِمْيَرٌ نعمّا ، وهمْ غرّ الملوك الأوائــل

غطــارفةٌ شُمّ العرانين قــادةٌ يَعُلّون أطرافَ الرّماحِ النواهل

إذا ما سَطَوْا سرّوا بكفّ شَذَاتِهمْ وإن حاربوا جرّوا ذيولَ الجحافل

كأنّ نَدى أيمانهم نَوّرَتْ به ذوابلُهُم ، فاعجبْ لِنَوْرِ ذوابل

ومــا هي إلاّ مشرَعاتٌ أسنّةٌ عِطاشٌ تَرَوّى في حياضِ المقاتل

إليك حدا الإنشادُ كلَّ نجيبةٍ مُرَحَّلَةٍ ، إرقالُها في المحافــل

ومدحُكَ منها خصّ كلّ لطيمةٍ بمسكٍ مقيمٍ في التأرّج راحل

وتدرُكَ أعلى من مدائحِنا التي أبَرّتْ على إحسانِ مِصْقَعِ وائل[1]

وإن قَصّرَتْ عن غايةٍ فلعلّهــا تصيّرُ تحجيلاً لغرّ الفضــائل

وإن ننظمِ الدرّ الذي أنت بحرُهُ ففضلُكَ ألقاهُ لنا في السواحــل

فلا زالتِ الأعيــادُ في كلّ عَوْدَةٍ ترى الدينَ من مغناك في ظلّ كافل

---

١ مصقع وائل : خطيبها المفوه أي سحبان .

٢٥٧

وقال يرثي القائد أحمد بن ابراهيم بن أبي بريدة

حركاتٌ إلى السكونِ تؤولُ كلُّ حالٍ مع الليالي تَحُولُ
لا يصحّ البقاءُ في دار دنيا ومتى صحّ في النّهَى المستحيل ؟
والبرايا أغراضُ نَبْلِ المنايا وهي أُسْدٌ ، لها من الدهرِ غِيلُ
كيف لا تسْلبُ النفوسَ وتُرْدي ولها في الحياة مرعًى وبيل
ماتَ من قبلِ ذا أبوكَ بداءٍ أنت من أجْلِهِ الصحيحُ العليل
وإذا اجتُثّ أصلُ فرعٍ تَبَقّى فيه ماءٌ من الحياةِ قليل
ما لنا نتبعُ الأمانيّ هلاّ عقَلَتْنا عن الأماني العقول
كم جريحٍ تعلّقَ الرّوحُ منه [بالتمنّي] [1] والجسمُ منذ قتيل
وبطيءُ الآمال يَسْعَى بحرْصٍ خَطَفَ[2] العيشَ منه حتفٌ عجول
عَميَ الخلقُ عن تعادي خيُولٍ ما لها في الهواءِ نَقْعٌ مَهيل
تنقلُ الناسَ من حياةٍ إلى مو تٍ ، على ذاكَ مرّ جيلٌ فجيل
وبدهمٍ تمرّ منها وشهبٍ أمِنَ الليلِ والنهارِ خيول ؟

١ بياض في ف .
٢ في ف : خطب .

سَهّلوا من[1] نفوسهمْ كلَّ صعبٍ فالرّدى لا يُقيلُ مَنْ يَستقيل

واستدلّوا على النفادِ بعادٍ : يُذْهبُ الشكَّ باليقين الدّليل

أيّ رزءٍ حكاهُ مِقْوَلُ ناعٍ صَمّ هذا الزمانُ عمّا يقولُ

فلقد فتّتَ القلوبَ وكادتْ راسياتُ الجبالِ منه تزُول

لم يمتْ أحمد أخو البأسِ حتّى ماتَ ما بيننا العزاء الجميل

يومَ قامتْ بفقدهِ نائحاتٌ في لَبُوسٍ من حزْنِهنّ يَهُول

غُمِستْ في السواد بيضُ وجوهٍ فكأنّ الطلوعَ فيه أُفُول

وعلى مجلسِ التنعّمِ بُؤسٌ فبديلُ السّماعِ فيهِ العويل

وتولّتْ عند التناهي افتراقاً ومضى ربّهُ الوفيّ الوَصُول

أسمعَ الرعدُ فيه صرخةَ حُزْنٍ ملءُ ليل الحزين فيه أليل

ودموعُ السماءِ في كلّ أرْضٍ فوق خدّ الثرى عليه تَجُول

وحشا الجوّ حَشْوُه نارُ برقٍ إنّه في ضلوعِهِ لَغَليلُ

أترى الغيثَ بات يبكي أخاهُ فبكاءُ العُلَى عليه طويل

قائدَ الخيلِ بالكماةِ سِراعاً والضحى من قتامِهن أصيل

أيّ فضلٍ نبكيه منكَ بدمعٍ ساكبٍ ، فيه كلّ نفسٍ تسيل

---

١ في ف : في .

أعفـــافاً أم نجدةً كنت فيهـــا قَسْوَرَ الغيل والكريهةُ غول

أم شباباً كأنّما كان روضاً ناضراً فاغتدى عليـــه الذبول

واكتسَى في ثرًى تغيّبَ فيه صدأً ذلكَ الجبينُ الصقيـل

كنت كالسِّيد للعدى ، والمنايا مقبـــلاتٌ كأنّهنّ سيول

ولِصَوْبِ السهامِ حوْليكَ وَبْلٌ لاخضرار الحياة منـه ذُبول

طارَ صرفُ الرّدى إليك برشقٍ خفّ ، والخطبُ في شبَاهُ ثقيل

سهمُ غربٍ أصابَ ضيغمَ حربٍ خاضَ في العيش منه نَصْلٌ قتول

هابكَ الموتُ إذ رآك مسَحّاً[1] بطلاً ، لا يصولُ حيث تصول

لو بدا صورةً إليك لأضْحَى في ثرَى القبرِ وهو منكَ بديـل

فرَمَى عن دُجُنّةِ النقعِ نحراً[2] منكَ ، والجوّ بالظّلامِ كحيل

وإذا خافَ من شجاعٍ جَبانٌ غَالَهُ منـه جاهداً ما يغول

كنتَ سهمَ البلاءِ يرْفع سهمٌ فيـه للنفسِ بالحِمامِ رسول

كم جوادٍ بكاكَ غيرَ صبورٍ فنياحٌ عليكَ منـه الصّهيل

وحسامٍ أطالَ في الجفْنِ نوماً لم يُنَبّهْهُ بالقـــرَاعِ الصّليل

---

١ كذا في ف ولعلها : مُخشاً .

٢ في ف : جنة النبع بحراً ، وهو مصحف ولعلها : فرمى عن حنية النبع نحراً ؛ يعني بحنية النبع : القوس .

أيّها القائدُ الأبيّ عزاءً فثواءُ المقيمِ منّا رحيل
وجليلٌ مُصَابُ أحمدَ لكنْ يُصْبِرُ النفسَ للجليلِ الجليل

٢٥٨

وقال أيضاً

تخريجها : البيتان ١ ، ٢ في التكملة والوافي

حرِّر لمعناكَ لفظاً كي تُزَانَ به وقلْ من الشعرِ[١] سحراً أو فلا تَقُلِ
فالكحلُ لا يفتنُ الأبصارَ منظرُهُ حتى يُصَيَّرَ حَشْوَ الأعينِ النُّجُلِ

٢٥٩

وقال يصف فرساً

ومَديدِ الخطى كأنّكَ منه تضعُ اللبْدَ فوق تيّارِ سَيْلِ
قيدُ وحشٍ ، ملاذُ خائرٍ وهنٍ[٢] وقِرى معقلٍ ، وحارسُ ليل
أسْبِقُ الريحَ[٣] فوقه فإذا ما فتّها أمسكتْ بفضلةِ ذيلي

....

١ في ف : السحر .
٢ هذه القراءة مقاربة لما في ب ، وفي م : بلا ذخائر . ولعلها : ملاذ حائر رهنٍ .
٣ في ب : الخيل .

٢٦٠

وقال أيضاً رحمه الله عز وجل

أرى الموتَ مرتعُهُ في الفحول   وأعننت للأخطئات الأملْ [؟]
وربّتما سالَ بعضُ النفوس   وبعضٌ لهـا بالمُنى مُشْتَغَل

٢٦١

وقـــال

أيا ربّ عفواً عن ظلومٍ لنفسهِ   رَجاكَ وإن كان العفافُ به أولى
مقيمٌ على فِعْلِ المعاصي مُخالِفٌ   توالى عليه الغيّ [. . .] فاستولى
سألتُكَ يا مولى المَوَالي ضرَاعةً   وقد يَضْرَعُ العبدُ الذليلُ إلى المولى
لتصلحَ لي قلباً ، وتغفرَ زلّةً   وتقبل لي توْباً ، وتسمعَ لي فِعْلا
ولا عَجَبٌ فيما تمنّيْتُ ، إنّني   طويل الأماني عند مَن يحسن الطولا

٢٦٢

وقال أيضاً

أيُّ رَوْحٍ ليَ في الرّيحِ القَبولِ   وَسُرَاها من رسومي وطلـولي

وظباءٍ أمِنَتْ من قانصٍ   لم ينلها الصيدُ في ظلّ المقيل

نشرتْ عنديَ أسرارَ هوى   كنتُ أطويهنّ عن كلّ خليل

وأشارتْ بالرّضى ، رُبّ رضىً   عنك يبدو في شهادات الرسول

عجبي كيفِ اهتدتْ مُهْدِيَةٌ   خَصَرَ الريِّ إلى حرّ الغليل

ما درت مضجعَ نومي إنّما   دلّها ليلي عليه بأليلي[1]

لستُ أبغي لسقامي آسياً   فَبُلولي منه بالريح البَليل

طرْفُهُ أشعثُ كالسيفِ سَرَى   حدّهُ بين مضاءٍ ونحول[2]

عَبَرَتْ بحـــراً إليـه واتّقتْ   حوله بحـراً من الدمعِ الهمول

يا قَبُولاً قد جلا صيقَلُهُ   صدأً عن صفحةِ الماءِ الصقيل

عاودي منكِ هُبُوباً فيه لي   وَجَدَ البُرْءَ عليــلٌ بعَليل

---

١ الأليل : التوجع والحزن .

٢ في م : وسحول .

كـــرياحٍ علّلتني بمنىً[1] كيدْنَ يُثْبِتنَ جوازَ المستحيل

أصَباً هبّتْ بريحـــانِ الصِّبا أو شمال أسْكَرَتْني بالشَّمول

حيثُ غنّتني شوادي روضــةٍ مطرباتٍ بخفيـــفٍ وثقيل

في أعـــاريضَ قصارٍ خفيتْ دِقّةً في الوَزْنِ عن فهمِ الخليل

ولحونٍ حـــارَ فيهـــا معْبَدٌ ولـــه علمٌ بموسيقى الهَديل

والدّجَى يرنُو إلى إصباحِـهِ بعيونٍ من نجومِ الجوّ حُول

خافَ من سيلِ نهارٍ غرَقاً فتولّى عنـــه مبلول الذيول

زرعَ الشّيبُ بفوديّ الأسى فنما منه كثيرٌ من قليل

فحسبتُ البيضَ منها أنجماً عن بياضٍ لاذَ منّي بالأفول

كلّ مَن يَنظُرُ مِن عِطفِ الصّبا نَظَرَ المُعجَبِ بالخلق الجميل

فجوازي باضطرارٍ عنـــدها كجوازِ الفتح في الحرفِ[2] الدخيل

كيف لي منها إذا ما غَضبَتْ برّحتني محْنةُ السّخطِ القَتول

غادةٌ يأخذُ منهـــا بابلٌ طرَفَ السحرِ عن الطرْف الكحيل

فإذا قابلَ منهـــا لحظَهـــا فلّتْ منـــه حديداً بكليل

---

١ في م : ثمناً .

٢ في م : الحرب .

حرف الميم

٢٦٣

وقال أيضاً

أظلومُ منكِ تعلّمتْ ظلمي | حرباً[١] وكانت قبل ذا سَلْمي
كانت بهجري غيرَ عالمةٍ | فَهَدَيْتِها منه إلى علم
هذا وفاقٌ عن مخالفةٍ | كالزيرِ تُصْلِحُهُ على البمّ
خودٌ تلقّنُ تِرْبَها حُجَجاً | كالبنتِ مُصْغيةً إلى الأمّ
والغادتانِ تفيضُ بينهما | خُدَعُ الهوى وقطيعةُ الحلم
إنّ النّواعمَ في العتابِ لها | غَرَضٌ إليه جميعُها تَرْمي
لو قدْ وقفتِ على ضَنَى جَسَدي | لوقفتِ باكيةً على رسم
ورأيتِ أضداداً أذوبُ بها : | حُرَقاً تُشَبّ ، وأدمعاً تهمي
وبنفسيَ الخودُ التي برِئَتْ | في قتلها نفسي من الاثم

١ في م : حربي .

لمياءُ تبسمُ عن مُؤشَّرَةٍ تجلو الظلامَ ببارقِ الظَّلْم

وتخوضُ من سَقَهِ الصِّبا مُلَحاً فتحلّ منك معاقدَ الحِلْم

مرّتْ تميس فقلتُ: هل سكرَتْ من ريقها بسُلافةِ الكرْم

كَمُنَعَّمِ الأطرافِ ، بَلّلَهُ شَرَقُ النسيم بريقِهِ الوَسْمي

٢٦٤

وقال أيضاً

تخريجها : البيت الرابع منها في الوافي .

وليلٍ رَسَبْنا في عُبابِ ظَلامِهِ إلى أن طفا للصبح في أفْقهِ نجمُ

كأنّ الثريّا فيه سَبْعُ جواهرٍ فواصلُها جَزْعٌ به فُصِّلَ النظم

وتحسبها من عسكر الشهب[1] سُرْبةً عمائمهم[2] بيضٌ ، وخيلهمُ دُهمُ

كأنّ السُّها مضنىً أتاه بنعشهِ بنوه[3] وظنوا أن موْتَتَهُ[4] حتْمُ

كأنّ انصداعَ الفجر نارٌ يُرَى لها وراء حجابٍ حالكٍ نَفَسٌ يسمو

١ في ب : في جحفل الشهب .

٢ في هامش ف : لعله : لمم لمم .

٣ في ب : ذووه .

٤ في ب والوافي : ميتته .

وتحسبهُ طفلاً من الرّومِ طَرّقَتْ به من بناتِ الزنج قائمة[1] أمّ

أأعْلِمَ في أحشائها أنّ عُمْرَهُ لدى وضْعهِ يومٌ ، فشيّبه الوهم ؟

وذَرّتْ لنا شمسُ النّهارِ مذيبَةً على الأرض روحاً في السماءِ له جسم

٢٦٥

وقال أيضاً

أرسلتُ طَرْفي يقتضي طرفَها وَعْداً به أبرىءُ أسقامي

فعاد عنه للحشا جارحاً كرَجْعَةِ السهمِ إلى الرّامي

فقاتلي طرفيَ لا طَرْفُها والجَفْنُ من جرحِ الحشا دام

٢٦٦

وقال أيضاً

وطيّبةِ الأنفاسِ تحسبُ وصلَها وَمَنْ واصلته جَنّةَ المتنعم

تفَتّحَ وردُ الخدّ في غصْن قدّها وَنَوّرَ فيه أقحوان التبسم

---

١ مصححة عن ب وفي م : نائبة .

كأنّ استماعَ اللفظ منها تَعَلَّلٌ   بلـذّة راحٍ واقتراحِ ترنّم

تُحدّثُني بالسرِّ في ثِنْيِ ساعدي   فيسمعُ نجوى السرّ من فمها فمي

إذا ما الثريّا رَحّلَ الليلُ شمله[1]   لها في يدِ الإصباحِ باقةُ أنجـم

وجدتَ ثناياها العِذابَ كأنّما   تُعَلّ بمسكٍ في رحيقٍ مُختّم

٢٦٧

وقال أيضاً

بِحُكمِ زمانٍ يا لَهُ كيفَ يحكمُ   يُحرّمُ أوطـاناً علينا فتَحْرُمُ

لقـد أركبتني غربةُ البين غربةً   إلى اليوم عن رسم الحمى بيَ[2] ترْسُمُ

إذا كلّ عني من سَنَا الصبح أشهَبٌ   تناول حَمْلي من دُجَى الليل أدهم

وتحسبُهُ يرتاضُ في غَرْسٍ حمله[3]   ويُسْرَجُ فيـه للركوب ويُلجَم

لكلّ زمانٍ واعظٌ ، وعظُهُ كما   يَخُطّ كلاماً بالإشارة أبكـم

وحادٍ رَمى بالعِيسِ كلّ مُضِلّـةٍ   كأنّ عليـه مَجْهَلَ الفيح مَعْلَم

وقد نَحَرَتْ في كلّ شرق ومغرب   عليهـا نُحورَ البيد في العزم أسْهُمُ

---

١ في ف ، م : شمسه .

٢ في ف : الحمامى ، وفي م : الحمائر .

٣ كذا في ف ولم أتبينه .

وأوجفَ حوليها الكماةُ ضوامراً ... فلا سُنْبُكٌ إلا يساريه[1] مِنْسَم

فمن راكبٍ يأتي به الحصبَ بازلٌ ... ومن فارسٍ يَصْلَى به الحربَ شيظم

فإن تسرِ في ليلٍ وجيشٍ فإنّها ... سفائنُ برٍّ بين بحرين عُوّم

وصِيدٍ يصيدون الفوارسَ بالقنـا ... إذا نَكَلَ الأبطالُ في الرّوْعِ أقدموا

ويستطعمون السّمر والبيضَ [إنّها] ... نيوبٌ وأظفار بها الأُسْد تَطْعَمُ

دعتْهُمْ بروقٌ بالأكفّ مشيرةً ... إليهم ، وعينٌ عَرْفُهَـا يتنَسّم

عصا شملهم شُقّتْ[2] فشرّق مُنجدٌ ... إلى طيّةٍ[3] منهم ، وغَـرّبَ مُتْهِم

وما قَدَّ قَدٌّ السير بالطُّول سَيْرَهـم ... ولكنما المنقـدّ قلبي المتيـم

طَوَى البعدُ عنا، فانطوينا على الجوى ... نواعمَ تُشْقي[4] بالنعيم ، وتنعم

دعُونا نسايرْ حادياً قادَ نحوهـا ... مسامعَنا منـه الحداءُ المُنَغَّم

فما هـذه الأحداجُ إلاّ قلوبُنا ... حبائبنـا فيها سرائرُ تُكْتَمُ

بنفسيَ من حورِ المها غادةٌ لها ... فمٌ عن شديدِ الخوف بالصمتِ مُلجَم

ينمّ عليهـا طيبُ ريّا كلامِهـا ... فيدري غيور أنّهـا تتكلّم

أُرَجِّـعُ بالشوقِ الحنينَ وإنّما ... يهيجُ حنيني عَوْدُها حين يُرْزِمُ

---

١ كذا في ف وم ولعلها : يباريه .

٢ في ف وم : شمت .

٣ في ف وم : طيبة .

٤ في ف : نشقى .

قد سفَرَتْ في تُوضحٍ فتَوَضّحَتْ مسالكُهُ للسفرِ ، والليلُ مظلم
بمرّتْ على سِقْطِ اللّوَى فتساقطتْ دموعٌ عليها ، دُرّها لا ينظَّم
وَقد ضرّجتْ ثوبي لدى عينِ ضارجٍ عليّ جفونٌ ، ماؤها بالأسى دم
معاهدُ[1] ما زال امرؤ القيس بينها يُعبّرُ عن عَهْدِ الهوى ويترجم
تَوَهّمْتُها حُلْماً بها فذكرتُها وقد يذكرُ الانسانُ ما يتَوَهّمُ
وإني لآوي من زمانٍ لبستُهُ إلى ذِكَرٍ تأسو فؤادي وتَكْلُم
ليالِيَ تسبي اللبّ منه سبيئةٌ تناولها من كافرِ القلبِ مُسلم
سلافةُ كرمٍ ليس يسخو بمثلها لغيرِ فتى تَحْظَى لديه وتُكْرَم
يُطافُ بها في حُمْرَةِ الوردِ جوهراً له عَرَضٌ وهو السرُورُ المُحرَّم
يسيغُ فمي في شِدَّةِ السكر صِرْفَها وما فرحةٌ في السمع إلا الترنّم
فلله عمــرٌ مرّ بي فكَأنّني به في جنانِ الخُلْدِ قد كنت أحلم
ليالِيَ روضُ العيشِ غضّ وماؤهُ نميرٌ ، ومنقوضُ الشبيبةِ مُبْرَم

---

[1] هي المعاهد التي ذكرها في الأبيات السابقة وهي توضح وسقط اللوى وعين ضارج وكلها مذكورة في شعر امرىء القيس .

٢٦٨

وقال أيضاً

يا دارَ سلْمى لو رَدَدتِ السلامْ   مــا هَمَّ فيكِ الحزْنُ بالمستهامْ

همودُ رسمٍ منكِ تحتَ البِلى   محرّكٌ منّي سكونَ الغرَام

لمْتُ عليكِ الدهرَ في صَرْفِهِ   وقلتُ للأحــداث صَمّي صَمَام

وقامَ في الخُبْرِ لِمُسْتَخْبِرٍ   سكوتُ مغنــاكِ مقامَ الكلام

يا بارقَ الجــوّ تَبَسّمْ بها   وابْكِ عليهــا بدموعِ الغمــام

وَحَلّهَا بالنَّوْرِ من روضــةٍ   تَفُضّ عن فأرَةِ مِسْكٍ ختام

حتّى أرى عنها ظباءَ الفــلا   مُرَحَّـــلاتٍ بظبــاءِ الخيــام

من كلّ هيفــاءَ غُلاميّةٍ   مُلْتَبِسٌ بالغُصْنِ منها القَوَام

تــــديرُ عيني رشإٍ فيهـــما   من فتْرَةِ الطرفِ شبيهُ السّقام

تروحُ والعنبرُ والعودُ في   ليلٍ من الفرعِ صقيلِ الظلام

تمنعُ أُخْتَ الشمسِ منها فماً   فيه أخو الدرّ وأختُ المُدام

لو أنّ لي حكماً بربع الحمى   أعطيتُهُ من كلّ خطبٍ ذمــام

حتّى أرى بالوصْل حَبْلَ الهوَى   لا يُتّقَى بالبينِ منــه انصرام

٢٦٩

وقال يذكر عرباً صحبهم بأرض المغرب ويتشوق إلى بلده ويمدح قومه أهل سرقوسة[١] صقلية :

رعى وَرَقُ البيضِ الذي زهرُهُ دَمُ ... بهم ورقاً عن زهره الروضُ يبسمُ

جبابرةٌ في الرّوْع تعدو جيادُهُمْ ... بهمْ فوق ما سحّ الوشيج المُقوّمُ

تنوءُ بهم في ذُبّلِ الخطِّ أنْجُمٌ ... سحائبها نَقْعٌ ، وأمطارها دمُ

تَرَحّلُ من آجامها الأُسْدُ[٢] خيفةً ... إذا نَزَلوا للرّعْيِ فيها وخيّموا

ترى كلّ جوّ[٣] من قناهم ونَقْعِهِمْ ... يُكَوْكَبُ إن سارُوا بهم[٤] ويُعتّمُ

فصاحٌ غداةَ الروع[٥] عَزّ سكوتهم ... وألسنةُ الأغمادِ عنهم تُتَرْجِمُ

كأنّ بأيديهمْ إذا ضربوا الطُّلَى ... عزائمَهُمْ ، لو أنّها تتجسّمُ

إذا ما استوَى فِعْلُ المنايا وفعلُهُمْ ... بأرواحِ[٦] أبطالِ الوَغى فهمُ هُمُ

---

١ في ف : سرقوسطة .
٢ في ب : الوحش .
٣ في ف : كل نقع .
٤ في ب : إليه .
٥ في ب : الحرب .
٦ في ب : بأفعال .

أعاريبُ ألقى في نتيجات حَيّهِم[1] لهُم أعوجٌ ما يوجفون[2] وَشَدْقَم[3]

صحبتهمُ في موحِشِ الأرضِ مُقْفِرٍ به الذئبُ يعوي والغزالــةُ تَبْغَم

سقى الله عيناً عذبةَ الدمع أن بكتْ حظـاراً[4] بها للجسمِ قلبٌ مُتَيَّم

بلادٌ تلاقيني الــدّراريّ كلّما طلعْنَ عليها وهي عنهنّ نُوّم

بأرضٍ يُميتُ الهمَّ عنك سرورُهــا ويمحو ذنوبَ البؤسِ فيهـا التنعّم

وكم لي بها من خلّ صدقٍ مساعدٍ مُهينِ العطايا ، وهو للعِرضِ مكرم

يَفيضُ على أيدي العفــاةِ سماحةً على أنّهُ من نَجْدةٍ يَتَضَرّم

إذا فرّتِ الأبطال كرّ ، وسيفُهُ يُحِلّ بيمنـاه دمَ العلج ، محرم

يموجُ به بحــر[5] كأنّ حبــابَهُ عليه دِلاصٌ سردُها منـه محكم

* * *

ونحن بنو الثّغْر الذين ثُغُورُهُمْ إذا عَبَسَتْ حربٌ لهـم تَتَبَسّمُ

ومن حلَبِ الأوداج يُغْذى فطيمنــا بحِجْرٍ من الهيجاءِ ساعةَ يُفْطَمُ

لنا عَجُزُ الجيشِ اللهامِ وَصَدْرُهُ بحيثُ صدورُ السّمْرِ فينا تُحَطَّم

---

١ في م : أبقى في تباريح حبهم ، وما أثبته أقرب إلى صورة النص في ف ؛ والنتيجات جمع نتيجة وهي التي تلد من خيل وإبل .

٢ في ف : لهم أعرج ما يمرجون .

٣ أعوج : فرس كريم تنسب إليه الخيول الأعوجيات . شدقم : اسم فحل من فحول الإبل .

٤ في ب : دياراً .

٥ في ب : موج .

يضاعفُ إن عُدَّ الفوارسُ عَدُّنَا | كأنَّ الشجاعَ الفردَ فينا عرَمرَم
نؤخّـــرُ للإقدامِ في كلّ ساقةٍ : | تأخّرُ ما[1] يلقى الحتوفَ تَقَدُّم
فإن كان للحرْبِ العوانِ مُعَوَّلٌ | علينا فما كلّ الكواكب ترْجم
وتنسجُ يوم الرّوعِ من نسج جردنا[2] | علينا ملاءً بالقشاعم ترقم[3]
فمن كلّ مقدامٍ[4] على أعوجيّةٍ | بكرّاتها طيرُ المـــلاحم تلحم
وطـــائرةٍ بالذّمْرِ ملء عنـــانها | لها الفضلُ في شأوٍ[5] البروق مُسلَّم
رمينا عداةَ الله في عُقْرِ دارهم | بعاديةٍ في غمرةِ الموتِ تُقْحَم
تعومُ بها بين العُلُوجِ مُظِلّةً | كما حلّقَتْ فُتْخٌ على الجوّ حُوّم
فمن حاملٍ من غير فحلٍ يُنيخُها | إذا وَضَعتْ في ساحل الرّوم صَيْلَم[6]
ومنسوبةٍ للحرب مُنْشَأةٍ لهـــا | طوائرُ بالآسادِ في المـــاءِ عُوّم
كأنّ قسيّاً في مواخرهـــا التي | يُفَوَّقُ منها في المقادم أسهم
وترسلُ نِفْطاً يركبُ الماءَ مُحْرِقاً | كمُهْلٍ به تَشْوي الوجوهَ جهنّم

---

١ في ف : ساعة . . . تأخرنا .
٢ في ب : أيدي جيادنا .
٣ هذا البيت مقدم على الذي قبله في ف .
٤ في ب : صنديد .
٥ في ف : شأن .
٦ الصيلم : الداهية .

مدائنُ تغزو للعلـوجِ مـداثناً فتفتحُ قسراً بالسيوف وتَغْنَم

ومُتّخِذي قُمْصِ الحديد ملابساً إذا نَكَّلَ الأبطال في الحرب أقدموا

كأنّهمُ خاضُوا سراباً بِقيعَةٍ ترى للدّبا[1] فيها عيوناً عليهمُ

صَبَرْنا لهمْ صَبْرَ الكرام ولم يَسُغْ لنا الشهد إلاّ بعدما ساغَ علقم

فغادرَ أفواهاً بهم هبرُ ضربنا نواجِذُهَا من مرهفاتٍ تُثَلَّم

وإنَّ بأيدينا الحديدَ لنـاطقٌ إذا ما غدا في غيرها[2] ، وهو أبكم

وأجنحةُ الراياتِ فينا خوافقٌ كأنّ دَمَ الأبطال[3] فيهنّ عَنْدَم

أمِنْ أبْرقٍ بالدار أوْمَضَ بارقٌ كطائشِ كفّ بالبنان يُسَلِّم

مَرَى من عيونٍ ساهرات مدامعاً وكحّلَهَا بالنُّورِ والليلُ مظلم

فيا عَجَبا من زورةٍ زارَ طيفُها جُفوناً من التهويمِ فيها تَوَهّم

ألمّ بساقي عبرةٍ حـدَّ قفرة بِمِنْسَمِ حرفٍ كلما بُلّ يُلْطَم

وأهدَى أريجاً[4] من شذاها[5] ودونها لمقتحمِ الأهوال سَهْبٌ وَخِضرم

وللصبح نورٌ في الظلام كما اكتسى حميماً بطولِ الركضِ في الصدرِ أدهم

---

١ الدبا : الجراد ، شبه حلق الدرع بعيونه .
٢ في ب : إذا ما اعتدى من غيرنا .
٣ في ب : الأعلاج .
٤ في ب : نسيماً .
٥ في ف : ثناها .

أحنّ إلى أرضي التي في تُرابها مفاصلُ من أهلي بَلِينَ وأعظُم
كما حنّ في قَيْدِ الدجى بمُضِلّةٍ إلى وَطَنٍ عَوْدٌ من الشوق يُرْزِم
وقد صَفِرَتْ كَفّايَ من رَيّقِ الصبا ومنّيَ ملآن بذكرِ الصّبا فم

٢٧٠

وقال يخاطب أهل بلده ويحرضهم على الجهاد

بني الثّغرِ[١] لستمْ في الوَغى من بني أمي إذا لم أصُل بالعُرْبِ منكم على العُجمِ
دعوا النومَ إني خائفٌ أنْ تَدوسَكمْ دواهٍ ، وأنتمْ في الأماني مع الحُلْم
وكأسٍ بأُمّ[٢] الموْتِ يَسْعى مُديرُها إلى أهلِ كأسٍ حثّها بابنةِ الكرم
فرُدّوا وجوهَ الخيلِ نحو كريهةٍ مُصرِّحةٍ في الرّوم بالثّكلِ واليُتْم
تُهيلُ من النقع المحلّق بالضحى على الشمسِ ما هالتْهُ ليلاً على النجم
وَصُولوا ببيضٍ في العَجاجِ كأنّها بُرُوقٌ بضربِ الهام مُحْمَرّةُ السّجْم
ولا عَدِمَتْ في سلّها من غمودها ظهوراً فقد تخفى الجداول بالرُّجم
وقرعُ[٣] الحسامِ الرأسَ من كلّ كافرٍ أحبّ إلى سمعي من النّقْرِ في البم

---

١ في ب : الحرب .
٢ في ب : بأمر .
٣ في ب : فقرع .

ولله منكمْ كلّ ماضٍ كَعَضْبِهِ يسيلُ إلى الهيجاءِ مُتّقِدَ العَزْمِ
يُحَدّثُ بالإقــدامِ نفْساً كأنّما يَطيرُ إلى الحربِ اشتياقاً عن السلم
ينيرُ عليــه صَبْرَهُ ، وهو نَشْرَةٌ ، لتسريدها أمْنٌ من القَوْرِ والقَصْمْ
ويسطو بمحجوبِ الظباتِ إذا بدا جلا ما جلا الإصباحُ من ظلمة الظلم
له دَخْلَةٌ في الجسْم[1] تُخْرِجُ نَفْسَهُ قُبَيْلَ خروج الحدّ منهُ عن الجسم
وما يُفتَدَى منه بلحمٍ ولا دمٍ ولكن بما في العظم بالبَرْيِ للعظم
ثبوتٌ إذا ما أقْبَلَ الموتُ فاغراً يُرَدّد في الأسْماعِ جرْجرَةَ القَرْم
له عينُ ضرغامٍ هصورٍ ، فقلبُهُ بِتصريفِ فِعْلِ الجهل منه على علم
ولله أرضٌ إن عــدمتمْ هواءَهــا فأهواؤكم في الأرض منثورةُ النّظم
وعزّكُمُ يُفْضي إلى الذلّ والنّوَى من البينِ تَرْمي الشملَ منكم بما ترمي
فإنّ بلادَ الناسِ ليستْ بلادَكُمْ ولا جارُهَا والحِلمُ كالجارِ والحلم
أعَنْ أرضكمْ يغنيكمُ أرضُ غيركم وكم خالةٍ جَدّاءَ لم تُغْنِ عن أمّ[2]
أخِلّي الذي وُدّي بوُدّ وَصَلْتَهُ لدي[3] كما نِيطَ الوليّ إلى الوسمي
تَقَيّدْ من القطر العزيز بموطنٍ وَمُتْ عند رَبْعٍ من ربوعكَ أو رسم
وإيّاكَ يوْماً أن تُجرّبَ غُرْبَةً فلن يستجيزَ العقلُ تجربةَ السّمّ

---

[1] في ب : في القرن .
[2] في ب : وكم خالة لم تغن طفلا عن الأم . والجداء : القليلة اللبن .
[3] في ب : لديه .

٢٧١

وقال أيضاً

دَمُ الكرمِ في الكاس أم عَنْدَمُ ... به تُخْضَبُ الكفُّ[1] والمِعْصَمُ

أصفراءُ يَبْيَضّ منها[2] الحباب ... أمِ الشمسُ عن أنجمٍ تبسِمُ

وتلك شقيقةُ روحِ الفتى ... إذا وُجِدَتْ فالأسى يُعْدَمُ

تُلامُ على شُرْبِ مشمولةٍ ... ولم يدرِ ما سرَّها اللوَّم

خبيئةُ دنٍّ سناها المنيرُ ... محيطٌ به قارها المظلم

وقد كثر القول[3] في عمرها ... ولم يُدْرَ عاصرُها الأزلم

يقهقهُ في الصبِّ إبريقُها ... كما هَدَرَ البازلُ المُقْرَم

إذا انبعثتْ منه قال النَّديم : ... أينسابُ من فمه أرقم[4]

يبيتُ لها سَهَرٌ في العروقِ ... وأعينُ شُرَّابِها نُوَّم

كأنَّ لها في[5] خفيِّ الدَّبيبِ ... نمالاً مساكنُها[6] الأعظُم

---

١ في ف : الكأس .
٢ في ب : يبض فيها .
٣ في ب : الطعن .
٤ في ب : الأرقم .
٥ في ف : من .
٦ في ف : مناسكها .

يطوفُ بهــا رشأ أحْوَرٌ لمقلتـــهِ الليـــثُ مستسلم
وتلحظُ بالسحرِ منــه الجفونُ ويلفظُ بالــدّرّ[1] منــه الفم
بفَوّاحَةِ الــزّهْرِ[2] مُخْضَلّةٍ تُجَادُ معَ الصّبْحِ أوْ تُرْهَم[3]
تُنظِّمُ فيها أكفُّ الغمــامِ جُمــاناً بكفّيْكَ لا يُنْظــم
كأنّ لهــا في طباقِ الثّرَى بأيدي الحيــا حُلَلاً تُرْقَم
على شدواتِ طيورٍ فصــاحٍ عــلى أنّ أفْصَحَهــا أعْجَم
لهنّ أعاريضُ عنــد الخليل مُهْمَلَةٌ الوزنِ لا تُعْلَــم
ترجّــعُ فيهــا ضروبَ اللحونِ فتُطْرِبُنا ، وَهْيَ لا تفهــم

٢٧٢

وقال أيضاً

هبّوا فقد رَحَلَ الدّجى ظُلَمَهْ وأقبَلَ الصّبحُ رافعاً عَلَمَهْ
كزَاحفٍ أقبلتْ كتائبُــهُ هــازمةً في اتّباع مُنْهزِمه
كأنّ في كفّه حسامَ سناً ما مسّ من حندس به حَسَمَه

---

١ في ب : وبالدر يلفظ .
٢ في ب : له أوجه النور .
٣ تجاد : يصيبها الجود وهو مطر غزير ؛ ترهم : تصيبها الرهمة وهي المطرة الضعيفة .

كأنّ ليثَ النجوم رِيعَ به فهو من الغرب داخلٌ أجَمَه
ونفحةُ الزّهر شمُّها عَبِقٌ وريقةُ الماء بالصَّبا شَبِمَه
ومَعْبَدُ الطير وهو بلبُلُها مُرَجِّعٌ في غصينه[1] نَغَمَه
كأنّما الليلُ أدهمٌ رَفَعَتْ عن غُرّةِ الصّبْح راحةٌ غُمَمَه
كأنّما الشمسُ جمرةٌ جَعَلَتْ تحرقُ من كلّ ظلمة حممَه
خُذوا من الكَرْمِ شَرْبةً وَصَفَتْ للشّربِ ريّا . نَسيمُها كَتَمَه
كأنّما الدّهرُ في تصرّفه أوْدَعَ في طول عمرها قِدَمَه
تريكَ ياقوتةً مُنَعّمَةً عن لؤلؤٍ في الزّجاجِ مُبْتسِمَه
كأنّما للمُنَى بها شَفَةٌ فَهْيَ بكلّ الشفاهِ مُلْتَثَمَه
فالعيشُ في شربها مُعَتَّقَةً بسكرها في العقول محتكمه
على غناءٍ بعودِ غانيَةٍ يُجْري عليها بنانُها عَنَمَه
لسانُ مضرابِها ، ترى يَدَها له فماً . ليتني لثمتُ فَمَهْ
وشادنٍ في جفونه سَقَمٌ كأنّني عنه حاملٌ ألمَه
ودّعنا في سلامِه عَجِلاً ففرّقَ الشملَ عندما نَظَمَه
كانت وقوفاً[2] بنا زيارتُهُ كوَاضِعٍ فوق جمرةٍ قَدَمَه
كأنّ ليلَ الوصالِ من قِصَرٍ في فَلَقِ الصبحِ أدْغمَ العَتَمَهْ

---

[1] في ف : غصنه ، وفي م : أغصانه . ولعلها : قضيبه .
[2] كذا وأراه : زفوفاً أي مراً سريعاً .

٢٧٣

وقال أيضاً

وكأسٍ نشوانَ فيها الشمسُ بازغةٌ   باتت تديمُ إلى الإصباحِ لثمَ فمهْ

تخفُّ ملأى وتعطي الثقلَ فارغةً   كالجسم عند وجود الروح أو عدمِـه[1]

٢٧٤

وقال أيضاً

وصاحبٍ بصحّةٍ بلا سَقَمْ   مُساعدٍ في كلّ أمْرٍ لا يُذَمْ

يقولُ في لا : لا ، وفي نعم : نعم   لا ناكبٌ عن فتيـة ولا برِمْ

مقلّبُ القلبِ لهمّ في الهِمَمْ   يحلّ عنك بالغنى عن العـدم

يحرمُ بالسيف الخطوبَ لا تُلمْ   مجوهرٌ سيفُ عُلاهُ بالكرم

١ كتب في الأصل المطبوع : وهذا المعنى أخذه من ادريس بن اليمان اليابسي ، من قصيدة مدح فيها اقبال الدولة علي بن مجاهد العامري يقول :

ثقلت زجاجات أتتنا فرغـاً   حتى إذا ملئت بصفو الراح

خفت فكادت تستطير بما حوت   إن الجسوم تخف بالأرواح

وألم به ادريس بقول حسان في خفتها ملأى خاصة :

بزجاجة رقصت بما في قعرها   رقص القلوص براكب مستعجل

قلت : وقد آثرت نقل هذا التعليق في الهامش ، لأنه موضعه ، والنص لم يرد في ف .

مُهَذَّبٌ في كلّ علم للأمم   كأنّما شيمتُهُ خمر الشيم[1]

يحيي السرورَ ويميتُ كلّ همْ   نادمتُ منه سيّداً بلا نَدَمْ

من عنب . . . سقانيه عتم   مدامةً زادتْ على عُمْرِ القدم

يحملُ من موجودها الكأسُ عَدَمْ   زجاجُها الصافي عليها لا يَنِمْ

إلا بوصفٍ أو بذوقٍ أو بشمْ   في ليلةٍ مرّتْ كزَوْرَةِ الحلم

كأنّما الأنجمُ منها في الظُّلَمْ   أوجُهُ رومٍ يسبحونَ في خِضَمْ

حتى إذا ما عُمُرُ الليلِ انصرَمْ   وفرّ من نورِ الصّباح وانهزَمْ

كَعابِسٍ[2] في حنَقٍ من مبتسم   قمت لصيد الطير في قَرَا أحَمّ[3]

كالليـل إلا قبلة الصبح بفم[4]   بجرٌ عليه بالعنانِ قد ختم

بباشقٍ متّقِدِ العينِ قَرِمْ   ذي مخلبٍ مُعوّجٍ لم يستقم

مثلِ هلالٍ طالعٍ مع العتَمْ   عند انعطافٍ ، لا اسودادٍ مدلهم

أقنى مُعَرَّى أنفُهُ من الشّمَم   مُصَمّمٌ على الطيور مقتحم

والطيرُ منها جبناءٌ وبُهَمْ   حتى إذا قَلّبَ عيناً كالضَّرَمْ

---

١ كذا في ف : خمر الشيم ؛ أي ان شيمته كشيمة الخمر ، وفسر ذلك بقوله بعده : «يحيي السرور ويميت كل هم .»

٢ في ف.و م : كقابس .

٣ أي امتطى ظهر جواده الأحم لصيد الطير ، والأحم : الأسود اللون . وفي م : مدى أجم ، وفي ف : مر أجم .

٤ وصف فرسه بأن سائره أسود إلا غرة في جبهته .

صــادقةٌ طرفتُها لا تُتَّهَمْ وأبصر الفُرْجةَ هَمَّ فاعتزم

كالليثِ قد أوفى على سرب النَّعَمْ في روضةٍ أطيارهــا ذاتُ نغم

كما تغنَّتْ فِرَقٌ من العَجَم قامَ الرَّبيع عندها عـلى قدم

فاتحــةً أعينَ زهرٍ لم تنم تجــول فيهــا كمدامع الرُّهَم

ففارَقَ الكفَّ إلى الصّيد ، فَشِمْ خاطــفَ برقٍ في غمامٍ مرتكم

ما فاتكَ غادرَها في المُقْتَحَمْ فوارساً تلا . . . . أيدي الخدم

وعاود [الكفَّ] وفيّاً بالذمم بِمِنْسَرٍ يمسحُ عنه فَضْلَ دم

مَسْحَكَ مَيَّاعَ المِدادِ بالقَلَمْ

٢٧٥

وقال في هلال رمضان

قلتُ ، والنّاس يرقبون هلالاً يشبه الصبَّ من نحافةِ جِسْمِهْ

من يكنْ صــائماً فــذا رمضانٌ خطَّ بالنّور للورى أوّلَ اسمِه

٢٧٦

وقال يصف فرساً أدهم أغرّ

وأدْهَمَ يَنْهَبُ عَرْضَ المَدَى ويجري به كلّ عِرْقٍ كريمْ

بعيني عقابٍ وشِدْقَيْ غرابٍ وأرساغ جأبٍ ، وساقَيْ ظليم

كأن البروقَ على جِسْمِه مَدَاوِسُ تصْقُلُ منه أديم

وتحسبُ غُرّةَ صبحٍ منيرٍ بَدَتْ منه في وَجْهِ ليلٍ بهيم

٢٧٧

وقال يذكر المعتمد ويذكر إيابه إلى إشبيلية من وقعة الزلاقة ، وكانت الروم في أول حملتها في ذلك صرعته ، وعليه درعه ، فأصابته شجات ، ففي ذلك يقول ، رحمه الله:

أبا هاشم هشّمتني الشفار[1] فلله صبري لذاك الأوار[2]

ذكرت شخيصك[3] ما بينها فلم يدعني حبّه للفرار[4]

١ في ب : السيوف .
٢ في ب وف : لتلك الشفار .
٣ في ب : تذكرت شخصك .
٤ في ب : للقرار .

وأبو هاشم هذا المذكور ولده ، كان في ذلك الوقت صغيراً ، وكان يؤثر قربه ، ويستعذب حبّه :

ليهنِء بني الإسلام أنْ أُبْتَ سالما وغادَرْتَ أنْفَ الكفرِ بالذلّ راغما
كشفتَ كروباً عن قلوبٍ كأنّما وَضَعْتَ علَيْها من هواك خواتما
صبرتَ لحرّ الطعن والضربِ ذائداً عن الدين واستصغرتَ فيه العظائما
تفسّحْتَ في صدرٍ رَحيبٍ بحيثُ لا يلاقيك فيه القِرْنُ[1] إلاّ مُصادِما
رحمناكَ من وَقْعِ الصوارم والقَنا فكانَ لنا في حفظك اللهُ راحما
وكم شَجّةٍ في حُرّ وجهك لم يزَلْ[2] لك الحسنُ منها بالشجاعة واسما
أجَبْتَ الهُدى لمّا دعاكَ لِنَصْرِهِ وجَرّدْتَ عزْماً إذ تَقَلّدتَ صارما
بجيشٍ تثيرُ الجردُ فيه قساطلاً تريكَ بها وَجْهَ الغزالةِ قاتما
إذا بَرَقَتْ فيه الأسنّةُ خِلْتَها كواكبَ تجلو في السُّكاكِ غمائما
غدَتْ خلفَهُ وَحْشُ العراءِ عواسلاً وَمِنْ فوْقِهِ طيرُ الهواءِ حوائما
كأنّ عُقابَ الجوّ هَزّتْ خوافياً حواليكَ منه للوغَى وقَوادِما
كأنّ زعيم الرّومِ وَيْلٌ لنفسه أثارَ عليه مِنْكَ ليثاً ضُبارِما[3]

---

١ في ب : قرن الحرب .
٢ في ب : صبرت .
٣ الضبارم : الشديد الخلق من الآساد .

نَقَمْتَ على من آسفوك بيوسفٍ[1] وما زلتَ ممن خالفَ الحقَّ ناقما

وآذنت عُمّار القفار بحربهم فيا قُرْبَ ما شقّوا إليك الخضارما

بنو الحرب غذّتهم لَبَان[2] ثُدِيّها ولم يستطيبوا[3] منه إلا العلاقما

يَحُثّونَ للهَيْجاءِ جُرْداً سلاهباً ويُنْضُونَ في البيداءِ بُزلاً صلادما

إذا طَعَنوا بالسمهريّةِ خِلْتَهُمْ ضراغمَ تُغْرِي بالقلوب أراقما

وإن كرّ منهمْ ذو لثامٍ مُصَمِّمٌ غدا لفم الهيجاءِ بالسيف لاثما

ولما التقى بالرّوم[4] طارت قلوبُهُمْ كأنْ لم تكُنْ أو كارهُنّ الحيازما

كأنكَ حرّمْتَ الحياةَ عليهمُ غداةَ الوغى لما استحلّوا المحارما

فلم تَبْقَ من أهل الضّلالِ بقيّةٌ لقد عادتِ الأعراسُ فيهم مآتما

جعلتَ ثيابَ المشرفيّةِ منهمُ دماءً وتيجانَ الرماح جماجما

فلا عجبٌ أن قدّتِ البيضُ هامَهُمْ فتلكَ[5] حروفُ اللين لاقتْ جوازما

أرى الفُنْشَ ولّى يومَ لاقى فوارساً مَغافرُهُمْ لاثوا عليها العمائما

يلومُ صليبَ العود وهو يلومه ومن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغيّ لائما

---

١ يوسف : هو ابن تاشفين الذي استنجده المعتمد .

٢ في ب : عادتهم بدر .

٣ في ب : وما استعذبوا منهن .

٤ في ب : الجمعان .

٥ في ب : لأن .

نوَى خدعةً في الحرب والحرب خَدعةٌ فأدْبَرَ[1] مهزوماً وقد كان هــازما

ومعتادةٍ أكْلَ الكماةِ ، جيوشها أعاربُ ، تدعو للنّزال أعــاجما

إذا اختصموا في الله كانتْ قضاتُهُمْ قواضبَ تَقْضي بينهم ولهـــاذما

علوجٌ حَشَوْا في الكفر بالغيظ[2] أعيناً وقد ملأوا منها قلوباً سخائما

أفاضوا من الماذيّ ماءً عليهمُ ليطفىء عنهمْ من لظى الحرب[3] جاحما

أدَرْتَ رحاها دَوْرَةً عَرَبِيَّةً تَرَكْتَ عظامَ الروم فيها هشائمــا

كأنّ كراتٍ وَهْيَ هامُهُمُ غَدَتْ صَوالجُهــا بيضاً تحزّ الغَلاصما

وأيدٍ بنت في القفر منها صوامعاً وكانت[4] لهــا بالمرهفات هوادمــا

علاهُنّ للتأذين كلّ مُكَبّرٍ تكادُ له كفٌّ تَمَسّ الغمائما

وتحسبُها في كلّ بيداءَ عُنْصُلاً تَرَى ناثراً فيها لهنّ وناظمــا

لواوُك نادى للقِرى من لحومهم خوامعَ[5] من آفاقهــا وَقَشاعِما

كأنّ عُفاةً منهما يَوْمَ أقْبَلَتْ بَذَلْتَ لها قَتْلَ العلوجِ مكارمــا

هناك ثنيتَ الكفرَ خزيانَ باكياً نعم ، ورددت[6] الدينَ جذلانَ باسما

---

١ في ب : بها فر .

٢ في ب : للغيظ بالكفر .

٣ في ب : الروع .

٤ في ب : منهم . . . وكن .

٥ في ف وم : جوامع ؛ والخوامع : الضباع ، تخمع أي تظلع في مشيها ؛ ولواؤه نادى الضباع والنسور أي لما رأت لواءه احتشدت طمعاً في جيف القتلى .

٦ في ب : بصرفك فيه الدين في ف : ووردت .

حلمتمْ مراجيحاً ، وَجُدْتُمْ أكارماً وسدتُمْ بهاليلاً ، وصلتُمْ ضراغما

سكنتمْ قلوبَ العــارفينَ محبّةً كما سكنَ الزهرُ الذكيّ الكمائما

نذرْتُ نذوزاً فاقتضاني قضاءَهـــا إيابُكَ[1] من يومِ العروبة سالما

ولمّا وجدتُ[2] الوفرَ أعوزَ راحتي سجدتُ لربّي ثمّ أصبحْتُ صائما

٢٧٨

وقال أيضاً

يا رسولي الذي يُحدّثُ سمعي بحديثين ‌من شفائي وسقمي

بلّغِ الشمسَ أنني لا أراها يَوْمَ صَحْوٍ حتى أرى وَجْهَ نُعْمْ

قالتالشمس: صفْ لنا خلْق شمس هِمْتَ وَجْداً بها،فضُوعِفَ همي

قلتُ : واللهِ فيــه أحسنُ تقويـ ـمٍ ، فهذا في الوصفِ مبلغُ علمي

غادةٌ أكثرت خــلافي[3] فكانتْ نارَ حربٍ وكنتُ جنّةَ سلم

وهي لمياءُ تمنعُ الريقَ صوناً وتروّي السواكَ منــه برغمي

---

١ في ب : قفولك .

٢ في ب : رأيت .

٣ في ب : بلغت غاية الخلاف .

أيّ دُرٍّ من العقيق عليــه خاتَمٌ لا يُفكُّ[3] عنه بلثم

أكسبتني جفونُها من سقامٍ[2] عرَضاً ضاق عنه جَوْهَرُ جسمي

يا قتولاً أرى لها في نضالي حدّ سهمٍ[3] مثلّماً حَدّ سَهْمي

أدْرَكَ النارَ ناظرٌ لكِ مُرْدٍ[4] من لــه ناظرٌ لخدّك مُدْمي

٢٧٩

وقال أيضاً [يتغزّل ويصف عزمه واعتسافه البيد][5]

أقولُ لِبَرْقٍ شِمْتُهُ في غَمامِهِ: أشامَكَ من أشْبَهْتَ حُسن ابتسامه

وهلْ بِتّ منْــهُ مُستعيراً أناملاً تشيرُ إلينا حُمْرُها بسلامــه

وكيفَ يشيمُ البرقَ مَنْ باتَ جَفْنُهُ إلى الصبح مكحولاً بطولِ منامه

أمَنْ بَرَدَتْ أنْفاسُهُ من سُلُوّهِ كَمَنْ حَمِيَتْ أحشاؤهُ من غرامه

غزالٌ سقيمُ الطرْفِ أفنيتُ صحّتي ولم تغنِ شيئاً[6] في عِلاجِ سَقامه

١ في ب : لا يفض .

٢ في م : فكستني . . . بسقام ، وما أثبته هو رواية ف .

٣ كذلك في ب ، وفي ف و م : « سهماً » .

٤ في ب : ملدم .

٥ ما بين معقفين زيادة من ب .

٦ في ب : يغن شيء .

وغصْنٌ ، ذبولي في الهوى باخضرَارِهِ وبدرٌ ، مُحاقي بالضّنا من تَمامه

ولوْ شئتُ عقّدْتَ الخصرِ منه لحضّني[1] عليه تَشَنّي[2] خيزرانِ قوامه

يصدّ بوردٍ فوقَ خدّ كأنّهُ يقبّلُهُ صدغٌ بِعَطْفَةِ لامه

وَمُسْتَوْطنٍ كُورَ النّجيبِ بعزْمهِ فَرِحْلَتُهُ في ظهرِهِ بمُقامه

تزَاحمُ هِمّاتُ العُلا في فؤادِهِ وَغُرّ المَعاني في فَصيحِ[3] كلامِهِ

وفي المَيْسِ مَيّاسٌ بإيجافِ سَيْرِهِ رَجُومٌ بأجواز[4] الفلا بِلُغامه

إذا ثارَ صلكّ الصّدْرَ بالخفّ شِرّةً[5] وطارَ به في القفْزِ وَحْيُ زمامِهِ[6]

فما زَال سَهبُ[7] الأرْض قوتاً لأرْضِهِ ولا انفكّ قوتُ الرّحل شحمَ سنامه

وأعْمَلْتُهُ بَدْراً ولكنْ رَدَدْتُهُ هلالاً ، مشى فيه مُحاقُ المَهامِهِ

وَمَرْتٍ يَطول سَفْرَهُ بِنَفاذِهِ أتيحَ لهُ مُسْتَنْجِدٌ باعْتزامِهِ[8]

إذا صرْصرُ الأرواحِ أغْشَتْهُ صَرّها شَوَى الوجْهَ منها حرُّهُ باحْتدامه

---

١ في ف : ولو عقد الخصر منه ، وهو ناقص .

٢ هذه رواية ب وفي م : « بثني » .

٣ في ب : نقي .

٤ في ب : لأجواز .

٥ في ب : سيره .

٦ أي إذا هززت له الزمام هزاً خفيفاً كالإيماء طار في القفز .

٧ في ب : قوت .

٨ المرت : الصحراء ، ويطول السفر : يعجزهم أن ينفذوا فيه ؛ وفي ف : معطول .

يبلّ صدى الأرماق في القيظِ ركبُهُ بمُلْتَقَطٍ[1] يشْي القَطَا عن جمامِه
تُسرّقُ عنه الكفُّ جلبابَ عرْمَضٍ فيبدو كنورِ[2] الصّبْح تحتَ ظلامه

٢٨٠

وقال أيضاً

ألا ربّ كأسٍ تقشْتَضي كلّ لَذّةٍ أكلْتُمْ عليها ، طولَ ليلكمُ ، لحمي
بلى لو قَدَرْتُمْ لاتخذتُمْ شرابَكُمْ دمي في كؤوسٍ وهي تُنحتُ من عظمي
سلامٌ عليكم أوقدوا نارَ حَرْبِكُمْ فإني مفيضٌ ماءَ سَلْميَ من حلمي
فللحم عندي إن [أكلتم] عواقبٌ تُقَصّرُ عنْهُنّ [العواقبُ] للظلم
وَلي مِقْوَلٌ قد أطْلَقَتْهُ سَجِيّتي عن الحمدِ لما عَقَلْتُهُ عَنِ الذمّ

٢٨١

وقال أيضاً

وَجَدْتُ الحلمَ ينصرني على مَنْ أسُلّ لحربه ظُبَةَ الحُسامِ
ولي كَلِمٌ كأنّ اللّفْظَ منها يَرُشّ السمعَ منه بالسّهامِ

---

١ الملتقط : المنهل ، وهو من قول الراجز : ومنهل وردته التقاطا .
٢ في ب : فتبدو كنوز .

ولكنّي أكفكفها بحِلْمٍ يُلاثُ البُرْدُ منه على شَمام[1]
ولستُ أعيدُ من حَنَقٍ عليه مخاطبةً لتجديد الخصام
ويقصرُ في الحقيقة كلُّ شيءٍ ثنَيْتَ جميعَهُ غيرَ الكلام

٢٨٢

وقال مجيباً[2]

شَدَدْتُ على صَدْرِ الزِّماعِ حِزَامي وَجَرَّدْتُ من عزْمي شقيقَ حُسامي
وقمتُ نهوضَ العَوْدِ حُلَّ عِقالُهُ فأقْعَدَني المقدورُ عند قيامي
إذا صاحَ بي أمرٌ من الله صيحةً رجعتُ ورائي ، والحبيبُ أمامي
وكيفَ أرى لي قصْدَ وجهي إليكمُ إذا كانَ في كفِّ القضاءِ زمامي
وما هي إلاّ غربةٌ مُسْتمرّةٌ أرَى الشيخَ فيها بَعْدَ سِنِّ غلام
كأنَّ قَذالي بالقتير مُعَوَّضٌ قبيلةَ سامٍ منْ قبيلةِ حام
وما شيبَ الإنسانَ مثلُ تَغَرُّبٍ يَمُرُّ عليه اليومُ منه كَعام
وهل رحتُ إلاّ طالباً بالنوى عُلًى كأنّيَ منها للنّجوم مُسام

١ أي هو حلم راجح كأنه في رجحانه شمام .
٢ أي مجيباً عن رسالة بعث بها إليه ابن عمته أبو الحسن يقتضيه فيها العودة إلى أهله .

وإنّي لَسَهْمٌ في نفاذي وليتني يُهدّبُ بي دارَ الأحبّةِ رام

* * *

أبا الحسن اسمعْ عذرةً قد بعثتُها — فلا زلتَ في عزّ قرينَ دوام —

إذا لم تُطِقْ عن أرْض قوْمٍ ترَحّلاً فرزقك ما استوعبته بمقام

[و] أعربتَ[1] عن نفسٍ إليّ مشوقةٍ كأنّ كلاماً منك طيّ كلام

أتاني كتابٌ منك نَمّقْتَ خطّهُ كما دبّجَ الروضَ انسجامُ غمام

تناولتُهُ من كفّ مُهْدٍ كأنّما بَرَدْتُ بعذبِ الماء حَرّ أُوام

مَشَى في ضميري بالسرور كما مشَى صَلاحُ شِفاءٍ في فَسادِ سَقام

كأنّ كتابي باليمين أخذتُهُ وقيل ليَ : ادخلْ جنّةً بسلام

* * *

فلا تحسبوني قدْ تَسَلّيتُ عنكم بطيبِ سَماعٍ أو بكأسِ مُدام

ولا ضحكتْ سني ،وهل ضحكتْ وما وضعتُ على فَضّ الدموعِ ختامي

متى كنتُ مختاراً على الوَصْل فُرْقةً تُطيلُ إلى وِرْدِ اللّقاءِ هيامي

ولا تحسبوني خائفاً[2] قَطْعَ مَهْمَهٍ يدومُ ، وأخفافُ المطيّ دوام

تَنَفّسَ منه الحرُّ في حُرّ وجنتي تَنَفُّسَ قَيْنٍ في صقيلِ حسام

---

[1] في ف و م : عرست .

[2] كذا في م ، وهي غير واضحة في ف ويمكن أن تقرأ : آيباً .

ولا ساكناً في ليْلَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ   سَرَى ركبُها فيها اصطلاءَ ظلام

إذا ما رغا في الجوّ فحل[1] سحابها   حكَى الثلجُ من شدقيه جَعْدَ لغام

ألمْ أُرْكبِ النَفْسَ اشتياقاً إليكمُ   غواربَ مُخضرّ الغواربِ طـام

ألم أكُ في الغَرْقى مُشيراً براحتي   فلم أنجُ إلا من لِقاءِ حِمامي

ألم أفْقدِ الشمسَ التي كان ضوءُها   يُجلّي عن الأجفانِ كلّ ظلام[2]

طمعتُ بهذا كلّه في لقائكمْ   لِتَغْرَمَ نَفْسٌ أُتْلِفَتْ بغرام

* * *

بقيةَ أحبــابي الذين حَوَتْهُمُ   مضاجعُ لم يُضْجَعْ بها لمنام

أخذتُ ذمامي مِنْ زماني عليكمُ   فما كان إلا غادراً بذمـامي

تفرّقتُمُ في البينِ ، في كلّ وُجْهةٍ   نثيرَ جُمانٍ ، في انقطاعِ نظامِ

فحزبٌ يكفّ الدهرُ عنه عزيمتي   وحزبٌ تردّ الرومُ عنه مَرامي

سأُعْطي بشيراً قال لي : قد تجمّعوا   ثوابَ صــلاتي طائعاً وصيامي

وأرْقُبُ يوماً فيه بالوَصْلِ تلتقي   سجامُ دمــوعٍ بيننا بسِجــام

متى آتكم يُنْشَرْ لكمْ من ضريحه[3]   دفينُ اغترابٍ لا دفينُ رغـام

---

[1] في ف و م : إذا ما رعى في الجو محل . . .
[2] لعله يشير هنا إلى غرق « جوهرة » ، التي رثاها في قصائد أخرى .
[3] في ف و م : ضريحكم .

٢٨٣

وقال يمدح المعتمد ويذكر الوقعة التي كانت بينه وبين الفنش عند جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من أرض سبتة بجنده ، وهزيمة الفنش بجنوده وقتل أكثرهم ، وادّراع الفنش ثوب الليل ، ونجاته بنفسه في سرية قليلة ، وكانت تلك الوقعة في موضع يقال له الزلاّقة من إقليم بَطَلْيَوْس :

تخريجها : في الوافي منها ٤٣ ، ٤٤

خلعتُ على بُنيّاتِ الكرومِ محاسنَ ما خُلِعْنَ على الرسومِ

أخذتُ بمذْهب الحكَميّ فيها وكيفَ أميلُ عن غرَض الحكيم[1]

وما فضلُ الطلول على شَمُولٍ تمجّ المسك في نَفَس النسيم[2]

يُجدّدُ حبّها في كلّ قلبٍ إذا صقلتْهُ من صدإ الهموم

وكنتُ على قديم الدهر أصبو إلى اللّذّاتِ بالقصر القديم

تُرَدّ إذا ظمئت عليّ كأسي[3] كما رُدّ اللبان على الفطيم[4]

وما استنطقتُ من طَلَلٍ صَموتٍ كأنّ له إشاراتِ الكليم

بل استنطقتُ بالنّغماتِ عوداً تَنَبّهَ مُطْرِباً في حجْر ريم

---

١ في ب : عن سنن الحكيم ؛ والحكمي : هو أبو نواس ، أي هو على مذهبه في تفضيل وصف الخمر على وصف الطلول .

٢ في ب : من نفس الشميم .

٣ في ب : فطمت علي راحي .

٤ هذه هي رواية ب ، وفي ف و م : كما رد الفطيم على البطيم .

وربَّ منيمةِ الندماءِ سُكْراً نفيتُ بها المنامَ عن النديم

فقامَ ومُقْلةُ الإصباحِ فيها بقيةُ إثمدِ الليلِ البهيم

كأنَّ الصبحَ معترضاً[1] دجاهُ خصيمٌ يستطيلُ على خصيم

كأنَّ الشرق في هذا وهذا مُصَحَّفٌ فيه زَنْجيٌّ وروميّ

وليلٍ شُقَّ فيه ضياءُ صُبْحٍ كأدهمَ ، في إغارتهِ ، لطيم[2]

قطعنا تحت غيهبه عَسْراءً بعاريةِ العظامِ من اللحوم

ودامِيَةٍ مناسِمُها رَسَمْنا لها قَطْعَ المهامِهِ بالرّسيم

وَطُفْنا في البلاد طوافَ قَوْمٍ يريح نفوسَهم تَعَبُ الجسوم

وفي مغنى ابنِ عبّادٍ حَلَلْنا وقد نِلنا المنى عند العَزيم

بحيثُ يَغُضُّ أبصاراً ملوكٌ تُعظِّمُ هيبةَ الملك العظيم

تُنَظِّمُ[3] في مراتِبِهِ المعالي فتحسبُها نجوماً للنّجوم

وتهمي من أنامِلِهِ العَطايا فتحسبُها غيوماً للغيوم

وتصدُرُ عن ندى يده الأماني ، إذا وردتهُ هِيماً ، غير هيم

إذا نسيَ الكرامُ أنابَ[4] ذكراً يسافرُ في فمِ الزّمنِ المقيم

---

١ في ب : مقتضياً .

٢ اللطيم من الخيل : الذي سالت غرته في أحد شقي وجهه .

٣ في ب : ترفع .

٤ في ب : أناف .

تنـــاجيه فراسةُ ناظِـريْه بما في مُضْمَرِ القلبِ الكتوم
فيا ابنَ الصِّيدِ من لخمٍ ، ولخمٌ بدورُ مطـالع الحسبِ الصميم
إذا جادوا فأنواءُ العطايا وإن حلموا فأطوادُ الحلوم
وأحرمَ في يمينك مَشْرَفيّ أدمْتَ ببذلِه[1] صَوْنَ الحريم
ومُعتَرَكٍ تلَقّى الفنشُ فيه غريماً مهلكاً نَفْسَ الغريم
تَستّرَ بالظلامِ وفرّ خوفاً بروْعٍ شقّ سامعَيْ ظليم[2]
وذاقَ بيوسفٍ ذي البأس بُؤساً[3] فمرّرَ عنـده حلوَ النّعيم
وقد نهشتْهُ حيّاتُ العوالي سلوا الليلَ السليمَ عن السليم
ثنى توحيدُكَ التثليثَ منه يعَضّ على يدَيْ فَزِعٍ كظيم
رآكَ وأنتَ مبتسمٌ كضـارٍ تثاءَبَ عن نواجذه شتيم
غداة أتى بصلبانٍ أضَلّتْ[4] علوجاً أبْرَموا كَيْدَ البريم[5]
كأنّهُمُ شيـاطينٌ ولكنْ رميتَهُـمُ[6] بمحرقـةِ النجوم

---

١ في ب : بقرعه .

٢ أي بفزع صارخ بلغ من شدته أن سمعه الظليم وهو موصوف بالصمم .

٣ في ب : وضاق بيوسف في الناس بؤساً .

٤ في ب : أظلت .

٥ البريم : الجيش فيه أخلاط من الناس .

٦ في ب : قذفتهم .

علوجٌ[1] قُمْصُ حَرْبهمُ حَدِيدٌ يُعبِّرُ عنهمُ سَهَكُ النسيم

يقودُهمُ لحينهمُ[2] ظلومٌ لأنفسهمْ ، فوَيلٌ للظلوم

رعى نَبْتَ الوشيج بهمْ فمادوا وتلك عواقبُ المرعى الوخيم

وأوردهمْ حياضاً في المواضي بماءِ الموتِ ساقٍ من جموم[3]

ولما أنْ أتاكَ بقومِ عادٍ أتيْتَ بصرصرِ الرّيح العقيم

وقد ضرَّمتَ[4] نارَ الحرب حتّى حكَتْ زفراتُها قِطَعَ[5] الجحيم

وثارَ بركضِ شُزَّبِها قتامٌ خلَعْنَ به الصريمَ على الصريم

فثوبُ الجوّ مُغْبَرّ الحواشي ووجْهُ الأرض مُحْمرّ الأديم

وقد سكِرَتْ صِعادُ الخطّ حتّى تأوّدَ كلّ لدنٍ مستقيم

وما شربتْ سوى خمرِ التراقي ولا انتشقت[6] سوَى وَرْدِ الكلوم

فصلّ لربّك المعبودِ وانحرْ قُرُوماً منهمُ بَعْدَ القروم

وَعَيّدْ بالهدى[7] وأعِدْ عليهمْ عذابَ الحرب بالألم الأليم

---

١ في ب : جنود .

٢ في ب : لحربهم .

٣ في ب : حميم ؛ والجموم : البئر الكثيرة الماء .

٤ في ب : أضرمت .

٥ في ب : نار .

٦ الوافي : ولا نشقت .

٧ في ف : بالهنى ، والتصويب عن ب .

٢٨٤

وقال يمدح المنصور بن الناصر بن علنّاس

أمُدامٌ عن حَبابٍ تبتسمْ ‏ أمْ عقيقٌ فوقه دُرٌّ نُظِمْ
أعَــلى الهمّ بعثنــا كأسنا ‏ أم بنجمِ الأفْقِ شيطــانٌ رُجم
أظــلامٌ لضيــاءٍ طَبَــقٌ ‏ أم على الكافور بالمسكِ خُتِم
أندّى في الزهرِ أم ماءُ الهوَى ‏ حارَ في أعينِ حُورٍ لم تنم
أعمودُ الصبح في الغيهبِ أم ‏ غُرّةُ الأشقرِ في الغيمِ الأحَمْ
أمِراةٌ أم غديرٌ دائــمٌ ‏ مقشعرّ الجلــدِ بالقَرّ شَبِمْ
قَدَرَتْ منــه الصَّبا سرداً فما ‏ رَفَعَتْ عنه يداً حتى انفصمْ
كلّ ذا يدعو إلى مشمولةٍ ‏ فذرِ اللوم عليهــا أوْ فلُمْ
واغتنِمْ من كلّ عيشٍ صَفْوَهُ ‏ فألَذّ العيش صفوٌ يُغْتَنَمْ
واشكلِ الأوتار عن نغمتها ‏ لا تسوغُ الخمرُ إلاّ بالنّغَم
ومــدامٍ قَدُمَتْ فهْيَ إذا ‏ سُئِلتْ تخبرُ عنْ عادِ إرم
سكنتْ أجْوَفَ في جوْف الثرى ‏ نَسَجَ الدّهْرُ عليــه وَرَقَم
خالفَتْ أفعــالُها أعمارَها ‏ فأتتْ قُوّتُهــا بعْدَ الهرم

فهي في الرّاووقِ إن رَوّقْتَها[1] لهبٌ جارٍ وماءٌ مُضطرم

أفنَتِ الأحقابُ منها جوهَراً ما خلا الجزءَ الذي لا ينقسم

فهي مما أفرطتْ رقّتُها[2] تجِدُ الريّ بها وهيَ عدَم

لا ينالُ الشَّرْبُ من كاساتها غيرَ اوْنٍ يُسْرِعِ السّكرَ وشم

وكأنّ الشمسَ في ناجودِها من سوادِ القارِ في قُمْصِ ظلم

فأدِرْ للروح أُختاً والزرا جينِ بنتاً وسرورِ النفس أُم[3]

فهي مفتاحٌ للذّاتٍ لنا ويدُ المنصور مفتاحُ الكرم

حلّ قصرَ المجد منه مَلِكٌ بُدِىءَ المجدُ به ثمّ خُتِم

يحتبي في الدستِ منه أسدٌ وهلالٌ وسحابٌ وَعلَم

يترُكُ النقمةَ في جانبه وإذا عاقبَ في الله انتقم

وإذا قال : نعم ، وهي له عادةٌ ، أسبغَ بالبذل النِّعَم

ذو أيادٍ بأيادٍ وُصِلَتْ كتوالي دِيَمٍ بَعْدَ ديم

وإذا ما بَخِلَ الغيمُ سخا وإذا ما عَبَسَ الدهرُ بَسَم

تنتخي[4] السادات عزّاً [فإذا] قَرُبَتْ من عنده صارتْ خدم

---

١ في ف : فرقتها ، وبهامشها : إن رنقتها أو إن روقتها .

٢ في ف و م : ريقتها .

٣ الزراجين : جمع زرجون وهو قضيب الكرم .

٤ في ف و م : ينتحي .

لستَ أدري أيمينٌ قُبِّلَتْ منه في تسليمها أمْ مُسْتَلَم

يــــذعرُ الجبّارُ منــه فعلى شَفَةٍ يمشي إليـه لا قدم

فالقُ الهامِ ، إذا كرَّ سطا مِسْعَرُ الحربِ ، إذا همَّ اعتزَم

كلما أوطأ حرْباً سنبكاً حميَ الرّوْعُ[1] وَشَبَّ المقتحم

وإذا حاولَ في طعنِ الكُلى صَرَّفَ اللهذَمَ تصريفَ القلم

يطأُ الهــامَ انّي فَلَقَهَــا بلُهــامٍ لــلأعادي مُلتهِــم

يُرْجِعُ الليلَ نهاراً بالظّبا ويعيدُ الظُّهرَ بالنقعِ عَتَمْ

فضياءُ الشهب في قَسْطَلِهِ ويعيدُ الظهر ديال في نيم[2] [كذا]

إنّما حِمْيَرُ أُسْدٌ لم تزَلْ من قناها ساكناتٍ في أجَم

كلّ شهمِ القلبِ مرهوبِ الشبا مُرْتضى الأخلاقِ محمودِ الشيم

يستظلّـــون بأوراق الظّبـــا وأُوَارُ الرّوْعِ فيهم مُحْتَدِم

وعرُوسٍ لك قد أهْدَيْتُها تُكْلَمُ الحُسّادُ منها بالكَلِم

في تقاصيرَ من الدّرّ إذا حاوَلوا تحصيلَها فهيَ حِكَم

يضربُ الأمثالَ فيها بِكُمُ أُمَمٌ في المدح منْ بعد أُمَم

أسكنتْ ذكرَك حُكْماً خــالداً أبداً بُنْيانُهُ لا ينْهَـــدِم

---

١ في ف و م : شبكاً ، حمي المذع .

٢ لم أوفق لتصحيحه ، ويبدو أن الناسخ أخطأ إذ التقط نظره عجز البيت السابق واضطرب عليه الأمر .

٢٨٥

وقال يصف شمعة

خليفةُ الملك ترى عنده خليفةَ الشمس تجلّي الظُّلَمْ
ذابلةٌ ، في الصُّفرِ مركوزَةٌ لها من النّار سِنانٌ خذِمِ
تُبْدي من الشمع قراً مُدْمَجاً لولا نُخاعُ القُطْنِ لم يَسْتقمْ
فجسمها من ذهبٍ جامدٍ يُذيبُهُ روحٌ له[١] مُضْطَرِمِ
تَقْطفُ من هامتهـا فَضْلَةً قطفكَ بالمقراض رأسَ القلم
فنورُها[٢] من ذاك مُسْتَأنَفٌ كأنّهُ الصحّةُ بعْدَ السّقَم[٣]
يأكلُها وهيَ غذاءٌ له ، منها لسانٌ وهوَ[٤] في غير فم
كأنّهـا راقصـةٌ بيننا لم تنتقلْ[٥] في الرّقْص منها قدم
قائمةٌ في مَلبَسٍ[٦] أصْفَرٍ قد حرّكتْ منه لنا فَرْدَ كُمْ

---

١ في ب : وروحها من ذهب .
٢ في ب : فعيشها .
٣ في ب : ما أحسن الصحة بعد الألم .
٤ في ب : وهي .
٥ في ب : ينتقل .
٦ في ب : مجسد .

٢٨٦

وقال يمدح الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ

عسى للصَّبا عِلْمٌ برَسْمِ المعالِمِ فتَبْرِدَ حَرّاً من صَبَابَةِ هـائم[١]

ربوعٌ رَبَعْتُ اللهوَ والكاسَ والصِّبـا بها مُكْرَماً[٢] بالوصْلِ عند الكرائم

ليالِيَ تعذيبي من الوجـد مقلقي[٣] ورشفي اللمى من عذبة الرِّيق[٤] غارمي

وقد كان في مَحْلِ الهوى وانتجاعـهِ مُنَدّايَ في وَرْد الخدود النّواعم

فيا ريحُ إنّ الرّوحَ فيكِ فعلّلي به ساهراً ، وقْفاً على ذِكْرِ نائم

تطيّبْتِ بالأرْضِ التي طـابَ تُرْبُهَا ومَجّ نداها الندَّ في أنفِ لاثم

وأذكرْتِني عَصْرَ الصبا فكأنّما تَحَدّثُ منه العينُ عن طَيْفِ حالم

أعيدي حديثاً عنـده مَوْردٌ ، لنا وُقوعٌ عليه ، بالقلوب الحوائم

وهاتي جهامَ السُّحْبِ أملؤها حَياً بدمعي لسقيا أرْبُعي ومعـالمي

سرَتْ موهناً تمشي على الماءِ بالهوى وبالمِسكِ من أنفاسِها في النّمائم[٥]

---

١ في ف و م : عائم .

٢ في م : سكر ما ؛ والتصويب من ف .

٣ في ف و م : ملتقى ؛ وربما قرئت : متلفي .

٤ في ف و م : الدين .

٥ في ف : النعائم ؛ والنمائم : ما تنم بالرائحة الطيبة .

وليس حـــديثُ الريحِ إلا تبسّماً يفتّ حصاةَ القلب بين الحيازم

وكم من بِلى صَبْرٍ تَهُبّ به أسىً وتجديدِ شوقٍ من هوًى متقـــادم

وأسطـــارِ حزن يملأ الخــدّ خطّها جراحاً ، بأقــلام الدموع السواجم

فَمَنْ لغريبٍ مُذْهبٍ شَطْرَ عُمْرِهِ طِلابُ المعـالي وارتكابُ العزائم

ذوى عُودُهُ وانحطّ في العمرِ إذ رَقى إلى سِنٍّ مَنْ أفنى ثلاثَ عمائم[1]

لقد صَرَمَتْ حبلي ظباءُ الصرائمِ وجازَتْ موَدّات الهوى بالسخائم

وأعْرَضَ عن ذكري الحسانُ[2] وطالما نَقَشْنَ كلامي في فُصُوصِ الخواتم

وكنتُ أعاديهـــا على فَرَسِ الصبا مغيراً ، فتغدو غُرُّها[3] من غنائمي

كأنّيَ لم أُشْغَفْ بِزَهْرِ بَرَاقِعٍ يقصّرُ عن ريّاهُ زَهْرُ الكمائم

ترى نرجسَ الأجفانِ منه كلائمٍ يشير إلى ما في أقاحِ المباسم

لياليَ يشدوني على كأسِ قهوةٍ قيانُ العذارى أو قيانُ الحمائم

وصفراءَ في جسمِ الزّجـــاج تَمَيّعَتْ تألُّقَ بَرْقٍ في الغمام لشائم

---

١ يشير إلى قول الشاعر :

يا من لشيخ قد تخدد لحمه أبلى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء حالكة وسحق مفوف وأجد لوناً بعد ذاك هجانا

والبيت محرف في ف فقد ورد هنالك : في العمد إذ رمى . . . من أبنا ثلث .

وفي ف : أبنا ثلث كذلك ؛ ولعل أبنا تقرأ : أبلى .

٢ كلمة « الحسان » سقطت من ف وبهامشها : لعلها « الحسان » .

٣ في ف و م : غيرها .

ترى الشمسَ منها وَسْطَ هالةِ أنْجُمٍ ولا فَلَكٌ إلاّ بَنَانُ المُنَادم

وكم غادةٍ زارَتْ على خوفِ رِقْبَةٍ ولم يَثْنِها عن زورتي لومُ لائم

فباتَ يَشُبّ النارَ في القلب حُبُّها على أنّها كالماء في فم صائم

وبيدٍ تَرَى ذاتَ السنابك في السّرَى مُسَلِّمَةً فيها لذات المناسم

بها من قبيلِ الإنس جنّانُ مَهْمَهٍ صعاليكُ إلا من قنا وصوارم

وكلٍّ أضاةٍ لا مغاصَ[1] للهذمِ على الذّمْرِ فيها يَوْمَ طَعْنِ الحيازم

وكلّ عُقابٍ جانحٍ بقوادمٍ مُعَتّقٍ[2] بطرف ، سابحٍ بقوائم

كأنّ الرياحَ الهوجَ راضوا شدادَها أما ركبوها وهي لينُ الشكائم

إذا ما انْتَضَوْا للحرْبِ ما في غمودهمْ رَعَوْا بوجيع الضرب ما في العمائم[3]

وتعجبُ منهم من فصاحة ألْسُنٍ وما صَحِبوا في القفرِ غيرَ البهائم

وخضرٍ خلاياهُنّ تجري كما ارتَمَتْ بقاعِ سرابٍ مُجْفَلاتُ النّعائم

كأنّ جبالاً بالعواصف فوقها مُسَيَّرَةٌ من موجها المتلاطم

كأنّ مغاصَ الدّرّ في قعرها بَدَتْ فرائدُهُ أو مَنْثَراً للدراهم

كأنّ على الأفلاكِ مَسْبَحَ فلكها إذا طَلَعَتْ زُهْرُ النجوم العوائم

إلى ابنِ تميم أسْنَدَتْ كلّ مَنْكِبٍ إلى منكبِ الجوزاءِ غيرَ مزاحم

---

١ في ف و م : مصاص ، والأضاة الدرع وهي من الإحكام بحيث لا يجد فيها اللهذم مغاصاً .

٢ معق : مرتفع حائم كالعقاب ؛ وفي ف و م : معشى .

٣ في م : الغنائم ، وفي ف : الغمائم .

وجدنا جميعَ الأرْض في أرض حـَمّةٍ وفي قَصْدِنا يحيى جـميعَ المكارم

همامٌ صريحُ العزم سلّ سيوفَهُ فَذَبّتْ ضراباً[1] عن خدور المحارم

تلوذُ المنايا منه ، والدهر عابسٌ بأرْوَعَ عن ثغْرِ الرئاسةِ باسم

تحلّ بنو الآمالِ منـه بساحةٍ بها يَقِفُ الجبّارُ وِقْفَةَ واجم[2]

وتمشي بذي الإكبار جَبْهةُ ساجدٍ إليه [و] فوق الترب أو فم لاثم

حَمَى مُلْكَهُ يحيى ولولاه ما احتْمى وهل يَحْتَمي غِيلٌ بغير ضُبـارِم

وحَكّمَ في الجودِ العُفاةَ ، وهكذا يُحكّمُ أطرافَ الظّبا في الجماجـم

تشيمُ به صبحاً من العدل مُشْرِقاً إذا كنتَ في ليلٍ من الجوْرِ فاحم

ويجري لك المعروفُ من كفّ واهبٍ إذا جَمَدَ المعروفُ من كفّ حـارم

إذا رحلته همةٌ أدْرَكَ العُلَى وحطّ رحالَ العزّ فَوْقَ النعائم[3]

ولا عَجَبٌ أنْ عَلّمَ الجودَ باخلاً : يَضِلّ أخو جَهْلٍ ، ويُهدى بعالم

يسوسُ الوَرَى من بين بَرٍّ وفاجرٍ بلطفِ صَفُوحٍ منه ، أو عَفوِ ناقم

وتطوي سراياهُ السّرَى وهبـاتُهُ فأيّ انتبـاهٍ للعيونِ النّوائم

ومَن يُمض أمرَ المُلك بالبأس والندى يَجزُْ حُكْمُهُ في الأرض طيبة حاتم

---

١ في م : صداداً . واقرأ : ذياداً .

٢ في ف و م : راحم .

٣ النعائم : منزلة من منازل القمر فيها ثمانية كواكب .

فما راحةٌ لا راحةٌ للندى بها وما لٌ عليه البذلُ ضَرْبَةَ لازم
له في مَكَرّ الخيل قَسْوَةُ قاهرٍ وعند مَجَرّ الذيل رأفَةُ راحم
وَعِفّةُ سيفٍ ، ليس يبْرُقُ بالرّدى إذا سلّهُ ، إلاّ على رأس ظـالم
يفضّ ختامَ الهامِ قطفاً عن الطلى [بيسرى] إذ اليمنى[1] قبيعةُ صارم
نَمَتْهُ من الأملاكِ صِيدٌ تَقَدّمَتْ لهم قَدَمُ الإعظام عِند الأعاظمِ
بهاليلُ من حيٍّ لَقاحٍ سَمَوْا على أعاربَ من أهْلِ العُلى وأعاجم
مجالِسُهُمْ في الحرب والسلم لم تزَلْ دسوتَ المعالي أو سرُوجَ الصلادم
بنو الحرب تُخْشى صولةُ البأس منهمُ وحربُ القنا في نافذاتِ اللهاذم
لهم كلّ موْلودٍ على فِطْرَةِ الوغى ترَاعُ به شبلاً أُسودُ الملاحم
وتحسبُهُ سيفاً على عاتقِ العلى ولا حليةٌ إلا مَنوطُ التمائم
ولم يدرِ[2] من قبلُ السيوفَ وإنّما حكى القينُ[3] فيها مـا لهم من عزائم
فيا جاعلاً من عَفْوِهِ وانتقامِهِ جنى النحل طَعْمَيْهِ وَسَمّ الأراقم
لأذكيتَ نارَ العزّ وهي التي بهـا وَضَعْتَ سماتِ الذلّ فوْقَ المَخاطم
سيوفُك أبقتْ في الأعادي أبَدْتَهُمْ مـآتمَ أحزانٍ بغير مـآتم

---

١ في م : إذا ليمانيه ؛ والتصحيح من ف مع زيادة ما بين معقفين .
٢ في م وف : تدر ، والضمير يرجع إلى المولود .
٣ في ف و م : العين .

كأنَّ حروفَ اللينِ كانتْ رؤوسَهُمْ فلاقَيْنِ حَذْفاً من وقوع الجوازم

وجيشُك هنديّ الحوافي ، بِهَزّهِ جناحيْ عُقَابٍ ، سمهريُّ القوادم

وزرق ذبابٍ في الثعالب أجْدَبَتْ وما انتجعتْ إلاّ نجيعَ الضراغم

فيا دَوْلَةً قعساءَ دَرّتْ فأرْضَعَتْ ثُديَّ المنايا أو ثُديَّ المكارم

حلُمْتَ فما تُثْني على حلم أحنفٍ وَجُدْتَ فما تُصْغي إلى جود حاتم

فهنّئْتَ عيداً يقتضي كلَّ عودةٍ إليكَ ، بعزٍّ ثابتِ الملكِ دائم

٢٨٧

وقال أيضاً يمدحه

أوَميضُ البرقِ في الليل البهيمْ أم أياةُ الشمس في كأس النديم

فتَلَقَّ[١] الرَّوْحَ من ريحانةٍ حيّتِ الشَّربَ بها راحةُ ريم

عُصِرَتْ والدهرُ يومٌ مُفْرَدٌ كقسيمٍ لم تُجزْهُ بقسيم

جُنِيَتْ أعنابُها مِنْ جَنّةٍ نُقِلتْ منها إلى حرّ الجحيم

فَلَبُوسُ النارِ فيها بسكةٌ[٢] حَكَمَتْ للشَّرْبِ منها بالنّعيم

....

١ في ف و م : فتلقى .

٢ في ب : الدهر فيها شكة .

كفَّ حكمُ الماءِ منها سورةً تُسكِرُ الصّاحيَ منها بالشّميم

وكأنّ الكأسَ تاجٌ كُلّلَتْ جنَبَاتٌ منه بالدرّ النّظيم

وقواريرُ حَبابٍ سبَحَتْ من سُلافِ الكرم في ماءٍ كريم

فَهِيَ الدّرْياقُ مِنْ سَمّ الأسى حيثُ لا يَشْفيكَ درياق الحكيم

أقبَلَتْ تَسْعى بها خُمْصَانَةٌ عمّ منها حُسْنُها خلقاً عميم

كلما قامت تَثَنّى خَلَعَتْ[1] مَيَلَ التيه على خُوطٍ قويم

سِحْرُ هاروتٍ وماروتٍ بها في فُتُورِ اللحظِ واللفظِ الرّخيم

تودعُ الكفَّ شهاباً محرقاً كلّ شيطانٍ من الهمّ رجيم

في ظلام بَرَقَ الصبحُ له[2] فتولّى عنه إجفالَ الظليم

وحَكَتْ جَوْزاؤهُ ساقيَةً بنطاقٍ شُدّ في خَصْرٍ هضيم

وكأنّ الشُّهْبَ كاساتٌ لها شاربٌ في الغرب للشُّرْبِ مديم[3]

وكأنّ الصبحَ كفَّ أخْرِجَتْ لك من جَيْبِ ابنِ عمرانَ الكليم

وكأنّ الشرقَ فيه رافعٌ حُجُباً عن وجه يحيى بن تميم

مَلِكٌ في الملكِ يُبْدي فَخْرُهُ جَوْهَراً في حَسَبِ المجدِ الصّميم

---

١ في ب : جعلت .

٢ في ب : به .

٣ في ب : بالشرب يهيم .

ذائدٌ بالسيف عَنْ دينِ الهدى سالكٌ فيه سراطاً مستقيم

أحْلَمُ الأملاكِ عن ذي زَلّةٍ سَبَقَ السيفَ له عَذْلُ الحليم

وسليمُ العِرْضِ تَلْقى مَالَهُ أبداً من بذلِه غَيْرَ سليم

ذو إباءٍ من عِذاهُ ناقمٌ ورؤوفٌ برعاياهُ رَحيم

من أزاحَ الفقْرَ إذْ أسْدَى الغنى وأباحَ الوَفْرَ إذ صانَ الحريم

من له طيبُ ثناءٍ أرِجٌ راحلٌ في مِقْوَلِ الدّهْرِ مقيم

مَنْ له القِدحُ المُعَلّى في العلى فائزٌ في الملكِ بالحظّ العظيم

مُنْعِمٌ ، نبتْ[1] مغانيه الغِنى أفَلا يعدم فِيهِنّ العديم

لم تَزَلْ تُرْضِعُ أخلافَ الندى يَدُهُ[2] العافينَ مُذْ كان فطيم

ماءُ نعماهُ نميرٌ لا صَرًى[3] وَمُنَدّاهُ خصيبٌ لا وخيم

لا جمودُ القَطْرِ في المحل[4] ولا خُلّبُ البرق بِعيْنَيْ مَنْ يَشيم

كم له من حُجّةٍ بالغةٍ في لسانِ السيفِ تُوْدي بالخصيم

يَغْمُرُ الحربَ[5] بجيشٍ أرضُهُ من دمِ الأعداءِ حمراءُ الأديم

---

١ في م : بين .

٢ في م : ثديه .

٣ الصرى : الماء الذي طال استنقاعه .

٤ في ب : محل .

٥ في ب : الأرض وفي ف : يغمر .

يقتضي الذِّمْرُ من الذِّمْرِ بهــا روحَهُ ، فالذِّمرُ للذِّمرِ غريم

وكأنَّ الشمسَ من قَسْطَلِهِ فَوْقَهُ تنظرُ من طَرْفٍ سقيم

دقَّ فيه السَّمْرَ طعناً وثَنَى ورَقَ الفولاذِ بالضربِ هشيم

كيفَ لا يُفْنِي عِدَاهُ[1] في الوغى مَلِكٌ يغدو[2] لـه الموتُ خديم

كم فــلاةٍ دونه يَدْفَعُها سُنْبُكُ العدو إلى خفِّ الرسيم

لابن آوى وَسْطَهــا وَعْوَعَةٌ تُوحِشُ الإنسَ ، وللبومِ نئيم

وعظيم الهــولِ لولا آيةٌ لم يكُنْ راكبُهُ إلاَّ أثيمْ

لم تزلْ عينيَ أو أذني به تُؤْذِنُ القلب بخوْفٍ لا يُنيم

قد جَمَمْتُ العزمَ ما بينهما بالسُّرَى والنجم بالليل البهيم[3]

ووردتُ النِّيلَ من نَيْلِ يدٍ تَرْتَوي الآمالُ منها وهي هيم

يا أبا الطاهر جَدَّدْتَ على ثني أزمانِ العلى المُلْكَ القديم

لستَ كالبحرِ فَمِلْحٌ مــاؤهُ لا ولا كالليثِ ، فالليثُ شتيم

بل حباكَ الله بأساً وندًى خُلُقاً[4] منك على أكْرم خِيمْ

---

١ في ف و م : يغنى غداه .
٢ في ب : عداه ملك ، في الوغى .
٣ في ف : والسرى . . . والليل .
٤ في ب : زاكياً .

٢٨٨

وقال أيضاً يمدحه

رَعى مِن أخي[1] الوجدِ طيفٌ ذماما فَحلَّلَ من وَصْلِ سلمى حرَاما

تَحمَّلَ منهـا بريّا العبير ومن أرْضِهـا بأريجِ الخزامى

تَعرّضَهُ سُورُ قَصْرِ فَطارَ وَسَاوَرَهُ[2] مَوْجُ بَحْـرِ فَعاما

مَشى بالتواصلِ بيْنَ الجفونِ وَداوَى السليمَ ، وأهدى السلاما

وَمَثّلَ للصّبّ في نـومِـهِ ضجيعاً ، إذا أرّقَ الصّبَّ ناما

ومن صُوَرِ الفكرِ[3] محبوبةٌ يعودُ عليلاً بهـا مستهاما

لها عَنَمٌ في غُصُونِ البنـان يَعُلّ نَدى أُقحُوانٍ بشاما

ترى نَضْرَةَ الحُسْنِ في خدّها تَمَيّعُ مـاءً وتُذْكي ضِرَاما

تَرنّحُ بالبدرِ غُصْناً رطيباً وترتجّ في السيرِ دِعْصاً ركاما[4]

فأمسيتُ منهـا بماءِ اللمى أُرَوّي أُواماً ، وأشْفي سقاما

---

١ في ف : أرعى .

٢ في م : وصادره .

٣ في ف و م : الكفر .

٤ في م : وترمح في الكبد عضاً ركاما ، وهو شديد التصحيف ، وكلمة السير غير واضحة تماماً في ف . وكلمة : وترتج ربما قرئت «وترجح» .

حلا ليْ وأسكرني ريقها فهل خامرَ الأرْيُ منهُ المداما

تلاقتْ صواعِدُ أنْفاسِها فمازَجَ منها السلوُّ الغراما

ولا عَجَبٌ أنّ ضَمّاتنا جبَرْنَ القلوبَ وَهِضْنَ العظاما

بأرضٍ دحاها الكرى بيننا ننالُ الأمانيّ فيها احتكاما

فلا بَسَطَ الصبحُ فيها الضّياءَ ولا قَبَضَ الليلُ عنها الظلاما

فلو عاينَ الأمرَ حلَّ الجوادَ وشدّ الحزامَ وسلّ الحساما

وأقبلَ بالرّيحِ نحوَ السّحابِ يظنّ سَنَا البرق منها ابتساما

ولما أتانا من الإنتباهِ دخلنا لـه بالوصال المناما

جعلنا تزاوُرَنا في الكرَى فما نَتّقي من مَلومٍ مَلاما

وَمَرّتْ لطائفُ أرْواحِنا بِلَغْوِ الهوَى حيثُ مرّتْ كراما

وطامٍ كجيشِ الوَغَى لا تخوضُ به غمرةُ الموتِ إلا اقتحاما

تُباري عليه الدّبورُ الصَّبا ، مُناقَضَةً ، والشمالُ النعامى[1]

إذا ما ارتمى فيه قَرْمُ الرّدَى ركبنا لـه وهو يرغُو سناما

وردنا فُراتاً يُنيلُ الحياة[2] ومن كفّ يحيى انتجعنا الغماما

لدى مَلِكٍ جادَ بالمكرمات تلاقيه في كلّ فَضْلٍ إماما

---

١ النعامى : من أسماء الريح الجنوبية .

٢ في م : ورحنا فراتاً بليل الحياة ؛ وهو مصحف كثيراً .

أشَمُّ قـــديمُ تراثِ العُــلى | يراجِحُ بالحلم منــه شمَاما
إذا قرّ في دَسْتِهِ جالساً | رأيتَ الملوكَ لــديه قيــاما
بنادٍ ترَى فيــه سَمْتَ الوقارِ | يزينُ عظيماً أبيّــاً هُمامــا
يقلل في الجفن عنه اللحاظَ | ويبعثُ بالوزن فيــه الكلامــا
تعَلّمَ عِفّتَــهُ سيفُــه[1] | فليس يُريقُ نجيعــاً حرامــا
وما زالَ دينُ الهدى في الخطوبِ | يشدّ عليــه يديه اعتصامــا
ولا عَجَبٌ أنّ صَرْفَ الزّمان | تُصَرّفُ يُسْرَاهُ منــه زماما
أما مَهّدَ الملكَ يحيى ، أما | أرَاكَ لكلّ اعوجاج قوَامــا
أما نَشَأتْ منــه سُحْبُ النّدى | سواكبَ تهمي ، وكانت جهاما ؟
أما ذِكْرُهُ ذِكْرُ [من] يتّقى | [يداً] ، ويكون كلامٌ كِلاما ؟
يبيد العــدا بِلُهامٍ يريك | رداءً عــلى منكبيه القتَاما
بعزْمٍ يُجرّدُ منــه السيوفَ | ورأيٍ يفوّقُ منــه السهامــا
يَعُدّ من الصِّيــد آبائِــهِ | كُفاةً حُفاة[2] وَغُرّاً كراما
مجالسُهُمْ في الحروبِ السروجُ | إذا قعَدَ الموتُ فيها وقامــا
تُحَمّرُ حِمْيَرُ أرْضَ الوَغَى | وَتَفْلُقُ بالبيض بَيْضاً وهـاما

١ في م : شقرة . ولعلها : شفره .
٢ حفاة : أي شديدو الحفاوة .

تَكَهّلَ مُلكُهُمُ والزمـانُ يُصَرِّفُ بين يديـه غـلاما

وجيشٍ يجيشُ بأبطـالـه كما ماجَ موجُ العبـاب التطاما

بنقعٍ يُريكَ نجومَ السماء إذا الجوّ منـه على الشمس غاما

إذا همّ بالفتكِ فيه الشجاعُ وحامَ على نفسه الموتُ خامـا

غدا ابن تميم به قَسْوَراً وقد لَبِسَ البدْرُ منـه التماما

فيـا مَنْ تسامى بهمّاتِهِ فنالَ بهـا للثريّا مَصَامـا

ملأتَ الزمانَ عـلى وُسْعِهِ أناةً وبطشاً ، فراضَا الأنامـا

وحلماً مفيداً ، وروعاً مبيداً ، وعيشاً هنيئاً ، وموتاً زؤامـا

وَقُضْباً بضربِ الطّلى مقطرات وَقُبّاً على الهـامِ تعدو هيامـا

جعلتَ لكلّ مقـالٍ فعَـالاً ولم تَحْتَقِبْ في صنيعٍ أثاما

ليهنك عـودةُ عيـدٍ مَشَى إليك على جَمْرَةِ الشوْق عاما

وأوْدَعَ في كلّ لحـظٍ رنا إليك ، وفي كلّ لفظٍ سلاما

وحجّ بربعـك بيتَ العـلى وطافَ به لا يملّ الزحـاما

ومن لَثْمِ يمناك ، لولا النّدى رأى حَجَرَ الركن يُغْشَى استلاما

حَمَيْتَ حِمى المُلْكِ بالمُرْهَفاتِ وَدُمْتَ له في المعالي دواما

٢٨٩

وقال يمدحه ويذكر هدايا أهديت إليه من المغرب ومن قبل ملك قسنطينة ، صحبة رسول منه بخطاب يستعفي به من غَزْوِهِ بلاده ، سنة تسع وخمسمائة :

أُعطيتَ حُكمكَ في الأيام فاحتَكمِ ... وإن تملّكتَ رقّ المجد والكرمِ

وحالفتك سعودٌ لو يُخَصّ بها ... عصرُ الشبابِ لما أفضى إلى الهرم

إنّ الزّمانَ ليجري في تصرّفهِ ... على مُرادك منه غيرَ مُتّهم

فما هممتَ بأمرٍ أو أشرتَ به ... إلا وقامتْ لـه الدنيا على قدم

إنّ القسنطينة الكبرى مُمَلّكُها ... قد اتّقى منك حدّ السيفِ بالقلم

وخاف قَدْحَ زناد أمره عجب ... يَرميه في الماءِ ذي التيّار بالضرم

ورام حَقْنَ دماءِ الرّومِ معتمداً ... على وفاءٍ وفيّ منك بالذمم

فكفَّ عزم كفاة صدقُ بأسِهمُ ... مستأصلٌ نِعَمَ الأعداءِ بالنقم

وأقبلتْ مع رُسْلٍ منه مألكةٌ ... تأسو كلومك في الأعلاج بالكلم

رآك بالقلب لا بالعين من جزَعٍ ... في دَسْتِ مُلْكٍ عليه هَيْبةُ العِظَم

مُطَيّبُ الذكرِ في الدنْيا مُوَاصِلُهُ ... كأنّما عَرْفُهُ مسكٌ بكلّ فم

مشى إليك بتدريج على شفةٍ ... من لثم أرضٍ عظيم الملك ذي همم

مقسدَّماً كلَّ علقٍ[1] من هديّته كروضَةٍ فَوّفتها[2] راحةُ الدّيَم

في زاخرٍ من بحورِ الروم ، عادتُهُ[3] ألا يزال مشوباً منهمُ بسدم

لولا النواتي[4] وأثقالٌ لها ، حُمِلَتْ من البطاريق ، إجلالاً ، على القمم

فعاد بالسلم من حرب سلاهبها دُهْمٌ بأرجلها تَغْنَى عن اللجم

ومنشآتٌ إذا ريحٌ لهـا نشأتْ جرين في زاخرٍ بالموت ملتطم

راحتْ من الشحْم فوق القار لابسةً فيه ، تأزُّرَ أنوارٍ على ظُلَم

تبدي سواعدَ أكمامٍ تُريكَ بها مَشْيَ العقارب في ألوانها السخم

من كلّ مدَّرعٍ بالحزْم ذي جَلَدٍ[5] لا يشتكي في أليم الضرب من ألم

وما رأيْتُ أُسوداً قبلهم فَتَحَتْ مدائناً نازَلَتْها وهي في الأجُم

سُدْتم وجدْتم فأوطان النجوم لكم مراتبٌ من علوّ القدر والهمم

وأرْضُ بُنْصُرَ قد أهْدى غرائبها لملكهم مَلْكُهَا في سالف القدم

قل للعفاة أديموا قصد [ساحته] إن نمتمُ عن نداه الغمرِ لم ينم

لولا مكارمُ يحيى والحياةُ بها ما رُدّ روحُ الغنى في ميّتِ العدم

---

١ في ف و م : علو .

٢ فوفتها : نسجتها .

٣ في ف و م : عادية .

٤ في ف و م : التناوي .

٥ في ف و م : خلد .

مَلْكٌ إذا جادَ جادَ الغيثُ من يده فَمَسْقَطُ القطر منه مَنْبِتُ النعم

إذا أثار عجاجَ الحرب ألحفها ليلاً بهيماً بكرّ الخيل بالبُهَم

أنسيتنا بأيادٍ منك نذكرها خصيبَ مصرٍ وما أسداه للحكمي[1]

وقد طويتَ من الطّائيّ ما[2] نَشَرَتْ من المفاخرِ عنه ألسنُ الأمم

هدَيْتَ من ضلّ عن مجدٍ وعن كرَمٍ بما[3] تجاوَزَ قَدْرَ النار والعلم

خُصِصْتَ بالجود والبأس المنوط به والجودُ والبأسُ مولودان في الشيم

ولو رآك زهيرٌ في العلى لثنى لسانَهُ في كريمِ المدحِ عن هرم

فاشرَبْ خبيئةَ دنّ أظْهَرَتْ حبباً للثم منه . . . . . ثغر مبتسم

لها تألّقُ برقٍ ، كيف قَيّدَهُ في الكأسِ ساقٍ يُنيلُ الوَرْدَ في عنَم

وكيف تُسْمِعُ في هامٍ تُفَلّقها صهيلَ صمصامك الماضي لذي الصمم

---

١ الحكمي : أبو نواس ؛ والخصيب بن عبد الحميد أمير الخراج بمصر وقد قصده أبو نواس ومدحه .

٢ في ف و م : بما ؛ والطائي : حاتم .

٣ في ف و م : مما .

٢٩٠

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ويذكّره بدخول العام

قالوا : صَبَا ، يا مَن رأى مستهامْ — حِجاهُ كهْلٌ وَهَوَاهُ غُلامْ
لعلّهُ صادَ ، ولم يعلموا ، — رئماً ، حلالٌ صيدُهُ لا حرام
أو زاره طيفٌ خفيّ الهوَى — يَطْرُقُهُ في الوهم لا في المنام
كأنّ تمثالَ سليمى اجتلى — عليه منها خَفَراً واحتشام
وربّما هاجَ اشتياقَ الفتى — تألّقُ البرقِ وسجعُ الحمام
أو نفحةٌ تعبقُ من روضةٍ — تُحيي من الصّبّ رَميمَ العظام
غزالةُ السرب التي جسمها — مَعَانُ[1] مسكٍ ما علاه ختام
لله ما صَوّرَ في فكرتي — بردُ المنى منها وحرّ الغرام
تمشي ، وسكرُ التيه في عطفها — يُميلُ منها باعتدال القوام
يا من رأى في غُصُنٍ روضة — يسمعُ منها للأقاحي كلام
يخبرُ من فاز بتقبيلها — عن بَرَدٍ تنبعُ منه مُدام
أذكى من المندلِ في نارِهِ — ما سَاكَتِ الدرَّ به مِنْ بشام

---

١ المعان : المكان والمنزل .

كأنّ في فيها عبيراً إذا تفجّرَ النورُ وغــار الظلام
جسمُ لجينٍ ناعمٌ لَمْسُهُ لصفرةِ العسجدِ فيه اتّهام
قد حازها البعدُ فَمِن دونها ركوبُ طامٍ موجُهُ ذو سنام
تسافرُ الأرواحُ مــا بيننا والسرّ فيما بيننا ذو اكتتام
كأنّما تحمــلُ أنفــاسُها لطائماً ضُمّنّ مسكَ السّلام
وهي من العفة لم تَدْرِ مَنْ جُنّ بها دونَ الغواني وهام
فتّاكةٌ باللّحــظِ وارحمتا منها لقلبِ الدّنِفِ المستهام
كأنّما عَلّمَــهُ فَتْكَــهُ سيفُ عليّ يومَ تفليقِ هام
مُملّكٌ في ملك آبائه أيُّ كريمٍ أنجبته كرام
ذو ميبَةٍ تَحْسَبُ في دَسْتِهِ قسْوَرَةَ الغيلِ وبَدْرَ التمام
مُتَرْجِمٌ عنه لسانُ العُلى فيما عَنَاهُ أو لسانُ الحسام
وكلّ جبّــارٍ أتى أرْضَهُ مُقَبّل بالرّغمِ منه الرّغام
يُقدِمُ ما بين العوالي إذا[1] ما نكلَ المقدامُ عنه وَخَام
يملأ جنبَ[2] القرنِ من طعنةٍ نَجْلاءَ يَرْغُو شِدْقُها وهو دام
مُؤيّدٌ بالله ذو عِصْمَــةٍ للدين تأييــدٌ به واعتصــام
أسنّةُ الأعــداءِ في حربه أطعنُ منهــا إبَرٌ في ثمام

---

١ في ف : كما .
٢ في ف : حب .

ذا كعبةُ الجودِ الذي كفُّهُ ركنٌ ، لنـا لثمٌ به واستـلام
لا تحسبوهـا حجراً إنّها من ساكبِ المعروفِ أختُ الغمام
يَمُدُّهُ المَدْحُ لبذلِ النّدى كمدِّهِ المرهفَ يوم اقتحام
وتقبضُ الحرمـانَ منـه يدٌ تَبْسُطُ للوفدِ العطايا الجسام
للبحر بالرّيح عُبَـابٌ كذا جدواهُ إن أُسْمِعَ فيها الملام
إن سابقَ القُرّحَ أبْصَرْتَهُ أمامهـا سَبْقاً يثيرُ القتـام
إنّ الأنابيب لمـأمومـةٌ في الرمح ، واللهذمُ فيهـا إمام
لا يَغْتَرِرْ[1] بالعفوِ من سلمه أعداؤهُ ، فالحربُ[2] دار انْتقام
أخـافُ ، والمَوتُ بهم واقعٌ ، أنْ يُفطِرَ الصمصامُ بعد الصيام
يُمْلي لمن يُغْرَى به نقمَةً : بالبطءِ في النزعِ نفوذُ السهام
إذا تحيّرنا فقولوا لنـا : أكان رضوى حِلمُهُ أم شَمام
لو رَكَنَ الباغي إلى عزّهِ مـا قَعَدَ الذلّ عليـه وقام
منفـردٌ بالبـأس في نفسه سكونُهُ فيـه حرَاكُ اعتزام
كأنّه جيشٌ لهـامٌ حـدا من أسُدِ الأبْطـال جيشاً لهـام
أثوابُهُمْ فيـه وتيجانُهُمْ قُمْصُ الأفاعي وتَرِيكُ النعام[3]

[1] في ف : تغترر .
[2] في ف : في الحرب .
[3] الترِيكة : البيضة .

من كلّ فتّاكٍ بأقرانه	له حياةٌ تَغْتَذي بالحِمام

فَصَيْحَةُ الرّوْعِ وطعمُ الرّدى	لديه كالشّدْو على شربِ جام

إنّ ابن يحيى من وكوف[1] الحيا	في زَمَنِ المحل ليهمي[2] انسجام

فمن حياءٍ لا ترَى وَجْهَهُ	إلا وللغيم عليه لثام

لئن تزاحمنا بساحاته	«فالموْردُ العذبُ كثير الزحام»

نطولُ من ساعات أفْراحهِ	بالسّعْد ما يقصرُ عنه الأنام

أقسمتُ ما بهجةُ أيّامه	في عَبْسَةِ الأيام إلا ابتسام

يا منْ إذا مالَ زمانٌ بنا	عن حكمنا قوّمه فاستقام

لك المذاكي والمواضي التّي	تَمَيّعَ الماءُ بها في الضرام

من كلّ يعبوبٍ كريح الصّبا	يطير جرياً ما أراد اللجام

وكلّ ماضي الحدّ في جفنه	عينُ الردى ساهرةٌ لا تنام

أنصفتَ همّاتِكَ ، أعْظِمْ بها	لم يُنْصِفِ الهمّاتِ مثلُ الهمام

قابلكَ العامُ الذي تشتهي	فابقَ لنا من بعده ألفَ عام

إنّ المنى في سلكه نُظّمَتْ	وإنّه أوّلُ درِّ النظام

فقارِنِ السعدَ على أفْقِهِ	وأنْتَ في العمرِ قرينُ الدوام

---

[1] في ف و م : ركوب .

[2] في ف : لا يهمي .

موشَّحٌ شبليك في عــزّةٍ قعساءَ مرماها بعيدُ المرام

والجــودُ في يمناك منــه حيا واليُمْنُ في يُسْرَاكَ منه زمام

٢٩١

وقال يمدحه ويصف فتحه حصناً يقال له الأجم

يُمضي لك السيفُ ما تَنْويهِ والقلمُ وَيَسْتَقِلّ برضوَى هَمُّكَ الجَمَمُ

لو شئتَ أغناك جدّ عن محجَّلةٍ[1] شعارُ فرسانها الإقدام والقحم

تحطّمُ السمرَ في الأبطال إن طَعنَتْ وساقَهــا للمنايا سائقٌ حُطَــم

لكنّ عزمك عن حزم يثورُ به : بالقَدْحِ يَظْهَرُ ما في الزندِ ينكتِم

وليس يدرك نفساً منك صابرةٌ فيما[2] يسوم العــدا منه الرّدى سأم

وإن أرْضَكَ لو ألْقى تعزّزها منها رغاماً عـلى أرض العدا رَغمُوا

هذا الأجمّ رَمَتْهُ حَمّةٌ بشبــا عزمٍ أباحَ حِماهُ فهو مُهتَضَم[3]

ووجّهَتْ نحوه بالنصرِ جيشَ وغى ببحره ظلّ وجــهُ الأرض يلتطم

---

١ في ف : مجلحة ، وهي الشديدة السير والإقدام ، وبهامش ف : لعله « محجلة » .

٢ في ف و م : فيها .

٣ الأجم : البنيان الذي لا شرف له ، وهو هنا يعني حصناً معيناً ، وحمة : اسم البلد الذي صدر عنه الممدوح ، والحمة أيضاً : المنية .

طِرْفٌ جموحٌ على الرُوّاض من قِدَمٍ فلا الشكائمُ راضَتْهُ ولا الحُزُم

أضحتْ سيوفك في تجريدها عوضاً عليه، من حَكَمات فيه تحتكم

أجدتَ بالقهرِ عن علمٍ رياضتَهُ ففعلُهُ ما تُريكَ الكفُّ والقدم

أحلّ منك ركوباً ذلَّ شِرّتِهِ وكلُّ مَلْكٍ عليه ظهرُهُ حَرَم

حصنٌ بَنَتْهُ لِصَوْنِ الملك كاهنةٌ وأفْرغتْ فيه[1] من تدبيرها الحِكَم

على الحُصُونِ مُطِلّ في مهابته تلك البُغاثُ وهذا الأجدلُ القَرِم

كأنّهُ من بروجِ الجوّ منفردٌ فنظرَةٌ[2] منه فوق الأرض تُغتَنَم

وأعينُ الخلقِ منه كلما نَظَرَتْ على العجائب بالألحاظ تَزْدحِم

كالأبْلقِ الفردِ لم يَرْكَنْ إلى طَمَعٍ ، لفتحه قبلها ، عُرْبٌ ولا عَجَم

أو ماردٍ[3] في غرامٍ من تَمَرّدِهِ بمثله العُصْمُ في الأطواد تعتصم

يشمّ زَهْرَ الدراري الزُهرِ من كَثَبٍ بين البروج بعرنين له شمم

وهو الأجمّ ، ولكن لو يُناطِحُهُ طَوْدٌ ، لَنَكّبَ عنه ، وهو مُنثلم

كانت مغانيه في صَدْرِ الزمان[4] لكمْ وللأسودِ الضواري تَرْجِعُ الأجم

١ كلمة « فيه » ساقطة من ف .

٢ في ف و م : فقطرة .

٣ مارد : قصر أو حصن وفيه المثل « تمرد مارد وعز الأبلق » .

٤ في ف و م : ضد الزمان .

زارَتْ روادة[1] فيه كلُّ داهيةٍ بمثلها من عُداةِ الحقّ تنتقم

ذاقوا به كلّ ضيقٍ لا انفساحَ له تصافنوا فيه طَرْقَ الماء واقتسموا[2]

جَهّزْتَ حزْماً إليهم كلّ ذي لجبٍ تُحَمّ بالضرب هنديّاتُهُ الخذم

عرَمْرَمٌ مُقْدم الفرسانِ تحْسَبُهُ سَيْلاً يُحَدّثُ عمّا فَجّرَ العَرِم

تعلو الأسودُ رياحاً يطّرِدْنَ به[3] تنهى وتؤمر في أفواهها اللجم

والحربُ تحرق حوليه نواجذها ناشَتْهُ بالعضّ حتى كاد يَلْتَهم

من كلّ ماضي شبا الكفّين قسورةٍ بالعيشِ في لهواتِ الموت يقتحم

ما جاء في درعه يعدو بحدّته[4] إلا وأشْبَهَ منه لبدةً غمم

ولا مجانيقَ إلاّ ضُمّرٌ جُعِلَتْ صخورها حولها الأبطال والبهم

تَرْمي قلوبَهُمُ بالرّعبِ رؤيتُها كما يَرُوعُ نياماً بالرّدى الحلْم

كأنّما الحصنُ من خوفٍ أحَاطَ بهم عليهم ، وَهُوَ المبنيّ ، مُنْهَدِم

ومعلماتِ طَلُوعِ النّبْعِ حيثُ لها في نَزْعِهِنّ بألحانِ الردى نَغَم

كأنّما تسمُ الأعداءَ أسهمُها من الردى بسماتٍ ، وَيْحَ مَن تَسِم

...

١ يبدو أنها اسم القبيلة التي كانت تسكن ذلك الحصن ولم أجدها في أسماء قبائل البربر وأقرب الأسماء إليها زواوة .

٢ أي لقلة الماء تصافنوه والمعنى أنهم اقتسموه بأن وضعوا حصاة في الإناء وصبوا عليها من الماء ما يغمرها . والطرق : الماء الذي سقط فيه البعر وغيره ؛ وفي ف و م : طوق .

٣ في م : تعلق الأسد أرياحاً لطردته ، وما أثبته أقرب إلى رواية : ف .

٤ في ف : وحده ، وفي الهامش بحدته .

تطيرُ بالرّيش والفولاذ واردةً   من النحور حياضاً ماؤهنّ دم

فإن خَشوا غَرَقاً عُنْوانُهُ بَلَلٌ   هلاّ [خشوا را] جمات حَشْوُها ديم

من، كلّ عارض نَبلٍ غيرِ منقشعٍ   في القَطْرِ منه شرارُ الموت يضطرم

حتى إذا أصبحوا جرْحى وقد طمعتْ   في أكْلِ قتلاهمُ العقبانُ والرخم

نادَوْا بعفوك عنهم فاستجابَ لهمْ   على إساءتِهم من فِعلِكَ الكرم

أفَضْتَ طَوْلاً عليهم بالنّدى نِعَماً   من بعد ما واقعتْهُمْ بالرّدى نقم

ولو تمادَوْا على الرأي الذميمِ ولم   يُسَلّموا لك أمْرَ الحصن ما سلموا

إنّ الصوارمَ في فتح الحصون لها   ضربٌ به تُخْتَلى[1] الأجياد والقمم

إنّ ابن يحيى علياً بدرُ مملكةٍ   لِصيدِ آبائِهِ الإقدامُ والقدم

ساسَ الأمورَ فشِعبُ الكفرِ مفترقٌ   بالبأس منه ، وشِعبُ الدينِ ملتئم

محاولٌ في كميّ الرّوع طعنته   نجلاء يشهق منها بالحِمام فم

معظّمُ الجود في الأملاك ، لَذّتُهُ   في بذل مالٍ لهم من بذله ألم

لا يتّقي العُدْمَ في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ   مَنْ صافحَتْ كفَّه من كفّه ذِمَم

وليس يشكو حَرُوراً لَذْعُهُ وَهَجٌ   مَنْ مَدّ ظلاًّ عليه بارداً عَلَم

وما وَجَدْتُ علياً عنده أملي   فهو الكريمُ ، على العلاّت ، لا هرم

---

[1] في ف : بها تجتلى .

قد أشْرَبَ اللهُ في قلبي محبّتَـهُ   فشبّ في مدحه طبعي وبي هَرَم
يا واحدَ الجود والبأس الذي اتفقتْ   بلا اختلافٍ على تفضيله الأمم
زدْ زادك الله في صَوْن الهدى نَظَراً   إنّ الصليبَ ليشقى منك والصنم

٢٩٢

وقال يمدحه ويهنّئه بصومه وبلوله من مرض أصابه

صُمْتَ لله صَوْمَ خِرْقٍ هُمامِ   مُفْطِرِ الكفّ بالعطايا الجسامِ
أطلــعَ الله للصيــام هلالاً   ولنــا من علاكَ بدرَ تمام
وشفاكَ الإلهُ من كلّ داءٍ   صحّ منه الجلالُ بعد السقام
كان يومَ السرور منك ركوبٌ   أرحَلَ الهمّ عن قلوب الأنام
إذ شكا من شَكاتِك الناسُ والبا   سُ وطعنُ القنا وضرب الحسام
ثم ضجّوا لما رَأَوْكَ صحيحاً   والعُلى منك ثَغْرُهُ ذو ابتسام
مَرَضٌ منك قبّلَ الكفَّ شوْقاً   ثمّ ولّى بخجلةٍ واحتشام
حَجَبَ الغيمُ منه في الأفق بدراً   وانجلى عن ضيــائه بسلام
واقتضى الشهرُ من معاليك صنعاً   مُعْلياً منه همّةً باهتمام :
قَطْعُ ضوءِ النهار صوماً وبرّاً   ودجى الليل بالسُّرَى والقيام

وسجودٌ من نور وجهك طوعاً ما أطالَ السجودَ وجهُ الظلام

وخشوعٌ يعلوه منك وقارٌ مُعْرِبٌ عن رَجَاحةٍ من شَمام

طابَ بينَ الملوك ذكرُكَ كالمسْـ ـكِ إذا فُضّ عنه طيبُ الختـام

فهو ما بينهمْ به سَمَرُ الليْـ ـل وشَدْوٌ على كؤوس المـدام

فلك الله من كريم السجايا معرِقِ المجدِ في الملوكِ الكـرام

ذِمْرُ حَرْبٍ ، له اقتحامُ هزبرٍ، وجوادٌ ، لـه يمينُ غَمَـام

بائنُ الخطتين ، نخشَى ونرجُو رَيْثَ غَفْرٍ له ، وبطشَ انتقام

قام لله ذو انتصارٍ لدينٍ رامتِ الرّومُ منه كلّ مرام

ورمى ثغرةَ العدوّ بسهمٍ وثنى سَهْمَهُ عن الاسلام

باعتزامٍ ككوكبِ الجوّ يرْمي منهمُ كلَّ مـاردٍ بضرام

وَبِحَرْبِيّةٍ لهـا نِفْطُ حَرْبٍ يحرقُ الماءَ تارةً باضطرام

ترتمي في مُلَوَّناتٍ لُبُودٍ كرياضٍ نَوّرْنَ فوق إكام

فهي تجلو عرائسَ الموت سوداً هَوّلَتْ في عبـاب أخضرَ طام

يا لها من جحافلٍ زاحفاتٍ بضواري الأسود في الآجام

وذبالٍ على القنا مُشْعَـلاتٍ مطفئات الأرواح في الأجسام

وندى فاضَ من بنانِ كريمٍ [غيرِ] مُصْغٍ في بَذْلِهِ للملام

ليس يُفْني بيوتَ مال عليّ طولُ إنفاقهـا بكرّ الـدوام

كيف يُفْني الشموسَ ما اقتبسَتْه   مِن سنا نورها عيونُ الأنام

مَلِكٌ قد علا مَصَامَ الثريّا   ليس فوق الثرى لهُ من مُسام

من ملوكٍ لهم سحائبُ أيْدٍ   بالندى والردى هوامٍ دوام

إن دعاهُمْ مُثَوِّبُ الموْتِ خاضوا   في حشا الحرب بالخميس اللهام

أو رماهمْ إقدامُهُمْ بكلومٍ   قَطَرَتْ منهم علـى الأقدام

وإذا جرّدوا السيوفَ لضرْبٍ   وَلَغَتْ في الدماء ، لا من أوام

لبِسَ البشرُ منهمُ قَسماتٍ   مائعٌ فوقهنّ مـاءُ القَسَام

يا ابن يحيى الذي [أبى] عزُّهُ أنْ   يَقْعُدَ العزمُ عنده عَنْ قيام

أنا أُثني عليك جَهْدي وعند الـ   ـه يُثْني عليك شهرُ الصيام

لي إلى الغيثِ من نداك انتجاعٌ   في خِضَمّ آذيُّهُ في التطـام

تحسبُ الريحَ جِنّةً تعتريه   فهو كالقَرْمِ شِدْقُهُ ذو لغام

في حشا رادة كأمّ رئالٍ   مـا لها في نِفارها من مُقام

بنتُ بَرٍّ في البحر تركبُ منها   كلكلاً يا لموجه من سنام

ذاتُ وصْلٍ تجرّها جرّ ذيلٍ   وهي تقتادُنا كوحي زمـام

تتقي من جنوبهـا وقع سوط   فهي كالسهم طارَ عن قوْس رام

وحديثُ السّماع عنك عريضٌ   ضاقَ عن بعضه فسيحُ الكلام

لو لمستَ الجهامَ بالكفّ أضحى   عند ريّ العطاشِ غيرَ جهام

أو منحتَ الكهامَ منك مضاءً فلَقَ الهامَ وهو غيرُ كهامِ

أو جعلتَ الحِمامَ قِرْنَكَ[1] في الحر ب بجُرّعَتَهُ مذاقَ الحِمامِ

فابْقَ في خُطّةِ العُلى ما تَغَنّى في غُصُونِ الأراكِ وُرْقُ الحَمامِ

٢٩٣

وقال يمدحه مهنّئاً له بالعيد

تخريجها : في الخريدة الأبيات : ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ .

أذاعَ منه لسانُ الدّمْعِ ما كتما لم يَبْكِ حتى رأى شيباً لـه ابتسَما

لله[2] بالعيس بيضُ الغيدِ نافرةً أهيَّ الحمائم شَامتْ أشْهباً قَرِمَا

لا تعجبنّ لدمعٍ بلّ وَجْنَتَهُ لا بدّ للقطرِ من أرْضٍ إذا انسجما

صَدّتْ سليمى فما تأتي معاتبةً ولا عتابَ إذا حبلُ الهوى انصرما

وأوْرَثَ الموتَ سرُّ البين حين فشا عندي وعنـد حبيبٍ أورثَ الصمما

ريحانةٌ في لطيفِ الروح قد غُرِسَتْ لها النسيمُ الذي تُحيي به النّسما

كطينةِ المسكِ لا تخليكَ من أرَجٍ إذا تَنَسّمَ رَيّاها امروٌ فغما

---

١ في ف و م : الجهام مزنك .

٢ في ف : له .

لهـــا نظيرُ أقاحٍ مـــا به صدأ بإسحلٍ زار من أطرافهـا عنما

لا تنكرِ الظُّلمَ من خودٍ مدلَّلةٍ في ظَلْمِها الدرُّ بالمسواكِ قـد ظُلما

يَسمو بها عن صِفاتِ العينِ أنّ لها عَيْناً يُسَفّهُ منّا سحرُها الحُلُما

وهل لعينِ مهاةِ الرملِ من سَقَمٍ يُهْدي لكلّ صحيح في الهوى سقما

يا هذه ، إنْ أراكِ الدهرُ فيّ بلىً فجدّةُ الثوبِ تَبْلى كلما قدُما

إن الشبيبةَ في كفَّيك عاريةٌ فإن وجدت لها رَدّاً فلا جَرَمـا

أصابَ فَوْدي بسهمٍ يا لـه عجباً رمى المشيبَ، ومنجُول[1]الطويّرمى

فشيبُ رأسيَ من قلبي الذيازدحمتْ فيه صروفُ همومٍ تُعْثِرُ الهمما

كأنّ سِقْطَ زنادٍ كان أوّلُهُ لمّا تغذّى بِعُمْري في الوقودِ نما

وبلدةٍ لَطَمَتْ أيدي القلاصِ بنا منها وجوهَ قفارٍ بُرْقِعتْ ظُلَما

إذا رميتُ بلحظ العين ساريَها حسبتُهُ بين أجفانِ الدّجى حُلُما

ساريتُ فيها هداة[2] خلتُهُم ركبوا رُبْدَ النقانقِ فيهـا أينُقاً رُسُما

شَقّوا بها جُنْحَ ليلٍ ألْيَلٍ رَحلوا عن غُرّةِ الصبح من ديجوره غُمَما

حادَتْ بهم عن بقاع المحل جامحَةٌ ومن بنانِ عليّ زارَتِ الدّيَما

مملّكٌ في رُوَاقِ الملك[3] محْتَجِبٌ له تَبَرّجُ نُعمى تغمرُ الأمَما

---

١ في ف و م : جوف .

٢ الخريدة : سراة .

٣ الخريدة : برواق المجد .

ترعى سجاياهُ من قُصّاده ذِمماً | وليس يَرْعى لمالٍ بَذْلُهُ ذِمَما
لئن تأخّرَ عنه كلُّ ذي هممٍ | فالله قَدّمَ منه في العلى قدما
تُكاثرُ القطرَ في الجدوى مكارمُهُ | وهي البحور ، فمن ذا يشتكي العَدما
إن الذي بَذَلَ الأموالَ ذو هِمَمٍ | سلّ الذكور فصانَ الدينَ والحُرَما
وَمَدّ ظلاً عـلى دينِ الهدى خَصِراً | لمّا تلظّى حرورُ الكفر واحتـدما
لا يقدحُ العفوُ في تمكين قدرته | ولا يواقعُ ذنباً كلّما انتقما
ما زال يهشِمُ من أسيافهِ وَرَقاً | من عهد حمير خضراً تحصُد القِمما
من كلّ برقٍ له بالقَرْعِ صاعقةٌ | على الأعادي بِضرْبِ القَطرِ منه رمى
ماءٌ ونارٌ منايا الأُسْدِ بينهما | ما سُلّ للضرب إلاّ سالَ واضطرما
في كلّ جيشٍ تثير النقعَ ضُمّرُهُ | يا جُنحَ ليلٍ بهيمٍ ظَلّلَ البُهَما
من كلّ مُقتحِمِ الهيجاءِ يوقدهـا | كمِسْعرِ النار أنّى همّ واعتزما
إن ضاق خطوُ عبوس الأُسد من جزَع | مَشَى إليه فسيحَ الخطو مبتسما
ما الليثُ يرتدّ[1] للخطّيّ في أجَمٍ | إلا كظبي كناسٍ عنـده بغَنَما
يا ابن الملوك ذوي الفخر الألى ملكوا | رقّ الزمان وسادوا العُرب والعجما
كم من عُداةٍ وسمتمْ بالمنون لهمْ | يوماً فشيّبَ من ولدانهمْ لِمَما

---

١ في ف و م : يزبد .

أصبحتَ في الملك ذا قدرٍ إذا طمحتْ　　عينُ المُسامي إليه فاتَها وَسَمَا

إنّا أُناسٌ بما نُثْني عليك به　　نُهدي إليك رياضاً نوّرَتْ كَلِما

من كلّ ناظمِ بيْتٍ لا شبيهَ له　　فليس يُنْثَرُ منه الدهرَ ما نظما

مستغرق الذوق للأسماع يحسبه　　من قالبِ السحر منه أفْرِغَ الحكما

فانعمْ بعيدٍ سعيدٍ قد بَسَطْتَ له　　للمعتفين يميناً تَبْسُطُ النعما

٢٩٤

وقال يمدحه

أبكاهُ شيبُ الرأسِ لما ابتسمْ　　وعادَهُ في السقم طيفٌ ألَمّ

من غادةٍ في وصل هجرانها　　يَقْنَعُ منها بوصالِ الحُلُم

صَوّرَ منها شَوْقُهُ صورةً　　في فكرةٍ ساهرةٍ لم تَنَم

فالقلبُ يُذْكي جذوةً تلتظي　　والعينُ تُذْري عَبْرَةً تنسجم

غيداءُ تاجُ الحسنِ من غيرها　　يُضحي لديها وهو نَعْلُ القدم

أثمرَ بالرّمّان من قَدّها　　غُصْنٌ ومن أطرافها بالعنَم

لمياءُ تبدي الدرّ من أشْنَبٍ　　يحرق بالأنوار جُنْحَ الظُلَم

يُبْرِدُ حرّ الشوْق ترشافُهُ　　عنكَ بمعسولِ الثنايا شَبِم

كأنّما برقٌ ومسكٌ به إليه يدعوك بِشَيمٍ وَشَمّ

والصبحُ في مشرقه هازمٌ والليلُ في مغربه منهزم

أرى اختلافَ الناس دانوا بهِ في صيدِ عُرْبٍ منهمُ أو عجم

وابنُ عليّ حسنٌ سيّدٌ بلا خلافٍ في جميع الأمم

مُملَّكٌ في كفّه صارم عزّ به دينُ الهدى واعتصم

مُبَدِّدُ المعروف من كفّه وللعلى شملٌ به منتظم

مُنفّذُ الأمرِ كريمٌ إذا قالَ : نعم فابْشِرْ بنيلِ النّعم

وَمُرْهَفٍ الحدّ إذا سَلّهُ سال إلى ضرب الطلى واضطرم

يخطفُ رأسَ الذِّمْرِ قطفاً به كَحذفِ[1] حرف اللين جزماً بلم

يصرّفُ الرمحَ على طوله كأنّما صُرّفَ منه قلم

لئن همى من راحتيه الحيا فالبدرُ منه يحتَبي بالديم

يُهْدَى به مَنْ ضَلّ في ليله تَوَقُّدَ النارِ برأسِ العلم

تُقَبِّلُ الآمالُ منه يداً فهي لأفواه الوَرَى مُستَلَم

منتصرٌ بالله في حربه لله من أعدائه منتقم

في رَبْعِهِ الرحبِ سماءُ العلى طوالعٌ فيها نجومُ الهمم

---

١ في ف و م : بحذف ؛ ولعلها « يحذف » مبنية للمجهول ، والجملة مستأنفة .

كم ضربةٍ أوسعها سيفُهُ فهو لسانٌ ناطقٌ وهي فم
تعدو سرَاحينُ الوَغَى حَوْلَهُ مُجَلِّحاتٍ بأسودِ الأجَم
يا من وجدنا الجودَ من بذله ملءَ الأماني ، وعدمنا العدم
بقيتَ في الملك لِصَوْنِ العلى ونصرةِ الدين ، ورَعيِ الذمم

٢٩٥

وقال يهنئه بالعام

وَفَدَتْ عَلَيكَ سعادةُ الأعوامِ لِعُلى يديكَ ونُصرَةِ الإسلامِ
وبطول عمرٍ يعمُرُ الرّتَبَ التي يختطّها الخطّيّ وهي سوَام
عامٌ أتاك مُبشّراً برياسةٍ أبديّةِ الإجلال والإعظام
لك في ابتداءِ العمرِ عزمُ مُؤيَّدٍ وأناةُ مقتدرٍ ، وعدلُ إمام
صدقُ المخايلِ في حداثةِ سنّهِ والشبلُ فيه طبيعةُ الضرغام
كم قائلٍ لنموّ قدرك في العلى هذا الهلالُ ينير[1] بَدْرَ تمام
تُرْدي عُداةَ الله منك إشارةٌ والسّقْطُ يحرقُ كثْرَةَ الآجام
وكأنّما الإيدان في حرب العدا بيمينه منك انتضاءُ حسام

[1] كذا في ف و م ولعله : يصير .

حَسُنَتْ بسعدك للخلائقِ كلهمْ لمّا وليتَ خلائقُ الأيام

فانْصَبّتِ الأرْزَاقُ بعد جُمودِها وأضاءَتِ الآفاقُ بعدَ ظلام

وتنفّستْ من رَوْض خلقكَ نفحَةٌ صَحّتْ[1] بها الآمال بعد سقام

كم قال من حيٍّ لميتٍ قُمْ ترَى فَرَحَ الورى بالأمنِ والإنعام

هذا هو الحَسَنُ الذي حَسَنَاتُهُ[2] قعدت لدى الكرماءِ بعد قيام

أنظرْ إلى القمرِ الذي في دَسْتِهِ فيمينُهُ تَنْدى بصَوْبِ غمام

مُتخَتّمٌ لعُفَاتهِ وَعُداتِهِ بالجود أو بقبيعة الصمصام

خلع اللواءُ عليك عزّ مُمَلَّكٍ تَخْشَى سُطاهُ أجِنّةُ الأرحام

تخذ[3] الجنودَ من الأسود فوارساً مِنْ ضاربٍ أو طاعنٍ أو رام

في كلّ خضراءِ الحبائكِ فاضةٍ فاضَتْ على قَدَمٍ من الأقدام

وكأنّ أحداقَ الجرادِ تبرّقتْ منها لِعَيْنِكَ في سرَابِ موامي[4]

....

١ في ف و م : ضمت .

٢ في ف : إحسانه .

٣ غير معجمة في ف .

٤ في ف و م : مرأم .

٢٩٦

وقال أيضاً

لسانُ الفتى عبدٌ له في سكوته ... ومَوْلىً عليه جائرٌ إنْ تَكَلَّما

فلا تُطْلقنْه واجعل الصمتَ قيدَهُ ... وصيّرْ إذا قيّدتهُ سجنَهُ الفما

٢٩٧

قال يرثي زوجته التي كانت أم ولديه أبي بكر وعمر ، وصنعها على لسان عمر ، رحمهم الله تعالى :

أيّ خطْبٍ عن قوْسهِ الموْتُ يرْمي ... وسهامٌ تصيبُ منه فتُصْمي

يسرعُ الحيّ في الحيـاة ببرءٍ ... ثم يُفْضي إلى الممات بسقم

فهو كالبدرِ ينقصُ النورُ منه ... بمحاقٍ وكانَ من قبلُ يَنْمي

كلّ نفسٍ رَميّةٌ لزَمانٍ ... قدر سهم له ، فَقل : كيف يرمي

بِيضُ أيّامها وسودُ لياليـ ... ـها كشهبٍ تكرّ في إثْرِ دُهْمِ

وهي في كرّها عساكرُ حرْبٍ ... غُرَّ مَنْ ظنّها عساكرَ سلم

بَدَرَ الموْتُ كلَّ طـائرِ جوٍّ ... في مَفازٍ وكلَّ سابحِ يمّ

رُبَّ طَوْدٍ يريك غيرَ بعيدٍ منه شَمَّ السماءِ أنْفُ أشَمَّ
جَمَعَ الموْتُ بالمصارع منه بين فُتْخٍ مُحَلِّقاتٍ وَعُصْمِ
كم رأينا وكم سمعنا المنايا غيرَ أنَّ الهوَى يُصِمّ ويعمي
أين من عَمَّرَ اليبابَ ، وجيلٌ لبسَ الدهرَ من جديسٍ وطسم
وملوكٌ من حِمْيَرٍ ملأوا الأرْ ضَ ،وكانتْ من حكمهم تحتَ ختْم
وجيوشٌ يُظِلّ غـابُ قَنَاها أُسُداً من حُماةِ عُرْبٍ وعجم
كَشّرَ الدهر عن حِدادِ نُيوبٍ أكَلَتْهُمْ بكلّ قَضْمٍ وَخَضْمِ
وَمُحُوا من صحيفةِ الدهر طُرّاً مَحوَ هُوجِ الرياح آياتِ رسْم
أفــلا يُتّقَى تَغَيّرُ حــالٍ فيَدُ الدهرِ في بناءٍ وهــدم
والرزايا في وعظهنّ البرايا في الأحايين ناطقاتٌ كبكم
والذي أعجزَ الأطبّاءَ داءٌ فَقْدُ روحٍ به وَوِجدانُ جسم
لو بكى ناظري بِصَوْبِ دماءٍ ما وَفَى في الأسى بحسرةِ أمّي
مَنْ تَوَسّدْتُ في حشايا حشاها وارتدى اللحمَ فيه والجلدَ عظمي
وضعتْني كَرْهــاً كما حملتني وجرى ثديُها بشربي وَطُعمي
شرَحَ الله صَدرَها لي فأشْهَى ما إليها إحضانُ جسمي وضمي
بجنــانٍ كأنّهــا في رضــاعي أمّ سَقْبٍ دَرّتْ عليه بشمّ

يا ابن أمي إني بحكمك أبكي   فقَدَ أمي الغداةَ فابكِ بحُكمي

قُسِمَ الحُزْنُ بيننَا فشبرٌ   لك قسمٌ، ويَذْبُلُ منه قسمي

لم أقُلْ والأسى يُصَدّقُ قولي   جمدت[1] عبرتي فلذت بحلمي

ولو أني كففتُ دمعي عليها   عقّني برّها فأصبحَ خصمي

أُمّتا هل سمعتني من قريبٍ   حيثُ لي في النياح صَرْخةُ قرم

كنتُ أخشى عليك ما أنت فيه   لو تخيّلتُ[2] في مُصابك همّي

كم خيالٍ يبيتُ يمسحُ عطفي   لكِ يا أُمّتا ويهتفُ باسمي

وبناتٌ عليك منتحباتٌ   بخدودٍ مخدّرات بلطم

بِتْنَ يَمسحْنَ منكِ وجهاً كريماً   بوجوهٍ من المصيبةِ قُتْمِ

ويناديْنَ بالتّفجّعِ أمّاً   يا فداءٌ لها إجابةُ غتم[3]

بأبي منك رأفةٌ أسندوها   في ضريحٍ إلى جنادلَ صُمّ

وعفافٌ لو كان في الأرض عادتْ   كلُّ عظم من الدفين ولحم

وصيامٌ بكلّ مطلَع شمسٍ   قيامٌ بكلّ مطلع نجم

ولسانٌ دعاؤهُ مُستَجابٌ   ليَ أودعتهُ الرغامَ برغمي

---

١ في م : حملت .

٢ في م : تخليت . .

٣ الغتم والأغتام : الذين في منطقهم عجمة ، أي فداؤها هؤلاء .

وحفير من الصبابةِ فيه في حجاب التقى سريرة كتم

كم تكفّلتِ من كبيرة سنّ وتبنّيْتِ من صغيرة يُتْم

فأضاقتْ يداك من صَدَقاتٍ كان يُحيا بهنّ ميّتُ عُدْم

كان بين الأناس عُمْرُكِ حمداً قد تبرّأتِ فيه من كلّ ذمّ

أنتِ في جنّةٍ وروضِ نعيمٍ لم يَسِمْ أرْضَها السحابُ بوسم

يا أبا بكر : المصابُ عظيمٌ فهو يُبْكي بكلّ سَحٍّ وَسَجْم

أنتَ في الودّ لي شقيقُ وفاءٍ ومصابي إلى مصابك يَنْمي

أنت من صفوةِ الأفاضل نَدْبٌ في نِصابٍ كريم ِ خالٍ وعمّ

باتَ من طبعك المفجعِ طبعي ربّ سهم أُعيرَ صارم شهم

تركت بيت يوسفٍ للمعالي أسفاً ينحر العيون فيدمي

دوحةُ المجد بالفخار جناها يافعٌ فهي في البلى تحت ردم

فسقى التربةَ التي هي فيها عارضٌ منه رحمةُ اللهِ تَهمي

ولبستَ العزاءَ يا خير فرْعٍ قد بكى حسرةً على خير جِذْم

٢٩٨

وقال أيضاً

تخريجها : في الفخري : ١٥ البيتان ١ ، ٢ (دون نسبة) .

يعيدُ عطايا سُكرِهِ عندَ صَحوِهِ   ليُعْلم أنّ الجودَ منه على عِلْمِ

ويسلمَ في الإنعام من قول قائلٍ   تكرّم لما خامرتْهُ ابنةُ الكرْم

فقد حضّهُ سكرُ المدام على النّدى.   ولكنّه حضٌّ بريّ من الذّم

٢٩٩

كان عبد الجبار ربّما جلس ببجاية عند رجل يقال له أحمد الخراط ، وكان لهذا الرجل طبع في الشعر ، فصنع يوماً عبد الجبار هذين البيتين في إكرام الصديق :

تخريجها : معاهد التنصيص : ١٦٢ والطراز : ٢٢١

أكْرِمْ صديقك عن سؤا   لك عنه واحفظ منه ذِمّه

فلربما استخبرت عنـ   ـه عَدُوَّهُ فسمعتَ ذَمّه

فصنع أحمد الخراط عند ذلك هذين البيتين :

لا تسألنّ عن الصّديـ   ـق وسلْ فؤادك عن فؤاده

فلربما بحـث السّؤا   لُ على فسادك أو فساده

٣٠٠

وقال في العصا أو أنشد فيها

تخريجها : الخريدة والطراز : ٢٢٠ وكتاب العصا لأسامة : ٢١٠ (نوادر المخطوطات) .

ولي عصا من طريق الذمّ أحْمَدُها ... بها أُقدّمُ في تأخيرِها قدمي
كأنّها[1] وهي في كفّي أهشّ بها ... على الثمانين[2] عاماً لا على غنمي
كأنّني قوسُ رامٍ وهي لي وترٌ ... أرمي عليها رميَّ الشيب والهرم

٣٠١

وقال في آخر عمره ، في السنة التي توفي فيها ، وهي سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، يرثي القائد أبا الحسن علي بن حمدون الصنهاجي ، وهو رئيس بني عبّاد ، ويرثي السادة النجباء ، القائد أبا محمد ميمون والقائد أبا الفضل والفقيه أبا عبد الله :

رمى الموتُ في عين[3] التصبّرِ بالدّمِ ... وقال لحسن الصبر : بين الحشا دُمِ
على القائد الأعلى الذي فُلّ عزمه ... كما فُلّ عن ضرب الطلى حدّ مخذم

١ مصححة عن الطراز والخريدة ، وفي م : كأنما .
٢ الطراز والخريدة : ثمانين .
٣ في م : أي الموت أعين .

أرى زَمَنَ الدنْيا يُنَقِّلُ أهلها إلى دار أخرى ، من غنيّ ومعـدم
وَخانَ أمينَ الملك فيما انطوى لـه على حفظِ أسرار الجلال المكتَّم
وصادره الحتفُ الذي حَطّهُ إلى حشا القبر ، عن صَدرِ الخميسِ العرَمرَم
وما شاءَهُ ذو العرْشِ جلّ جلالُـهُ يدقّ وَيَخْفَى عن خفيّ التوَهّم
فما دَفَعَتْ عنه جنودُ جنودِهِ على أنّهـا في القرب كاليـد للفم
ولم يُغنِ عنها الضرْبُ من كلّ مرْهَفٍ ولا نافذاتُ الطعنِ من كلّ لهذم
بأيدي كماةٍ منهمُ كلُّ مُقْدِمٍ بإقْدامِـهِ يحمي حِمـاهُ ويحتمي
ويُقْبِلُ في فضفاضةٍ فارسيّةٍ تحدّثُ عن أبطـالِ عادٍ وجُرْهُم
عليّ بن حمدونَ الذي كان حَمْدُهُ تُرَفِّعُ منـه هِمّةُ المتكلّـم
خلَتْ منه يومَ الرّوْع كلّ كتيبةٍ وكم عَمِرَتْ من بأسِهِ بالتقدّم
كأنّ عَلَيها للعجـاج مُلاءَةً مُطَيّرَةً في الجوّ من كلّ قشعم
متى تعبسِ الهيجـا لهُ في لقائِـهِ رأتْ منه في الإقحامِ سِنّاً تبسم
تَنَقّلَ من سرجِ الكميّ بحتْفِهِ إلى حفرةٍ في جوفِ لحدٍ مُسَنَّم
وكم مُكْرَمٍ بالعزّ فَوْقَ أريكـةٍ يصيرُ إلى بيتِ العـلى المتهدّم
وكم كرمٍ تنهلّ جـدوى يمينه لأيدي عفاةٍ من مُحِلّ ومحرم
كأنّ صفاءَ الجوّ يوْمَ عَطائِهِ ، مشوبٌ بشؤبوب الغمـام المديّم
فَظَلّلْتُ منـه في توَحّشِ غُرْبَةٍ بظلّ جناح بين غبراءَ مظلم

وأرضعَني ثَدْيَ المنى فكأنّني وليدٌ أتى عمرانَ شيخ التقدّم
وما أبْتُ عن جدواهُ إلا مُشَيَّعاً بإفْضالِ ذي فضْلٍ وإنْعام منعم
فيا سيّداً زُرْناهُ حيّاً وميّتاً فما زَالَ في هذا الجنابِ المعظم
نردّد تسليماً عليك محبّةً وإن كنتَ لم تَرْدُدْ سلامَ المسلّم
وذي خفقات بالقرى تسحق الحصى لهنّ اجتراء من حديد التحدّم
وراجي النّدى من غيره كمعوّضٍ من الماءِ ، إذ صلّى ، ترابَ التيمّم
ويبدي علاهُ من أسرّةٍ وجهه سناءَ نسيم الخير للمتوسّم
وقد كان ذاك البشرُ منه مُبَشّراً بأكْبَرِ مأمولٍ وأوفرِ مَغْنَم
وما زال ميّالاً إلى البرّ والتّقى تقيّ نقيّ القلب من كلّ مأثم
تنقّلَ والإكرامُ من ربّه له إلى جنّةٍ فيها له دار مكرم
له كلّ نادٍ بالوقار مُكَرَّمٌ بغيرِ وقورٍ منه مِقْوَلُ أبكم
وَصَفْحٌ عن الجاني بشيمةِ صَفْحِهِ . وَحِلْمٌ حكى في الغيظِ هضْبَ يلملم
ومدرسةٌ أبناؤها فُقَهاؤها فَمِنْ عالِمٍ منهمْ وَمِنْ متعلّم
ضراغمُ في الجيش اللهامِ وإنّما فوارِسُهُمْ في الحرب من كلّ ضَيْغم
وقد كان في نصر الشريعة مُشْرعاً عن الحقّ ما يَشْفي به كلَّ مُسْلم
أرَى قائدَ القوّادِ أعطى مَقَادَهُ لحكم قضاءٍ في البرايا محكّم
وأسْلَمَ للحتْفِ المقدَّرِ نَفْسَهُ وقد كان لا يرْقى إليه بِسُلّم

إذا المَلْكُ ناجاه بوَحْيٍ إشارة   رأيتَ له نَهْضَ العقابِ المحرّم
فتستهدفُ الأغراضَ آراؤهُ كما   تُقَرْطِسُ أغراضاً صوائبُ أسهم
وتهدي له كفٌّ تصولُ على العدا   إلى كفّ ميمون المضاءِ المصمّم
أأبناؤهُ أنْتمْ سراة أكابرٍ   فكلكمُ من مُكْرَمٍ وابن مكرم
وأنتم سيوفٌ للسيوف مواضياً   وأيمانكم فيها ذوات تَختّم
عزاءٌ جميل في [المصاب] فإنّكم   جبالُ حلومٍ بل طوالعُ أنجم
فدامَ لكمْ في العزّ شملٌ منظّمٌ   وشَمْلُ الأعادي منه غير منظّم

حرف النون

٣٠٢

وقال يتغزّل

يا بني الحرب ما بنو الحب إلاّ   مثلكم في لقاءِ صَرْفِ المنونِ
أنتمُ بالكفاح صَرْعى العوالي[١]   وهمُ بالملاحِ صَرْعى العيون
فسيوفُ القيون ، أقْطَعُ منها   بين أهل الهوى ، سيوفُ الجفون

٣٠٣

وقال أيضاً

أدِمِ المروءَةَ والوفاءَ ولا يكنْ   حبلُ الديانة منك غيرَ متين
والعزّ أبقى ما تراه لمكرم   إكرامُهُ لمروءَةٍ أو دين

١ في ب : المنايا .

٣٠٤

وقال يتغزّل

وذاتِ عَيْنٍ من الغزلان فاترَةٍ　　كأنّما السحرُ فيها همّ بالوَسَن

لها سنانٌ من الألحاظِ صَعْدَتُهُ　　غُصْنٌ يميسُ برمّانٍ من الفتن

حُسّانةُ[١] الجيدِ في خَلْقٍ تَقومُ به　　فتعجَبُ الشمسُ من تقويمه الحسن

هَنّتْ بلحظٍ ولفظٍ فالهوى بهما　　يخوض قلبيَ من عيني ومن أذني

تَيّاهةُ الدلّ لا تنفكّ في فَرَحٍ　　إذا رأتْني مِن الهجرانِ في حزن

تحركي وسكوني عن إرادتها　　كأنّ روحَ هواها مالكٌ بدني

٣٠٥

وقال أيضاً يتغزّل

رَدَدْتُ الملامَ على العاذلينْ　　وَحَقّقْتُ شَكّهُمُ باليقينْ

وقلتُ : سيغفرُ ربّ العبادِ　　ذنوباً تُعَدّ على المذنبين

---

١ في ف و م : حسادة .

فكلّلْتُ رَوْضَ الشّبابِ الأنيق بروضٍ نضيرٍ وماءٍ مَعين

وراحٍ ترى نارَها في المزاجِ تصوغُ من المـاءِ صُغْرَى البُرِين[1]

ليـالِيَ تمرح في دُهْمِهـا مراحَ السّوابق بالموجفـين[2]

وداجيـةٍ خلتُهـا كَحلَتْ بِكُحلِ الدّجى أعيُنَ النّاظرين

طما بحرُهـا فركبتُ الكؤوس إلى ساحل البحرِ منها سفين

وتحسَبُ ظلمـةَ أحشائهـا تُجِن من النور عنّا جنين

كَـأنّ نُجومَ دياجـيرها أقاحي رياضٍ على الأفقِ غين

كأنّ لهـا أسداً[3] مخرجـاً لعينيك جبهته من عـرين

وحمراءَ تنشرُ ريّا العبـير وفي طَيّـهِ فَرَجٌ للحزين

معتّقَةٌ شُقّ عنهـا الثّرَى وحيّ السرور بهـا في دفين

تَرَبّتْ مع الشمس في عمرها مُنَقّلَةً في حُجورِ السّنين

ركضتُ بهـا الليلَ في نشوةٍ أُصَلّي لها بسجودِ الجبين

هناك ظفرتُ بـلا ريبـةٍ بصيديَ حوراء من سرْبِ عِين

تَنَفّسْتُ في نحرِ كافورَةٍ تضمّخُ بالطّيبِ في كلّ حين

....

١ في ف و م : قارها . . . اليدين .

٢ في ف و م : المرجفين .

٣ في ف و م : أميراً

وقبّلْتُ خدّاً ترَى ورده نضيراً يَشُقّ عن الياسمين
ولما وَشَتْ بحِمامِ الدّجَى حمائمُ يَنْدُبْنَهُ بالرّنين
تَحَيّرْتُ والصّبّ ذو حيرةٍ إلى أن حسبت شمالي[1] اليمين
وخاضَ بيَ الحزْنُ بحرَ الدّموع فأرخصْتُ درّ المآقي الثمين
وقد عجِبَ الليلُ من مُغْرَمٍ بكى من تبَسّمِ صُبْحٍ مُبين

٣٠٦

وقال أيضاً في صباه

وذاتِ ذوائبٍ بالمسكِ ذابَتْ بلَغْتُ بها المُنى وَهْيَ التّمَنّي
مُنَعَّمَةٌ لها إعزازُ نَفْسٍ يُصرّفُ دلَّها في كلّ فنّ
شموسٌ من ملوك الرّوم قامَتْ تدافعُ فاتكاً عن فَتْحِ حِصْن
بخدّ لاحَ فيه الوردُ غَضّاً وغصْنٍ ماس بالرّمّان لَدْن
فطالَتْ بيننا حَرْبٌ زَبُونٌ بلا سيفٍ هناك ولا مِجَنّ
وفاضَتْ نَفْسُها الحمراءُ منها وسالَتْ نفسيَ البيضاءُ منّي

---

١ في ف و م : شمال .

٣٠٧

وقال يصف النيلوفر

كَــأنّما النيلوفر المُجْتَنَى[1] وقد بدا للعينِ فَوْقَ البنـانْ
مداهنُ اليـاقوتِ محمـرّةٌ قد ضُمّنَتْ شَعْراً من الزّعْفرَان

٣٠٨

وقال يصف سحابة

ومُديمةٍ لَمْعَ البروقِ كأنّما هَزّتْ من البيضِ الصفاحِ متونا
وسرتْ بها الرّيحُ الشمالُ فكم يدٍ كانتْ لها عند الرّياض يمينا
صرَختْ بصَوْتِ الرّعد[2] صرْخةَ حامل ملأتْ بها[3] الليلَ البهيمَ أنينـا
حتّى إذا ضاقتْ بمضمر حملهـا ألْقَتْ بحجرِ الأرضِ منـه جنينا

---

١ في ب : المجتبى .
٢ كلمة « الرعد » سقطت من ف وبهامشها لعله : مثل .
٣ في ب : ملأت دجى .

قطراً تَنَاثَرَ حَبُّهُ فلو انّهُ دُرٌّ تنظّمه لكان ثمينا

وكأنّما عُمْيُ الرياضِ[1] بدمعه كُسِيَتْ مِنَ الزّهْرِ[2] الأنيقِ عيونا

٣٠٩

وقال أيضاً يتغزّل

ومطلعةِ الشموسِ على غصونٍ مُضَاحِكَةٍ عن الدّرّ المصونِ

كأنّ السحرَ جِيءَ به طبيباً ليبرئهنّ مِنْ سَقَم العيون

فلمّا لم يجدْ فيها علاجاً أقامَ مُحَيَّراً بين الجفون

ولم أرَ قبلها مُقَلاً مِرَاضاً مُحَرَّكَةَ الملاحةِ بالسكون

تُنَفَّذُ في القلوب لها سهامٌ مُنَصَّلَةٌ بفولاذِ المَنُونِ

---

١ في ب : الغصون .

٢ في ب : النور .

٣١٠

وقال أيضاً يتغزّل

عَــذّبْتِني بالعُنْصُرَيْنِ بلظى حشاي وماءِ عيني

ألْبَسْتِني سَقَماً أرا كِ لَبِسْتِهِ في الناظرين

جسمي هو الطّيفُ الّذي يُدْنيهِ منكِ طِلابُ ديني

ولقد خَفِيتُ من الضّنا وأمِنْتُ لَحْظَ الكاشحين

ولئن سلمتُ من الرّدى فلأنّهُ لم يدرِ أينّي

٣١١

وقال أيضاً يتغزّل

لم أسْلُ عنهُ وقدْ سَلا عنّي فالذّنْبُ منه وضِدّهُ منّي

قمرٌ، ملاحاتُ الورى جُمِعَتْ في خَلْقِهِ فَنّاً إلى فَنّ

قد كان يبلغُ من مواصلتي ظنّي وفوقَ نهايةِ الظنّ

ويضيفُ رِيقَتَهُ بقبلتِهِ كإضافةِ السلوى إلى المنّ

فاليومَ ينفرُ من ملاحظتي كنِفارِ إنْسيٍّ من الجنّ

٣١٢

وقال أيضاً يتغزّل

ومُستَحسَنٍ في كلّ حالٍ دلالُهـا   كبيرٌ هواها وهيَ في صِغَرِ السنّ
تُراعي بعينٍ تغمزُ الناسَ في الهوَى   وتقرأُ منهـا السحرَ في مرَض الجفْنِ
كأنّكَ منها ناظر إنْ تَبَسّمَتْ   إلى برَدٍ تجلوهُ بارقَـةُ الدّجْنِ
ترى قَدّها في نشوةٍ من رَشَاقَةٍ   فهلْ خلَعَتْ منه على الغُصُن اللدن ؟
بنفسيَ من جسْمي حديثٌ بحبّهـا   وَطَرْفيَ منهـا رائدٌ روضة[1] الحسن

٣١٣

وقال أيضاً

يا صورةَ الحُسْنِ التي طَلَعَتْ   بالشمسِ في خُوطٍ[2] من البانِ
ما بالُ بلقيسيّ حُسْنِكِ لا   يَحْنو على وَجْدي السُلَيماني
لمّا وجدتُ هَوَاكِ خامَرَني   أيقنتُ أنّ هواك روحاني

١ في ب : زائر زهر .
٢ في ب : غصن .

لا تنكري داءً نحلتُ به فبِسُقْم طرْفِك سُقْم جثماني

يا كيْفَ أكتُمُ حبّ فاتكة يبديه[1] إسراري وإعلاني

إنْسيّةٌ ذكرى محبّتها جنيّةٌ بالشّوْق تَغْشاني

ولقد يخامرُني بها شَغَفٌ لا يُفْتَدَى منه بسلواني

يا من يجازيني بسيّئة أكذا يكون جزاءُ إحساني

وأبي هواكِ وما حلفتُ به إلاّ وكانَ الصّدقُ من شاني

لا طابَ لي طيبُ الحياة ولا خَطَرَ الكرى بضمير أجفاني

حتى أرى ، والوَصْلُ[2] يجمعنا ، إنْسانَ عينك نُصْبَ إنْساني

٣١٤

وقال يمدح المنصور بن الناصر بن علناس

تخريجها : في النفح والنهاية الأبيات ١٧ – ٣٣

أعليتَ بين النجم[3] والدّبرانِ قصراً بناهُ من السعادة بانِ

فَضَحَ الخوَرنَقَ والسديرَ بحسنه وسما بقمّتِه على الإيوان

فإذا نَظَرْتَ إلى مرَاتب مُلكه وبدتْ إليك شواهدُ البرهان

---

١ في ب : فاتنة أبداه .

٢ في ب : والحب .

٣ النجم : الثريا ؛ وفي ف و م : المجد .

أوْجَبْتَ للمنصور سابقةَ العُلى وعَدَلْتَ عن كسرَى أنوشروان

قصرٌ يقصِّرُ ، وهو غير مقصِّر ، عن وصفه في الحسن والإحسان

وكأنّهُ من دُرّةٍ شَفّافَةٍ تُعْشي العيونَ بشدّة اللمعان

لا يَرْتقي الرّاقي إلى شرُفاتِهِ إلا بمعراج من اللحظـان

عرّجْ بأرض الناصريّة كي ترَى شَرَفَ المكان وقُدْرَةَ الإمكان

في جنّةٍ غنّاءَ فِرْدَوْسِيّةٍ محفوفـةٍ بالرَّوْحِ والرّيحـان

وتوقّدتْ بالجمر من نارنجهـا فكأنّما خُلِقَتْ من النّيران

وكأنّهنّ كراتُ تبرٍ أحمرٍ جُعِلَتْ صوالجهـا من القضبان

إن فاخر الاترجُّ قال له : ازدجر حتّى تحوزَ طبـائع الايمان

لي نفحةُ المحبوب حين يَشمني طيباً ، ولونُ الصّبّ حين يَراني

منّي المصبَّغ حين يبسط كفّـه فبنـانُ كلّ خريدة كبناني

والمـاءُ منـه سبائكٌ فضيّـةٌ ذابتْ على دَرَجاتِ[1] شاذروان

وكأنّما سيفٌ هناك مُشَطَّبٌ ألقَتْهُ يوم الحرب[2] كفّ جبان

كم شاخصٍ فيـه يطيلُ تَعَجّباً من دوحةٍ نَبَتَتْ من العقيان

عَجَباً لها تسقي الرياض ينابعاً نَبَعَتْ من الثّمَرَاتِ والأغصان

---

١ النهاية والنفح : دوحات .

٢ النهاية : الروع .

خصّتْ بطائرَةٍ على فَنَنٍ لها　　حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حُسْنُها من ثان

قُسّ الطيورِ الخاشعاتِ[1] بلاغةً　　وفصاحةً من منطقٍ وبيان

فإذا أُتيحَ لها الكلامُ تَكَلّمَتْ　　بخريرِ ماءٍ دائمِ الهملان

وكأنّ صانِعَها استبدّ بصنعةٍ　　فخرَ الجمادُ بها على الحيوان

أوْفتْ على حوْضٍ لها فكأنّها　　منها إلى العَجَبِ العُجابِ رواني

فكأنّها ظَنّتْ حلاوةَ مائها　　شهداً فذاقتْهُ بكلّ لسان

وزرافةٍ في الجوْفِ من أنبوبها　　ماءٌ يريكَ الجري في الطيران

مركوزة كالرمح حيثُ ترى له　　من طعنه الحلق انعطاف سنان

وكأنّها ترْمي السماء ببندق　　مستنبَطٍ من لؤلؤ وجمان

لو عاد ذاك الماءُ نفطاً أحرقت　　في الجوّ منه قميصَ كلّ عنان

في بركةٍ قامتْ على حافاتها　　أُسدٌ تذلُّ لعزّة السلطان

نزَعتْ إلى ظلم النفوس نفوسها　　فلذلك انتزعتْ من الأبدان

وكأنّ بَرْدَ الماءِ منها مُطفيءٌ　　ناراً مُضَرَّمَةً من العدوان

وكأنّما الحيّات من أفواهها　　يطرحن أنفسهن في الغدران[2]

وكأنّما الحيتان[3] إذ لم تخشها　　أخذت من المنصور عقد أمان

---

١ النهاية : الساجعات .

٢ النهاية : غدران .

٣ النهاية : الحيوان .

كم مجلسٍ يجري السرور مسابقاً   منه خيولَ اللهــو في ميــدان

يجلو دماهُ على الخدود مــلاحةً   فكأنّهُ المحراب من غمدان

فسماؤه في سمكها علويّةٌ   وقبــابه فَلَكيّــةُ البنيــان

٣١٥

وقال في فرس أدهم فيه شعرات بيض

أدهمٌ كالظلام تشرقُ فيــه   شَعَرَاتٌ منــيرةٌ للعيــون

كالّذي يخضب المشيبَ ويبقي   شاهدات بهنّ نفي الظنون

٣١٦

وقال يصف ناراً غرّاء ارتفعت له ليلاً وهو مع رفقة من الغُرر[1] في يباب العرب :

لله شمسٌ كانَ أوّلها السّها   كَحَلَ الظلامُ بنورهــا أجفاني

جادَ الزّنادُ بِعُشْوَةٍ فتَخيّرت   قَصَرَ الجفيفةِ بعد طول زمان[2]

شعواءُ باتتْ تَرْمَحُ الريح التي   أمْسَتْ تجاذبها شليل دخان

---

١ الغرر : السادة ، وانظر البيت : ٧ .

٢ العشوة : النار : القصر : التبن؛ الجفيفة: النبتة اليابسة ؛ قلت، والبيت كثير التصحيف في ف وم.

وكأنّما في الجوّ منهـا رايةٌ حمراءُ تخفق ، أو فؤاد جبـان
أقبلتها من وجه أدهم غُرَّةً فأرتْك كيف تَقَابَلَ القمران
في ظلّ منسدل الدجى جارتْ به عيني التي هُدِيَتْ بأذن حصاني
لله واصفةٌ مُعَرَّسَ سادةٍ وهناً لعينك باضطراب لسانِ
نزلوا بأوطان الوحوش وما نبا بهمُ زمانُهُمُ عن الأوطان
خطّافة الحركات ذات مساعرٍ حملت جفونَ مراجلٍ وجفان
كالبحر أعلاها اللهيبُ وقعرها جمرٌ كمثل سبائك العقيان
تَشوي اللطاةَ على سواحل لجهـا للطـارقين شواءة اللحمـان
من كلّ منسكب السماحة يلتظي في كفّه اليمنى شواظُ يماني
وإذا ابن آوى مدّ ذات رُنُوِّهِ كَحلَتْهُ بابنِ حَنيّةٍ مرنان
متوسّدين بها عبابَ دروعهم إنّ الدروع وسائدُ الشّجعان
يتنازعونَ حديثَ كلّ كريهةٍ بِكْرٍ تَصَالوا حرّها وعوان
صرعوا الأوابدَ في الفدافد بالقنا وخواضب الظلمان في الغيطان
من كلّ وحشيّ يُسابقُ ظِلَّـهُ حتّى أتاه مسابقُ اللحظـان
صِيدٌ إذا شهدوا النديّ همى الندى فيـه ونيط الحسن بالإحسان
من كلّ صَبٍّ بالحرُوبِ حياتُهُ . مشغُوفَـةٌ بمنيّـةِ الأقران
في متن كلّ أقبّ تحسبُ أنّه برقٌ يصرّفـه بوَحْيٍ عنان

وإذا تَضَرَّمَتِ[1] الكريهة واتقى لفحاتِها الفرسان بالفرسان

وثنى الجريحُ عنانه فكأنّما خُلِعَتْ عليه معاطفُ النشوان

وعلى الجماجم في الأكف صوارمٌ ففراشها بالضرب ذو طيران

قدّوا الدروعَ بقضبهم فكأنّما صبّوا بها خُلُجاً على غدران

وأرَوْكَ أنّ من المياه مَناصِلاً طُبِعَتْ مضاربها من النيران

٣١٧

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ، ويذكر ردّه أهل سفاقس إلى أوطانهم ورجوع الآباء منهم إلى أبنائهم :

أخذتْ سفاقسُ منك عهدَ أمانِ ورَدَدْتَ أهليها إلى الأوطانِ

أطلقتَ بالكرم الصريح سراحَهُمْ فرعوا بقاعَ العزّ بعد هوان

وعطفتَ عطفةَ قادمٍ أسيافُهُ غُمِدَتْ على الجانين في الغفران

كم من مُسيءٍ تحتَ حكمك منهمُ قلّدْتَهُ مِنَناً من الاحسان

ومروَّعٍ وقع الردى في رُوعِهِ أطفأتَ جَمْرَةَ جَوْفهِ بأمان

كان الزّمانُ عدوّهم فثنيْتَهُ وهو الصّديقُ لهم بلا عُدوان

---

[1] في ف : تخوفت .

أمسى وأصبح طيبُ ذكركَ فيهمُ ... بأريجِـــهِ يتَـــأرّج الملوان[1]

ولقد يكون من الضلوع حديثُهُـم ... في مُعْضِلاتِ تَوَقّعِ الحدثان

يا يَوْمَ رَدّهِـمُ إلى أوطانِهِـمْ ... لرددتَ أرواحـاً إلى أبدان

نزَلتْ بك الأفراحُ في عرَصَاتهمْ ... وبها يكونُ ترَحّلُ الأحزان

فلَذُ المعلوب إلى القلوب ترَاجعتْ ... في مُلْتقَى الآباءِ بالولدان

والأمّهاتُ على البناتِ عَواطِفٌ ... والمشفقاتُ على اللّـداتِ حوانِ

سُرَّ القرابةُ بالقرابةِ منهمُ ... وتَأنّسَ الجيرانُ بالجــيران

وَتَزَاوَرَ الأحبابُ بعد قطيعةٍ ... دخلتْ بذكرِ الودّ في النّسْيان

في كلّ بيتٍ نعمةٌ وَمَسَرّةٌ ... شربوا سُلافتهـا بلا كيزان[2]

ودُعاؤهم لك في السماء مُحَلّقٌ ... حتى لضـاقَ بعرضـه الأفقان

كحجيج مكة في ارْتفاع عجيجهم ... وطوافهمْ بالبيتِ ذي الأركان

صَيّرْتَ في الدّنْيا حديثك فيهمُ ... مثـلاً يمرّ بأهل كلّ زمان

فخرٌ يقيمُ إلى القيامة ذكرُهُ ... مثلَ الشنوفِ تُناطُ بالآذان

لك يا ابن يحيى في علائك مُرْتَقى ... لم تَرْقَهُ من أكبرٍ قدمان

إن كنتَ في الأيمان أشرعتَ القنـا ... فبها أقمْتَ شرائعَ الإيمان

---

١ الملوان : الليل والنهار .

٢ في ف و م : كيسان .

أو كان فضْلُكَ ليس يُجحَد حقّه   فعليه مُتّفِقٌ ذوو الأذيان

أو كنتَ مرهوبَ الأناةِ فكامنٌ   فيها وثوبُ الضيغم الغضبان

لا يأمنِ الأعداءُ وقعَ صوارم   نامتْ منایاهُنّ في الأجفان

فلها انتباهٌ في يديكَ وإنّها   لقطوف هامـات الجُناةِ جَوان

كم للعدى في الروع من خرَسٍ إذا   نطقَ الرّدى لهمُ من الخُرْصان

لله دَرّكَ من هُمامٍ حازمٍ   يَرْضى ويغضَبُ في رضى الرحمان

لله منك جميلُ صنعٍ سائحٌ   في الأرضِ منْه حديثُ كل لسان

سرّحْتَ مالكَ من يمينٍ سميحةٍ   والمال في اليمنى السميحة عـان

إني امرؤ أبني القريض ولا أرى   زَمَناً يحاولُ هدْمَ ما أنا باني

صَنعٌ بتحبيرِ الثناءِ وَحَوْكِـهِ   فكأنّما صنعاءُ تحت لساني

وأفيدُ نوّارَ البديع تضوّعاً   مُتَنَسّماً بـدقائقِ الأذهـان

والشعرُ يسري في النفوس ولا كما   يَسْري معَ الصّهبـاءِ والألحان

ولقد شأوتُ الريح فيـه مُسَابقاً   من بعد ما أمسكتُ فضْل عِناني

وطعنتُ في سنّ الكبير وما نبا   عن طَعنِ شاكلة البـديع سناني

ولو انّني أصْفَيْتُ[1] منه لولّدتْ   علياك في فكري ضروبَ معاني

---

[1] أصفى : أجبل ونضبت قريحته الشعرية .

فافخرْ فإنّكَ من مُلوكٍ لم يزَلْ لهمُ قديمُ مَفَاخرِ الأزمانِ

ولقد عكفتَ على مواصلَــةِ النّدى فكأنّـهُ حُبٌّ بـلا سلوانِ

وغمرْتَ بالطَّوْلِ الزّمانَ فقلْ لنَا أهُوَ الهواءُ يعمّ كلّ مكـانِ

نُفْنى مدائحنَا عليكَ لأنها سُقِيَتْ ظماءً منك ماءَ بنانِ

والرّوْضُ إن روّى الغمامُ بقاعَهُ أثنى عليـه[1] تنَفَسُ الريحـانِ

٣١٨

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى وأنشده اياها بسفاقس

سنحتْ في السرْبِ من حُورِ الجنانْ ظبيةٌ تبسم عن سِمْطَيْ جُمانْ

وكأنّ العيْنَ منها تجتـلي برَداً ، للبرقِ فيـه لَمَعَانْ

بنتُ سبعٍ وثمانٍ وَجدَتْ عُمُري ضَرْبَكَ سبعاً في ثمان

في شبابٍ بهجٍ وفتى لهـا وثنى ريعـانَهُ عنّي فخان

يستبي النّـاسكَ منها ناظرٌ ساحرُ الطرْفِ عليلُ اللّحظان

وأثيثٌ ذو عقـاصٍ غيّمَتْ فيـه للمندل أنفاسُ دخـان

يا لهـا من جنّةٍ رمّانُها ما درَتْ ما لمسُهُ راحةُ جان

---

[1] في م : عليك .

يا عليلَ القلب كم ذا تشتهي سَوْسَنَ النحرِ وَعُنّابَ البنان

وأوانُ الهجرِ لا يُجْنى بهِ ثَمَرٌ كان لها الوَصْلُ أوان

إذ شَبابي غَضّةٌ أوراقُه وحديثي تُحَفٌ بين الحسان

وقطوفُ اللهوِ من قاطفها دانياتٌ ببنيّاتِ الدِّنان

كلّ عذراءَ عجوز قد علا رأسَها في الدنّ شيبُ القُمُّحان[1]

وكأنّ الكفّ من حُمرَتِها غُمستْ أنملها في الأرْجُوَان

صرْفُها يقسو فيبدي غضباً فإذا أرْضَيْتَهُ بالمزْجِ لان

ربّةَ القُرْطِ الذي أحسبه راشَ للقلب جَنَاحَ الخفقان

إنْ يكُنْ سحركِ قد خُصّ بهِ لحظُ طرفٍ منك أو لفظُ لسان

فعليٌّ بأسُهُ خُصّ بهِ حدُّ سيفٍ منه أو حدُّ سنان

منعم تهوَى القوافي مَدْحَهُ أوَمَا ناظِمُ مَعناها مُعان

معرقٌ في المجد من آبائه أسُدِ الرّوع وأملاكِ الزمان

جلّ مِنْ شبلٍ أبوه قَسْوَرٌ ، بَطَلُ الحرْبِ بكفّيْهِ جبان

إنْ تلا يحيى عليٌّ في العلى فبما دانَ من الاحسان دان

كلَّ يومٍ في المعاني قدرُهُ بسَماءِ الملك يَنْمي للعيان

---

[1] القمحان : البياض الذي يتغشى دن الخمر ؛ وقد ذكره النابغة الذبياني في شعره ، وقيل : لم يذكره أحد غيره .

وهـــلالٌ أوّلُ البدرِ الّـــذي يـَرْتدي بالنور منه الأفقــان

كم طريدٍ مُستقِرٍّ عنـــدهُ من حـَرُورِ الخوْفِ في ظلّ أمان

وفقيرٍ مُعْسِرٍ قد صانـَهُ من مهين الفقر بالمال المهان

كان في غير حماه غرضـــاً لِسِهـــامٍ فُوّقَتْ[1] بالحدثان

في جَفافِ العُدْمِ حتى غرَفَتْ من يديه في الغنى منه يدان

يشتري بالحمدِ فَقْراً كيفَ لا يُشْتَرى باقٍ معَ الدّهْرِ بفــان

جادَ حتى قيلَ هلْ أموالُهُ عند أهل القصد في صَوْن اختزان[2]

وإذا الهيجاءُ شَبّتْ نارُهَـــا بالرّقاقِ البيضِ والسُّمرِ اللدان

وأثارتْ شُزّبُ الجُرْدِ بها عِثْيَراً يَسودّ منــه الخــافقان

فكأنّ الليـــلَ مما أظلمتْ جُنّ أو ألقى على الأرض جِران

صادَ بالبــأس عليٌّ صيدَهَـــا وثَنى منها عن النصر عِنَان

بيمينٍ صَيّرَتْ خـــــاتمهـــا تاجَ عَضْبٍ يقطفُ الهامَ يمــان

وكــأنّ اللّيْثَ من صَعْدَتِهِ بفؤادِ الذّمْرِ يعني أفعــوان

يسْرقُ[3] المهجــةَ من عامِلِهِ في أضاةِ الدرع للنار لسان

---

١ في ف : قومت .

٢ في ف : أخزان ، وفي م : خزان .

٣ في ف : يشرف .

لست ادري أدَمٌ في رحمه	مِنْ جِنَانِ الدهرِ أم وردِ الجنان

يا ابن يحيى أنتَ ذو الطَّوْل الذي	أوّلٌ نائله ، والبحر ثان

فابقَ للمعروفِ في العزّ ودُمْ	من علوّ القدر في أعلى مكان

وعلى وجهك للبِشرِ سنا	وعلى قَصْدِكَ للنّجْمِ ضمان

٣١٩

وقال يمدحه

أإنْ بَكَتْ ورقاءُ في غُصْنِ بانْ	تصدّعتْ منك حصاةُ الجَنانْ

وأذكرَتْهُ من زمانِ الصّبا	طيبَ المغاني والغواني الحسان

كيفَ رمَتْ بالنّارِ أحشاءَهُ	ذاتُ هديلٍ في رياضِ الجِنَان

يُرَنّحُ الغصْنَ نسيمٌ بها	مُعَانقٌ بين الغصون اللّدان

ومقلتاها لو بكتْ عنهما[1]	فاللؤلؤ الرّطبُ له مقلتان

ما ذاك إلاّ لنوى غربةٍ	قسا عليها الدهرُ فيها ولان

حمامةَ الأيك أبيني لنا[2]	من أين للعجماءِ نُطقُ البيان

---

١ في هامش ف : لعله عينها .

٢ في هامش ف : لنا أنبئي .

هل خانكِ المخزُونُ من دمعَـةٍ   بكى بها عنك فمن خان هـان

يا ليلةً عنّتْ لِعَيْنَيْ شجٍ   للـدمع مـا بينهما لجّتان

سوداءُ تُخفي بين أحْشائِهـا   من فلَقِ الإصباح طفلاً هِجان[1]

كأنّما قرطُ الثريّا لَـهُ   في أُذْنِهـا خفَقُ فؤادِ الجبان

كأنّما فوْقَ قَـذالِ الدّجى   لجامُ طِرْفٍ ما له من عنان

كأنّما الإظـلام بحرٌ طما   والشرقُ والغربُ لـه ساحلان

كأنّما الخضراء[2] من زُهرِها   روضـة خرقٍ نورهـا أقحوان

كأنّما النّسران قد حلّقا   كيْ يُبْصِرَا حرْباً تُثيرُ العُثَان[3]

كأنّما انقضّـا وقـد آنسا   مصـارعَ القتلى التي ينعيـان

كأنّما الجـوزاءُ مختـالةٌ   تسحبُ فضلاً من رداء العنان

كأنّهـا[4] راقصـةٌ صَوّبَتْ[5]   وزاحمَ الغـربَ بهـا منكبان

كأنّما شُدّتْ نطـاقاً فما   تبدو لها تحتَ ثيابٍ يدان

كأنّما الشهبُ التي غَرّبَتْ   شهبُ خيولٍ في استباقِ الرّهان

. . .   . . .

١ هجان : يغلب عليه البياض .

٢ الخضراء : السماء .

٣ العثان : الدخان .

٤ في ف و م : كأنما .

٥ صوبت : انحدرت .

كأنّما الصّبحُ لـهُ راحـةٌ تلقط في الآفاق منها جمان

نَكّبْتُ عن ذِكْرِ الهوى والمها ونفيهـا للشيخِ غير الهوان

واهـاً لأيّامِ الشبابِ الذي ظلّ به يحلم حتّى النّسان

سلني عن الدّنْيا فعندي لها في كلّ فنّ خَبَرٌ أو عيَان

فما على الأرض عليمٌ بما تجتمع الشهبُ لـه في القـران

ولا مكانٌ تتجارى بـه خيلُ القوافي غيرُ هـذا المكان

ولا ندّى فيه ضروبُ الغنى إلا ندى هذا ، مليكِ الزّمان

هـذا عليٌّ نجل يحيى الّـذي في قَصْدِهِ نيلُ المنى والأمان

هذا الذي في الملك أضحى له عِرْضٌ مصونٌ، ونوالٌ مُهَان

هذا الذي شامَ لنصرِ الهُدى منْ غيرِ شمّ كلَّ عَضْبٍ يمان

مَنْ بِشرُهُ تَرْجَمَ عن جـوده والجودُ في البشر له ترجمان

من تلزمُ الناسَ له طـاعةٌ قد أمرَ اللهُ بهـا في القُرآن

فَمَشْرِقَا الأرضِ عـلى فضله لمغـربيها أبداً حـاسدان

القـاتلُ الفقرَ بسيفِ الغنى بحيثُ حـدّاهُ لـه راحتان

والثابتُ الحلمِ إذا ما هفَتْ له من الحلم هضابُ الرّعان

لا يَعْرِضُ المطـلُ لانجـازه ولا يشين المنّ منـه امتنان

تمنّ ما شئتَ عـلى فضله من الأمـاني وعليه الضمان

مُملَّــكٌ تخفــقُ راياتـــه فيتّقيــهِ مَنْ حوَى الخافقان

لقــاؤه· مُــرْدٍ لأقرانـــه إذا تــلاقتْ حلقــات البطــان

يبنيُ بركضِ الجرد من أرضه سماءَ نقع يومَ حَرْبٍ عوان

يكرّ كالليْثِ مُبيـــداً إذا ما عرّدَ النكسُ وَخامَ الهدان[١]

ضرْباً وطعنــاً بشبا مُنْصُلٍ كأنّه لفظٌ لــه معنيان

نورُ هُدًى في الصّدر من دسته ونارُ بأسٍ فوْق ظهر الحصــان

لا تخشَ من كيد عــدوّ الهدى إنّ عليّاً لَعَلَيْهِ مُعَان

عانى خداعَ الحربِ طفلاً فما يُقعْقعُ القِرْنُ لـه بالشنان

حَمى حِمى الاسلامِ من ضَيمهِ واستنصرَ الحقّ به واستعــان

يقــدّمُ الأبطــال في جحفلٍ والطيرُ والوحشُ لـه جحفلان

معتــادةً أكْلَ لحوم العــدى غدت خماصــاً ثم راحت بطان

من كلّ ذئبٍ أو عُقابٍ له كلّ مكرٍّ . فيــه شلوٌ خِوَان

من كلّ مرهوب الشّذا مُقدمٍ بُرْدٌ عليه حرٌّ لَذْعِ الطّعــان

يَغْشَى بِهِ الطّرْفُ صدورَ القنــا فهو سليمُ الرّدْفِ دامي اللّبَــان

إذا التقى الجمعانِ في مأزقٍ وَفَلّ بالطّعْن سنــانٌ سنان

١ عرد : فر وهرب . النكس : الجبان : خام : حاد وجبن . الهدان : الأحمق الثقيل في الحرب

يا من يُفيضُ العرفَ من راحةٍ مفاتحُ الأرزاقِ منها بنان
بقيتَ للجودِ حليفَ العُلى فأنْتَ والجودُ رضيعا لبان
وإن تلاكَ العيدُ في بهجَةٍ فأنْتَ عيدٌ أوّلٌ ، وهو ثان

٣٢٠

وقال يمدح أبا يحيى الحسن بن علي بن يحيى

أرأيتَ لنَا ولهم ظُعُنَا وصنيعَ البين بهمْ وبنا
أرأيتَ نشاوَى قد سكروا بكؤوسِ نوًى مُلئَتْ شجنا
ومهاً نَظَرَتْ ونواظرُها وَصَلَتْ دمناً ، وجفت دمنا
رحلوا فأثار رحيلُهُمُ من حرّ ضلوعك ما كمنا
وحسبتُ سرابَ تتابعهمْ لججاً وركائبَهمْ سُفُنَا
ومهاً نَظَرَتْ ونَوَاظرُهَا خُلِقَتْ لنواظرنا فتنا
من كلّ مُوَدِّعَةٍ نَطَقَتْ بالسّرّ مدامعُهَا علَنَا
سفرتْ لوداعك شمسَ ضحىً وَثَنَتْ بكثيبِ نقا غُصُنَا
ورَمَتْكَ بمقلةِ خاذلةٍ هَجَرَتْكَ وعاوَدتِ الوَسنَا
وترى للسحر بها حركاً فبه تؤذيك إذا سكنا

كثرتْ في الحبّ بها عللي فظهرتُ أسىً وخفيتُ ضنى

يا وجدي كيف وجدت[1] بـه روحي وغدوت[2] لـه بَدنا

دَعْ ذكرَ نَزُوحٍ عنك نأى وتَبَدّلْ من سَكَنٍ سَكَنَا

ونزولَ هـواكَ بمنزلـةٍ كَتَبَتْ زمناً ومحتْ زمنا

واخضبْ يمناك بِقـانيَة[3] فلهـا فَرَجٌ ينفي الحزنا

وتريك نجوماً في شَفَقٍ يَجلو الظلماءَ لهنّ سنَا

من كفّ مطرَّفَةٍ عَنَماً كالبدر بَدَا والرئمِ رنا

لا ينكثُ فيهـا ذو شَغَفٍ بالعَذْلِ ، وإن خلعَ الرّسنا[4]

إنّي استوليتُ عـلى أمـدي ووطئتُ بفطنتيَ الفِطَنَـا

وسبقتُ فمنْ ذا يلحقني في مدح علُى الحسنِ الحسنـا

ملكٌ في الملك له هِـمَمٌ نَالَـتْ بيمينيـه المُنَـا

قُرِنَتْ باليُمْنِ نَقيبَتُهُ[5] والعفوُ بقـدرتـهِ قُرِنا

كالشمسِ نأتْ عن مبصرها بُعْداً وسنـاها منه دنا

---

١ في ف : وجدته .

٢ في ف : وعدت .

٣ في ف و م : بقاضية .

٤ في ف و م : بالعدل . . . الرهنا .

٥ في ف : بقيته .

من صانَ الدينَ بِصَوْلتِهِ وأذلّ بعزّتِه الوَثَنَا

من يَحْذرُ فقراً[1] عنك إذا فاضَتْ نعماهُ عليك غِنَى

ورأى مَنْ ضنّ فضائلَهُ فسخا ، وتَشَجّعَ مَنْ جَبُنَا

وإذا ما أمّ له حَرَماً مَنْ خافَ مِنَ الدنْيا أمِنَا

ولئنْ هدمَ الأموالَ فَقَدْ شادَ العلياءَ بها وبنى

إن صانَ العِرْضَ وأكْرَمَهُ فقذال الوفر قد امتهنا[2]

وكأنّ الحجّ لساحته في يوم نداه يومُ مِنى

ولنا من فَضْلِ مَذاهِبِهِ آمالٌ تَبْلُغُها ومُنَى

وصَوارِمُ للأقدارِ فلا تقفُ الكفّارُ لها جُنَنَا

تَشْدوهُ إذا سكرتْ بدمٍ في ضرب جماجمهم غننا[3]

يَتَنَبّعُ ماءُ تألُّقِها فيقالُ : أفي سَكَنٍ[4] سكنا

لا رَوْضَ ذَوَى منها قِدَماً بالدّهْرِ ولا ماءٌ أسنا

وتسيلُ سيولُ جحافله فحقائقها تنفي الظّنَنَا

وإذا ما هَبْوتُها كَثُفَتْ تجِدُ العقبانُ بها وُكُنَا

---

١ في ف : من يحذ فقير .

٢ في ف و م : ما ضاق . . . كقذال الوفر إذا

٣ أي بأصوات فيها ترخيم نحو الخياشيم .

٤ السكن : النار ، أي يتساءل المتسائل : هل يمكن للماء – ماء السيوف – أن يقر في النار ؟

إن ابنَ عليّ حازَ عُلَى فالفعلُ له والقولُ لنا

قَمَرٌ تُسْتَمْطَرُ منهُ يَدٌ فتجودُ أناملُه مُزُنا

ينحو الآراءَ بفكرته فيصيبُ لها نُقَباً بِهِنَا

من غُلْبٍ أُسُودٍ ما عَمَرُوا إلاّ آجامَ ظُباً وقَنَا

وكأنّ الحربَ إذا فتحَتْ تبدي لهمُ مرأًى حَسَنَا

وتخالهمُ فيها ادّرَعوا بِسَلوقَ[1] وقد سَلّوا اليَمَنَا

وكأنّ سوابغَهُمْ حَبَبٌ قد جاشَ بهم ماءٌ أجِنَا

يغشى الإظلامَ بها الضرغا مُ فتجعَلُ مُقْلَتَهُ أُذُنا

ولهم بإزاءِ قرابتهم أسماءٌ نُعْظِمُها وكُنَى

شَجَرٌ بالبرِّ مورّقَةٌ ننتابُ لها ظلاًّ وجَنَى[2]

وإذا مَتَحَتْ مُهجاً يدُهُ جعل الخطّيّ لها شطنا

وكفاه الرمحُ فَعالَ السيف فقيل أيضربُ مَنْ طَعَنا

يا من أحيا بالفخر له بمكارمه أدباً دُفِنَا

فأفادَ الشّعرَ مُنَقّحه وأصابَ بمنطقه اللّسَنَا

أشبهتَ أباكَ وكنتَ بما أشبهتَ مَعاليه قمنا

١ سلوق : قرية باليمن تنسب إليها الدروع السلوقية ، وقال بعضهم إنها بالشام .

٢ في ف و م : هبات لها مطلقات جنا ، والتصحيف فيه ظاهر .

وحصـاةُ أناتك لو وُزِنَتْ   أنْسَتْ برجاحتهـا حَضَنَا[1]

أنشأتَ شوانيَ طـائرةً   وبنيتَ على مـاءٍ مُدُنا

ببروجٍ قتـالٍ تحسبهـا   في شُمّ شواهقها قُنَنَـا

ترْمي ببروجٍ ، إنْ ظَهَرَتْ   لعدوٍّ محرقةً ، بَطَنَا

وبنفطٍ أبيضَ تَحْسَبُـهُ   ماءً وبه تذكي السّكَنَا

ضَمِنَ التوفيقُ لها ظَفَراً   من هُلْكِ عداتك ما ضمنا

أنا مَن أهدى لك مُمْتَدحاً   دُرَراً أغليتُ لهـا ثمنا

وقديمُ الوِرْدِ جديدُ الحَمْدِ   هنـاك أفوهُ به وهنـا

ومدَحتُ غلاماً جدّ أبيك   وها أنذا شيخاً يفَنَا

وتخذتُ تَجِنّةَ لي وطناً   وهجرتُ صقلّيَـةً وطنا[2]

لَقِيَتْكَ عُداتُكَ صاغرَةً   ترجو من نَوْءِ يَدَيْكَ[3] الهُدَنا

فسحابُ نداكَ هَمَتْ مِنَحاً   وسماءُ ظباك هَمَتْ مِحَنَا

وبقيتَ بقـاءَ مجـاهدة   وسلكتَ لكلّ عُلًى سُفُنا

---

١ حضن : جبل في ديار بني عامر ، يقال في المثل : « أنجد من رأى حضناً » .
٢ تجنة ، وتكتب « تاجنة » : مدينة صغيرة بإفريقية بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق ابراهيم مرحلة.
٣ في م : دنو بك .

٣٢١

وقـال في كبوة الجواد به

لا ذَنْبَ للطِّرْفِ في مَعْداهُ يوم كبا بالبحرِ والطَّوْدِ والضِّرْغامِ من حَسَنِ
والبدرِ إذ في يديه للنّدى سُحُبٌ سواكبٌ عَشْرُها تنهلّ بالمِنَنِ
ونفسِ مَلْكٍ عظيم قدرُها ، رجحتْ بأنفسِ الخلقِ من قيسٍ ومن يمن
وكيفَ يحمل هذا كلَّهُ فَرَسٌ لو أنّه ما رَسَا من هضبتَي حضن
لَعَلّهُ في سجودٍ يَوْمَ كَبْوَتِهِ لديه لمّـا علاه[1] سيّدُ الزّمن
يا مُسْدياً من نداهُ كلّ مَكرُمَةٍ ومجرياً في مداه شُزَّبَ الحُصُنِ
كأنّ رُمْحَكَ في تصريفــه قَلَمٌ مجاولاً بطويل الذابل اليَزَنِ
تقتــادُ جيشَكَ للهيجَاءِ معتزِماً والعزّ منك ونصرُ الله في قرن
وتلقطُ الرمحَ من أرضِ الوَغى بيدٍ والطِّرْفُ يجري كلمح البرق في الحَزَنِ
ويلتقي طرفاهُ إن هَزَزْتهما كأنّما طرفاهُ منه في غصن
لمّا سلمتَ طَفِقْنَا في تضرّعنا ندعُو لكَ اللهَ في سرٍّ وفي عَلَنِ
وأنت للخلقِ رأسٌ[2] قد سلمت لهم فليس يشكونَ من سُقْمٍ على بدن

---

١ في ف و م : علاك .
٢ في ف : وأنت رأس للخلق ، ولا يصح به الوزن .

٣٢٢

وقال أيضاً

وما أنا ممّن يرْتضي الهَجْوَ خُطّةً | على أنّ بَعْضَ الناسِ أصْبَحَ يهجوني
أُسالِمُ من ألفيتُ قدري كقَدْرِهِ | وأُعْظِمُ مَن فوْقي وَأحقرُ مَن دوني
ولوْ شئتُ يوْماً لانتصرْتُ بِمِقْوَلٍ | يُحيلُ على الأعراض حدّ السكاكين

٣٢٣

وقال أيضاً

يا أيّها المعرضُ الذي رَقَدَتْ | أجفانُهُ عن سهاد أجفاني
للسحرِ عَيْنٌ ، سبحانَ خالقِها | وأنتَ من خَلْقِهِ بها رانِ
يا ثانيَ البَدْرِ في تَكامُلِهِ | ها أنا في القَسَمِ للسُّها ثانِ

٣٢٤

وقال أيضاً

سَلّمِ الأمْرَ منك لله واعْلَمْ   أنّ ما قدْ قضى به سيكونُ
وإذا صَحّ ذاكَ عنـدك فافْهَمْ   أنّ شُغْلَ الضّمير منك جنون
هل نقيضُ السكون إلاّ حرَاكٌ   ونقيضُ الحراكِ إلاّ السّكون
هكذا ينْقضي الزّمانُ إلى أنْ   تَشمَلَ العالمين فيه المنون
وَتَقُومَ الموْتى النيامُ إلى ما   كُحِلَتْ بالحيـاة منـه العيون
بِجِنَانٍ يُقيمُ فيهـا مُقيمٌ   أو بنارٍ فيهـا عذابٌ مهينُ

حرف الهاء

٣٢٥

وقال يرثي جوهرة

يَهْـدِمُ دارَ الحيـاةِ بانيها ... فأيّ حيّ مُخَلَّـدٌ فيها

وإن تَرَدّتْ من قبلنا أمَمٌ ... فهي نفوسٌ رُدّتْ عواريها

أما تَراها كأنّها أجَمٌ ... أسْوَدُهـا بيننا دواهيهـا

إنْ سالَمَتْ وهي لا تسالمنَا ... أيّامُنَا ، حارَبَتْ لياليها

وَاوَحْشَتَا من فِراقِ مُؤنِسَةٍ ... يميتني ذكْرُهَـا ويحييها

أذكرهـا والدموعُ تسبقني ... كأنّني لـلأسى أجـاريها

يا بحرُ أرخصتَ غير مكترثٍ ... مَنْ كنتُ لا للبياع أغليهـا

جوهرةٌ كان خـاطري صَدَفاً ... لها أقيهـا به وأحميهـا

أبتَّهـا[1] في حشاك مُغْرَقَةً ... وبتُّ في ساحليك أبكيهـا

[1] في ف : أبثها ، وفي الهامش لعله : أثبتّها ؛ وما قدرته أقرب إلى صورة الكلمة في ف .

ونفحةُ الطيبِ في ذوائبهـا وصبغـةُ الكحل في مآقيها

عانَقَهَا الموجُ ثمّ فارقَهـا عن ضَمّةٍ فاضَ روحهـا فيها

ويلي من الماءِ والتراب ومن أحكام ضِدّيْن حُكّمَا فيهـا

أماتَها ذا وذاكَ غَيّرَها كَيْفَ من العُنْصُرَيْن أفديها

٣٢٦

وقال أيضاً

تخِذْتُ العصا قَبْلَ وقتِ العَصَا لكيما أُوَطّىءَ نَفْسي عليها

ومن لي بإدراك عُمرٍ قضى[١] إذا أحْوَجَتْني الليـالي إليها

إذا ماتتِ النفس بعد الحياة فماذا ترَى[٢] حاصلاً في يـديها

تسلّ بدنْياكَ وانظرْ إلى نفوذِ المقـادير في عـالميها

وإنّ لديهـا متاعـاً قليلاً فكنْ زاهدَ النفس فيما لديها

---

١ في م : انقضى .

٢ في م : بما ترى .

٣٢٧

وقال أيضاً

بكى الناسُ قبليَ فَقْدَ الشبابِ بدمعِ القلوبِ فما أنْصَفوه

وإنّي علَيْـــهِ لمُسْتَـــدركٌ من البثِّ والحزْنِ مـا أهملوهُ

لعمرُكَ ما الشيبُ إمّا بدا بفوديك إلاّ الرّدى أو أبوه

ألم ترَ أنّكَ بين الشبابِ كمن ماتَ أو غابَ [من] شببوه

وإن أبصرتك الدّمى أنْكَرَتْ[1] معارفَ وَجْهِك منها الوجوهُ

---

[1] في م : الدنيا اتركت .

حرف الواو

٣٢٨

وقال أيضاً

إني امرؤ لا ترَى لساني   مُنَظِّماً ، ما حييتُ ، هَجْوَا

كم شاتمٍ لي عَفَوْتُ عَنْهُ   مُصَمِّماً في اللّسانِ نَهْوَا

وابْتَدَهَ الهُجْرَ فيّ ظلماً   حتى إذا لم أُجِبْهُ رَوّى

لَفْظَتُهُ زَلّةٌ تُلاقي   مِنْ لفظَتي في الخطابِ عَفوَا

كم قائلٍ إذ تركْتُ عنه   بَحري بتركِ الجوابِ رَهْوا

وَعْوَعَ سيدٌ على هزَبرٍ[1]   فما رآهُ الهزبرُ كُفْوا

ولو سطا قادراً عليه   لم يُبقِ للطيرِ فيه شِلوا

إنّ مطايا القريض نُجْبٌ   أُجيدُ سَوقاً لها وحَدوا

بمثل زأر المصورِ جَزْلاً   أو كَبُغامِ الغزال حلْوا

[1] في ف : زهير وفي م : زئير .

لوْ شئْتُ صَيّرْت بالقوافي غارة هجوي عليه شعوا

ومَزّقَ القولُ منه عِرْضاً لا يجدُ المدحُ فيه رَفْوا

٣٢٩

وقال أيضاً يصف درعاً [دقيقة الحلق حصينة[1]]

وفضفاضَةٍ خضراءَ ذاتِ حبائكٍ إذا لُبِسَتْ فاضَتْ على بَطَلٍ كُفْوِ

لها لينُ لمسٍ[2] لا يخافُ خشونَةً تشافهها من حدّ ذي شُطَبٍ مُهْوِ[3]

على أنّها من نَسْجِ داود نَثْرَةٌ أدقّ على الأبصار من أثر الرّفو

تروقكَ منها زُرقَةٌ[4] فكأنّها سماءٌ بَدَتْ للعينِ في رونقِ[5] الصحو

تردّ الرّدى عن ذمرِها فكأنّها تَدَرّعُ من سُخْطِ الأسنّةِ بالعفو

١ زيادة من ب .
٢ في ب : دقيقة سرد .
٣ مهو : منقض .
٤ في ب : لها زرقة مألوفة .
٥ في ب : في ريق .

حرف الياء

٣٣٠

وقال يرثي أباه [وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضّه على البر ويتشوّقه][1] :

يدُ الدهرِ جارحةٌ آسيَهْ ودُنْيَاكَ مُفْنِيَةٌ فانيَهْ

وربّكَ وارثُ أربابِهـا ومُحيِي عظامهمُ الباليه

رأيتُ الحِمامَ يبيدُ الأنامَ ولَدْغَتُهُ ما لها راقيه

وأرواحنا ثَمَرَاتٌ لـه يَمُدّ إليها يداً جانيَه

وكلّ امرئٍ قد رأى سمْعُهُ ذهاباً منَ الأمَمِ الماضيه

وعاريةٌ في الفتى روحُهُ ولا بدّ من رَدّه العاريه

سقى الله قبر أبي رحمةً فسقياهُ رائحةٌ غاديه

وسيّرَ عن جسمه روحه إلى الرَّوْحِ والعيشة الرّاضيه

فكم فيه من خُلُقٍ طاهرٍ ومن همّةٍ في العُلى ساميَه

١ ما بين معقفين زيادة من ب .

ومن كَرَمٍ في العُلى أوّل وشمسُ النّهارِ لـهُ ثانيَـه

ولوْ أنّ أخـلاقَهُ للزّمانِ لكانتْ مواردُهُ صافيه

أتاني بدارِ النوَى نَعْيُهُ فيا روعةَ السمعِ بالداهيه

فحمّرَ ما ابيضّ من عَبرتي وَبَيّضَ لِمّتيَ الداجيه

بدارِ اغترابٍ كأنّ الحياةَ لذكر الغريب بها ناسيه

فمثّلتُ في خلدي شخْصَهُ وَقرّبْتُ تربتـه القاصيه

ونُحْتُ كثكلى على ماجدٍ ولا مُسْعِدٌ لي سوى القـافيه

قديمُ تراثِ العلى سيّدٌ على النّجْمِ خُطّتُهُ ساميه

مضى بالرّجاحةِ من حلمِهِ فما سيّرَ الهضبةَ الراسيه ؟

وما أنْسَ لا أنْسَ يوْم الفراق وأسرارُ أعيننـا فاشيَه

ومرّتْ لتوديعِنـا ساعةٌ بلؤلؤ أدْمُعِنـا حـاليَه

ولي بالوقوفِ على جمرها وإنْضـاجه قَدَمٌ حافيَـه

ورحتُ إلى غربةٍ مُرّةٍ وراحَ إلى غُرْبَةٍ ساجيَه

وقَدْ أوْدَعَتْنِيَ آراؤهُ نجومـاً طوالعُهـا هاديه

سمعتُ مقالَةَ شيخي النّصيحِ وأرْضيَ عَنْ أرضِهِ[1] نائيه

---

١ في ب : وداري عن داره .

كأنَّ بأذني لهـا صرخةً[١] أرادَ بها عُمَرٌ ساريـه

مَضَى سالكاً سُبُلَ آبائه وأجـداده الغُرَرِ الماضيه

كرامٌ تولوا بريب المنونِ وأبقوْا مفاخرَهُمْ باقيَـه

مَضَى وهو منّي أخو حَسرَةٍ تُمازجُ أنفـاسَهُ الرّاقيَه

تجودُ بدفع الأسى والرّدى على خدّه عينُهُ الباكيه

وإني لذو حَزَنٍ بعـده شؤونُ الدمعِ لهُ داميَه

بكيتُ أبي حقبَةً والأسى. عليَّ شَواهـدُهُ باديه

وما خمدتْ لـوعةٌ تلتظي ولا جَمَدَتْ عَبرةٌ جـاريه

ونفسي وإن مُدَّ في عُمرِها لما لقيَتْ نفسُه لاقيه

٣٣١

وقال أيضاً [يمدح يحيى بن تميم]

شفائي من الآلام في الشّفَةِ اللميا بريقتها أحيَا وإلا فلا مَحيْا

وكيفَ وريّا لا تجودُ بريقـةٍ إذا لم أجِدْ في المـاءِ من ظمإٍ ريّا

فتـاةٌ تديرُ السحرَ من لحظ مُقلةٍ [. . . . .]

١ في ب : وكانت بأذني لها صرخة .

وتعرضُ إعراضَ المنى في صدودها ولوْ أقبلتْ بالوَصْلِ أقبلتِ الدّنْيَا

وما بالها لم تُعْطِ مِنْ سيف جفنها أماناً وقد أعطاه من سيفه يحيى

حمى ابنُ تميم بالظبا ملّةَ الهدى وأضْحَى زمامُ الملك في يده العَليا

وَإنْ أجْدَبَتْ آمالُنَا فهباتُهُ حدائقُ لم تَعْدَمْ لأنمله سُقْيَا

٣٣٢

وقال يرثي القائد عبد الغني ابن القائد عبد العزيز الصقلي

هل أقالَ الحِمامُ عَثْرَةَ حيٍّ أم عدا سهمُهُ فؤادَ رَميٍّ

هلْ أدامَ الزّمانُ وَصْلَ خليلٍ فوَفَى ، والزّمانُ غيرُ وفيّ

وهو كالفكر[1] بين غشّ عَدُوّ لبنيه ، وبين نُصْحِ وليّ

قد رأينا حالاً نؤولُ إليها[2] ووعظنا بحالنا الأوليّ

غير أنّا نرْنو بأعينِ رشدٍ كُحِلتْ من هوَى النفوس بغيّ

أين ما كان خلقه من ترابٍ لم يكنْ بدءُ خلقه من منيّ

واغتذى عند مولد الروح فيه من ثُديّ الحياةِ أوّلَ شيّ

قد دُفِعْنَا إلى حياةٍ وموْتٍ ونشورٍ إلى الإلهِ العَليّ

١ في ف : كالبكر .

٢ في ف : نومل إليها .

ودوامُ البقاءِ في دارِ أخرى ومجـــازاةُ فــاجرٍ وَتَقِيّ

كم مليكٍ وسوقةٍ وشُجاعٍ وجبانٍ وطــائعٍ وَعَصِيِّ

نَشَرَتْهُمْ حياتُهُمْ أيّ نَشْرٍ وطواهُمْ حِمامُهُمْ أيّ طيّ

فهمُ في حشا الضريح سواءٌ ولقد كان ذا لذا غَيْرَ سِيِّ

لك يا مَن يموتُ شخصٌ وفَيْءٌ ثمّ شخصٌ في القبر من غير فَيّ

أيُّ فيْءٍ لمن يصيرُ تراباً مُحِيَتْ مِنهُ صورَةُ البَشَريّ

كيفَ تنجو عـلى مَطيّةِ دُنْيَا وهي تَشْحو[1] بالجانبِ الوحشيّ

تطرحُ الراكبَ الشديدَ شموساً وركوبُ الشموس فعـل غبيّ

غُرّ مَن ظَنّ أن يصافيَ دهراً وهو للأصفياءِ غيرُ صفيّ

كلّ لاهٍ عمّا يطيل شجاهُ يملأ العينَ من رقادٍ خليّ

والرّدى يشملُ الأنامَ ومنه عرضيّ يجيءُ من جَوْهريّ

ومميتُ الحراكِ منه سكونٌ مظهرٌ فعلَــهُ بسرٍّ خفيّ

وهو يرمي قوائمَ الأعصم الضَّر بِ وَيَلْوِي قَوادِمَ المَضْرَحيِّ

لا يهابُ الحِمامُ مَلْكاً عظيماً يحتبي يوم جوده بالحبيّ

ينطقُ الموتُ من ظباه فيَمْضِي حُكمُهُ في الوَرَى بأمْرٍ وَحِيِّ

---

[1] في ف و م : تسخو ؛ وتشحو : توسع الخطى .

لا ولا مُرْهَفَ المُدَى بين فَكَيْ باطشِ البرثنَينِ وَرْدٍ جَرِيّ

ومتى هابَ موقداً نارَ حَرْبٍ فارساً في المُضَاعفِ الفارسيِّ

للرُّدينيِّ منــه ريٌّ مُعَــادٌ من نجيع العدا كحرف الــدَّويّ

أيّ رزءٍ جاءتْ به الرِّيحُ في الما ءِ وأفشَتْهُ من لسانِ النّعيّ

ومصابٍ أصابَ كلَّ فؤادٍ في ابنِ عبد العزيز عبدِ الغني

قائدٌ قادَهُ إلى الموْتِ عِزّ باقتحامٍ كهلٍ وعزْمٍ فتيِّ

فارسُ الماءِ والثرى والفتى المحـ ـضُ وصنوُ المروءة الأريحيّ

ورثَ العزَّ من أبيـه كشبلٍ أخذَ الفتكَ عن أبيه الأبيِّ

جمرةُ البأس أخمدت عن وقود بنفوس العداة من كلّ حيّ

وحسامُ الجلاد فُلَّ شباهُ بشبا الموت عن قراعِ الكميّ

حاسرٌ درعه ، تَضَرُّمَ قلبٍ [خافقٍ] في حشا فتىً شَمَّريّ

يتّقي حـدَّ سيفه كلّ علج بجبيكِ المــاذيّ في الآذيّ

مقبــلاً لا موليّاً بالأماني عن كفاحِ العدا وبالسمهريّ

وكأنَّ الإتاءَ مــال عَلَيه يوم مَدّوا إليـه سُمرَ القنيّ

سلبُوا سَيْفَهُ وفيـه نجيعٌ منهمُ كالشقيق فوق الأتيّ

ورأوْا كلَّ مُهْجَةٍ منهمُ سا لتْ على صَدر رُمْحِهِ الزاعبيّ

زُوّدوا كل ضربةٍ [منه] كالأخدو دِ تُرْدي وطعنةٍ كالطويّ

كلّ نارٍ كانتْ من الغزو تذكى خمدتْ في حسامه المَشْرَفيّ

صافحَ الموتَ والصفائحُ غَضْبَى ولَغَتْ منه في دماءٍ رَضِيّ

مُشْعَراً بالسيوفِ كالهدْيِ تُهْدى كلّ حوريّةٍ إليه هَدِيّ

فهو نعم العَرُوسُ حَشْوَ ثيابٍ قانئاتٍ من كلّ عِرْقٍ ضَرِيّ

طيبُهُ من نجيعه ، وهو مسكٌ في عِذارَيْ مُهَذّبٍ لَوْذَعِيّ

يا شهيداً في مشهد الحربِ مُلقى وسعيداً بكلّ علجٍ شقيّ

وَسخيّاً بنَفسِهِ للعــوالي في رِضى اللهِ فعلُ ذاكَ السخيّ

كَمْ ضَرُوبٍ ضاربْتَه وَجَليدٍ وَقريبٍ طاعَنْتَهُ وَقَصِيّ

وأخي وَفْضَةٍ كأمّ ولودٍ ما أصابتكَ من بنات القسيّ

كَمْ صَديقٍ بكاكَ مثلي بدَمعٍ طائعٍ من شؤونــه لا عصيّ

تذرف العينُ منــه جريةَ مــاءٍ تطأ الخدّ وهي جمرةُ كيّ

وثكالى يَنْدُبْنَ منكَ بحزْنٍ خيْرَ نَدْبٍ مُهَذّبٍ ألْمَعِيّ

حاسراتٍ يَنُحْنَ في كلّ صُبْحٍ بلّــه دمعهــا وكلّ عشيّ

ليس يدري امرؤ أجزّ نواصٍ كانَ منهنّ أم حَصَادُ نَصِيّ

سُوّدَتْ بالمِدادِ بيضُ وجوه فهي في كلّ برقعٍ حَبَشيّ

ولبسنَ المسوحَ بعد حريرٍ شرّ زيٍّ أرتكَ من خيرِ زِيّ

كلّ نوّاحــةٍ عليكَ حشاها حَشْوُهُ منك كلّ داءٍ دَويّ

يتلقّى بنفسجُ اللطم ِ منها ذابلَ الورد فوْق [وردٍ[1]] جنيّ

يا خليـلاً أحلّ بي فيه دهرٌ لوفاءِ الأحرار غير وفيّ

أنْتَ بالموْت غائبٌ ، ومثالٌ في ضمير الفؤادِ منك نجيّي[2]

إنّ أرضاً غودرتَ فيهـا لتهدي ريحُهـا منك عرْفَ مسكٍ ذكيّ

فَسقَى شلوَك الممزّقَ فيها خيرُ وسميّ رحمـةٍ وَوَليّ

لم أكنْ إذ نَظَمْتُ تأبينَ مَيْتٍ لكَ أختارُهُ على مَدْحِ حَيِّ

أنا أبكي عليكَ ما طال عمري شَرِقَ العين من دموع بريّ

وستبكيكَ بعد موْتي القوافي في نياح من لفظها معنويّ

٣٣٣

وقال أيضاً

غزَوْتَ عدوّكَ في أرضـهِ ففرّ إلى طرَفِ الناحيه

فعَـاجَلْتَهُ ثمّ بالمهلكاتِ كما يُقْتَلُ الشاهُ في الزاويه

---

١ سقطت من متن ف وأثبتت في الهامش .

٢ في ف : سميي وفي م : بجي .

٣٣٤

وقال أيضاً

كيفَ ترجو أنْ تكونَ سعيداً　　وأرى فعلك فعلَ شَقِيّ

فاسْألِ الرحمةَ ربّاً عظيماً　　وَسِعَتْ رحمتُه كلّ شيّ

٣٣٥

ولما خُلع محمد بن عباد من ملكه وعدّيَ به إلى طنجة ثم وقع منها إلى أغمات سجنه يوسف بن تاشفين فأقام في سجنه مدةً يسيرة فكتب إليه عبد الجبار هذه القصيدة يقول :

تخريجها : نسخة غوطة ١ – ٣ ، ٥–١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ – ٣٢ ، ٣٤ – ٣٦ والوافي ١٩ ، ٢٠ .

أبادَ حياتي الموْتُ إن كنتُ ساليا　　وأنتَ مقيمٌ في قيودكَ عانيا

وإنْ لمْ أُبارِ المُزْنَ قطراً بأدمعٍ　　عليكَ فلا سُقّيتُ منها الغواديا

تعريتُ من قلبي الذي كان ضاحكاً　　فما ألْبَسُ الأجْفانَ إلا بواكيا

وما فرَحي يوْمَ المَسَرّةِ طائعاً　　ولا حزَني يوْمَ المساءَةِ عاصيا

وهل أنا إلاّ سائلٌ عنك سامعٌ   أحاديثَ تَبْكي بالنّجيع المعاليا

قيودُكَ صيغتْ من حديدٍ ولم تكنْ   لأهلِ الخطايا منك إلا أياديا

تعينك من غير اقتراحك نعمــةٌ   فتقطعُ بالابراقِ فينا اللياليا

كشفتَ لها ساقاً[1] وكنتَ لكشفها   تَحزّ الهوادي أو تجزّ النواصيا

وقفْنَ ثقالاً لم تُتِحْ لك مشيةً   كأنّك لم تُجْرِ الخفاف المذاكيا

قعاقعُ دُهْمٍ أسهرتْكَ وطالما   أنامتْكَ بيضٌ أسْمَرَتْكَ[2] الأغانيا

وما كنتُ أخشى أن يقالَ : محمدٌ   يميلُ عليه صائبُ[3] الدهر قاسيا

حسامُ كفاحٍ باتَ في السجن مغمَداً   وأصْبَحَ من حَلْيِ الرياسةِ عاريا

وليث حروب فيه أعدوا برقّه   وقد كان مقداماً على الليث عاديا

فيا جبَلاً هَدّ الزمانُ هضابَهُ   أما كنتَ بالتمكين في العزّ راسيا

قُصِرْتَ ولمّا تقضِ حاجتكَ التي   جرى[4] الدهر فيها راجلاً لك حافيا

وقد يعقلُ الأبطالَ خوفُ صيالها   ويُحكمُ تثقيفَ الأسودِ ضواريا

أقولُ وإني مُهْطِعٌ خوفَ صَيْحَةٍ   يُجيبُ بها كلٌّ إلى الله داعيا

---

١ في ب : سري .

٢ في غ : أسمعتك .

٣ كذا ولعلها : جانب .

٤ في غ : مشى .

أسَيْرَ جبالٍ وانْتشارَ كواكبٍ دنا من شرُوطِ الحشرِ ما كانَ آتيا[1]

كأنّكَ لم تجعل قنـاكَ مَراوداً تَشُقّ من الليل البهيم مآقيا

ولم تزد الاظلام بالنقع ظلمة[2] إذا بيّضَ الإصباحُ[3] منه حواشيا

ولم تَثْنِ[4] ماء البيض بالضرب آجناً إذا صُبّ في الهيجا على الهام صافيا

ولم تُصْدِرِ الزّرقَ الإلالَ نواهلاً إذا وَرَدَتْ ماءَ النحور صوافيا

وخيلٍ عليها كلّ رامٍ بنفسه رضاكَ إذا ما كنتَ بالموت راضيا

وقد لبسوا الغدْرانَ وهي تموّجتْ دروعاً وسلّوا المرهفاتِ سواقيا

وكم من طغاةٍ قد أخذْتَ نفوسهمْ وأبقيتَ منهم في الصدور العواليا

بمعترك بالضرب والطّعن جُرْدهُ تمرّ على صرْعى العوادي عواديا

مضى ذاك أيام السرور وأقبلتْ مناقِضَةً من بعده هي ما هيا

إذِ المُلكُ يمضي فيه أمرك بالهدى كما أعلمت يمناك في الضرب ماضيا

وإذ أنْتَ محجوبُ السرادقِ لم يكن له كلماتُ الدهرِ إلاّ تهـانيا

أمرُّ بأبوابِ القصور وأغتدي لمن بانَ عنها في الضمير مناجيا

---

١ في غ : نائيا .

٢ مصححة عن الوافي وفي م : يطرد . . . بالنقص .

٣ مصححة عن الوافي وفي م : البيض للإصباح .

٤ مصححة عن غ ، وفي م : يثن .

وأنشد لا ما كنت فيهنّ منشداً « ألا حيّ بالزُّرْق الرسوم الخواليا »

وأدعوَ بنيها سيّداً بعد سيّدٍ ومن بعدهم أصبحتُ همّاً مواليا[1]

وُأحداث[2] آثار إذا ما غشيتُها فَجَرْتُ عليها أدمعي والقوافيا

مضيتَ حميداً كالغمامة أقشعَتْ وقد ألْبَسَتْ وَشْيَ الربيع المغانيا

سأُدمي جفوني بالسهاد عقوبةً إذا وقفت[3] عنك الدموعَ الجواريا

وأمنعُ نفسي من حياةٍ هنيئةٍ لأنّكَ حيٌّ تستحقُّ المراثيا

٣٣٦

وقال عبد الجبار : اجتمعت مع أبي الفضل جعفر بن المقترح الكاتب [بسبتة] فذكر لي قول حسن بن رشيق يصف البحر[4] :

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرّ لا رَجَعَتْ حاجتي إليه

أليسَ ماءً ونحنُ طينٌ فما عسى صبرُنا علَيه

فقال لي : يا أبا محمد ، تقدرُ على اختصار هذا المعنى؟ فقلت : نعم، وأنشدته :

لا أركبُ البحرَ خوفاً عليّ منه المعاطب

---

١ في غ : ومن فقدهم أضحت رمياً بواليا .

٢ في ب : وأجداث .

٣ في غ : أوقفت .

٤ انظر النهاية ، والنفح والمعاهد : ٣٨٠ (أو ٢ : ٢٥) والثاني من البيتين في الطراز : ٢٢٠ ، وانظر النتف من شعر ابن رشيق : ٨٥ .

طينٌ أنا وهو مــاءٌ والطينُ في الماء ذائب

[فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عني أياماً ثم اجتمعت به] [1]
فأنشدني لنفسه في المعنى :

إنّ ابنَ آدَمَ طينٌ فالبحرُ مـــاءٌ يُذيبـه
لولا الذي فيــه يُتْلى[2] ما جاز عندي ركوبه

فأنشدته لي :

وأخضر لولا آيةٌ مــا ركبتُهُ وللّه تصريفُ القضاءِ كما شاءَ
أقول حــذاراً من ركوب عبابه أيا ربّ إن الطينَ قد ركبَ الماءَ

-----

١ زيادة من المعاهد .
٢ يعني قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » .



ذيل الديوان

٣٣٧

وقال أيضاً

تخريجها : معاهد التنصيص : ٣٧٢

يا سالباً قَمَرَ السّماءِ جَمالَهُ   ألْبَسْتَني للحزْنِ ثوبَ سمائِهِ

أضرَمْتَ قلبي فارتمى بشرارةٍ   وَقَعَتْ بخدّكَ فانطَفَتْ من مائه

٣٣٨

وقال

تخريجها : الأبيات في الذخيرة ومنها في المسالك : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ . وفي الغيث ١ : ١٩٥ ، الأبيات : ٩ ، ١٠ ، ١٢ والغيث ١ : ٨٢ البيتان ١٥ ، ١٦ .

أمْطَتْكَ همّتُك العزيمةَ فاركبِ   لا تُلقيَنّ عصاكَ دونَ المَطلبِ

ما بالُ ذي النظرِ الصحيح تقلّبتْ   في عينه الدنْيا ولم يَتقلّبِ

فاطوِ العجَاجَ بكلّ يَعمُلَةٍ لها   عَوْمُ السفينةِ في سرابِ السّبسَبِ

شَرّقْ لتجلوَ عن ضيائكَ ظلمةً   فالشمسُ يَمْرَضُ نورُها بالمغرب

والماءُ يأجنُ في القرارةِ راكداً فإذا علَتْكَ قذاتُهُ فتَسَرّبِ
طالَ التغرّبُ في بلادٍ خُصّصَتْ بوخامةِ المرعى وَطَرْقِ المشربِ
فطويتُ أحشائي على الألم الّذي لم يشفه إلاّ وجودُ المذهب
إنّ الخطوبَ طرَقْنَني في جنّة أخرَجْنَني منها خروجَ المذنب

ومنها

من سالَمَ الضعفاءَ راموا حرْبَهُ فالبسْ لكلّ الناسِ شِكّةَ مُحْرَبِ
كلٌّ لأشراكِ التحيّلِ ناصِبٌ فاخلبْ بني دنياك إن لم تغلبِ
من كلّ مركومِ الجهالةِ مُبْهمٍ فكأنّما هوَ قطعةٌ من غيْهبِ
لا يكذبُ الانسانَ رائدُ عقلهِ فامْرُرْ تُمجّ وكنْ عذوباً تُشْرَبِ
ولربّ محتقَرٍ تركتُ جوابَهُ والليثُ يأنفُ عن جوابِ الثعلب
لا تحسبنّي في الرجال بُغَاثَةً إني لأقْعَصُ كلّ لقْوَةِ مَرْقَبِ
أصبحتُ مثلَ السّيفِ أبلى غمدَهُ طولُ اعتقالِ نجاده بالمنكبِ
إن يعلُهُ صدأ فكمْ من صَفحَةٍ مصقولةٍ للماء تحت الطُّحلب

ومنها

كم من قوافٍ كالشوارد صِرْتُها عن مثلِ جرْجرَةِ الفنيق المُصْعَبِ
ودقائقٍ بالفكر قد نَظّمْتُها ولو انّهُنّ لآلِئٌ لم تُثقب
وصلتْ يدي بالطبع فهو عقيدُها فقليلُ إيجازي كثيرُ المُسْهبِ

نَفَثَ البديعُ بسحره في مِقْوَلي   فَنَطَقْتُ بالحادي والمُتَذهّب

لوْ أنّنا طيرٌ لقيلَ لخيرنا غرّدْ   وقيلَ لشرّنا لا تنعب

وإذا اعتقدتَ العدلَ ثم وزنتَني   رَجحتْ حصاتي في القريض بكبكب

إني لأغمدُ من لساني مُنْصُلاً   لو شئتُ صَمّمَ وهو دامي المضرب

٣٣٩

وقال

تخريجها : في الذخيرة ، ومنها في المسالك : ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ وفي معاهد التنصيص : ٢٦٧ البيتان ٢١ ، ٢٢ .

بلى جَرَّ أذيالَ الصّبَا فتَصابَى   وأوْجَفَ خيلاً في الهوَى وركابا[1]

قَصَرْتُ زماني بالشمولِ مُسِنّةً   وبالرّوْضِ كهلاً ، والفتاة كَعابا

ويقول فيها

وأقصرُ أيام الفتى يومُ لَذّةٍ   صبا ما صبا بالعيش فيه فطابا

ليالِيَ لا ترمي الرميَّ وإن تُصِبْ   بسهمك خوداً فالشبابُ أصابا

وعصبةِ لهوٍ غادروا الهمّ جانباً   فلم يألفوا إلاّ السرورَ جَنَابا

١ انظر القصيدة رقم ٣٥ من هذا الديوان .

يديرونها راحاً كأنَّ بكأسها إذا لبستْ درعَ الحَباب حُبابا
تنافرُ لمسَ الماءِ وهو يرُوضُها كما تَفرُكُ البكرُ الفَرُوقُ لُعابا
فأحْبِبْ بذاك العيشِ عيشاً ذكرتُهُ وبالعصرِ عصراً والصحابِ صحابا
وليلٍ تخوضُ النيّراتُ ظلامهُ كأوْجُهِ غرْقَى يفترِقْنَ عُبابا
سريتُ بمحبوكٍ من القُبِّ كلّما دعا شأوَه وهيُ العِنانِ أجابا
من الجِنِّ فاسْمُ اللهِ إما وَضَعْتَهُ مكانَ قطيعٍ طار عنك وغابا
ترَى ضَحِكَ الإصباحِ فوْق جبينهِ وَقُمّصَ من ليلِ المُحاقِ إهابا
تخالُ الثريّا رأسَهُ وهو مُلْجَمٌ إذا الجريُ لم يُلبِسْ طُلاه سِخابا
يحرّفُ بالتآليل أذناً كأنّما ترى قلماً منها يخطّ كتابا
سما الدرُّ في أرساغهِ عن زَبرْجَدٍ يغادرُ بالوطءِ الصخورَ ترابا
هو الطِّرْفُ فاركبْ منه في ظهرِ طائرٍ تَنَلْ كلّ ما أعيا عليكَ طِلابا
إلى قمرٍ تسري إليه كأنّما عليه سماءُ اللهِ تُغْلِقُ بابا
كأنيَ سرٌّ في حشا الليلِ داخلٌ على حَبّةِ القلبِ المصونِ حجابا
فبتُّ مُرَوًّى من مُجاجةِ باردٍ غذا ذكرُهُ قلْبَ الغيورِ فذابا
كأنّ قطافَ اللثم من ثغْرِ رَوْضِهِ تَكَسّبَ من طَلّ الغمامِ رضابا

ومنهـا

ولم أرَ كالدّنْيا خؤوناً لصاحبٍ ولا كمُصابي بالشبابِ مُصَابا
فقَدْتُ الصّبا فابيضّ مُسْوَدّ لمّتي كأنّ الصّبا للشيب كان خضابا

٣٤٠

تخريجها : الأبيات الثلاثة في الذخيرة و ١ ، ٣ في المسالك .

ما زلتُ أشربُ كأسَهُ من كفّهِ ... ورضابُهُ نُقْلٌ على ما أشرَبُ
[حتى انجلى الإصباحُ عن إظلامه ... كالستر يُرفع عن مليكٍ يحجب]
والشهبُ في غربِ السماءِ سواقطٌ ... كبناتِ ماءٍ في غديرٍ تَرْسُبُ

٣٤١

تخريجها : الأبيات في الذخيرة ، والمسالك .

مُصْفَرَّةُ الجسم وهي ناحلةٌ ... تستعْذِبُ العيشَ معْ تَعَذّبِها
تطعنُ صدرَ الدجى بعاليةٍ ... صنوبريّ لسانُ كوكبها
إن تَلِفَتْ روحُ هذه اقتسمَتْ[1] ... من هذه فضلةً تعيشُ بها
كحيّةٍ باللّسانِ لاحسةٍ ... ما أدركتْ من سوادِ غيهبها

---

[1] في الذخيرة : اقتبست .

٣٤٢

وقال

تخريجها : الأبيات في الذخيرة ؛ والبيتان ٨ ، ٩ في المسالك .

قَبَسٌ بكفّ مديرها أم كوكبُ　　يَنْشَقّ منه عن الصّباح الغيهبُ

وأريجُ مسكٍ فاحَ عن نفَحاتها　　فذوائبُ الظلماءِ منه تَطَيّبُ

قالوا: الصبوحُ، فقلتُ: قَرِّبْ كأسَهُ　　إنّي لِمُهديها بها أتقَرّبُ

لا تسقني اللبنَ الحليبَ فإنّ لي　　في كلّ داليةٍ ضروعاً تحلب

وذخيرةٍ للعيشِ مرّ لعمرها　　عَدَدٌ يشقّ على يَدَيْ من يحسب

دَبّابَةٌ في الرّأسِ يَصْعَدُ سُكْرُها　　فتجدّ منا بالعقولِ وتلعب

دارَتْ بعقلي سَورةٌ من كأسها　　حتّى كأنّ الأرضَ تحتي لولب

باكرتُها والليلُ فيه حُشاشَةٌ　　يستلّها بالرّفْقِ منه المغرب

والجوّ أقبَلَ في تراكبِ مُزْنِهِ　　قُزَحٌ بعطفةِ قَوْسِهِ يتَنَكّب

صابتْ فأضْحَكَتِ النديمَ بأكْؤسٍ　　عَهدي به من نقطهنّ يُقَطّب

والبشرُ في شربِ المدامةِ فارتقبْ　　منها سرورَ النفسِ ساعةَ تَعْذُب

٣٤٣

تخريجها : من الخريدة .

تخـالفَتِ النياتُ يومَ تحمّلوا فركبٌ إلى شرق وركبٌ إلى غربِ
وما قُدّ قَدّ السيرِ بالسيرِ بينهمْ ولكنّما المنقـدّ بينهمُ قلبي

٣٤٤

تخريجها : من النفح وبدائع البدائه : ٩٧

قال عبد الجبار بن حمديس الصقلي : أقمت بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت إليّ ولا يعبأ بي ،حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا بغلام معه شمعة ومركوب ، فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة فنك وقال لي : افتح الطاق التي تليك،ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ، ثم دام سدّ أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتهما قال لي أجز :

انظرهما في الظلام قد نجما فقلت: كما رنا في الدجنة الأسد
فقال : يفتح عينيه ثم يطبقها « فعل امرىء في جفونه رمد
« فابتزه الدهر نور واحدة « وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنيّة وألزمني خدمته .

٣٤٥

وقـال

تخريجها : من الذخيرة .

وكأنّما شَمسُ الظهيرة نارُهُ   وكأنّما شَجَرُ البسيطةِ عُودُهُ .

٣٤٦

وقال

تخريجها : من مطالع البدور ٢ : ٢٠١ .

وكأنّها نونٌ تُمَطّ وعينها   ميمٌ لطولِ نحولهـا بالفدفدِ

كحلتْ جفونَ الصبح منها بالسرى   وتكحلتْ منـه بلونِ الإثْمِـدِ

فلجسمها والصبحُ يتبع نورَهُ   من جفنِ ليلتها انسلالُ المرود

يا ليتَها كانتْ سفينَةَ زاجرٍ   فتخوضَ بي مدّ العبابِ المزبد

فأرى ابن حمدانٍ[1] ونورَ جبينه   يجلو سناهُ قذى جفون الأرْمَدِ

[1] قلت : لعلها ابن حمدون ، أو تكون الأبيات مما نحل لابن حمديس ، وليست له .

٣٤٧

تخريجها : من الذخيرة .

جناحيَ محلولٌ وجيديْ مُطَوَّقٌ فَرَوضيَ مطلولٌ فما ليَ لا أشْدو

٣٤٨

تخريجها : أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك : ١٦٨ .

وناهدةٍ لمّا تَنَهَّدْتُ أعْرَضَتْ فراحتْ وقلبي في ترائبها نَهْدُ

٣٤٩

وقال يصف داراً بناها المنصور بن أعلى الناس [علناس] ببجاية :

تخريجها : النفح والنهاية ١ – ٣ ، ٥ ، ٤ ، ٦ – ٨ ، ١١ – ٢٠ ، ٣٦ – ٤٣ ، ٤٥ – ٤٨ والمطالع ، ١ : ٣٦ ، الأبيات ٢ – ٣٥ .

واعمرْ بقصرِ المُلْكِ ناديكَ الذي أضحى بمجدك بيته معمورا

قصرٌ لو انّك قد كحلتَ بنوره أعمى لعادَ إلى المقام بصيرا

واشتقَّ من معنى الحياة[1] نسيمه   فيكادُ يُحدِثُ للعظام نُشورا

نُسيَ الصبيحُ مع المليح[2] بذكره   وسما ففاقَ خورنقاً وسديرا

ولو آنَّ بالألوان قوبلَ حسنُهُ   ما كان شيءٌ عنده مذكورا

أعيت مصانعه[3] على الفُرْسِ الألى   رفعوا البناء وأحكموا[4] التدبيرا

ومضَتْ على الرّوم[5] الدهورُ وما بنوْا   لملوكهم شَبَهاً لـه ونظيرا

أذكرْتَنَا الفرْدوْس حينَ أرَيْتَنَا   غُرَفاً رفعتَ بنـــاءَها وقصورا

فالمحسنون تَزَيّـــدوا أعمالهمْ   ورَجَوْا بذلك جَنّةً وحريرا

والمذنبون هُدوا الصراطَ وَكفّرَتْ   حسناتُهُمْ لذنوبهم تكفيرا

فَلَكٌ من الأفلاكِ إلاّ أنّهُ   حَقَرَ البدورَ فأطلعَ المنصورا

أبصرتُهُ فرأيتُ أبدعَ منظرٍ   ثم انثنيتُ بنـــاظري محسورا

وظننتُ أني حالمٌ في جَنّةٍ   لمّا رأيتُ الملكَ فيه كبيرا

وإذا الولائدُ فتّحَتْ أبوابَهُ   جعَلَتْ ترَحّبُ بالعُفاةِ صريرا

عَضّتْ على حلقاتهنّ ضراغمٌ   فَغَرَتْ بها أفواهَها تكسيرا[6]

---

١ النفح : الجنان .

٢ النفح : النصيح .

٣ النهاية : مطالعه .

٤ النهاية : فأحكموا .

٥ النهاية : القوم .

٦ النفح : تكبيرا .

فكأنّها لَبَدَتْ لتهصرَ عندها من لم يكنْ بدخولـه مأمورا

تجري الخواطرُ مطلقـاتِ أعنةٍ فيه فتكبو عن مداه قصورا

بمرخَّم الساحاتِ تحسبُ أنّهُ فُرِشَ المَها[1] وتَوَشّحَ الكافورا

ومحصَّبٍ بالدرّ تحسبُ تربَهُ مسكاً تَضَوّعَ نشره وعبيرا

يستخلفُ الإصباحُ[2] منه إذا انقضى صبحاً على غَسَقِ[3] الظلام منيرا

وضراغمٌ سَكَنَتْ عرينَ رئاسةٍ تركتْ خريرَ الماء فيه زئيرا

فكأنّما غَشّى النّضارُ جُسومَهَا وأذابَ في أفواهِها البلّورا

أُسْدٌ كأنّ سكونَهـا متحرّكٌ في النفس لو وجدتْ هناك مثيرا

وتذكّرَتْ فتكاتِهـا فكأنّما أقعتْ على أدبارهـا لتثورا

وتخالُهـا ، والشمسُ تجلو لونَها ناراً وألسُنَها اللواحسَ نورا

فكأنّما سُلّتْ سيوفُ جداولٍ ذابتْ بلا نارٍ فَعُدْنَ غديرَا

وكأنّما نَسَجَ النسيمُ لمائه درعاً فَقدّرَ سَرْدَها تقديرا

وبديعةِ الثّمرَاتِ تعبُرُ نحوَها عيناي[4] بحرَ عجائبٍ مسجورا

شجريةٍ ذهبيةٍ نزعتْ إلى سحر يؤثّر في النهى تأثيرا

---

١ النهاية : البها .

٢ النفح : تستخلف الأبصار .

٣ النفح : عتق .

٤ مطالع : عيناك .

قد صَوْلَجَتْ أغصانَها فكأنّما قَنَصَتْ لهن[1] من الفضاء طيورا

وكأنّما تأبى لواقع[2] طيرها أن تستقلّ بنهضها وتطيرا

من كلّ واقعةٍ ترى منقارها ماءً كسلسال اللجين نميرا

خُرْسٌ تُعدّ من الفصاح فإن شدَتْ جعلتْ تغرّدُ بالمياه صفيرا

وكأنّما في كلّ غصنٍ فضةٌ لانتْ فأُرْسِلَ خيطها مجرورا

وتريكَ في الصّهريج موقعَ قَطْرِهَا فوْقَ الزّبَرْجَدِ لؤلؤاً منثورا

ضحكتْ محاسنُهُ إليك كأنّما جُعلتْ لها زُهرُ النجوم ثغورا

ومصَفّحِ الأبوابِ تبراً نَظّروا بالنقش بين شكوله تنظيرا

تبدو مساميرُ النضارِ كما علَت فلك النهود من الحسان صدورا

خلَعَتْ عليه غلائلاً ورسيّةً شمسٌ تردّ الطرفَ عنه حسيرا

وإذا نَظَرْتَ إلى غرائبِ سَقفه[3] أبصرتَ روضاً في السماء نضيرا

وعجبتَ من خُطّافِ عسجده التي حامتْ لتبني في ذراه وكورا

وضعتْ به صنّاعُهُ أقلامَها فأرَتْكَ كلّ طريدةٍ تصويرا

وكأنّما للشمس فيه ليقةٌ مَشَقوا بها التّزْويقَ والتشجيرا

---

١ النفح : قبضت بهن .

٢ النفح : لوقع .

٣ النهاية : حسنه .

وكَـــأنّما للازوَرْد مُخَرَّمٌ بالخطّ في وَرَقِ السماءِ سطورا

وكأنّما وَشَوْا[1] عَلَيــه ملاءَةً تركوا مكان وشاحِهـا مقصورا

يا مالكَ الأرض الّذي أضحى لــه مَلِكُ السماءِ على العداة نصيرا

كم من قصورٍ للملوك تَقَدَّمَتْ واستوْجَبَتْ لقصورك[2] التّأخيرا

فعمرتَهـا وملَكتَ كلّ رئاسةٍ منهـا ودمّرْتَ العـدا تدميرا

٣٥٠

وقال في وصف الأسد

تخريجها : نهاية الأرب ٩ : ٢٣٨

وليثٍ مقيم في غياضٍ منيعَةٍ أميرٍ على الوَحشِ المقيمةِ في القَفْرِ

يُوَسِّدُ شبليه لحومَ فَوَارسٍ ويقطعُ كاللّصّ السبيلَ على السَّفْرِ

هزبْرٌ له في فيه نارٌ وَشَفْرَةٌ فما يشتَوي لحمَ القتيلِ على الجمر

سراجاه عيناهُ إذا أظلمَ الدّجى فإن باتَ يسري باتتِ الوحش لا تسري

لــه جبهةٌ مثل المجنّ ومعطسٌ كأنّ على أرجـائه صبغةَ الحبر

---

١ النهاية : فرشوا .

٢ النفح والنهاية : بقصورك .

يصلصلُ رعدٌ من عظيمِ زئيره ويلمع برقٌ من حماليقهِ الحمر

له ذَنَبٌ مُسْتَنْبَطٌ منه سَوْطُهُ ترَى الأرض منه وهي مضروبة الظهر

ويضربُ جنبيه به فَكَأنّما له فيهما طَبْلٌ يَحُضّ على الكرّ

ويُضْحك في التعبيس فكّيه عن مدى نيوبٍ صلابٍ ليس تُهتَمُ بالفِهْر

يصولُ بكفّ عرْض شبرين عرْضُها خناجرُها أمضى من القُضُبِ البتر

يجرّدُ منها كلّ ظُفْرٍ كأنّهُ هلالٌ بدا للعينِ في أوّلِ الشهرِ

٣٥١

وقال من أخرى

تخريجها : وردت في الذخيرة ومنها في المسالك الأبيات : ٢ ، ٤ ، ٦ ، ١١

تظنّ مزارَ البدرِ عنها يعزني إذا غابَ لم يبعد على عينِ مُبْصِرِ

وبينَ رحيلي والاياب لحاجِها من الدهر ما يُبْلي رَتيمةَ خنصر

ولا بُدّ من حملي على النفس خُطّةً تُعلّقُ وردي في اغترابي بمصدري

وتطرَحني بالعزْم من غيرِ فترةٍ سفائنُ بيدٍ في سفائن أبحُرِ

وما هيَ إلا النفسُ تفني حياتَها مُصَرَّفةً في كلّ سعيٍ مُقَدَّر

أغَرّكِ تلويحٌ بجسمي وإنّني لكالسيف يعلو متنه غين[1] جوهر

وما هيَ إلا لفحةٌ من هواجرٍ تخلّصْتُ منها كالنّضار المسجَّر

وأنكرتِ إلمامَ المشيبِ بلمّتي وأيّ صباحٍ في دجى غيرِ مسفر

وما كان ذا حذرٍ غرابُ شبيبتي فلمْ طارَ عن شخصي لشخص مُنفّر

وأبقتْ صروفُ الدهرِ منّي بقيّــةً مذكرةً مثلَ الحسام المذكر

وما ضَعضَعتني للحوادثِ نَكْبَةٌ ولا لان في أيدي الحوادث عُنصري

ومنها

وحمراءَ لم تسمحْ بها نفسُ بائعٍ لسومٍ ولم تظفرْ بها يدُ مُشتري

أقامتْ مع الأحقابِ حتى كأنّها خبيئةُ كسرى أو دفينةُ قيصر

فلم يبقَ منها غيرُ جزءٍ كأنّهُ تَوَهُّمُ معنىً دقّ عن ذهن مُفْكرِ

إذا قَهقَهَ الإبريقُ للكأس خِلتَهُ يرجّعُ صوتاً من عُقابٍ مُصَرْصِر

وطافَ بها غُمرُ الوشاحِ كأنّما يقلّبُ في أجفانه طَرْفَ جوْذر

قصرتُ بكلّ كلَّ يومٍ لهوتُهُ ومهما يطبْ يومٌ من العيش يقصرُ

---

[1] المسالك : مس .

٣٥٢

تخريجها : معاهد التنصيص : ٤٢٠

أبرُوقٌ تلألأتْ أم ثغورُ ... وليالٍ دجتْ لنا أم شعورُ
وغصُونٌ تأوّدَتْ أم قدودٌ ... حاملاتٌ رمّانهنّ الصّدور

٣٥٣

تخريجها : روض الآداب لشهاب الدين الحجازي : الورقة ١٧٠ ب .

سألتُها أن تُعيدَ لَفْظاً ... قالتْ : أصمّ دعوه يعذرْ
حديثُها سكرٌ شهيّ ... وأطيبُ السكرِ المُكَرَّر

٣٥٤

وقال

تخريجها : الخريدة .

ولو أنّ عظمي من يراعي ، ومن دمي ... مدادي ، ومن جلدي إلى مجده طِرْسي
وخاطبتَ بالعلياءِ لفظاً منقّحاً ... وخطّطْتُ بالظلماءِ أجنحةَ الشمس

لكان حقيراً في عظيمٍ الذي لـه   من الحقّ في نفس الجلال فدع نفسي

ومالكةٍ نفسي ملكتُ بهـا المنى   وقد شَرّدَتْ عني التوحش بالأنس

وقابلتُ منها كلّ معنىً بِعدّهِ   يلوّحُ نفسَ الوهم في دُهمةِ النقْسِ

كأنّيَ في روضٍ أُنزّهُ ناظري   جليلُ معـانيه يدقّ عن الحس

مقلتُ بعيني منه خطّ ابن مقلةٍ   وَقَصّ على سمعي الفصَاحَةَ من قُس

وخفتُ عليه عينَ سحرٍ تُصيبُهُ   فصَيّرْتُ تعويذي لـه آيةَ الكرسي

٣٥٥

تخريجها : المسالك(وينسبان لابن قلاقس في بعض المراجع) .

بَلَدٌ أعارَتْهُ الحمامةُ طَوْقَها   وكساهُ حُلّةَ ريشِهِ الطّاووس

وكأنّ هاتِكَ الشقائقَ قَهْوَةٌ   وكأنّ ساحـاتِ الديارِ كؤوسُ

٣٥٦

وقال

تخريجها : جامع الفنون : ١٨ .

أنظرْ إلى حسنِ هلالٍ بَدا   يَهْتِكُ من أنْوَارِهِ الحِنْدسا

كمِنْجَلٍ قد صِيغَ من عَسْجَدٍ   يحصُدُ من زَهْرِ الرّبى نَرْجِسَا

٣٥٧

وقال

تخريجها : الذخيرة والمسالك .

ومشمولةٍ راحٍ كأنّ حبابها إذا ما بدا في الكأسِ درٌّ مجوّفَ
لها من شقيقِ الرّوْضِ لونٌ كأنّما إذا ما بدا في الكأس منه مُطرّفُ

* * *

سَرَيْتُ على برْقٍ كأنّ ظلامَهُ إذا احمرّ ليلٌ أسوَد باتَ يرعف

٣٥٨

تخريجها : الخريدة .

لوْ كنتِ زائرتي لَرَاعَكِ مَنظري فرأيتِ بي ما يصنعُ التفريقُ
وَالحَالَ من دمعي وحرّ تنفسي بيْني وبينكِ لجـةٌ وحريقُ

٣٥٩

وقال

تخريجها : من الذخيرة والبيتان ٥ ، ٦ في الغيث ١ : ١٧٢

نفوسُنَا بالرّجاءِ مُمْتَسَكَهْ   والموتُ للخلق ناصبٌ شَرَكَهْ

تبرمُ أجسامنا وتنقضهـا   طبـائعٌ في المزاج مشتركه

لولا انتشاقُ الهوا لمتّ كما   تموتُ مع فَقْدِ مائها السمكه

نُنْشَأُ بالبعثِ بعد ميتتنا   أما يُعيدُ الزجاجَ مَن سبكه

ما أغفلَ الفيلسوف عن طُرُقٍ   ليستْ لأهل العقول منسلكه

مَن سلّمَ الأمرَ للإله نجا   ومن عدا القصد واقعَ الهلكه

٣٦٠

وقال

تخريجها : من الذخيرة .

يومٌ كأنّ نسيمَهُ   نفحاتُ كافورٍ ومسكِ

وكأنّ قَطْرَ سمائهِ   دُرٌّ هوَى من نظم سِلكِ

مُتَغَيِّرٌ غيناً وصَحْـ ـوَأ مثل ما حدّثْتُ عنكِ

كالطفلِ يُمنَحُ ثمّ يُمْـ ـنَعُ ثم يضْحَكُ ثم يبكي

٣٦١

ولـه ويشتمل على حروف المعجم

تخريجها : الكشكول : ٥٤ ومعاهد التنصيص : ٤٩٣ .

مُزَرْفَنُ الصّدغِ يَسْطو لحظُهُ عبثاً ... بالخلقِ جذلانَ إن تشكُ الهوى ضحكا

٣٦٢

تخريجها : من الذخيرة .

سَكَنَ القلبَ هوى ذي صَلَفٍ ... زادَهُ فيه سكوناً حَرَكُهْ

فهو كالمركزِ يَبْقَى ثابتاً ... كلّما دارَ عليْه فَلَكُهْ

٣٦٣

قال السلفي في معجمه (الورقة : ١٣٧) أنشدني أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن تيفا الحلواني التونسي بالاسكندرية ، قال أنشدني عبد الجبار بن حمديس الصقلي بتونس لنفسه :

يا عَقْرَبَ الصدغِ المعنبرِ طيبها　　قلبي لَسَبْتِ فأين مَنْ يرقيكِ

وحلَلْتِ في القَمَرِ المنيرِ فكيف ذا　　وحلولُهُ أبداً أراهُ فيكِ

لا تحسبيني أشْتَكي لِعَـواذلي　　آلامَ قلبي منكِ ، لا وأبيكِ

٣٦٤

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا

تخريجها : أبياتها في الذخيرة ومنها في المسالك الأبيات : ٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ .

لكلّ محبٍّ نظرةٌ تبعثُ الهوَى　　ولي نَظرَةٌ نحوَ القَتول هي القتلُ

تُرَدَّد بالتكريهِ رُسْلُ نواظري　　ومن شيَم الانصافِ أن تكرَم الرّسل

ومنها

ركبتُ نوًى جوّابةَ الأرض لم يعشْ　　لراكبهـا عيسٌ تخبّ ولا رجـل

أسائلُ عن دارِ السماحِ وأهْلِهِ　　ولا دارَ فيهـا للسماح ولا أهــل

ولولا ذُرَى ابن القاسمِ الواهبِ الغنى　　لما حُطّ منها عند ذي كَرَم رحل

تُخَفَّضُ أقــدارُ اللئــامِ بلؤمهم　　وَقَدْرُ عليّ من مكارمِهِ يعلو

فتى لم يُفارِقْ كفَّهُ عَقْدُ مِنّةٍ　　ولا عِرْضَهُ صونٌ ولا مالَهُ بذلُ

لــه نِعَمٌ تخضَرّ منها مَوَاقِــعٌ　　ولا سِيَما إن غَيّرَ الأفقَ المحل

ورَحبُ جَنَابٍ حين ينزلُ للقِرى　　وفصلُ خطــابٍ حين يجتمع الحفل

وَوجهٌ جميلُ الوجـه تحسبُ حرّهُ　　حساماً له من لحظ سائله صقل

مُرَوَّعَــةٌ أموالُــهُ بعَطَــائِهِ　　كأنّ جنوناً مَسّها مِنْهُ أو خَبْل

وأيّ أمــانٍ أو قرارٍ لخائفٍ　　على رأسه من كفّ قاتلـه بصل

ومنها

لقد بَهَرَتْ شهبَ الدراري منيرةً　　مآثِرُ منكمْ لا يكاثِرُها الرّمْلُ

ورثتم تراثَ المجدِ من كلّ سيّدٍ　　على منكبيه من حقوقِ العلا ثقل

فمنْ قَمرٍ يُبقي على الأفق بَعْدَهُ　　هلالاً ومن ليث خليفتــه شبل

وأصبحَ منكمْ في سلا الجور أخرساً　　وقام خطيباً بالّذي فيكمُ العــدل

ملكتُ القوافي إذ توخيتُ مدحكمْ　　ويا رُبّ أذوادٍ تَمَلّكها فَحْلُ

٣٦٥

وقال

تخريجها : الخريدة والمسالك والوافي .

زَادَتْ على كحْلِ العيونِ تَكَحّلاً　　ويسمُّ نَصْلُ السّهْمِ وهو قتول

٣٦٦

وقال

تخريجها : من الذخيرة .

قد طَيَّبَ الآفاقَ طيبُ ثنائِهِ حتى كأنَّ الشمسَ تذكي المَندلا

٣٦٧

وقال

تخريجها : من الخريدة .

لهمْ رياضُ حتوفٍ فالذبابُ بها تشدوهمُ في الهوادي كلما اقتحموا

بيضٌ تصفّ المنايا السودَ صارخةً وهي الذكورُ التي انقضّتْ بها القمم

٣٦٨

وقال في وصف حمّام

من الذخيرة ، والأبيات ١ – ٣ في الشريشي (١ : ٧٨) غير منسوبة .

وحمّامِ سوءٍ وخيمِ الهواءِ قليلِ المياه كثيرِ الزّحامِ

فما للقيامِ قعودٌ بـه ولا للقعود به مِنْ قيامِ
حنيّاتُهُ قانصاتٌ لنفسي وَقَطْرَاتُهُ صائباتُ السهام
ذكرْتُ به النّارَ حتى لقدْ تخيلتُ إيقادَها في عظامي
فيا رَبِّ عفْوَكَ عن مُذنبٍ يخافُ لقاءَكَ بَعْدَ الحِمام

٣٦٩

وقال في مصلوب

تخريجها : معاهد التنصيص : ٢٠٠ والغيث ١ : ١٧٩

ومرتفعٍ في الجذعِ إذ حُطّ قدْرُهُ أساءَ إليه ظالمٌ وهو محْسِنُ
كذي غَرَقٍ مَدّ الذراعينِ سابحاً من الجوّ بحراً عَوْمُهُ ليس يُمكنُ
وتحسبُهُ من جَنّةِ الخلْـدِ دانياً يعانقُ حُوراً لا تراهنّ أعْيُنُ

٣٧٠

تخريجها : من الخريدة

طَيّارَةٌ وَلها فَرْخانِ وَاعَجَبا إذ لا تَزُفّهُما حتّى تَرقاها
كَأنّما البَحرُ عَينٌ وَهيَ أسوَدها فَسَبْحُها فيه ، وَالعَبْرَانِ جفناها

الفهارس

١ – ملحق ببعض التخريجات

القصيدة	الأبيات	المرجع
٣	١، ٢	روض الآداب (٢٠٠ ب) ورايات المبرزين : ١١٢
٥٦	١	الرايات : ١١٢
٥٨	٦، ٧	الغيث ١ : ١٨٢ والرايات .
٨٠	٣	الغيث ٢ : ٢٤٤
٨٩	٢، ٣	الرايات : ١١٢
١١٠	٣٢، ٣٤، ٣٥	الغيث ١ : ٧٠
١١٤	١–٣	الغيث ١ : ٢٧ والرايات
١٥٢	٣–٥	الغيث ١ : ١٧٦
٢٢١	٣–٥	الغيث ٢ : ٢٧٠
٢٧٣	٢	الغيث ٢ : ٢٤٤

٢ – فهرست الأعلام واسماء الأماكن والقبائل

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

---

[1] قوصر : سقط تمام التعريف بها في هامش ص : ٢٥٥ وإليك ما قاله ياقوت في معجم البلدان : «قوصرة : قال الليث القوصرة وعاء التمر ومنهم من يخففها ، وهي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وجزيرة صقلية وأثبتها ابن القطاع بالألف : قوصرا» .

٣ ـ فهرست القوافي

ر

س

٤ ــ تصويبات أجريناها في « م » ولم نشر إليها في الهوامش[1]

القصيدة	البيت	الخطأ	التصويب
١	٩	قد عاق بعد ضياع نقص خرقاء	قد عاد بعد صناع نقض خرقاء
٤	١	كالنفس	كالنقس
٤	١١	حبابه	عبابه
٧	٣	ما الصبر	بالصبر
٧	٤	في العير	في العين
١٠	٣	للسمع	والسمع
١٠	٣	قلبه	قليه
١١	٣	كفاني	كبا بي
١١	١٢	فباكر	تباكر
١١	١٢	الزبيب	الدبيب
١١	١٤	عوضة	غوصة
١١	٢٤	بهن	بهب
١٢	١٧	يمر وفي	تمرر في
١٢	٢٧	ويجبرني	وينجدني
١٣	٩	ضرعاً	ذرعاً
١٣	١١	قابل	قاتل
١٤	١	وقاتلتني	وقاتلّي
١٤	٣	تريد اندماجاً	تزيد اندياحاً
١٩	٧	صنعة	صبغة
٢٧	٦١	البنت	النيب

[1] هناك تصويبات أخرى لم أشر إليها في هذا الجدول ، لأنها من الأخطاء الواضحة .

٢٨	٣٠	المعلومات	المكرمات
٢٨	٤٤	والتقى	والتقت
٢٨	٥٤	السقي	السقيا
٢٨	٥٤	لحزني	لحدي
٢٩	١٢	غرائب	غرابيب
٣٥	١	بكى	بلى
٣٥	٢٨	صيل	مثل
٤٧	١٧	العيش	القبس
٤٩	٤	يبح	تنح
٤٩	٩	زجاج	دماج
٥٢	١	حتّى	حي
٥٤	٤	معطوفاً من	مفطوماً عن
٥٤	٥	إلا شميساً كان مما	إلا شميماً كان هماً
٥٥	٢	فعرد عن	فعد عن
٥٧	٨	أكان مداوياً	وكاه مردياً
٥٧	٢٤	ليعتبق	لم يغتبق
٥٧	٢٥	يفيض	يقبض
٥٨	١	هاكها	هاتها
٦٢	١١	أخضرا	خصرا
٦٣	١٩	مرونة	مروية
٦٣	٤٧	أطم	ألم
٦٤	٤٠	منهم	شهم
٦٤	٥٤	يمناً	متناً
٦٤	٥٥	وشفيتني	وسقيتني
٦٦	١	فينفر	فينغر
٦٦	٣	كبل	كنكه
٧٠	٢	بعطفها	بعطفيها
٧٠	٣	حادث	جاذب

٧٠	٥	سقت	أشقت
٧٥	١١	قرى النهر	قرا النهد
٧٧	٤	الخدد	الخرد
٧٨	٢٤	تبك	يبل
٧٨	٢٦	حتّى توسد بي	حتّى أوسد في
٧٨	٢٩	يحد	يجذ
٧٨	٥٧	من	بين
٧٨	٦٢	المهدود	الممدود
٧٨	٦٧	لحرة	بحسرة
٧٨	٧١	قبلت	فتلت
٨٠	١	ومضمر	ومضمن
٨٢	٢٠	وكلفت	وكلمت
٨٢	٣١	الليل	لليل
٨٦	١١	ألا	أيا
٨٨	٤٢	لغواريه	لغراريه
٨٨	٤٣	ظبياه	ظبتاه
٨٨	٤٦	الفدفد	تغتدي
٩٠	٧	الفتاة	الفتاء
٩٠	٧	البكر	الذكر
٩٢	٢٦	أيد عليها مشيه	زبد علته سفنه
٩٣	١٩	الاعراض	الاغريض
٩٣	٦١	النياح	الشياح
٩٤	١	أرقني	أين منيْ
٩٤	٦	أو قانحي بال صاد لمنى	أو ترجي نيل صاد للمى
٩٤	١٩	سبوع	سيوع
٩٤	٥٨	الكرى	الثرى
٩٥	١٥	طلوحي	ضلوعي
٩٥	٣٥	الملك	الفلك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٥	٤٩	بتوا	فت
٩٥	٥٤	تلبك	يلبك
٩٥	٦٣	رفلت رأسي	زفرات أسى
٩٦	١	أألبدر	أذا البدر
١٠١	١٧	لعيش شاهد	لعيني ساهد
١٠١	١٩	الذي	الثرى
١٠١	٢١	البدر	الند
١٠٢	٤	كبحار . . . العواصف	كبخار . . . بالعواصف
١٠٢	٧	صرعت	صدعت
١٠٢	٧	أعلا	أعطى
١٠٢	١١	الحراب	الجواد
١٠٢	١٢	لدا قتل	لذي فتك
١٠٤	١	معطفة	منطقة
١٠٤	٢	تمعطف	تنطق
١٠٦	١	وهل	وقد
١٠٦	٥	لهن خدود	بهن صرور
١١٦	٣٥	يكثر	يكشر
١١٦	٣٦	يعنف	يعقف
١١٦	٤٤	حشحات إلى عوار	جشجاث إلى عرار
١١٩	١٠	تطرق	تطرف
١٢٠	٣٤	العظيم	القصيم
١٢٠	٣٣	يلوطهن	بوطئهن
١٢٢	٣	جنى رمينات	جني رمان
١٢٢	٥	وهجرك	بهجرك
١٢٣	٧	هواءك ماله	هواك وماله
١٢٣	١٧	ثقة	مقة
١٢٥	٣	الهداب . . . مجر	الهواء . . . حجر
١٢٥	٤	الخدود	الحروف

١٢٥	٦	يفل	يفلك
١٢٧	٣٤	تسلبن	تستلين
١٢٧	٤١	قل	ذل
١٢٩	٨	قتير	نثير
١٢٩	٩	شرف	شدق
١٣٠	٢	مهيد	مؤيد
١٣٠	٧	أطلعن	أطلقن
١٣١	١٦	أشرك	أسرك
١٣١	٢٠	معتقة	معقبة
١٣١	٢٢	سهرك	سمرك
١٣٢	٢٣	إبهام	انهزام
١٣٢	٢٣	والجزر	بالجزر
١٣٢	٣٤	مكابرة	مكاثرة
١٣٢	٣٥	للأغمار	للأعمار
١٣٢	٣٦	إقحام بهج له	إقحامه مهج
١٣٢	٣٦	على دلالة	على مذلوقة
١٣٢	٥٦	يصيح	تصيخ
١٣٢	٥٨	بهاجر	مهاجر
١٣٣	٢١	ركب	راب
١٣٣	٢٦	تنزح	تبرج
١٣٣	٢٦	حفر	خفر
١٣٤	٩	جيش	جيشا
١٣٤	١١	لم يغن عنه ولا عز يذل	لم يغنيا عنه لا عز يدل
١٣٤	٢٤	بغى	نعى
١٣٥	٤٠	غائباً	غانياً
١٣٦	١٠	تنحتها	منحتها
١٣٦	١٧	الفص	العض
١٣٦	٤٧	مجرف	محرب

١٣٧	٣٢	وتنفرا	وتمعرا
١٣٧	٤٣	ودثرا	ودثرا
١٤١	٣	أنت (لا) تستبي ذا العفاف ببذل	أنت تستبين ذا العفاف ببذل
١٥٠	٨	هل	مل
١٥٢	٤	معروفه يجري	مغرقة يجري
١٥٢	٩	فيها	تيهاً
١٥٢	١٠	ملك حسابيّ	ملكك جانبي
١٥٢	١٣	أسدوك	أشدوك
١٥٧	٦	تعوذت	لقدرت
١٥٧	٢٦	عبثت	غيبت
١٦١	٦	أسدها	أسرها
١٦٤	٣	بكفي للمعاصي	بكفي المعاصي
١٦٦	١٣	عاتبة	عاتية
١٦٨	٢١	من تلة	مرقلة
١٦٨	٣١	فكر اي	فكي
١٦٨	٣٣	أقبل	أقتل
١٧٣	٨	الحسام	الأجسام
١٧٩	٢٢	العلى كبير	المعلى كبر
١٨٢	١	فصار	قصار
١٨٢	٥	وآباز	وآثار
١٨٥	١	حتى عسى بين الهوى فالأجزع	حتّى متّى بين اللوى فالأجرع
١٨٥	١٣	لنشره	تنشره
١٨٥	١٩	مدرس	مدوس
١٨٥	٢٦	يفتض	يقبض
١٨٥	٢٩	غضا	عدا
١٨٥	٣٠	المرصع	المزمع
١٨٥	٣١	يصل	يمسك
١٨٥	٣٢	بالريح	بالرياح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٥	٣٣	الأنسع	اللسع
١٨٥	٣٤	بعضه	نغضة
١٨٥	٣٥	فؤول	أفول
١٨٨	٤	وبغيب	ونعيب
١٨٨	٧	طعني الحي	تطمن الحي
١٨٨	١٧	تترقع	تتبرقع
١٨٨	١٨	محل زبر . . . أقرع	زمخري . . . أقزع
١٨٨	١٩	رفع	رافع
١٨٨	٢١	يا الذي	ما الذي
١٨٨	٢٦	جفاف	جفال
١٨٩	٢٩	غمر . . . الغمر	غمز . . . الغمز
١٩٠	١	كالنار	للنار
١٩٠	٢	للشمس	كالشمس
١٩١	٢	تغيب	تعبث
١٩٣	٢	الغارين	الغادين
١٩٣	٧	مغلظ	ملغط
١٩٤	١٤	فضلاء	لقضباء
١٩٤	١٥	عبق	عنق
١٩٦	١	ذبلت	بذلت
١٩٩	٤	مرقفا	قرقفا
١٩٩	١٢	والساكنين	والساكنيه
١٩٩	٣٤	مجاب الغيث	حجاب الغيب
١٩٩	٣٧	عليهم	عليم
١٩٩	٣٨	حاسداً	حاسراً
١٩٩	٤٠	أرهفا	أو هفا
١٩٩	٥٠	شرفا	مترفا
٢٠١	١	أخر	أحن
٢٠٢	١	لهصور . . غصب . . وعزيز	كهصور . . عضب . . وغرير

٢٠٣	٧	شبح	لشج
٢١٠	١	يعتق وسطه	يعنق شطه
٢١٠	٢	أشواقها	أشداقها
٢١٣	٥	بمحاسن	بمجانس
٢١٣	٨	الحلال	الجـــلال
٢١٣	١٠	كناشق	لناشق
٢١٣	٢١	وشروق . . . نقائق	وشدوق . . . نقانق
٢١٥	٨	الإناء	الأناة
٢١٥	١٨	وبها تفيق	فيها يفيق
٢١٨	٣١	باطل	باطلاً
٢١٨	٤٣	الرحال	الرحائل
٢٢٠	١٤	عنهم	عني
٢٢١	٣	ويا	وما
٢٢٤	٤	عجبتني	عجبني
٢٢٥	٤	غصنك	غصنه
٢٢٥	٥	إلا حداد فلجيك	إلا حسدا دملجيك
٢٢٧	١٠	فني	نفى
٢٣٠	٤	نصيحاً . . مريكاً	نضيجاً . . . فريكاً
٢٣٦	١	در بتأريج	ذو تباريح
٢٤٥	١٤	فأملت من	تأملت في
٢٤٥	١٤	عصر	عمر
٢٤٥	٢٠	وألحقتها	وألحفتها
٢٤٥	٢٥	محيت	فنحت
٢٤٧	٢٧	والنغل	والنفل
٢٤٨	١٧	يرثب	يدبب
٢٤٨	٤٥	جزلا	جذلى
٢٥٣	٥	ألحق . . وأجاب . . المعطل	ألحف . . وأجار . . المعضل
٢٥٣	١٢	يحتال . . يجتلي	يختال . . يختلي

٢٥٧	١١	نحيل	قجيل
٢٦٢	٥	حضر	خصر
٢٦٢	٦	يا ليل	بأليلي
٢٦٢	١١	عليلا بغليل	عليل بعليل
٢٧٠	١١	القدر	القور
٢٧٠	١٩	والحلم	والحلم
٢٧٨	٦	الدين	الريق
٢٨٧	٣٦	يغني غداه	يفني عداه
٢٨٨	١	أرى	أخي
٢٨٨	٣	وصادره	وساوره
٢٨٨	١٢	القزاما	الغراما
٢٨٩	٢	الدهم	الهرم
٢٨٩	٥	ملكه	ملكها
٢٩٠	٣	بطرفه	يطرقه
٢٩٠	٥٣	حرباً	جرياً
٢٩١	٣٠	مجانين	مجانيق
٢٩٢	١٥	تلك الله	فلك الله
٢٩٢	٢٦	مصنع في بر له	مصغ في بذله
٢٩٢	٢٩	فا فوق	ليس فوق
٢٩٣	٢	ضرما	قرما
٢٩٣	٧	قعما	ففما
٢٩٣	١٤	رأى	رمى
٢٩٧	٨	بشم	أشم
٢٩٧	١١	أيمن . . . رحيل	أين من . . . وجيل
٢٩٧	٢٦	حملت	جمدت
٣٠٥	٥	مراحي . . .	مراح . . .
٣٣٢	٢٨	التقي	النعي
٣٣٢	٦٠	دهري	دهر

٥ ـ تنبيهات وتصويبات

١ بلغ الترقيم للقصائد رقم : ٣٧٠ ولكن الديوان يحتوي ٣٦٨ قصيدة ومقطوعة لأن رقمي ٨٦ ، ٨٧ هما قصيدة واحدة وكذلك ١٢٨ ، ١٢٩

٢ ألفت انتباه القارىء إلى أن القصائد : ٣٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ إنما هي في مدح الحسن بن علي ، وأن القصيدة رقم ٢٥٣ في مدح علي بن يحيى لا في مدح يحيى كما هو مثبت في العنوان .

٣ بعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية التي عثرت عليها أثناء المراجعة :

ص : ٥٥ س : ٣ ذبابا اقرأ : ذنابى

ص : ١٧٨ : ١٤ اقرأ :

أبجنة الفردوس أحـ ـرم شرب ماء الكوثر

ص ٢٤٦ : ٥ اقرأ :

وهو ضار آجامه ذبل الخـ ـط على مقتضى العلى وقصور

ص ٢٥٥ : ١٢ اقرأ : وقَوْصَرَةٌ

ص ٣٠٠ : ١٠ ووجع اقرأ : ذو وجع

ص ٣٢٣ : ٤ بالحدق اقرأ : بالحرق

ص ٣٣٨ : ٥ لهما اقرأ : لها

ص ٣٤٣ : ٥ سَقيتَ اقرأ : سُقيتَ ، القاف مشددة مكسورة

ص ٤٨٢ : ١٣ دمَ اقرأ : دمِ

ص ٥٦٠ : ٧ رالنيث اقرأ : والغيث

ص ٥٦٠ : ١٣ ترقاها اقرأ : يزفاها

مجموعة ديوان العرب

ظهر منها

١ ديوان المتنبي
٢ « ابن الفارض
٣ « عبيد بن الأبرص
٤ « امرئ القيس
٥ « عنترة
٦ « عبيد الله بن قيس الرقيات
٧ شرح المعلقات السبع للزوزني
٨ سقط الزند لأبي العلاء المعري
٩ ديوان أبي فراس الحمداني
١٠ « عامر بن الطفيل
١١ « الخنساء
١٢ « زهير بن أبي سلمى
١٣ « النابغة الذبياني
١٤ « ابن زيدون
١٥ « ابن حمديس
١٦ « جرير
١٧ « الفرزدق
١٨ « الأعشى
١٩ « الشريف الرضي
٢٠ « حسان بن ثابت الأنصاري
٢١ جمهرة أشعار العرب

